

لطالبي طريق الحق عز وجل

(في الأخلاق والتصوف والآداب الإسلامية)

تأليف

الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني

المتوفى سنة ٥٦١ هـ

وضع حواشيه

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة

الجزء الأول

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن التصوف مذهب يَزْهَدُ فى الدنيا ويُزَهِّد فيها، وهو مذهب المتجردين الذين لا شأن لهم بدنيا الناس، ولا بمال الناس.

وهذا الكتاب كتاب مبارك يهتدى به كثير من الناس ممن يدرسون التصوف نظريًا وعمليًا.

وقد يظن بعض الجهلة أن التصوف يدعو إلى الخمول فى الأمور المهمة، وهذا خطأ، فقد ساهم الصوفية فى الجهاد الحربى، ومواقفهم فى ذلك معروفة.

فقد كان الشيخ عبد القادر الجزائرى من كبار الصوفية، ومن كبار القادة فى الحرب، ولما حالت الظروف بينه وبين الجهاد مكث فى دمشق يدرس التصوف متخذًا «الفتوحات المكية» كتابه المفضل فى الشرح والتفسير.

وبالرجوع إلى قبل ذلك بقرون، فإننا نجد «شقيقًا البلخى» يسارع إلى خوض المعارك، لا يبالى على أى جنب كان فى الله مصرعه.

فإذا ما هرّج أعداء الصوفية، وكذبوا، وزيفوا، فإن التاريخ والواقع يكفى فى الرد عليهم.

وهذا التصوف قد جعله الله من خصائص أهل السنة، ليس لغيرهم فيه من نصيب، فأهل السنة هم أهله، وليس لأهل البدعة فيه نصيب، فهم محرومون مما فيه من الراحة والحلاوة والسكينة والطمأنينة.

والتصوف يتضمن الخلق الكريم فى التـأسى برسول الله ﷺ الذى كان خلقه القرآن، والذى يقول الله سبحانه له: ﴿**وإنك لعلى خلق عظيم**﴾.

فالله المسئول أن يرزقنا حسن التأسى بالاقتداء برسول الله ﷺ، وأن يحسن أخلاقنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضه

ترجمة المؤلف

يجمع كثير من المؤرخين على أن عبد القادر الجيلاني من زعماء المتصوفة في العالم الإسلامي، ومن يرجع إلى كتابه الذي بين أيدينا يتبيّن أنه يربط بين محاسن الشريعة والعقول السليمة، وقد وضع الشيخ رحمه اللّه أسساً لنفسه يسير عليها، وهو يعتبر أنّ كل قول لا يستند إلى دليل منقوض، وقد تلقّى الشيخ ثقافته الإسلامية الواسعة على يد علماء مسلمين ممتازين حتى أصبح نجماً بارزاً في سماء التصوف الإسلامي لا يدانيه أحد ولا يقف في طريقه بارع إلاّ انتقده، ولذلك فقد عالج الشيخ المشاكل التي تصدّى للردّ عليها بطريقة تأثّر فيها بأفق علمه، لأنّه تأثّر بالتّيار الروحي الصوفي، وربّما كان قد أوشك أن يقع عن غير قصد في شباك بعض المواقف الصوفية التي لا تتفق مع تعاليم أهل السنة. وهناك طائفة من العلماء يرون أن الشيخ حلقة وسطى بين المذهب الفلسفي لابن سينا ومذاهب التصوف الفلسفي كما نجدها عند السهروردي ومحيي الدين بن عربي، وإن كان هذا المذهب قد جاء ليعبّر عن مطالب الفكر الديني في تلك الفترة، وقد حرص الشيخ رحمه اللّه حرصاً شديداً على الدفاع عن الدين بعقائده طوال حياته، وهو من سليل بيت اشتهر بالعلم والجد والكفاح، ورحل وقرأ الفقه وأصوله وكان زاهداً ورعاً، فكان أنظر أهل زمانه وأفصحهم وأورعهم وأكثرهم تواضعاً وبشراً، وكان للشيخ طريقة يختص بها، وملخص هذه الطريقة أن العالم بالشريعة يجب عليه بذلها للناس وعرضها عليهم، كما يجب عليه التمسك بظاهر الشريعة، وأقام الشيخ على نصرة طريق الصحابة والسلف وأخذ في تجديده آخذاً نفسه بنصرة الحديث وأهله مستمسكاً بما كان عليه السلف من ترك الخوض في عويص الكلام ودقيق الجدال، مقتنعاً بأنّه لا تعارض بين صحيح السمع وصحيح العقل، أو بين المنقول والمعقول، لأنّ طريق الفهم لكتاب الله ممهد لمن عرف اللغة العربية، وقوم لسانه بشيء من علم النحو والصرف. وعلى الطالب في رأيه أن يطلع على كتب السنة الصحيحة، كصحيحي

البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث التي حرص أصحابها على بيان الحديث الصحيح وغيره، مع بيان لما هو صحيح ولما هو حسن ولما هو ضعيف. ولذا فهو يقدّم الحديث بعد معرفة درجة صحته على الرأي أيا كان قائله، ما دام لا يستند على دليل من الكتاب والسنة، لأن القرآن من يأمر باتباع الرسول ﷺ في مثل قوله تعالى «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»، رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

قال الشيخ الإمام العلامة العالم الزاهد الأوحد الورع العارف المؤيد محيى الدين قطب الإسلام معز الأنام ناصر السنة قامع البدعة صدر الأئمة أبو محمد عبد القادر بن أبى صالح بن عبد الله الجيلى، تغمده الله برحمته وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركته، وحشرنا فى زمرته آمين:

الحمد لله الذى بتحميده يستفتح كل كتاب، وبذكره يصدر كل خطاب وبحمده يتنعم أهل النعيم فى دار الجزاء والثواب، وباسمه يشفى كل داء، وبه يكشف كل غمة وبلاء، إليه ترفع الأيدى بالتضرع والدعاء، فى الشدة والرخاء، والسراء والضراء، وهو سامع لجميع الأصوات، بفنون الخطاب على اختلاف اللغات، والمجيب للمضطر الدعاء، فله الحمد على ما أولى وأسدى، وله الشكر على ما أنعم وأعطى، وأوضح المحجة وهدى، وصلواته على صفيه ورسوله الذى به من الضلالة هدى، محمد وآله وأصحابه وإخوانه المرسلين والملائكة المقرّبين، وسلم تسليمًا.

أما بعد:

فقد ألح على بعض أصحابى، وشدّد فى الخطاب فى تصنيف هذا الكتاب لحسن ظنه فى الإصابة والصواب، والله تعالى هو العاصم فى الأقوال والأفعال والمطلع على الضمائر والنيات، والمنعم المتفضل بتسهيل ما أراد، وإليه عزّ وجلّ الالتجاء لتطهير القلوب من الرياء والنفاق، وإبدال السيئات بالحسنات، إنه غافر الذنوب والخطيئات، وقابل التوب من العباد.

فلما رأيت صدق رغبته فى معرفة الآداب الشرعية من الفرائض والأركان والسنن والهيئات، ومعرفة الصانع عزّ وجلّ بالآيات والعلامات، ثم الاتعاظ بمواعظ القرآن والألفاظ النبوية فى مجالس نذكرها، ومعرفة أخلاق الصالحين نشير لها فى أثناء

الكتـاب، ليكون عونًا له على سلوك طريـق الله عز وجل، وامـتثـال أوامره، وانتـهاء نواهيه، ووجدتُ له نية صادقة صدرت من فـتوح الغيب فى إجابته إلى ذلك، فسارعتُ مشمرًا مـبتغيًا محتـسبًا للثواب، راجيًا للنجاة فى يوم الحسـاب، إلى جمع هذا الكتاب بتوفيق رب الأرباب الملهم للصواب، وقد سميته:

«الغنية لطالبى طريق الحق عزّ وجلّ»

* * *

القسم الأول

في

الفقه

باب

نبدأ فنقول:

الذى يجب على من يريد الدخول فى دين الإسلام

أولاً: أن[١] يتلفظ بالشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام، ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى، على ما سنبينه إن شاء الله تعالى.

إذ كان الإسلام هو الدين عند الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقْبَل منه**﴾ [آل عمران: ٨٥].

فإذا أتى بذلك دخل فى الإسلام، وحرم قتله وسبى ذراريه واستغنام أمواله، ويغفر له ما تقدم من التفريط فى حق الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿**قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف**﴾ [الأنفال: ٣٨].

وقول النبى ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا[٢] منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم[٣] على الله»[٤].

ولقوله ﷺ: «الإسلام يجب[٥] ما قبله»[٦].

ثم يجب عليه الغسل للإسلام، لما روى أن النبى ﷺ أمر ثمامة[٧] بن أثال وقيس بن

---

(١) قوله: «أن يتلفظ بالشهادتين» لقوله ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

رواه مسلم فى: الإيمان: حديث (١)، وأبو داود (٤٦٩٥)، وأحمد ١/ ٥١.

(٢) قوله: «عصموا» أى منعوا. «فتح البارى» ١/ ٩٧.

(٣) قوله: «وحسابهم على الله» أى فى أمر سرائرهم. وفيه دليل على قبول الأعمال الظاهرة والحكم بما يقتضيه الظاهر. «فتح البارى» ١/ ٩٧.

(٤) البخارى ١/ ١٣، ومسلم فى: الإيمان: حديث (٣٤ و ٣٦)، وأحمد ٢/ ٣٤٥.

(٥) قوله: «يجب ما قبله» أى يقطع ويمحو ما كان قبله من الكفر والمعاصى والذنوب. «النهاية» ١/ ٢٣٤.

(٦) أحمد ٤/ ١٩٩ و ٢٠٤ و ٢٠٥، ودلائل النبوة ٤/ ٣٥١، وإرواء الغليل ٥/ ١٢١ و ١٢٢.

(٧) ثمامة بن أثال بن النعمان بن سلمة أبو أمامة اليمامى، ذكر ابن إسحاق: أنه ثبت على إسلامه =

عاصم، لما أسلما بالغسل.

وفى رواية: «الق عنك شعر الكفر واغتسل»[١].

ثم تجب عليه الصلاة، لأن الإيمان قول وعمل، لأن القول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها.

وللصلاة شرائط تتقدمها وهى:

الطهارة[٢] بالماء الطهور، والتيمم[٣] عند عدمه، والستارة بثوب طاهر، والوقوف على بقعة طاهرة، واستقبال القبلة، والنية، ودخول الوقت.

أما الطهارة فلها فرائض وسنن:

والفرائض فى ظاهر المذهب عشرة:

النية أولاً: وهو أن ينوى بطهارته رفع الحدث، وإن كان تيممًا فاستباحة الصلاة، لأن التيمم لا يرفع الحدث، ومحلها القلب، فإن ذكر ذلك بلسانه مع اعتقاده بقلبه كان[٤] قد أتى بالأفضل، وإن اقتصر على الاعتقاد بالقلب أجزأ.

ثم التسمية[٥]: وهو أن يذكر الله تعالى عند إرادته أخذ الماء.

= لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحق بالعلاء بن الحضرمى، وقاتل معه المرتدين من أهل البحرين. له ترجمة فى: الإصابة ١/٣/٢٠٣/٩٦١.

(١) أبو داود (٣٥٦)، وأحمد ٣/ ٤١٥، والبيهقى ١/ ١٧٢.

(٢) قوله: «الطهارة بالماء»، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبًا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا﴾ [النساء:٤٣].

(٣) قوله: «والتيمم عند عدمه»، لقوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيدًا طيبًا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوًا غفورًا﴾ [النساء:٤٣].

(٤) قوله: «كان. . . أفضل»، ليست النية إلاّ عملاً قلبيًا محضًا، وأما ما درج عليه كثير من الناس واعتاده من التلفظ بها فهو محدث غير مشروع، ينبغى هجره والإعراض عنه. «فقه السنة» ١/ ٦٢ ـ ٦٣.

(٥) قوله: «ثم التسمية»، لقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

رواه أبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٨ ـ ٤٠٠)، وأحمد ٢/ ٤١٨، والدارقطنى ١/ ٧٣ و ٧٩.

ثم المضمضة[١]: وهو دوران الماء فى الفم ومجه وإخراجه منه.

ثم الاستنشاق[٢]: وهو إدخال الماء فى خرمى الأنف.

ثم غسل الوجه[٣]: وحده من منابت شعر الرأس إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولاً، ومن وتد الأذن إلى وتد الأذن عرضًا.

ثم غسل اليدين إلى المرفقين[٤].

ثم مسح الرأس[٥]: وصفته: أن يغمس يديه فى الماء ثم يرفعهما فارغتين فيضعهما[٦] على مقدم رأسه ويجرّهما إلى قفاه، ويعيدهما إلى الموضع الذى بدأ منه، ويكون الإبهامان فى صماخى الأذنين، فيمسح بهما الجلدتين القائمتين مع الصماخين.

ثم[٧] غسل الرجلين مع الكعبين: وهما العظمان الناتئان فى مفصل القدم وكل ذلك مرة واحدة.

وأما التاسع: فهو ترتيب الأعضاء كلها كما نطق به القرآن فى قوله عزّ وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦].

والعاشر: الموالاة، وهى اتباع العضو الثانى للأول قبل أن ينشف ماء الأول.

---

(١) قوله: «ثم المضمضة»، لقوله ﷺ: «إذا توضأت فمضمض». رواه أبو داود (١٤٤)، والبيهقى ١/ ٥٢.

(٢) قوله: «ثم الاستنشاق»، لقوله ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم يستنثر».
رواه مسلم فى: الطهارة: حديث (٢٠ و ٢١)، وأبو داود فى: (١٤٠)، وأحمد ٢/ ٢٤٢.

(٣) قوله: «ثم غسل الوجه»، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ [المائدة: ٦].

(٤) قوله: «ثم غسل اليدين... إلخ» انظر الآية السابقة.

(٥) قوله: «ثم مسح الرأس» انظر نفس الآية.

(٦) قوله: «فيضعهما على مقدم رأسه... إلخ»، لحديث عبد الله بن زيد: «أن النبى ﷺ مسح رأسه بيديه فاقبل بهما وادبر، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه، ثم ردهما إلى المكان الذى بدأ منه».
رواه البخارى فى: الوضوء: حديث (١٨٥)، ومسلم فى: الطهارة: حديث (١٨)، وأحمد ٤/ ٣٨ و ٣٩.

(٧) قوله: «ثم غسل الرجلين» انظر الآية السابقة.

وأما سننها فعشر أيضًا:

غسل[١] الكفين قبل إدخالهما الإناء، والسواك[٢]، والمبالغة[٣] فى المضمضة والاستنشاق إلا أن يكون صائمًا، وتخليل[٤] اللحية الكثة على اختلاف الروايتين، وغسل داخل العينين، والبداءة باليمين، وأخذ ماء جديد للأذنين، ومسح العنق، وتخليل[٥] ما بين الأصابع، والغسلة الثانية والثالثة.

وأما التيمم:

فأن يضرب يديه على تراب طاهر له غبار يعلق باليد، ناويًا لاستباحة صلاة مفروضة، مسميًا ضربة واحدة يفرج بين أصابعه، فيمسح وجهه بباطن أصابع يديه، وظهر كفيه بباطن راحتيه.

وأما الطهارة الكبرى: فنذكرها فى باب آداب الخلاء إن شاء الله تعالى.

وأما الستارة: فأن تكون ثوبًا طاهرًا يستر عورته ومنكبيه من سائر أنواع الثياب إلا الحرير، فإن الصلاة فيه باطلة وإن كان طاهرًا، وكذلك المغصوب.

وأما البقعة: فأن تكون طاهرة من جميع الأنجاس، فإن كانت النجاسة التى عليها قد نشفتها الرياح أو الشمس فبسط عليها بساطًا طاهرًا فصلى عليه صحت صلاته على

---

(١) قوله: «غسل الكفين» لحديث أوس الثقفى رضى الله عنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ توضأ فاستوكف ثلاثًا».
رواه النسائى فى: الطهارة: ب (٦٦)، والدارمى (٦٩٢)، وأحمد ٤/ ٩ و ١٠.

(٢) قوله: «والسواك» لقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء».
رواه مالك فى: الطهارة: حديث (١١٥).

(٣) قوله: «والمبالغة فى المضمضة... إلخ» لقوله ﷺ: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ فى الاستنشاق إلاَّ أن تكون صائمًا».
رواه أبو داود فى: الطهارة: ب (٥٥)، والترمذى (٧٨٨)، والنسائى فى: الطهارة: ب (٧)، وابن ماجه (٤٤٨).

(٤) قوله: «وتخليل اللحية»، لحديث أنس رضى الله عنه: «أن النبى ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفًا من ماء، فأدخله تحت حنكه فخلل به، وقال: هكذا أمرنى ربى عز وجل».
رواه أبو داود فى: الطهارة: ب (٥٦)، والبيهقى ١/ ٥٤، والإرواء ١/ ١٣٠.

(٥) قوله: «وتخليل ما بين الأصابع»، لقوله ﷺ: «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك».
رواه الترمذى فى: الطهارة: حديث (٣٩) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه ١/ ٨٧.

إحدى الروايتين. وكذلك إن كانت مغصوبة على رواية ضعيفة.

وأما استقبال القبلة:

فأن يتوجه إلى عين الكعبة إن كان بمكة وما قاربها من البقاع وإلى جهتها إن كان على بعد منها بالاجتهاد وبذل الطاقة بالاستدلال بالشواهد والدلالات بالنجوم والشمس والرياح وغير ذلك.

وأما النية:

فمحلها القلب وهو أن يعتقد أداء ما افترض الله تعالى عليه من فعل الصلاة بعينها وامتثال أمره الواجب من غير رياء وسمعة، ثم يحضر قلبه إلى أن يفرغ منها، وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال لعائشة رضى الله عنها: (ليس لك من صلاتك إلا ما حضر قلبك)[1].

وأما دخول الوقت:

فبعلمه يقينًا أو غلبة الظن فى يوم الغيم وهيجان الرياح والموانع.

ثم يؤذن فيقول:

الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حيّ على الصلاة، حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، حيّ على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله[2].

ثم يقيم الصلاة فيقول:

الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حى على الصلاة، حى على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

(فصل) فإذا كملت هذه الشروط دخل فى الصلاة:

بقوله: (الله أكبرْ)، لا يجزئه غيره من ألفاظ التعظيم.

---

(١) بنحوه: أحمد ٤/٣١٩، والإتحاف ٣/١١٦.

(٢) مسلم فى: الصلاة: حديث (٦)، وأحمد ٣/٤٠٨.

ولها أركان وواجبات ومسنونات وهيئات.

فأما الأركان فخمسة عشر:

القيام(١)، وتكبيرة الإحرام(٢)، وقراءة الفاتحة(٣)، والركوع(٤)، والطمأنينة فيه، والاعتدال عنه، والطمأنينة فيه، والسجود، والطمأنينة فيه، والجلوس بين السجدتين، والطمأنينة فيه(٥)، والتشهد الأخير(٦)، والجلوس فيه، والصلاة على النبى ﷺ، والتسليم(٧).

وأما الواجبات فتسعة:

التكبير غير تكبيرة الإحرام، والتسميع والتحميد عند الرفع من الركوع، والتسبيح فى الركوع والسجود مرة مرة، وقول (رب اغفر لى)(٨) فى الجلسة بين السجدتين مرة مرة، والتشهد الأول، والجلوس له، ونية الخروج من الصلاة فى التسليم.

---

(١) قوله: «القيام» لقوله تعالى: ﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ [البقرة:٢٣٨].
ولقوله ﷺ: «صل قائمًا...» الحديث.
رواه البخارى ٢/ ٦٠، وأبو داود (٩٥٢)، والترمذى (٣٧٢)، وأحمد (٤/ ٤٢٦).

(٢) قوله: «وتكبيرة الإحرام» لقوله ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير...» الحديث.
رواه أبو داود فى: الطهارة: ب (٣١)، والترمذى (٣، ٢٣٨)، وابن ماجه (٢٧٥، ٢٧٦)، وأحمد ١/ ١٢٣.

(٣) قوله: «وقراءة الفاتحة»، لقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب».
البخارى ١/ ١٩٢، ومسلم فى: الصلاة: حديث (٣٤)، وأحمد ٥/ ٣١٤.

(٤) قوله: «والركوع» لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ [الحج:٧٧].

(٥) روى حديث الطمأنينة: البخارى ١/ ١٩٢ و ١٩٣، ومسلم فى: الصلاة: حديث (٤٥)، وأحمد ٢/ ٤٣٧.

(٦) قوله: «والتشهد الأخير»؛ لقول ابن عباس رضى الله عنهما: كنا قبل أن يفرض علينا التشهد... فقال النبى ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله، ولكن قولوا التحيات لله».
رواه البخارى ١/ ٢١٢، وأبو داود (٩٦٨)، والنسائى فى: الاستفتاح: ب (٨٦) وأحمد ١/ ٤٣١.

(٧) قوله: «والتسليم»؛ للحديث السابق: «مفتاح الصلاة الطهور» فإن فى آخره: «وتحليلها التسليم»، وقد سبق تخريجه هناك، فارجع إليه.

(٨) النسائى ٢/ ٢٠٠ و ٢٣١، والحاكم ١/ ٢٧١، وشرح السنة ٤/ ٢٠.

وأما المسنونات فأربع عشرة:

الاستفتاح، والتعوذ، وقراءة: «بسم الله الرحمن الرحيم»، وقول: «آمين»، وقراءة سورة، وقول: «ملء السموات والأرض» بعد التحميد[١]، وما زاد على التسبيحة الواحدة في الركوع والسجود، وقول: «رب اغفر لي»، والسجود على الأنف في إحدى الروايتين، وجلسة الاستراحة بعد انقضاء السجدتين، والتعوذ من أربعة أشياء بأن يقول: «أعوذ بالله من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المسيح الدجال ومن فتنة المحيا والممات»[٢]، والدعاء بما ذكر في الأخبار بعد أن يصلى على النبي ﷺ في التشهد الأخير، والقنوت في الوتر، والتسليمة الثانية على رواية ضعيفة.

وأما الهيئات فخمس وعشرون هيئة:

رفع اليدين عند الافتتاح والركوع، والرفع منه وهو أن تكون كفاه مع منكبيه وإبهاماه عند شحمتي أذنيه وأطراف أصابعه مع فروع أذنيه ثم إرسالهما بعد الرفع، ووضع اليمين على الشمال تحت السرة[٣]، والنظر إلى موضع السجود، والجهر بالقراءة وآمين، والإسرار بهما، ووضع اليدين على الركبتين في الركوع، ومدّ الظهر، ومجافاة عضديه عن جنبيه فيه، والبداءة بوضع الركبة ثم اليدين في السجود، ومجافاة البطن عن الفخذين والفخذين عن الساقين فيه، والتفريق بين الركبتين في السجود، ووضع اليدين حذاء منكبيه فيه، والافتراش[٤] في الجلوس بين السجدتين وفي التشهد الأول والتورك في الثاني، ووضع[٥] اليد اليمنى على الفخذ اليمنى مقبوضة مشيراً بالسبابة محلقة بالإبهام مع الوسطى، ووضع اليسرى على الفخذ اليسرى مبسوطة.

---

(١) مسلم في: الصلاة: حديث (٢٠٥، ٢٠٦)، والنسائي ٢/ ١٩٥، والبيهقي ٢/ ٩٤.

(٢) مسلم في: المساجد: حديث (١٣٠)، وأبو داود (٩٨٣)، وابن ماجه (٩٠٩)، وأحمد ٢/ ٢٣٧.

(٣) قال الكمال بن الهمام: «لم يثبت حديث صحيح يوجب العمل في كون الوضع تحت الصدر، وفي كونه تحت السرة، والمعهود عند الحنفية هو تحت السرة. «فقه السنة» ١/ ١٢٣.

(٤) قوله: «والافتراش... إلخ»، لحديث عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يفرش رجله اليسرى، وينصب اليمنى».

رواه مسلم في: الصلاة: حديث (٢٤٠ و ٢٤١)، وابن ماجه (٨٩٣)، وأحمد ٦/ ٣١.

(٥) قوله: «ووضع اليد اليمنى... إلخ»، لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما -: «أن النبي ﷺ كان إذا قعد للتشهد وضع يده اليسرى على ركبته اليسرى، واليمنى على اليمنى، وعقد ثلاثًا =

فإن أخل بشرط من الشرائط التى ذكرناها أولاً بغير عذر لم تنعقد الصلاة.

وإن ترك ركنًا عامدًا أو ساهيًا بطلت.

وإن ترك واجبًا ساهيًا جبره بسجود السهو، وإن تركه عامدًا بطلت الصلاة.

وإن ترك سنة أو هيئة لم تبطل ولم يسجد.

* * *

كتاب الزكاة[١]

وتجب عليه الزكاة إن كان له مال زكوى.

وهو أن يملك عشرين مثقالاً من الذهب، أو مائتى درهم من الورق، أو قيمة أحدهما من عروض التجارة، أو خمسًا من الإبل، أو ثلاثين من البقر، أو أربعين من الغنم سائمة حولاً كاملاً، إلاّ أن يكون عبدًا أو مكاتبًا فإنه لا تجب عليهما الزكاة.

فيخرج عن الذهب والفضة ربع العشر، فيكون عن كل عشرين دينارًا نصف دينار، لأن عشرها ديناران وربعها نصف دينار. وعن مائتى درهم خمسة دراهم، لأن عشرها عشرون وربعها خمسة[٢].

وعن خمس من الإبل: شاة، وهى الجدع من الضأن قد تمت لـه ستة أشهر، والثنى من المعز وهو ما له سنة.

وعن عشر: شاتان.

= وخمسين، وأشار بإصبعه السبابة».

رواه مسلم فى: المساجد: حديث (١١٣)، والبيهقى ٢/ ١٣١، وابن أبى شيبة ٢/ ٤٨٥.

(١) قوله: «الزكاة»، لغة مشتركة بين النمـاء والطهارة، وتطلق على الصدقة الواجبة والمندوبة والنفقة والعفـو والحق، وهى أحد أركان الإسـلام الخمسـة بإجماع الأمـة وبما علم من ضرورة الدين. «سبل السلام» ٢/ ٥٨٩.

(٢) ويدل على ذلك قوله ﷺ: «إذا كانت لك مائتا درهم ـ وحال عليها الحول ـ ففيها خمسة دراهم وليس عليك شىء حتى يكون لك عشرون دينارًا، وحال عليهـا الحول، ففيها نصف دينار...» الحديث.

رواه أبو داود فى: الزكاة: ب (٥): حديث (١٥٧٣) وحسنه الحافظ.

وعن خمسة عشر: ثلاث شياه.

وعن عشرين: أربع شياه.

وعن خمسٍ وعشــرين: ابنة مخاض، وهى ما لها سنة ودخلت فى الثـانية، فإن لـم يقدر عليها فابن لبون ذكر، وهو ما له سنتان ودخل فى الثالثة.

وعن ست وثلاثين: ابنة لبون، وهى فى سن ابن لبون.

وعن ست وأربعين: حقة، وهى ما كمل لها ثلاث سنين.

وعن إحدى وستين: جذعة، وهى ما كمل لها أربع سنين.

وعن ست وسبعين: بنتا لبون.

وعن إحدى وتسعين: حقتان إلى أن تبلغ مائة وعشرين.

فإذا زادت واحدة كان فى كل أربعين ابنة لبون، وفى كل خمسين حقة(١).

وأما البقر: فيخرج عن كل ثلاثين: تبيعًا أو تبيعة، وهى ما كمل لها سنة.

وعن أربعين: مسنة، وهى ما كمل لها سنتان.

وعن ستين: تبيعين.

فإذا بلغت سبعين كان فيها: تبيع ومسنة.

ثم على هذا الاعتبار يخرج عن كل ثلاثين تبيعًا، وعن كل أربعين مسنة(٢).

وأما الغنم: ففى كل أربعين: شاة إلى أن تبلغ مائة وعشرين، فإذا زادت واحدة ففيها شاتان إلى مائتــين، فإذا زادت واحدة ففـيها ثلاث شياه إلى ثلاثمــائة، ثم فى كل مائة شاة(٣).

فيعطى المخرج عن جميع ذلك للثمانية الأصناف المذكورة فى القرآن:

للفقراء الذين لا يملكون كفايتهم.

والمساكين وهم الذين لهم معظم الكفاية ولا يملكون تمامها.

والعاملين عليها وهم الجباة لها والحافظون لها إلى أن يؤدوها إلى الإمام.

---

(١) رواه البخارى فى: الزكاة: حديث (١٤٥٤).

(٢) الحديث السابق.

(٣) نفس الحديث.

والمؤلفة قلوبهم وهم قوم من الكفار يرجى إسلامهم إذا أعطوا المال أو يكفوا شرهم عن المسلمين.

وفى الرقاب وهم المكاتبون، وإن اشترى بزكاته رقبة كاملة فأعتقها جاز أيضًا على رواية.

والغارمين وهم المدينون الذين لا طاقة لهم على قضاء ديونهم.

وفى سبيل الله وهم الغزاة الذين لا جزاء لهم فى ديوان الإمام وغيره من السلاطين وإن كانوا أغنياء.

وابن السبيل وهو المسافر المنقطع به دون الذى ينشىء السفر من بلده[1].

فإذا أدى ما عليه من زكاة الفرض يستحب له صدقة التطوع فى سائر أوقاته ليلاً ونهارًا قليلاً وكثيرًا. لا سيما فى الأشهر المباركة كشهر رجب وشعبان وشهر رمضان وأيام العيد وعاشوراء وأيام الجدب والضيق، ليحوز بذلك العافية فى الجسم والمال والأهل والخلف السريع فى الدنيا والثواب الجزيل فى الآخرة.

(فصل) ويخرج زكاة[2] الفطر إذا فضل عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته عن نفسه وزوجته ورقيقه وولده وأمه وأبيه وإخوته وأخواته وأعمامه وبنى أعمامه على الترتيب الأقرب فالأقرب، بشرط أن يكونوا فى مؤنته ونفقته.

وقدرها صاع وزنه خمسة أرطال وثلث بالعراقى من التمر أو الزبيب أو البر أو الشعير أو دقيقهما أو سويقهما وكذلك الأقط[3] على الصحيح من المذهب.

فإن عدم هذه الأصناف جميعها فليخرج من قوت البلد من سائر أنواع الحب كالأرز والذرة والدخن وغيرها.

* * *

(١) وقد حصر الله عز وجل مصارف الزكاة الثمانية فى قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ [المائدة: ٦٠].

(٢) قوله: «زكاة الفطر»، أى الإفطار، وأضيفت إليه؛ لأنه سببها، كما يدل له ما فى بعض روايات البخارى: «زكاة الفطر من رمضان». سبل السلام ٢/٦١٨.

(٣) قوله: «الأقط» هو لبن مجفف يابس مُسْتَحْجَر يطبخ به. «النهاية» ١/٥٧.

كتاب الصيام[١]

وإذا دخل شهر رمضان وجب عليه أن يصومه، لقوله تعالى: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة:١٨٥].

فإذا ثبت عنده دخول الشهر إما برؤيته نفسه الهلال، أو شهادة[٢] رجل واحد عدل بذلك، أو إكمال شعبان ثلاثين يومًا، أو حدوث[٣] غيم أو قتر في ليلة الثلاثين منه، نوى أيّ وقت من الليل من بعد غروب الشمس إلى قبل أن يطلع الفجر الثاني، أنه صائمٌ غدًا من شهر رمضان.

وهكذا كل ليلة إلى أن ينتهي الشهر.

وإن نوى في أول ليلة من الشهر أنه صائم الشهر جميعه كفاه ذلك في رواية ضعيفة، والصحيح الأول.

فإذا أصبح وجب عليه أن يمسك في جميع نهاره عن الأكل والشرب والجماع وجميع ما يصل إلى جوفه من أي موضع كان، وعن الحجامة لنفسه أو غيره، واستدعاء القيء والمني.

فإن خالف في جميع ذلك بطل صومه ووجب عليه الإمساك إلى غروب الشمس والقضاء، إلا الجماع فإنه يجب عليه مع ذلك كفارة وهي عتق رقبة مؤمنة سليمة من

---

(١) قوله: «الصيام»، هو في اللغة: الإمساك. وفي الشرع: إمساك مخصوص، وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع وغيرهما مما ورد به الشرع في النهار على الوجه المشروع، ويتبع ذلك الإمساك عن اللغو والرفث وغيرهما من الكلام المحرم والمكروه؛ لورود الأحاديث بالنهي عنها في الصوم زيادة على غيره. «سبل السلام» ٢/ ٦٤١.

(٢) قوله: «أو شهادة رَجل... إلخ»، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تراءى الناس الهلال، فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته فصام، وأمر الناس بصيامه».

رواه أبو داود في: الصوم: ب (١٤): حديث (٢٣٤٢)، قال الحافظ: صححه الحاكم وابن حبان.

(٣) قوله: «أو حدوث غيم» لقوله ﷺ: «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا».

رواه البخاري ٣/ ٣٥، ومسلم في: الصيام: حديث (٤، ٥، ١٨، ١٩)، وأحمد ١/ ٢٢٦.

العيوب المضرة فى العمل، فإن لم يجد فصيام شـهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا لكل واحد منهم مدّ من طعام وهو رطل وثلث بالعراقى، فيكون مائة وثلاثة وسبعين درهما وثلث درهم، أو نصف صاع من تمر أو شعير، فإن لم يجد ذلك فمن قوت بلده كما قلنا فى الفطرة.

فإن لم يجد شيئًا سقطت عنه، واستغفر الله عزّ وجل، وتاب إليه، وأحسن العمل فى الباقى.

ويجتنب فى نهار رمضان:

الخلوة بامرأة شابة، والقبلة لها، وإن كانت ممن تحل له، أو ذات رحم.

ويجتنب السواك بعد الزوال، ومضغ العلك[١]، وجمع ريقه ثم بلعه، وذوق الطعام عند الطبخ وغيره، والغيبة، والنميمة، والكذب، والسب، وغير ذلك.

ويستحب له:

تعجيل[٢] الإفطار إلا فى يوم الغيم فتأخيره أفضل، وتأخير[٣] السحور إلا أن يكون ممن يخفى عليه طلوع الفجر، والأولى له أن يفطر[٤] على التمر أو الماء، ويدعو وقت الإفطار، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: (إذا صام أحدكم فقدم عشاؤه فليقل: بسم الله اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، سبحانك وبحمدك، اللهم تقبل منا فإنك أنت السميع العليم)[٥].

* * *

(١) قوله: «العلك»، أى اللبان.

(٢) قوله: «ويستحب له تعجيل الإفطار»، لقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».
رواه البخارى ٣/ ٤٧، ومسلم فى: الصيام: حديث (٤٨)، وأحمد ٥/ ١٣١.

(٣) قوله: «وتأخير السحور»، لحديث زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ، ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم كان قدر ما بينهما؟ قال: خمسين آية».
رواه البخارى فى: الصوم: ب (١٩)، ومسلم فى: الصيام: حديث (٤٧)، وأحمد ٥/ ١٨٢.

(٤) قوله: «يفطر على التمر والماء»؛ لقوله ﷺ: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر، فإن لم يجد فليفطر على ماء؛ فإنه طهور».
رواه الترمذى (٦٥٨ و ٦٩٥)، وابن ماجه (١٦٩٩)، وأحمد ٤/ ١٧.

(٥) أبو داود (٢٣٩٨)، والدارقطنى ٢/ ١٨٥.

كتاب الاعتكاف(١)

ويستحب له الاعتكاف.

ولا يكون إلا فى مجسد يصلى فيه بالجماعة، وأولى المساجد الجامع إذا كان اعتكافه أيامًا يتخللها جمعة.

ويصح بغير صوم والأولى أن يكون بالصوم، لأنه أجمع لهمه، وأعون على كسر نفسه، وأليق باشتقاق ما هو بصدده.

لأن الاعتكاف هو حبس النفس فى مكان مخصوص، ولزوم الشىء والمداومة عليه، قال الله تعالى: ﴿ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون﴾ [الأنبياء: ٥٢].

وهو من السنن المأثورة عن النبى ﷺ وأصحابه، لأن النبى ﷺ اعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان، ثم لم يزل على ذلك حتى توفاه الله تعالى، وندب الصحابة إليه فقال: (من أراد أن يعتكف فليعتكف العشر الأواخر)(٢).

فإذا اعتكف ينبغى له أن يتشاغل بفعل كل ما يقربه إلى الله تعالى من قراءة القرآن والتسبيح والتهليل والتكبير والتفكر ويجتنب كل ما لا يعنيه من القول والعمل.

ويلزم الصمت فى غير ذكر الله تعالى.

ويجوز له التدريس وإقراء القرآن، لأن ذلك يتعدى نفعه إلى غيره، فهو أكثر ثوابًا من اشتغاله بخاصة نفسه.

ويجوز له الخروج من معتكفه لما لابد له منه، كالاغتسال من الجنابة، والأكل والشرب، وقضاء حاجة الإنسان من البول والغائط، وعند الخوف على نفسه من الفتنة والمرض الشديد وغير ذلك.

---

(١) قوله: «الاعتكاف» هو فى اللغة: لزوم الشىء، وحبس النفس عليه. وشرعًا: المقام فى المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة. «سبل السلام» ٢/ ٦٨٣.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ فى حدود معرفتى، ولعله فى مصادر لا أعرفها.
وبما جاء فى اعتكاف العشر الأواخر حديث عائشة رضى الله عنها: «أن النبى ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان...» الحديث.
رواه البخارى ٣/ ٦٢ و ٦٣، ومسلم فى: الاعتكاف: حديث (١، ٥)، وأحمد ٥/ ١٤١.

كتاب الحج[١]

فإذا كملت فى حقه شرائط الحج وجب عليه أداء الحج والعمرة على الفور، وهو أن يكون بعد إسلامه حرًا عاقلاً بالغًا مستطيعًا بالزاد والراحلة، وتخلية الطريق من عدو يمنعه، وإمكان المسير إليه وهو اتساع الوقت لأداء الحج، وصحة البدن للاستمساك على الراحلة.

والاستطاعة بالزاد والراحلة إنما تكون بعد تحصيل النفقة لعياله إلى أن يعود إليهم، والمسكن لهم، وقضاء الديون إن كانت عليه.

وأن يكون له كفاية بعد رجوعه من فضل مال أو أجرة عقار أو بضاعة أو صناعة. فإن خالف وقصر بعياله وامتنع من قضاء دينه وخرج إلى الحج كان مأثومًا ظالمًا مسخوطًا عليه، لقول النبى ﷺ: (كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوته)[٢].

فإن سلم من المخالفة حتى فرغ من الحج والعمرة سقط عنه الحج.

(فصل) فإذا بلغ الميقات الشرعى وهو:

ذات عِرْق[٣]: إن كان من أهل المشرق.

والجُحْفَة[٤]: إن كان من أهل المغرب.

وذو الحُلَيْفة[٥]: إن كان من أهل المدينة.

---

(١) قوله: «الحج»، بفتح الحاء المهملة وكسرها لغتان، وهو ركن من أركان الإسلام الخمسة بالاتفاق، وأول فرضه سنة ست عند الجمهور، واختار ابن القيم فى «الهدى» أنه فرض سنة تسع أو عشر، وفيه خلاف. «سبل السلام» ٢/ ٦٩١.

(٢) أبو داود (١٦٩٢)، وأحمد ٢/ ١٦٠ و ١٩٤.

(٣) قوله: «ذات عِرْق»، بكسر العين المهملة وسكون الراء بعدها قاف، بينه وبين مكة مرحلتان، وسمى بذلك؛ لأن فيه عرقًا، وهو الجبل الصغير. «سبل السلام» ٢/ ٧٠٨.

(٤) قوله: «الجُحْفَة» بضم الجيم وسكون الحاء المهملة ففاء، سميت بذلك؛ لأن السيل اجتحف أهلها إلى الجبل الذى هنالك، وهى من مكة على ثلاث مراحل، وتسمى «مهيعة»، وكانت قرية قديمة، وهى الآن خراب؛ ولذا يحرمون الآن من رابغ قبلها بمرحلة؛ لوجود الماء بها للاغتسال. «المصدر السابق» ٢/ ٧٠٥.

(٥) قوله: «ذو الحُلَيْفَة» بضم الحاء المهملة، وبعد اللام مثناة تحتية، وفاء. تصغير «حلفة» والحلفة =

ويَلَمْلم[١]: إن كان من أهل اليمن.

وقَرْن[٢]: إن كان من أهل نجد.

يغتسل ويتنظف أو يتيمم إنْ لم يجد الماء، ويتزر بإزار ويرتدى برداء، ويكونان أبيضين نظيفين، ويتطيب ويصلى ركعتين، ثم يحرم وينوى الإحرام بقلبه، ويلبى بالعمرة إن كان متمتعًا وهو الأفضل، أو بالحج المفرد، أو بالحج والعمرة جميعًا.

ويشترط أن يقول: اللهم إنى أريد العمرة أو الحج أو إياهما جميعًا، فيسر ذلك لى وتقبل منى، وحلّنى حيث حبستنى، ويلبى.

وصفة التلبية:

لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك[٣].

يرفع بذلك صوته، ويقول ذلك بعد الإحرام، وعقيب الصلوات الخمس، وفى إقبال الليل والنهار، والتقاء الرفاق، وإذا علا شرف أو هبط واديًا أو سمع ملبيًا، وفى مساجد الحرم وبقاعه، ويصلى على النبى ﷺ، ويدعو لنفسه بما أحب إذا فرغ من التلبية.

(فصل) فإذا أحرم لا يغطى رأسه، ولا[٤] يلبس المخيط ولا الخفين، فإذا فعل ذلك لزمه ذبح شاة، إلاَّ ألا يجد الإزار والنعلين.

ولا[٥] يتطيب فى بدنه وثيابه من سائر أنواع الطيب، فإن فعل ذلك متعمدًا غسله

= واحدة الحلفاء، نبت فى الماء، وهى مكان معروف بينه وبين مكة عشر مراحل، وهى من المدينة على فرسخ وبها المسجد الذى أحرم منه ﷺ، والبئر التى تسمى الآن بئر على، وهى أبعد المواقيت إلى مكة. «نفس المصدر» ٢/ ٧٠٥.

(١) قوله: «يلملم» بينه وبين مكة مرحلتان. «نفس المصدر السابق».

(٢) قوله: «قَرْن» بفتح القاف وسكون الراء، ويقال له: قرن الثعالب، بينه وبين مكة مرحلتان. «نفس المصدر».

(٣) البخارى ٢/ ١٧٠، ومسلم فى: الحج: حديث (١٩ و ٢٠ و ٢١)، وأحمد (١/ ٢٦٧).

(٤) قوله: «ولا يلبس المخيط... إلخ»، لقوله ﷺ: «لا يلبس المحرم القميص، ولا العمامة، ولا البرنس، ولا السراويل، ولا ثوبًا مَسَّه ورس، ولا زعفران، ولا الخفين، إلاَّ ألا يجد نعلين، فليقطعهما حتى يكونا أسفل من الكعبين».

رواه البخارى ١/ ٤٥، ومسلم فى: الحج: حديث (٢)، والبيهقى ٥/ ٤٩٠.

(٥) قوله: «ولا يتطيب فى بدنه»؛ لقوله ﷺ: «أما الطيب الذى بك، فاغسله عنك» ثلاث مرات. =

وذبح شاة.

ولا يقلم أظفاره ولا يحلق شعره، فإن قلّم ثلاثة أظفار أو حلق ثلاث شعرات من رأسه أو بدنه فعليه ذبح شاة، فإن كان دون ذلك ففى كل ظفر أو شعرة مدّ من طعام.

ولا[1] يعقد النكاح لنفسه ولا لغيره، ويجوز له الارتجاع.

ولا يباشر الزوجة والأَمَة فى الفرج ولا دون الفرج، فإن فعل ذلك بطل حجه إذا كان ذلك قبل رمى جمرة العقبة.

ولا يستمنى، ولا يكرر النظر، فإن فعل فأمنى فعليه الكفارة وهى ذبح شاة.

ولا يقتل الصيد المأكول، وما تولد من مأكول وغير مأكول.

ولا يأكل ما صيد لأجله، أو أشار إليه، أو دلّ عليه، أو أعان على ذبحه، مثل أن يمسكه له أو يعيره سكينًا ونحو ذلك، فإن فعل ذلك فعليه الجزاء مثله من النعم:

فإن كان الصيد نعامة فعليه: بدنة.

وإن كان حمار وحش فعليه: بقرة.

وإن كان بقرة الوحش وأنواعها فعليه: بقرة.

وإن كان غزالاً أو ثعلبًا فعليه: عنز.

وإن كان ضبعًا: فكبش.

وإن كان أرنبًا: فعَنَاق.

وإن كان يربوعًا: فجَفْرَة.

وفى الضبّ: جَدْى.

وفى الكبير كبيرٌ، وفى الصغير صغيرٌ، على مثل ما قتل فى جميع الصفات.

وإن كان ذلك حمامًا - و كل مطوّق حمام - ففى كل واحد: شاة.

فإن لم يكن له مثل فقيمته، يرجع فى معرفة ذلك إلى قول عدلين من المسلمين.

ويجوز له ذبح الحيوان الأنسى وأكله.

= رواه مسلم (٨٣٧)، وأحمد ٤/ ٢٢٢، والبيهقى ٧/ ٥٠، وابن خزيمة (٢٦٧٠).

(١) قوله: «ولا يعقد النكاح. . .إلخ»، لقوله ﷺ: «لا ينكح المحرم ولا يُنكِح، ولا يخطب». رواه مسلم فى: النكاح: حديث (٤١ و ٤٣ و ٤٥)، وأبو داود (١٨٤١)، وأحمد ١/ ٦٤.

ويجوز له قتل كل ما فيه مضرّة كالحية والعقرب والكلب العقور والسبع والنمر والذئب والفهد والفأرة والغراب الأبقع والحدأة والبزاة وأنواعها، والزنبور والبق والبراغيث والقراد والأوزاغ والذباب وجميع حشرات الأرض، ويجوز قتل النمل عند الأذية، وكذلك القمل والصئبان فى إحدى الروايتين، والأخرى عليه أن يتصدق بما أمكن.

ولا يقتل صيد الحرم، فإن قتله كان حكمه كما ذكرنا فى صيد الإحرام.

ولا يقطع أشجار الحرم ولا يقلعها، فإن فعل ذلك ضمن الشجرة الكبيرة ببقرة، والصغيرة بشاة.

وكذلك صيد المدينة وشجرها يحرم عليه، إلا أن جزاءهما سلب ما عليه من الثياب، ويكون ذلك حلالاً لمن أخذه.

(فصل)

فإن كان فى الوقت سعة فأمكنه دخول مكة قبل يوم عرفة بأيام، فالمستحب له أن يغتسل غسلاً كاملاً ويدخلها من أعلاها.

فإذا بلغ المسجد الحرام دخل من باب بنى شيبة، ويرفع يديه عند رؤية البيت ويقول:

اللهم إنك أنتَ السلام ومنك السلام، حيّنا ربَّنا بالسلام، اللهم زدْ هذا البيت تعظيمًا وتشريفًا وتكريمًا ومهابة وبرًا، وزد من شرّفه وعظّمه ممن حجه أو اعتمره تعظيمًا وتشريفًا وتكريمًا ومهابة وبرًا، الحمد لله رب العالمين، والحمد لله كثيرًا كما هو أهله، وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله، الحمد لله الذى بلغنى بيته ورآنى لذلك أهلاً، والحمد لله على كل حال، اللهم إنك دعوت إلى حج بيتك، وقد جئناك لذلك، اللهم تقبل منى واعفُ عنى وأصلح لى شأنى كله، لا إله إلا أنت.

يرفع بذلك صوته، ثم يطوف للقدوم ويضطبع بردائه، فيكشف كتفه الأيمن ويستر الأيسر، ثم يتقدم إلى الحجر الأسود، فيستلمه بيده ويقبله إن أمكنه، وإلا استلمه وقبّل يده، فإن زحم أشار بيده إليه ويقول:

(بسم الله والله أكبر، إيمانًا بك وتصديقًا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعًا لسنة نبيك محمد ﷺ)[1].

(١) لم أقف عليه فى شىء من المصادر التى احتوتها مكتبتى.

ثم يطوف على يمينه وهو أن يرجع إلى باب البيت، فيمضى إلى الحجر الذى فيه ميزاب البيت مسرعًا، وهو السعى الشديد مع تقارب الخطا، حتى إذا بلغ الركن اليمانى استلمه ولم يقبله، فإذا بلغ الحجر الأسود عدّ ذلك شوطًا واحدًا.

ثم يطوف كذلك ثانيًا وثالثًا قائلاً فى جميع ذلك: (اللهم اجعله حجًا مبرورًا وسعيًا مشكورًا وذنبًا مغفورًا)[1].

ثم يخفف مشيه، ويقارب خطاه، فيمشى على هينته فى الأربعة الباقية ويقول فيها: (ربّ اغفر وارحم واعفُ عمّا تعلم، وأنت الأعزّ الأكرم، اللهم ربناَ آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[2].

ويدعو بما أراد مما يجوز من خير الدنيا والآخرة.

وينبغى أن يكون ناويًا لذلك، طاهرًا من الأحداث والأنجاس وساتر العورة لأن النبى ﷺ قال: (الطواف بالبيت صلاة، إلاّ أنّ الله تعالى أباحكُمْ فيه النطق)[3].

فإذا فرغ من ذلك صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة **﴿قل يا أيها الكافرون...﴾** [الكافرون: ١ ـ ٦]، وفى الثانية **﴿قل هو الله أحد...﴾** [الإخلاص: ١ ـ ٤]، ثم يرجع إلى الحجر الأسود فيستلمه، ثم يخرج إلى الصفا من بابه، ويرقى عليه إلى حيث يمكنه رؤية الكعبة، ثم يكبر ثلاثًا ويقول: (الحمد لله على ما هدانا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون).

ثم ينزل ويلبى ويدعو ثانيًا وثالثًا، ثم ينزل ماشيًا حتى يكون بينه وبين الميل الأخضر المنتصب عند المسجد ما قدره ستة أذرع، ثم يسرع فى المشى حتى يبلغ إلى الميلين الأخضرين، ثم يخفف مشيه إلى أن يبلغ المروة فيرقى عليها فيفعل كما فعل على الصفا، ثم ينزل ويمشى فى موضع مشيه ويسعى فى موضع سعيه إلى أن يصير إلى الصفا، ثم كذلك فيعد سبعًا يبدأ بالصفا ويختم بالمروة.

---

(١) البيهقى ٥/ ١٢٩، والإتحاف ٤/ ٣٥٠، والشفا ١/ ٢٦٤.

(٢) البخارى ٦/ ٣٥، ومسلم فى: الذكر والدعاء: حديث (٢٦، ٢٧)، وأحمد ٣/ ١٠١.

(٣) النسائى فى: الحج: ب (١٣٢)، والبيهقى ٥/ ٨٧، والحاكم ١/ ٤٥٩.

وينبغي أن يكون متطهرًا كما ذكرنا، في الطواف بالبيت، فإذا فرغ من ذلك حلق أو قصر وإنْ كان متمتعًا ولم يكن قد ساق هديًا وفعل ما يفعله الحلال.

فإذا كان يوم التروية وهو الثامن من ذي الحجة أحرم من مكة للحج، فيأتي منى فيصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء ويبيت بها، ثم يصلي بها الصبح. فإذا طلعت الشمس دفع مع الناس إلى الموقف بعرفة فإذا زالت الشمس وخطب الإمام خطبة يعلم الناس فيها ما ينبغي أن يفعلوه من الوقوف وموضعه ووقته ودفعه من عرفات والصلاة بمزدلفة والمبيت بها وغير ذلك من رمي الجمار والنحر والحلق والطواف بالبيت، دنا من الإمام فيعي ما يقول، ثم يصلي معه الظهر والعصر يجمع بينهما بإقامة لكل صلاة، ثم يتقدم إلى جبل الرحمة والصخرات بقرب الإمام، يستقبل القبلة فيقف هناك ويجتهد في الدعاء والثناء على الله عزّ وجلّ.

وينبغي أن يكون أكثر ذكره: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نورًا وفي بصري نورًا وفي سمعي نورًا ويسر لي أمري.

فإن فاته الوقوف مع الإمام نهارًا أدركه بعد خروج الإمام من الموقف قبل أن يطلع الفجر الثاني من ليلة النحر، ومن أدركه كذلك فقد أدرك الوقفة وإلا فقد فاته الحج، فإذا دفع مع الإمام إلى طريق مزدلفة يكون على التوءدة والسكون والوقار، فإذا وصل مزدلفة صلى مع الإمام بها المغرب والعشاء جماعة، أو منفردًا إن فاتته مع الإمام، ثم حط رحله فيبيت هناك، ويأخذ منها حصى الجمار أو من حيث تيسر له ذلك، وعدده سبعون حصاة، وقدره أن يكون أكبر من الحمص وأصغر من البندق، ويستحب أن يغسله، ثم يصلي الفجر إذا أصبح، ويجتهد أن يغلس بها، ثم يأتي المشعر الحرام فيقف عنده، فيكثر الحمد لله والثناء عليه والتهليل والتكبير والدعاء، والأولى أن يقول في دعائه:

اللهم كما أوقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك الحق **﴿فإذا أفضتم من عرفات...﴾** إلى قوله تعالى: **﴿غفور رحيم﴾** [البقرة: ١٩٨ ـ ١٩٩].

فإذا أضاء النهار وأسفر دفع إلى منى وأسرع في وادي محسر، فإذا وصل إلى منى

رمى جمرة العقبة بسبع[١] حصيات، مكبرًا فى إثر كل حصاة، رافعًا يده حتى يُرى بياض إبطيه، كما روى عن النبى ﷺ أنه رمى كذلك[٢]، وسكت عن التلبية عند أول حصاة يرميها، ويكون رميه هذا بعد طلوع الشمس وقبل الزوال وفيما بعد من أيام التشريق بعد الزوال، فإذا رمى نحر هديًا إن كان معه، وحلق جميع رأسه أو قصر، وإن كانت امرأة تقصر من شعرها قدر الأنملة.

ثم يمضى إلى مكة ويغتسل ويتوضأ، فيطوف طواف الزيارة ويعينه بالنية، ويصلى ركعتين خلف المقام، فإذا فرغ سعى بين الصفا والمروة إن أراد، لأن السعى قد سقط عنه بفعله فى طواف القدوم، ثم قد حلّ له كل شىء من محظورات الإحرام، وصار حلالاً كما كان قبل الإحرام، ثم يتقدم إلى زمزم فيشرب من مائها فيقول عند شربه:

بسم الله اللهم اجعله لنا علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وريًا وشبعًا وشفاء من كل داء، واغسل به قلبى واملأه من خشيتك.

ثم يرجع إلى منى فيبيت بها ثلاث ليال، فيرمى الجمرات الثلاث فى أيام التشريق على ما ذكرنا كل يوم بإحدى وعشرين حصاة، كل جمرة سبع حصيات، فيبدأ بالجمرة الأولى وهى أبعد الجمرات من مكة مما يلى مسجد الخيف، يجعلها عن يساره ويستقبل القبلة فإذا رماها تقدم عنها يسيرًا لئلا يصيبه حصى غيره، فيقف هناك داعيًا الله عز وجل بقدر قراءة سورة البقرة إن أمكنه، ثم يرمى الجمرة الوسطى فيجعلها عن يمينه، ويستقبل القبلة فيدعو كالأولى ثم يرمى الجمرة الأخيرة وهى جمرة العقبة ويجعلها عن يمينه، وينزل إلى الوادى، ويكون مستقبلاً إلى القبلة ولا يقف هناك، ثم يفعل فى اليوم الثانى والثالث كذلك.

وإن أحب أن يتعجل ولا يرمى فى اليوم الثالث دفن ما بقى معه من بقية الحصى هناك، ويخرج قاصدًا إلى مكة فيأتى الأبطح فيصلى هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ثم ينام يسيرًا ثم يدخل مكة فيقيم بها أو غيرها من المواضع كالزاهر والأبطح، وإذا أراد أن يدخل البيت يكون حافيًا، ويصلى فيه نفلاً، ويشرب من ماء زمزم ويرتوى

(١) قوله: «بسبع حصيات»، كان ابن عمر رضى الله عنه يأخذ الحصى من المزدلفة. وفعله سعيد بن جبير وقال: كانوا يتزودون الحصى منها، واستحبه الشافعى. وقال أحمد: خذ الحصى من حيث شئت. «فقه السنة» ١/ ٦١٧.

(٢) البخارى فى: الحج: ب (١٣٨ و ١٤٠ ـ ١٤٢)، وأبو داود فى: المناسك: ب (٥٦ و ٧٧).

منه. وينوى ما أحب من العلم والمغفرة والرضوان لقوله عليه الصلاة والسلام: «ماء زمزم لما شرب له»[١].

ويكثر الاعتماد والنظر إلى الكعبة ، لما روى فى بعض الأخبار : إن النظر إليها عبادة[٢].

ثم لا يخرج حتى يودع البيت فيطوف[٣] به سبعًا، ثم يقف بين الركن والباب ويدعو فيقول:

اللهم هذا بيتك وأنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك وسيرتنى فى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك، وأعنتنى على قضاء نسكى، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا، وإلا فمن على الآن قبل تباعدى عن بيتك، هذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك، اللهم فاصحبنى العافية فى بدنى والصحة فى جسمى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى ومثواى، وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى واجمع لى خير الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير[٤].

وما زاد على ذلك من الدعاء من خير الدنيا والآخرة كان حسنًا، ثم يصلى على النبى ﷺ ولم يقم بعد ذلك بمكة، فإن أقام أعاد الطواف وإلا ذبح شاة.

(فصل) فإن كان فى الوقت ضيق وخاف فوت الوقفة بعرفات، فإن أحرم من الميقات بدأ بعرفات فوقف هناك، ثم دفع منها بعد غروب الشمس، فيفعل ما ذكرناه من البيتوتة بمزدلفة ثم الرمى بمنى، ثم إذا دخل مكة طاف طوافين، ينوى بالأول منهما القدوم وبالثانى الزيارة، ثم يسعى بين الصفا والمروة، ثم يحل له كل شىء، ثم يعود إلى منى للرمى فى الأيام الثلاثة، ثم يتم الأفعال على ما تقدم ذكره.

---

(١) ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد ٣/٣٥٧، والحاكم ١/٤٧٣، والإرواء ٤/ ٣٢٠.

(٢) الإتحاف ٤/٢٨٣، والعلل المتناهية ٢/ ٣٤٤.

(٣) قوله: «فيطوف به سبعًا»، ويسمى هذا طواف الوداع لأنه توديع البيت، وهو آخر ما يفعله الحاج. فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «آخر النسك الطواف بالبيت».
رواه مالك فى: الحج: حديث (١٢٠).

(٤) فقه السنة ١/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧.

(فصل)

وصفة العمرة: أن يحرم بهـا من الميقات الشرعـى الذى تقدم ذكره، بعد أن يغتسل ويتطيب ويصلى ركعتين، فيطوف بالبيت سبعًا، ويسعى بين الصفا والمروة ويقصر أو يحلق، ثم يحل منها إن لم يكن ساق هديًا، وإن كان بمكة خرج إلى التنعيم فيحرم منه فيفعل كذلك.

(فصل)

ولا يبطل الحج إلا بالوطء فى الفرج أو دون الفرج مع الإنزال(١).

وأركان الحج أربعة: الإحرام، والوقوف(٢)، وطواف الزيارة، والسعى.

وعن الشيخ رحمه الله: إنها ركنان: أحدهما: الوقوف بعرفة، والثانى: الطواف بالبيت، والصحيح الأول.

فإذا ترك واحدًا من هذه الأركان كان حجه ناقصًا، وعليه الإتيان به، إما فى سنته وإما فى العام القابل، يأتى به محرمًا، ولا يجبره دم بحال.

وأما واجباته فخمسة وهى: المبيت بمزدلفة إلى ما بعد نصف الليل، والمبيت بمنى، والرمى، والحلاق، وطواف الوداع. فإن ترك واحدًا منها جبره بدم، وهو شاة كما قلنا فى ترك الواجبات فى الصلاة يجبره بسجود السهو.

وأما مسنوناته فخمسة عشر وهى:

[الأول]: الاغتسال للإحرام ولدخول مكة وللوقوف بعرفة وللمبيت بمزدلفة ولرمى الجمار أيام منى ولطواف الزيارة ولطواف الوداع.

والثانى: طواف القدوم.

والثالث: الرمل.

والرابع: الاضطباع فى الطواف والسعى.

---

(١) أفتى ببطلان الحج بالجماع على وعمر وأبو هريرة رضى الله عنهم. «فقه السنة» ١/ ٥٧٥.

(٢) قوله: «والوقوف» يعنى: بعرفة. وقد أجمع العلماء على أنه ركن الحج الأعظم، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «الحج عرفة».

رواه أبو داود فى: المناسك: ب (٦٩)، والترمذى (٨٨٩)، والنسائى ٥/ ٢٥٦ و ٢٦٤، وابن ماجه (٣٠١٥).

و [الخامس]: استلام الركنين.

و [السادس]: التقبيل.

و [السابع]: الارتقاء على الصفا والمروة.

و [الثامن]: المبيت بمنى ثلاثًا.

و [التاسع]: الوقوف على المشعر الحرام.

و [العاشر]: الوقوف عند الجمرات.

و [الحادى عشر]: الخطب.

و [الثانى عشر] : الأذكار.

و [الثالث عشر]: شدة السعى فى مواضعه.

و [الرابع عشر]: المشى فى مواضعه.

و [الخامس عشر]: ركعتا الطواف.

فإن ترك هذه الأشياء أو واحدًا منها كان تاركًا للأفضل ولا شىء عليه.

(فصل)

أما العمرة فأركانها ثلاثة:

الإحرام، والطواف بالبيت، والسعى بين الصفا والمروة.

وواجباتها: الحلاق فحسب.

وسننها: الغسل عند الإحرام، والأدعية، والأذكار المشروعة فى الطواف والسعى.

وقد بينا الحكم فى تركها فى الحج.

(فصل)

فإذا منّ الله تعالى عليه بالعافية، وقدم المدينة، فالمستحب له أن يأتى مسجد النبى ﷺ، وليقل عند دخول المسجد:

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وافتح لى أبواب رحمتك، وكفّ عنى أبواب عذابك، الحمد لله رب العالمين[١].

(١) مسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (٦٨)، وأحمد (٣/٤٩٧).

ثم يأتى القبر، وليكن بحذائه بينه وبين القبلة، ويجعل جدار القبلة خلف ظهره والقبر أمامه تلقاء وجهه والمنبر عن يساره، وليقم مما يلى المنبر وليقل:

السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته، اللهم صلّ على روح محمد فى الأرواح، وعلى جسده فى الأجساد، كما بلغ رسالتك وتلا آياتك وصدع بأمرك وجاهد فى سبيلك وأمر بطاعتك ونهى عن معصيتك، وعادى عدوك ووالى وليك وعبدك حتى أتاه اليقين.

اللهم إنك قلت فى كتابك لنبيك: **﴿ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيما﴾** [النساء: ٦٤]. وإنى أتيت بيتك تائبًا من ذنوبى مستغفرًا، فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته، فأقرّ عنده بذنبه فدعا له نبيه فغفرت له.

اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك عليه سلامك نبى الرحمة، يا رسول الله إنى أتوجه بك إلى ربى ليغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك بحقه أن تغفر لى وترحمنى، اللهم اجعل محمدًا أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين.

اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا فى زمرته، وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربًا رويًا صافيًا سائغًا هنيئًا لا نظمأ بعده أبدًا غير خزايًا ولا ناكثين ولا مارقين ولا جاحدين ولا مرتابين، ولا مغضوبٍ علينا ولا ضالين، واجعلنا من أهل شفاعته.

ثم يتقدم عن يمينه ثم ليقل:

السلام عليكما يا صاحبى رسول الله ﷺ ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أبا بكر[١] الصديق، السلام عليك يا عمر[٢] الفاروق، اللهم أجزهما عن نبيهما وعن

(١) أبو بكر الصديق هو: عبد الله بن عثمان بن عامر القرشى التيمى، كان أول من أسلم، وثبت له أفضل الفضائل بصحبة الهجرة، وقد كانت بيعته إجماعًا، توفى رضى الله عنه سنة (١٣). له ترجمة فى: الرياض المستطابة ص (١٤٠ ـ ١٤٧).

(٢) عمر الفاروق هو: ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشى العدوى المدنى أمير المؤمنين. =

الإسلام خيرًا واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم.

ثم يصلى ركعتين ويجلس.

ويستحب أن يصلى بين القبر والمنبر فى الروضة.

وإن أحبَّ أن يتمسح بالمنبر تبركًا به.

ويصلى بمسجد قباء.

وأن يأتى قبور الشهداء ويزورهم: فعل ذلك وأكثر الدعاء هناك.

ثم إذا أراد الخروج من المدينة أتى مسجد النبى ﷺ وتقدم إلى القبر وسلم على رسول الله ﷺ وفعل كما فعل أولاً، وودعه وسلم على صاحبيه كذلك ثم قال:

اللهم لا تجعل آخر العهد منى بزيارة قبر نبيك، وإذا توفيتنى فتوفنى على محبته وسنته آمين يا أرحم الراحمين. وخرج سالمًا إن شاء الله.

* * *

= كان من قديمى الإسلام والهجرة، وممن صلى إلى القبلتين، وشهد المشاهد كلها، استشهد رضى الله عنه سنة (٢٣). له ترجمة فى: الإصابة ص (١٤٧ ـ ١٥٦).

كتاب الآداب

(فصل) الابتداء بالسلام سنة، ورده آكد من ابتدائه.

وهو مخير فى صفته:

إما أن يدخل الألف واللام فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أو يحذفهما فيقول: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ولا يزيد على ذلك.

وقد روى فى ذلك حديث وهو: ما روى عن عمران[١] بن الحصين رضى الله تعالى عنهما أنه قال: «جاء رجل أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه السلام، ثم جلس، فقال النبى ﷺ: عشرًا.

ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه فجلس، فقال النبى ﷺ: عشرون.

ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه فجلس، فقال النبى ﷺ: ثلاثون»، يعنى ثلاثين حسنة[٢].

والسنة أن يسلم الماشى على الجالس، والراكب على الماشى والجالس[٣].

وسلام الواحد من الجماعة على غيرهم يجزىء.

وكذلك رد الواحد من الجماعة يجزىء عنهم[٤].

---

(١) عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف أبو نجيد الخزاعى. أسلم عام خيبر، ولى قضاء البصرة، ومات بها سنة (٥٢). له ترجمة فى: تهذيب التهذيب ٨/ ١١١ ـ ١١٢.

(٢) أبو داود فى: الأدب: حديث (٥١٩٥)، والترمذى فى: الاستئذان: حديث (٢٦٨٩) وقال: حسن صحيح، وأحمد ٤/ ٤٣٩.

(٣) وشاهد ذلك قوله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشى، والقائم على القاعد، والقليل على الكثير». رواه البخارى ٨/ ٦٢، ومسلم فى: السلام: حديث (١)، وأحمد ٢/ ٥١٠.

(٤) وشاهده قوله ﷺ: «يجزىء عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزىء عن الجلوس أن يرد أحدهم».

رواه أبو داود (٥٢١٠)، والبيهقى ٩/ ٤٩، والإرواء ٣/ ٢٤٢.

ولا[١] يجوز البداءة بالسلام على المشرك بحال، فإن بدأه مشرك رد عليه بأن يقول[٢]: وعليك.

وأما رده على المسلم بأن يقول: وعليكم السلام كما قال، وإن زاد إلى قوله: وبركاته كان أولى.

وإن قال مسلم لمسلم: سلام لم يجبه، ويعرفه أنه ليس بتحية الإسلام، لأنه ليس بكلام تام.

ويستحب للنساء السلام بعضهن على بعض.

وأما سلام الرجل على المرأة الشابة فمكروه، وإن كانت برزة فلا حرج.

وأما السلام على الصبيان فمستحب ؛ لأن فيه تعليمهم الأدب ، وتحبيب الخير إليهم[٣].

وكذلك يستحب لمن قام من المجلس أن يسلم على أهله[٤]، وكذلك يسلم عليهم إذا عاد إليهم، وكذلك إن حال بينه وبينهم حائل مثل الباب والحائط، وكذلك إذا سلم على رجل ثم لقيه ثانيًا سلم عليه.

ولا يسلم على المتلبسين بالمعاصي، كمن اجتاز على قوم يلعبون بالشطرنج والنرد، أو يشربون الخمر، أو يلعبون بالجوز والقمار، وإن سلموا عليه ردّ عليهم، إلا أن يغلب على ظنه انزعاجهم عن معاصيهم بتركه الرد عليهم فإنه لا يرده[٥].

ولا[٦] يهجر المسلم أخاه فوق الثلاث، إلا أن يكون من أهل البدع والضلال

---

(١) قوله: «ولا يجوز البداءة... إلخ»، لقوله ﷺ: «لا تبدؤا اليهود ولا النصارى بالسلام».
رواه مسلم في: السلام: حديث (١٣)، وأبو داود في: الأدب: ب (٢٧)، وأحمد ٢/ ٢٦٦.

(٢) قوله: «بأن يقول: وعليك» ويدل له قوله ﷺ: «إن اليهود إذا سلم أحدهم فإنما يقول: السام عليك، قل: عليك».
رواه البخاري ٩/ ٢٠، ومسلم في: السلام: حديث (٨، ٩)، وأحمد ٢/ ١٩.

(٣) ويدل له حديث أنس: «أنه كان مع النبي ﷺ، فمر بصبيان فسلم عليهم».
رواه البخاري في: الاستئذان: حديث (٦٢٤٧)، ومسلم في: السلام: حديث (٢١٦٨).

(٤) ويدل له قوله ﷺ: «يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم...» الحديث.
رواه الترمذي (٢٦٩٨).

(٥) انظر «الأذكار» للنووي ص (٢١٨).

(٦) قوله: «ولا يهجر المسلم أخاه... إلخ» لقوله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث =

والمعاصى فمستحب استدامة الهجر لهم، وبالسلام يتخلص من إثم الهجر للمسلم.

ويستحب للمسلم المصافحة لأخيه[١]، ولا ينزع يده حتى ينزع الآخر يده إذا كان هو المبتدىء.

وإن تعانقا وقبل أحدهما رأس الآخر ويده على وجه التبرك والتدين جاز.

وأما تقبيل الفم فمكروه.

(فصل: ويستحب القيام للإمام العادل والوالدين وأهل الدين والورع وكرام الناس)

وأصل ذلك ما روى أن رسول الله ﷺ أرسل إلى سعد رضى الله عنه فى شأن أهل قريظة، فجاء على حمار أقمر، فقال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيّدكم»[٢].

وقد روت عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل على فاطمة رضى الله تعالى عنها قامت إليه فأخذت بيده وقبلته وأجلسته فى مجلسها وإذا دخلت على النبى ﷺ قام إليها وأخذ بيدها وقبلها وأجلسها فى موضعه[٣].

وقد روى عنه ﷺ أنه قال: «إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه»[٤].

ولأن ذلك يغرس المحبة والود فى القلوب فاستحب لأهل الخير والصلاح كالمهاداة لهم، ويكره لأهل المعاصى والفجور.

ومن الآداب:

أن يخمر[٥] العاطس وجهه ويخفض صوته ويحمد الله عز وجل إلى قوله رب العالمين رافعًا صوته، لأنه روى فى بعض الأخبار عن النبى ﷺ أنه قال: «إن العبد إذا

= ليال. . .» الحديث.

رواه البخارى ٨/ ٢٣، ومسلم فى: البر والصلة: حديث (٢٣، ٢٥)، وأحمد ١/ ١٧٦.

(١) ويدل له قوله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلاّ غفر لهما قبل أن يفترقا».

رواه أبو داود فى: الأدب: ب (١٥٤)، والترمذى (٢٧٢٧)، وابن ماجه (٣٧٠٣)، وأحمد ٤/ ٢٨٩.

(٢) البخارى ٤/ ٨١، ومسلم فى: الجهاد: حديث (٦٤)، وأحمد ٣/ ٢٢.

(٣) الترمذى (٣٨٧٢)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه.

(٤) الطبرانى ٢/ ٣٣٤، والخطيب ١/ ١٨٨، والإتحاف ٤/ ١٨٢.

(٥) يخمر: يغطى.

قال الحمد لله، قال الملك رب العالمين، فإذا قال رب العالمين بعد الحمد لله قال الملك يرحمك ربك»[١].

ولا يلتفت يمينًا ولا شمالاً، فإذا قال ذلك استحب لمن سمعه أن يشمته بأن يقول له: يرحمك الله ويرد عليه فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم، وإن قال يغفر الله لكم جاز عن الأول، فإن زاد العاطس على ثلاث مرات سقط التشميت لأن ذلك ريح وزكام، كما جاء فى الأثر وهو ما روى عن سلمة[٢] بن الأكوع رضى الله تعالى عنه أنه قال: قال النبى ﷺ:

«ويشمت العاطس ثلاثًا، فإن زاد على ذلك فهو مزكوم»[٣].

وإذا تثاءب غطى فمه بيده أو بكمه، لأن النبى ﷺ قال: «إذا تثاءب أحدكم فليمسك على فيه، فإن الشيطان يدخل مع التثاؤب».

وعن أبى هريرة[٤] رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، ولا يقول هاه هاه فإن ذلك من الشيطان يضحك منه»[٥].

ويجوز للرجل تشميت المرأة البرزة العجوز، ويكره للشابة الخفرة، فأما الصبى فتشميته أن يقال له: بورك فيك، أو جزاك الله تعالى، أو خيّرك الله تعالى.

(فصل: فى العشر الخصال التى فى الفطرة)

خمس منها فى الرأس، وخمس فى الجسد:

فالتى فى الرأس: المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وإعفاء اللحية.

والتى فى الجسد: حلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء والختان.

والأصل فى قص الشارب ما روى ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ أنه

(١) الحميدى (٩٧٣).

(٢) سلمة بن الأكوع أبو مسلم، غزا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، وشهد الرضوان، وهو ممن بايع يومئذ على الموت. مات سنة (٧٤). له ترجمة فى: الرياض ص (١٠١ ـ ١٠٢).

(٣) ابن ماجه (٣٧١٤).

(٤) أبو هريرة هو: ابن عامر الدوسى. قال البخارى: كان أحفظ من روى الحديث فى عصره. قال أبو سليمان بن زبر: عاش ثمانيًا وسبعين سنة. «الإصابة» ٤/ ٢٠٢ ـ ٢١١.

(٥) البخارى ٨/ ٦١ و ٦٢، والترمذى (٢٧٤٦)، وأحمد ٢/ ٢٦٥.

قال: «أحْفُوا الشارب واعْفُوا اللحى»(١) وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه «قصوا الشوارب واعفوا اللحى»(٢)، وكلا اللفظين واحد، ومعناهما: قصه من أصول الشعر بالمقراض واستئصاله به.

وأما حلقه بالموسى فمكروه لما روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من حلق»(٣)، ولأن فى ذلك مثلة، وذهابًا لماء الوجه وجماله وفى بقاء أصول الشعر زينة وجمال.

وقد روى عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يجزُّون شواربهم، وأما إعفاء اللحية فهو توفيرها وتكثيرها، ومنه قوله تعالى: ﴿حتى عفوا﴾ [الأعراف:٩٥] أى كثروا، وقد روى أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه كان يقبض على لحيته فما فضل من قبضته جزّه، وكان عمر رضى الله تعالى عنه يقول: خذ ما تحت القبضة.

(فصل)

والأصل فى حلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظافر ما روى عن أنس(٤) بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال: «وقت لنا رسول الله ﷺ أربعين ليلة لا نتجاوزها فى قص الشارب وقص الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة»(٥).

قال بعض أصحابنا: هذا فى حق المسافر، وأما المقيم فلا يستحب له أن يزيد فى ذلك على عشرين يومًا.

واختلفت الرواية عن الإمام أحمد فى تصحيح هذا الحديث، فروى عنه إنكاره وروى عنه الاحتجاج به فى التوقيت بهذا المقدار.

فإذا ثبت استحباب ذلك فهو مخير بين التنوير بالنورة وبين حلقه بالموسى، فقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان يتنور، وكذلك روى منصور بن حبيب بن أبى

---

(١) مسلم فى: الطهارة: حديث (٥٢)، والترمذى (٢٧٦٣)، والنسائى ١/ ١٦، وأحمد ٢/ ١٦.

(٢) أحمد ٢/ ٢٢٩، والطبرانى ١١/ ١٥٢.

(٣) مسلم فى: الإيمان: حديث (١٦٧)، وأبو داود (٣١٣٠)، وأحمد ٤/ ٤١١.

(٤) أنس بن مالك بن النضر الأنصارى الخزرجى النجارى المدنى ثم البصرى، خادم رسول الله ﷺ حضرًا وسفرًا منذ قدم المدينة إلى أن توفى ﷺ، وهو معدود من أصحاب الألوف فى مسند بقى ابن مخلد. مات سنة (٩٣). له ترجمة فى: الرياض ص (٣٣ ـ ٣٤).

(٥) أبو داود (٤٢٠٠)، والترمذى (٢٧٥٨)، وابن ماجه (٢٩٥).

ثابت رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه طلى له أبو بكر وتولى هو عانته بيده[١].

وروى عن أنس رضى الله تعالى عنه خلافه فقال: «لم يتنور رسول الله ﷺ قط، وكان إذا كثر عليه الشعر حلقه»[٢].

فإذا ثبت هذا فيجوز أن يتولى ذلك غيره إذا لم يحسن هو حلقه فيما سوى العانة من الفخذ والساق، فإذا بلغ العانة تولاها هو بنفسه.

والأصل فى ذلك ما روى عن أم سلمة رضى الله عنها: «إن النبى ﷺ كان إذا بلغ عانته نورها بنفسه»، وفى بعض الألفاظ: «إذا بلغ[٣] مراقه»[٤]. وأخذ أحمد بن حنبل رحمه الله بهذا.

قال أبو العباس النسائى: نوّرْنا أبا عبد الله فلما بلغ عانته نوّرها بنفسه.

فإذا ثبت هذا وأنه يجوز إزالة هذه الشعور من العانة والفخذين والساقين بالنورة، فيجوز أيضًا بالموسى، لأنه أحَدُ ما يزال به الشعر من الموضع المندوب إزالته، فجاز أن يزال به كالنورة.

ويؤيد هذا القياس حديث أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه: «لم يتنور رسول الله ﷺ قط، وكان إذا كثر عليه الشعر حلقه»[٥].

ولا يقال إن الحلق والتنوير إنما وردا فى العانة خاصة لما تقدم من حديث أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت: «إن النبى ﷺ كان إذا بلغ عانته نورها بنفسه»[٦].

فدل على أنه كان يولى غير العانة فى إزالة الشعر لغيره، وليس ذلك إلا الفخذ والساق، وإن ذكر فى ذلك حديث فى المنع من ذلك فهو محمول على من أراد بذلك التزيين لرغبة الرجال فيه من العلوق المتشبهين بالنساء من المخانيث وغيرهم والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) ابن ماجه فى: الأدب: حديث (٣٧٥٢). قال محققه: رجاله ثقات وهو منقطع.

(٢) تاريخ أصفهان ١/ ٣٢١، والدر المنثور ١/ ١١٤.

(٣) قوله: «بلغ مَرَاقَّه» هو بتشديد القاف: مارق من أسفل البطن ولان، ولا واحد له، وميمه زائدة. «النهاية» ٤/ ٣٢١.

(٤) سبق بنحوه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) سبق تخريجه.

(فصل: ويكره نتف الشيب)

لما روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله تعالى عنهم قال: «إن النبى ﷺ نهى عن نتف الشيب، وقال: إنه نور الإسلام»(١).

وفى لفظ آخر قال رسول الله ﷺ: «لا تنتفوا الشيب، ما من مسلم ألبس شيبة فى الإسلام إلا كانت له نوراً يوم القيامة»(٢)، وفى حديث يحيى: «إلا كتب الله تعالى له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة».

فقد روى فى بعض التفاسير فى قوله عز وجل: ﴿وجاءكم النذير﴾ [فاطر:٣٧] أنه هو الشيب، فكيف يجوز إزالة النذير بالموت، والمذكر به، والناهى عن الشهوات واللذات، والكاف عنها المحث على التأهب والتجهز، للآخرة، وعمارة دار البقاء؟ ومع ذلك يكون مقاومًا للقدر، كارهًا لفعل الله تعالى به، وغير راض بقضائه عز وجل، مؤثرًا للشباب والطراوة والبقاء على حداثة السن، زاهدًا فى الوقار والحرمة والتقمص بنور الإسلام وخلقة إبراهيم خليل الرحمن، لأنه روى فى بعض الكتب: «إن أول من شاب فى الإسلام إبراهيم الخليل عليه السلام»(٣).

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله يستحى من ذى الشيبة»(٤) يعنى من عذابه.

(فصل: ويستحب تقليم الأظفار يوم الجمعة)

ويكون مخالفًا بينها فى الترتيب، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من قص أظفاره مخالفًا لم ير فى عينيه رمدا»(٥).

وفى حديث حميد بن عبد الرحمن عن أبيه «من قص أظفاره يوم الجمعة دخل فيه شفاء وخرج منه داء»(٦).

---

(١) الترمذى (٢٨٢١)، والنسائى ٨/ ١٣٦، وابن ماجه (٣٧٢١)، وأحمد ٢/ ٢٠٦ و ٢٠٧.

(٢) أحمد ٢/ ١٧٩.

(٣) الدر المنثور ١/ ١١٥، وابن عدى ٤/ ١٥١١.

(٤) ابن أبى عاصم ١/ ١٦، والمجمع ١٠/ ١٤٩ وعزاه إلى «الأوسط» من طريق صالح بن راشد، وقال: وثقه ابن حبان، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٥) الأسرار (٢٩٧ و ٣٥٦ و ٤٩٧)، والذهبى (٢٥٨).

(٦) العلل المتناهية ١/ ٤٦٤.

وقد روى هذه الفضيلة والاستحباب فى ذلك يوم الخميس بعد العصر ومعنى المخالفة: أن يبدأ بالخنصر من اليمنى ثم بالوسطى ثم بالإبهام ثم بالبنصر ثم بالسبابة. ومن اليسرى أن يبدأ بالإبهام ثم الوسطى ثم الخنصر ثم السبابة ثم البنصر، هكذا فسره عبد الله بن بطة عن أصحابنا رحمه الله.

وروى وكيع[١] عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة إذا أنت قلمت أظافرك فابدئى بالوسطى ثم الخنصر ثم الإبهام ثم البنصر ثم السبابة، فإن ذلك يورث الغنى»[٢].

وينبغى أن يكون التقليم بالمقص أو السكين، ويكره ذلك بالأسنان، وإذا قلم أظفاره يستحب له غسل البراجم ودفن الأظفار فى التراب، وكذلك الشعور من الرأس والبدن، والدم من الحجامة والفصد لما روى عن النبى ﷺ أنه أمر بدفن الدم والشعر والظفر.

(فصل)

وأما حلق الرأس فى غير الحج والعمرة والضرورة فمكروه فى إحدى الروايتين عن الإمام أحمد رضى الله عنه، لما روى فى حديث أبى موسى[٣] وعبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس منا من حلق»[٤].

وروى الدارقطنى فى الأفراد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «لا توضع النواصى إلا فى حج أو عمرة»[٥]، ولأن النبى ﷺ ذم الخوارج وجعل سيماهم حلق الرؤوس، ولأن عمر رضى الله عنه قال لصبيغ: «لو وجدتك محلوقًا لضربت الذى فيه عيناك»[٦].

---

(١) وكيع هو: ابن الجراح بن مليح الرؤاسى، الإمام الحافظ الثبت محدث العراق، أبو سفيان الكوفى. قال أحمد: ما رأيت أوعى للعلم ولا أحفظ من وكيع. مات سنة (١٩٧). له ترجمة فى: تاريخ بغداد ١٣/٤٦٦، والعبر ١/ ٣٢٤، وحلية الأولياء ٨/٣٦٨.

(٢) موضوع. المغنى ١/ ١٤٦.

(٣) أبو موسى هو: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعرى، أسلم وهاجر إلى الحبشة، واستعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن وساحل اليمن، وكان قارئًا صيتًا عالمًا عاملاً. مات سنة (٤٢). له ترجمة فى: الرياض ص (١٨٨ ـ ١٩١).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) كنز العمال (١٢١٥١)، والخطيب ٣/ ٢٣٩، والمجمع ٣/ ٢٦١.

(٦) الدر المنثور ٦/ ٣٨٥.

وعن ابن عباس[(١)] رضى الله عنهما أنه قال: الذى يحلق فى المصر خليق بالشيطان، ولأن فى ذلك تشبهًا بالأعاجم ، وقد قال رسول الله ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم»[(٢)].

وإذا ثبت كراهية ما ذكرنا جعل مكانه أخذ الشعر بالجلم وهو المقص، كما كان يفعل أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وإن شاء استقص فى ذلك فيقصه من أصله، وإن شاء أخذ أطراف الشعر، والرواية الأخرى : لا يكره ذلك لما روى أبو داود[(٣)] بإسناده عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال: «إن النبى ﷺ أمهل آل جعفر ثلاثًا أن يأتيهم ثم أتاهم فقال: لا تبكوا على أخى بعد اليوم، ثم قال ﷺ: ادعوا لى بنى أخى، فجىء بنا كأنا أفْرُخ، فقال ﷺ: ادعوا لى الحلاق، فأمره فحلق رؤوسنا.

وقد روى أن النبى ﷺ حلق رأسه فى آخر عمره بعد أن كان شعره يضرب منكبيه.

وفى حديث على رضى الله عنه: كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمتى أذنيه[(٤)].

ولأن الناس عصرًا بعد عصر يحلقون ولم يظهر عليهم نكير، ولأن فى ذلك مشقة وحرجًا فعفى عنه كما عفى عن سؤر الهرة وحشرات الأرض.

(فصل: ويكره القَزَع)

وهو أن يحلق بعض الشعر ويترك بعضه، لما روى عن النبى ﷺ: أنه نهى عن القَزَع[(٥)].

وأما حلق القفا فمكروه إلا فى الحجامة خاصة، لأن النبى ﷺ نهى عن حلق القفا إلا فى الحجامة، لأنه من فعل المجوس[(٦)]، وكان أبو عبد الله أحمد يحلقه فى الحجامة،

---

(١) ابن عباس هو: عبد الله بن عباس بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى المكى، ابن عم النبى ﷺ، سمع النبى ﷺ، وروى عن جماعة من الصحابة. مات سنة (٦٨). له ترجمة فى: طبقات المفسرين ١/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) أبو داود (٤٠٣١)، وأحمد ٢/ ٥٠ و ٩٢، وابن أبى شيبة ٣١٣/٥ و ٣٢٢.

(٣) حديث رقم (٤١٩٢)، والنسائى ٨/ ١٨٢، وأحمد ١/ ٢٠٤.

(٤) أبو داود (٤١٨٥)، ودلائل النبوة ١/ ٢٢١، والإتحاف ٧/ ١٤٨.

(٥) أبو داود (٤١٩٣)، والنسائى ٨/ ١٣٠، وابن ماجه (٣٦٣٧)، وأحمد ٢/ ٤.

(٦) مجمع الزوائد ٥/ ١٦٩، وعزاه إلى الطبرانى فى «الصغير» و «الأوسط»، وفيه سعيد بن بشير وثقه شعبة وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

ولأن ذلك فى حال الضرورة.

وأما اتخاذ الجمة وفرق الشعر فسنة مأثورة، روى أن النبى ﷺ فرق، وأمر أصحابه رضى الله عنهم بالفرق[١]، وقد روى ذلك عن بضعة عشر من أصحاب النبى ﷺ منهم أبو عبيدة[٢] وعمار وابن مسعود رضى الله عنهم.

(فصل: ويكره التحذيف للرجال)

وهو إرسال الشعر الذى بين العذار والنزعتين الذى هو عادة العلويين، ولا يكره ذلك للنساء، لما روى أبو بكر الخلال من أصحابنا بإسناده عن على كرم الله تعالى وجهه أنه كرهه.

وعن الوليد بن مسلم أنه قال: أدركت الناس وما هو من زيهم.

وأما أخذ الشعر من الوجه بالمنقاش فمكروه للرجال والنساء، لأن النبى ﷺ لعن المتنمصات[٣]. وهو أخذ الشعر من الوجه بالمنقاش، ذكره أبو عبيد[٤].

وأما المرأة فيكره لها حف جبينها ـ بالزجاج والموسى ـ والشعر الخارج عن وجهها لما تقدم من النهى عن ذلك.

وقيل: يجوز لها ذلك لزوجها خاصة إذا طلب منها ذلك، وخافت إن لم تفعله أعرض عنها وتزوج بغيرها، فأدى إلى الفساد والمضرة بها، فجوز لها ذلك لما فيه من المصلحة، كما جوز لها التزيين بألوان الثياب والتطيب بأنواع الطيب والتزوق له والملاعبة والممازحة معه.

فعلى هذا لعن النبى ﷺ المتنمصات على اللواتى أردن بذلك غير أزواجهن للفجور بهن والميل إليهن وترويج أنفسهن للزنا، والله أعلم.

---

(١) البخارى فى: المناقب: ب (٢٣)، ومسلم فى: الفضائل: حديث (٩٠)، وأحمد ١/ ٢٤٦.

(٢) أبو عبيدة هو: عامر بن الجراح القرشى الفهرى، أسلم قديمًا، وهاجر قديمًا، وشهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. وكان على قدم فى العبادة، وله حظ وافر فى الزهد والخوف والتواضع. مات سنة (١٨). له ترجمة فى: الرياض ص (١٨١ ـ ١٨٤).

(٣) البخارى ٦/ ١٨٤، ومسلم فى: اللباس: حديث (١١٧ و ١١٩)، وأحمد ١/ ٢٥١.

(٤) غريب الحديث ١/ ١٦٦.

(فصل: ويكره الخضاب بالسواد)

لما روى الحسن رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى قوم يغيرون البياض بالسواد: «يسود الله تعالى وجوههم يوم القيامة»(١).

وفى حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: أن النبى ﷺ قال فيهم: «لا يريحون رائحة الجنة»(٢).

وأما الأخبار التى رويت فى الرخصة فى الخضاب بالسواد من أن النبى ﷺ قال: «اختضبوا بالسواد فإنه آنس للزوجة ومكيدة للعدو»(٣) فمحمول لأجل الحرب، وذكر الزوجة فيه تبعًا لا قصدًا.

(فصل)

فإذا ثبت كراهية السواد فالمستحب أن يخضب الرأس بالحناء والكتم، وقد خضب الإمام أحمد رحمه الله رأسه وله ثلاث وثلاثون سنة، فقال له: عجلت، فقال له: هذه سنّة رسول الله ﷺ.

وروى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه أنه قال: خير ما غير به الشيب الحناء والكتم(٤).

وأما خضاب رسول الله ﷺ فاختلف الناس فى ذلك، فروى عن أنس رضى الله تعالى عنه أنه قال: إن النبى ﷺ لم يكن شاب إلا يسيرًا، ولكن أبا بكر وعمر رضى الله عنهما خضبا بعده بالحناء والكتم(٥).

وروى أن أم سلمة رضى الله تعالى عنها: أخرجت للناس شعر رسول الله ﷺ مخضوبًا بالحناء والكتم(٦)، فدل حديثها على إثبات خضابه ﷺ بذلك.

وأما الخضاب بالورس والزعفران، فظاهر كلام الإمام أحمد رضى الله تعالى عنه فيه

(١) مجمع الزوائد ٥/ ١٦٣، وعزاه إلى «الطبرانى» وفيه الوضين بن عطاء، وثقه أحمد وابن معين وابن حبان، وضعفه من هو دونهم فى المنزلة، وبقية رجاله ثقات.
(٢) النسائى ٨/ ١٣٨، وابن سعد ١/ ٢/ ١٤٢.
(٣) ابن ماجه (٣٦٢٥)، وكنز العمال (١٧٣١٠).
(٤) ابن عدى ١/ ٤١٩.
(٥) مسلم فى: الفضائل: حديث (١٠٠ و ١٠٣)، وأحمد ٣/ ١٠٠.
(٦) ابن ماجه فى: اللباس: ب (٣٢)، وأحمد ٦/ ٣١٩.

الجواز، لما روى عن أبى مالك الأشجعى عن أبيــه رضى الله عنه أنه قال: «كان خضابنا لرسول الله ﷺ بالورس والزعفران»(١).

فإذا ثبت هذا فى شعر الرأس فمثله فى اللحية، لعموم قوله ﷺ: «غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود»(٢).

وقوله ﷺ فــى حديث أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ: «خــير ما غــير به الشــيب الحناء والكتم»(٣). وهو عام فى شعر الرأس واللحية.

وأيضًا ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه جاء بأبيــه أبى قحافة رضى الله عنه يوم فتح مكة إلى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ لأبى بكر: لو أقــررت الشيخ فى بيته لأتيناه تكرمة لأبــى بكر، فأسلم ورأســه ولحيتــه كالثــغامة الــبيضــاء، فقــال رسول الله ﷺ: «غيروهما وجنبوه عن السواد»(٤). وهذا نص فى كــون اللحيــة كــالرأس وفى المنع عن السواد.

وقال أبو عبــيد: الثغامة نبت أبيض الزهــر والثمر يشبه بيــاض الشيب به. وقال ابن الأعرابى: هى شجرة تبيض كأنها الثلج.

(فصل: ويستحب أن يكتحل وترًا)

لما روى أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «أنه كان يكتحل وترًا»(٥).

واختلف الناس فى صفة الوتر فــى ذلك، فروى فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يكتحل ثلاثًا فى اليمنى وميلين فى اليسرى(٦)، وروى فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما: فى كل عين ثلاثًا(٧).

(فصل: ويدهن غبًا)

وهو أن يفــعل ذلك يومًا ويترك يومًا ، لمــا روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى:

---

(١) أحمد ٣/ ٤٧٢.
(٢) الترمذى (١٧٥٢)، والنسائى ٨/ ١٣٧، وأحمد ١/ ١٦٥، والصحيحة (٨٣٦).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) مسلم فى: اللباس: حديث (٧٨)، وأبو داود فى: الترجل: ب (١٨)، وأحمد ٢/ ٤٩٩.
(٥) أحمد ١/ ٣٥٤، والصحيحة (٦٣٣).
(٦) ابن سعد ١/ ٢/ ١٧٠، وشرح السنة ١٢/ ١١٩.
(٧) أحمد ١/ ٣٥٤.

ﷺ «نهى أن يترجل الرجل إلا[1] غبًا»[2].

والفضيلة فى ذلك أن يكون بدهن البنفسج على سائر الأدهان، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن فضل دهن البنفسج على سائر الأدهان كفضلى على سائر الناس»[3].

(فصل)

ويستحب ألا يخلو الإنسان سفرًا وحضرًا عن سبعة أشياء بعد تقوى الله تعالى والثقة به وهى:

التنظيف والتزيين، والمكحلة، والمشط، والسواك، والمفص، والمدراء: وهى خشبة مدورة الرأس أوفى من شبر يتخذها العرب والصوفية يدرؤون بها عن أنفسهم الأذى كالقمل وغيرها، ويحكون بها الجسد، ويقتلون الدبيب حتى لا يباشروا كل شىء بأيديهم، والسابع: قارورة الدهن، لأنه روى فى حديث عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ ما كان يفوته ذلك حضرًا ولا سفرًا[4].

(فصل: فيما يكره من الخصال)

يكره الصفير والتصفيق، وفرقعة الأصابع فى الصلاة.

ويكره تخريق الثياب فى حق المتواجد عند السماع، ولا يعارض فى ذلك الواجد.

ويكره الأكل على الطريق.

ومد الرجل بين جلسائه، والاتكاء الذى يخرج به عن مستوى الجلوس لأنه تجبر وهوان بالجلساء إلاّ من العذر.

ويكره إطالة الثياب.

ويكره مضغ العلك لأنه دناءة.

ويكره التشدق بالضحك، والقهقهة ورفع الصوت فى غير حاجة وينبغى أن يكون

---

(١) قوله: «إلا غبًا» أى فى كل أسبوع مرة، كذا روى عن الحسن. وقيل المراد به فى وقت دون وقت. وأصل الغب فى إيراد الإبل: أن ترد الماء يومًا وتدعه يومًا. «نيل الأوطار» ١/ ١٢٣.

(٢) أبو داود (٤١٥٩)، والترمذى (١٧٥٦)، والنسائى ٨/ ١٣٢، والصحيحة (٥٠١).

(٣) الطبرانى ٣/ ١٤١، والموضوعات ٣/ ٦٥، واللآلىء ٢/ ١٤٩.

(٤) تذكرة الموضوعات ص (٤٦).

مشيه معتدلاً، لا يسارع إلى حد يصدم الماشى، ويتعب نفسه، ولا يخطر بحيث يورثه العجب.

ويكره فى البكاء النحيب والتعداد إلا أن يكون من خوف الله تعالى أو الندم على ما فات من أوقاته ببطالاته، أو انكسار قلبه عند عدم بلوغه إلى درجة لحظها فيبكى حسرة عليها.

ويكره إزالة درنه بحضرة الناس.

ويكره الكلام فى المواضع المستقذرة كالحمام والخلاء وما أشبه ذلك، وكذلك لا يسلم ولا يرد على مُسَلِّم.

ويكره كشف رأسه بين الناس، وما ليس بعورة مما جرت العادة بستره.

ويحرم كشف العورة.

ويكره أن يقسم بأبيه أو بغير الله فى الجملة، فإن حلف حلف بالله وإلا فليصمت، كذلك جاء فى الأثر عن النبى ﷺ[١].

(فصل: فى الاستئذان)

ينبغى له إذا قصد باب إنسان أن يسلم فيقول: السلام عليكم، أأدخل؟ لما روى «أن رجلاً من بنى عامر استأذن على رسول الله ﷺ وهو فى بيت، فقال: أألج؟ فقال النبى ﷺ لخادمه: اخرج إلى هذا وعلمه الاستئذان، فقال له: قل السلام عليكم، أأدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم، أأدخل؟ فأذن له فدخل»[٢].

ويدير ظهره إلى الباب ولا يبعد، لأنه يمنعه من سماع الجواب، يفعل كذلك ثلاثًا، فإن أجيب فبها وإلا انصرف، إلا أن يغلب على ظنه أنه لم يسمع نداءه لما بينهما من بعد أو شغل، كان له أن يزيد على الثلاث والأصل فى ذلك ما روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «الاستئذان ثلاث، فإن أُذِن لك فادخل وإلا فارجع»[٣].

---

(١) وهو قوله ﷺ: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».
رواه البخارى ٣/ ٢٣٥ و ٨/ ٣٣، ومسلم فى: الإيمان: حديث (٣)، وأحمد ٢/ ٥٢٠.

(٢) أبو داود (٥١٧٧)، والبيهقى ٨/ ٣٤٠، وابن أبى شيبة ٨/ ٤١٩.

(٣) مسلم فى: الأدب: حديث (٣٤:٣٧)، والترمذى (٢٦٩٠).

وسواء فى ذلك الأجانب والأقارب المحرمات كالأم وما شاكلها لأن النبى ﷺ لما سأله رجل هل عليّ أن أستأذن على أمى؟ قال: نعم، قال: إنى معها فى البيت، قال ﷺ: استأذن عليها، قال: إنى خادمها، قال: استأذن عليها، أتحب أن تراها عريانة؟[١].

فأما زوجته وأمته الجائز له وطؤها فليس عليه الاستئذان فى حقهما، لأن أكثر ما فى ذلك أن تصادف منكشفة أو منبسطة، وقد أبيح له النظر إلى أبدانهن، ولكن يستحب له أن يحرك نعله أولاً إذا دخل المنزل ليعلم دخوله، نص على ذلك الإمام أحمد فى رواية مهنى عنه.

ثم إذا دخل يسلم على أهله ليكثر خير بيته، كما جاء فى الأثر[٢]. وسنستوفى ذلك فى باب دخول المنزل إن شاء الله تعالى.

ولا يطرق أهله ليلاً لنهى النبى ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً[٣]، وقد فعل ذلك رجلان فوجدا عند أهلهما ما يكرهان.

فإذا أذن له فى دار غيره فدخل جلس حيث يأذن له صاحب الدار، وإن كان من أهل الذمة.

وإن فاجأ قوماً وهم على طعامهم فلا يأكل إلا أن يكون صاحب الطعام ممن جرت عادته بالسماحة وطيب القلب بذلك.

(فصل: فيما يستحب فعله بيمينه وما يستحب فعله بشماله)

يستحب له تناول الأشياء بيمينه، والأكل والشرب والمصافحة والبداءة بها فى الوضوء والانتعال ولبس الثياب، وكذلك يبدأ فى الدخول إلى المواضع المباركة كالمساجد والمشاهد والمنازل والدور برجله اليمنى.

وأما الشمال فلفعل الأشياء المستقذرة وإزالة الدرن كالاستنثار والاستنجاء وتنقية الأنف وغسل النجاسات كلها إلا أن يشق عليه ذلك أو يتعذر كالمشلول والمقطوع يساره

---

(١) البيهقى ٧/ ٩٧، والموطأ (٩٦٣).

(٢) قد سبقت الإشارة إليه.

(٣) البخارى فى: العمرة: ب (١٦)، ومسلم فى: الإمارة: حديث (١٨٠ و ١٨٤)، وأحمد ١/ ١٧٥.

فيفعلها بيمينه، ولا يمشى فى نعل واحد إلا أن يكون ذلك يسيرًا بمقدار ما يصلح الأخرى إذا انقطع شسعها .

وإذا أراد أن يناول إنسانًا توقيعًا أو كتابًا فليقبضه بيمينه.

وإذا مشى مع من هو أعلى منه فى المنزلة والفضل فليمش عن يمينه يجعله كإمامه فى الصلاة، وإن كان دونه فى المنزلة يجعله عن يمينه ويمشى عن يساره وقد قيل: المستحب المشى على اليمين فى الجملة لتخلى اليسار للبزاق وغيره.

* * *

(فصل: فى آداب الأكل والشرب)

ويستحب للآكل أن يسمى الله تعالى عند أكله ويحمده عند فراغه، وكذلك عند الشرب، لأن ذلك أبرك لطعامه وأبعد لشيطانه، لما روى أن أصحاب النبى ﷺ قالوا: «يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع، قال رسول الله ﷺ: فلعلكم تفترقون؟ قالوا: نعم، قال ﷺ: فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأولاده لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر اسم الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر اسم الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء»(٢).

وعن حذيفة(٣) رضى الله عنه أنه قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا لم يضع أحدنا يده حتى يبدأ رسول الله ﷺ، وإنا حضرنا معه طعامًا فجاء أعرابى كأنما يدفع، فذهب ليضع يده فى الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيده، ثم جاءت جارية كأنما تدفع، فذهبت لتضع يدها فى الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، وقال: إن الشيطان

---

(١) أبو داود (٣٧٦٤)، ودلائل النبوة ٦/ ١١٩.

(٢) مسلم فى: الأشربة: حديث (١٠٣)، وأبو داود (٣٧٦٥)، وابن ماجه (٣٨٨٧)، وأحمد ٣/ ٣٤٦.

(٣) حذيفة هو: ابن اليمان أبو عبد الله العبسى الأنصارى الأشهلى حليفهم. أسلم وأبوه وهاجروا، وقد شهد أحدًا، وقتل أبوه يومئذ على أيدى المسلمين غلطًا. مات سنة (٣٦). له ترجمة فى: الرياض ص (٤٩ - ٥٠).

يستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه، وإنه جاء بهذا الأعرابى يستحل به فأخذت بيده، وجاء بهذه الجارية يستحل بهــا فأخذت بيدها، فوالذى نفسى بيده إن يده فى يدى مع أيديهما»(١).

وإن نسى أن يذكر اسم الله تعالى عند أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره، هكذا روى فى حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ(٢).

ويستحب أن يبدأ بالملح ويختم به.

ويتناول اللقمة بيمينه ويصغرها ويجيد مضغها ويطيل بلعها.

ويأكل مما يليــه إذا كــان نوعًا واحــدًا، وإن كــان أنواعًا فــلا بأس أن يجــيل يده فى القصعــة، وكذلك إذا كان ثمارًا أو فاكهــة، ولا يأكل من ذروة الطعام ووسطه بل يأكل من جوانبه.

وإذا كان ثريدًا أكل بثلاث أصابع ولعقها(٣).

ولا ينفخ فى الطعام ولا الشراب، ولا يتنفس فى إنائه.

وإذا ضاق نفسه نحى القدح عن فيه، فإذا تنفس أعاده إليه.

ويكره الاتكاء فى الأكل.

ويجوز الأكل والشرب قائمًا، وقيل: يكره، والجلوس أحب.

وإذا أراد دفع الإناء إلى أحد من جلسائه بدأ بمن عن يمينه.

لا يجوز الأكل والشــرب فى أوانى الذهب والفضــة ولا المضبب بهمــا إذا كان ذلك كثيرًا.

وإذا قدم بين يديه فى شىء من ذلك طعام رفعه من الإناء إلى الخبز أو إناء غير ذلك الجنس ثم أكله.

والإنكار على من أحضره واجب.

وكذلك الحكم فى البخور فى مداخن الذهب والفضة.

---

(١) مسلم فى: الأشربة: حديث (١٠٢)، وأحمد ٥/ ٣٨٣.

(٢) الترمذى (١٨٥٨)، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم فى: الأشربة: حديث (١٢٩ و ١٣٠)، وأحمد ١/ ٢٢١ و ٣٤١.

وكذلك الحكم فى ماء الورد من المراش المتخذة من ذلك، فيحرم عليه الحضور فى تلك البقعة، ويتعين عليه الإنكار والقيام عن ذلك المجلس.

ويكون إنكاره برفق بأن يقول: تمام سروركم أن تتجملوا بما أباحته الشريعة وجعلته حلالاً، لا بما حرمته وحظرته، ولا خير فى لذة تؤول إلى معصية، اذكروا رحمكم الله قول النبى ﷺ: «من شرب فى إناء ذهب أو فضة أو إناء فيه شىء من ذلك فإنما يجرجر فى بطنه نار جهنم»(١).

وإذا حصلت اللقمة فى فيه فلا يخرجها منه إلا أن يضطر إلى ذلك لشرقة أو حرارة يتضرر بها.

وإذا عطس على طعامه خمر وجهه واحتاط بستره لأجل الطعام .

وإذا كان على رأسه إنسان قائم أذن له بالجلوس، فإن أبى عليه أو قام مملوكه أو غلامه لقضاء حاجته وسقيه الماء أخذ من أطايب الطعام فلقمه.

ويستحب مسح الإناء من فضلة الطعام ولقط الفتات من جوانب الإناء والطبق.

ويستحب أن يباسط الإخوان بالحديث الطيب، والحكايات التى تليق بالحال، إذا كانوا منقبضين.

وينبغى أن يأكل مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع العلماء بالتعلم والاتباع.

وإذا أكل مع ضرير أعلمه بما بين يديه فربما فاته أطايب الطعام لعماه.

ويستحب الإجابة إلى وليمة العرس، فإن أحب أن يأكل أكل وإلا دعا وانصرف، لما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعى فليجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «من دعى فلم يُجب فقد عصا الله تعالى ورسوله ، ومن دخل على غير دعوة دخل سارقًا وخرج مُغيرًا»(٣).

---

(١) مسلم فى: اللباس: حديث (٢)، وأحمد ٦/ ٣٠٢ و ٣٠٤، والبيهقى ٤/ ١٤٦.
(٢) أبو داود فى: الأطعمة: ب (١)، والحلية ٧/ ١٦٧.
(٣) أبو داود فى: الأطعمة: ب (١)، والبيهقى ٧/ ٦٨.

هذا الذى ذكرناه إذا كان ذلك خاليًا عن المنكر، فإن حضره منكر كالطبل والمزمار والعود والناى والشيز والشبابة والرباب والمغانى والطنابير والجعران التى يلعب بها الترك لا يجلس هناك، لأن جميع ذلك محرم.

وأما الدف فيجوز استعماله فى النكاح.

وسماع القول بالقصب، والرقص مكروه، لما فسر بعض المفسرين قوله عزّ وجل: ﴿**ومن الناس من يشترى لهو الحديث**﴾ [لقمان:٦] فقال هو الغناء والشعر.

وجاء فى بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت السيل البقل»[١].

وسئل الشبلى رحمه الله عن الغناء فقال: أحق هو؟ قيل: لا، قال: ﴿**فماذا بعد الحق إلا الضلال**﴾ [يونس:٣٢].

ثم يكفى فى كراهته، ما فى ذلك من ثوران الطبع وهيجان الشهوة والميل إلى النساء، وأباطيل النفوس ورعوناتها والطرب والسخف والدناءة، والاشتغال بذكر الله تعالى أطيب وأسلم لمن آمن بالله واليوم الآخر.

ودعوة الختان ليست مستحبة، ولا على من دعى إليها أن يجيب.

ويكره التقاط النثار لأنه يشبه النهبة، وفيه سخف ودناءة.

ويكره حضور طعام الولائم ماعدا العرس إذا كان على الصفة التى وصفها رسول الله ﷺ يمنع منه المحتاج ويحضره المستغنى عنه[٢].

ويكره لأهل الفضل والعلم فى الجملة التسرع إلى إجابة الطعام والتسامح بذلك لما فيه من الذلة والدناءة والشره، لا سيما إذا كان حاكمًا، وقيل: ما وضع أحد يده فى قصعة أحد إلا ذل.

ويحرم التطفل على طعام الناس وهو دخوله مع المدعوين من غير أن يدعى، وهو ضرب من الوقاحة والغصب، ففيه إثمان:

أحدهما: الأكل لما لم يدع إليه.

---

(١) البيهقى ١٠/ ٢٢٣، والإتحاف ٦/ ٥٢٥.

(٢) لفظ الحديث: «شر الطعام طعام الوليمة، يدعى إليها الأغنياء، ويدفع عنها الفقراء». رواه مسلم فى: النكاح: حديث (١٠٨: ١١٠)، وأحمد ٢/ ٢٦٧ و ٤٠٥.

والآخر: دخوله إلى منزل الغير بغير إذنه، والنظر إلى أسراره والتضييق على من حضره.

ومن الأدب أن لا يكثر النظر فى وجوه الآكلين لأنه مما يحشمهم.

ولا يتكلم على الطعام بما يستقذره الناس من الكلام، ولا بما يضحكهم خوفًا عليهم من الشرق، ولا بما يحزنهم لئلا ينغص على الآكلين أكلهم.

ويستحب غسل اليد قبل الطعام وبعده، وقيل: يكره قبل الطعام ويستحب بعده.

ويكره أكل البقلة الخبيثة، وهى الثوم والبصل والكراث لكراهة ريحه، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من أكل من هذه البقلة الخبيثة فلا يقربنَّ مصلانا»[1].

وكثرة الأكل بحيث يخاف منه التخمة مكروهة، وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه»[2].

ويكره لغير صاحب الطعام من الضيف أن يلقم من حضر معه على الطبق إلا بإذن صاحب الطعام، لأنه يأكل على ملك صاحبه على وجه الإباحة، وليس ذلك بتمليك، ولهذا اختلف الناس فى الوقت الذى يحصل فيه الطعام ملكًا للآكل:

فقال قوم: إذا حصل فى فيه واستهلك.

وقال آخرون: لا يملكه بل يأكله على ملك مالكه.

وإذا قدم الطعام فلا يحتاج بعد التقديم إلى إذن إذا كان قد جرت العادة فى ذلك البلد للآكل كذلك، فيكون العرف إذنًا.

ويكره إخراج شىء من فيه ورده إلى القصعة.

ويكره التخلل على الطعام.

ولا يمسح يده بالخبز ولا يستبذله.

ولا يخلط طعامًا بطعام يعنى ألوان الطبائخ، لأنه قد يكره ذلك طباع كثير من الناس، وإن كانت نفسه تميل إليه فيترك ذلك لأجلهم.

ولا يجوز له ذم الطعام، ولا لصاحب الطعام استحسانه ومدحه ولا تقويمه لأنه

---

(١) مسلم فى: المساجد: حديث (٦٩ و ٧٤)، وأحمد ٤/٢٥٢، والبيهقى ٣/٧٥ و ٧٦.

(٢) الترمذى (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وأحمد ٤/١٣٢.

دناءة، وقد روى أن النبى ﷺ ما مدح طعامًا ولا ذمَّه(١).

ولا يرفع يده حتى يرفعوا أيديهم، إلا أن يعلم منهم الانبساط إليه فلا يتكلف ذلك.

ويستحب أن يجعل ماء الأيدى فى طست واحد، لما روى فى الخبر «لا تبددوا يبدد الله شملكم»(٢).

وروى أن النبى ﷺ نهى أن يرفع الطست حتى يطف، يعنى يمتلىء.

ولا يغسل يده بما يطعم من دقيق الباقلاء والعدس والهرطمان وغير ذلك، ويجوز بالنخالة.

ولا يقرن بين التمرتين لنهيه ﷺ عن ذلك، وقيل: لا يكره ذلك إن كان وحده أو كان هو صاحب الطعام.

ولا يتخير الأطعمة على صاحب الدار بل يقنع بما قدمه، لأن ذلك يحمله على التكلف، وقد قال ﷺ: «أنا وأتقياء أمتى براء من التكلف»(٣). فإن استدعى منه صاحب الدار التشهى عليه كان له أن يذكر شهوته.

ويكره له رد الهدية وإن قلَّت إذا كانت حلالاً طيبةً، واجتهد فى المكافأة أو الدعاء له.

ومن سقط فى طعامه أو شرابه شىء فلا يخلو إما أن يكون له نفس سائلة ما عدا السمك فيكون الطعام نجسًا، ويحرم أكله إذا كان مائعًا، وإن كان جامدًا رفعه وما حوله.

وإن كان مما لا نفس له سائلة: فإن كان من ذوات السموم لم يأكله، ويحرم الطعام لأجل الضرر به لا لعينه كالحية والعقرب، وإن كان ذبابًا غمسه فى الطعام حتى يغوص جناحاه ثم أخرجه، وإن مات فإن الطعام طاهر يأكله، لما روى أن النبى ﷺ قال: «إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فليغمسه فيه، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء وأنه يتقى بالذى فيه الداء»(٤).

(١) أبو داود (٣٧٦٣)، والترمذى (٢٠٣١)، وابن ماجه (٣٢٥٩).
(٢) المغنى عن حمل الأسفار ٢/ ٨.
(٣) التذكرة (٦٧)، والفوائد (٨٦).
(٤) البخارى ٧/ ١٨١، وأبو داود (٣٨٤٤)، والنسائى ٧/ ١٧٩، وأحمد ٢/ ٢٢٩.

ويستحب مص الشراب، ولا يكرعه كرعًا[١]، ويقطعه ثلاث دفعات للنفَس[٢].

ولا يتنفس فى الإناء.

ويسمى على أوله ويحمد الله فى آخره.

والاختصار لهذه الجملة أن نقول هى اثنتا عشرة خصلة:

أربع منها فريضة وأربع سنّة وأربع آداب.

أما الفريضة: فالمعرفة بما يأكله من أين هو، والتسمية، والرضا، والشكر.

وأما السنّة: فالجلوس على الرجل اليسرى، والأكل بثلاث أصابع، ولعق الأصابع، والأكل مما يليه.

وأما الآداب: فالمضغ الشديد وتصغير اللقم، وقلة النظر إلى وجوه القوم، وألا يفرش المائدة بالخبز ويضع فوقه الأدم، وألا يأكل متكئًا ولا مضطجعًا ولا منبطحًا على بطنه.

(فصل)

فإذا أفطر عند غيره قال:

أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وتنزلت عليكم الرحمة، وصلت عليكم الملائكة[٣]، الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين[٤]، وهدانا من الضلالة وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً، اللهم اشبع جياع أمة محمد ﷺ، واكسُ عاريها، وعافِ مرضاها، وردَّ غائبها، واجمع شمل أهل الدار، وادر أرزاقهم، واجعل دخولنا بركة، وخروجنا مغفرة، وآتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) الإتحاف ٥/ ٢٢١، والكنز (٤١٠٥٠).

(٢) ويدل له قول النبى ﷺ: «لا تشربوا واحدًا كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى وثلاث». الترمذى (١٨٨٥)، وشرح السنة ١١/ ٣٧٥.

(٣) أبو داود (٣٨٥٤)، وابن ماجه (١٧٤٧)، وأحمد ٣/ ١١٨.

(٤) مسلم فى: الذكر والدعاء: حديث (٦٤)، وأبو داود فى: الأدب: ب (١٠٦)، والترمذى (٣٣٩٦)، وأحمد ٣/ ٣٢.

(فصل: فى آداب الحمام)

بناء الحمـام وبيعـه وشراؤه وكراؤه مكروه فـى الجملة، لما فيـه من مشـاهدة عورات الناس، وقـد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: بـئس البيت الحـمام ينزع من أهله الحياء ولا يقرأ فيه القرآن.

وأما دخوله فالأولى ألا يدخله إذا وجد مـن ذلك بدًا، لما ورد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يكره الحمام، ويعلل بأنه من رقيق العيش.

وعن الحسن[1] وابن سيرين أنهما كانا لا يدخلان الحمام.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد رحمهما الله: ما رأيت أبى قط دخل الحمام.

وإن كان به حاجة إلى ذلك ودعته الضرورة جاز له دخـوله مستترًا بمئزر غاضًا بصره عن عورات الناس.

وإن أمكنه أن يخلى الحمام له فيدخله بالليل أو وقتًا يقل زبونه بالنهار فلا بأس. وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عـن ذلك فقال: إن كنت تعلم أن كل من فى الحمام عليه إزار فادخله وإلا فلا تدخله.

وقد روت عائشة رضى الله عنها عن النبـى ﷺ أنه قال: «بئس البيت الحمام بيت لا يستر وماؤه لا يطهر»[2].

وقالت عـائشة رضى الله عنهـا أيضًا: «ما يسـر عائشة أنهـا داخلته ولهـا مثل أُحُد ذهبًا».

وقال ﷺ فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر»[3].

وأما النساء فـإنما يجوز لهن دخوله بالشرائط التى ذكـرناها فى حق الرجال، ووجود العذر والحاجة كالمرض والحيض والنفـاس، لما روى ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى

---

(١) الحسن هو: ابن أبى الحسن أبو سعيد البصـرى، مولى زيد بن ثابت، ولد فى زمن عمر، وشهد الدار، وكان إمامًا كبير الشأن، راسًا فى العلم والعمل. مات سنة (١١٠). له ترجمة فى: حلية الأولياء ٢/ ١٣١، ووفيات الأعيان ١/ ٣٥٤.

(٢) الإتحاف ٢/ ٤٠٠، والعلل المتناهية، وابن عدى ٧/ ٢٦٧٩.

(٣) الترمذى (٢٨٠١) وقال: حسن غريب، والنسائى ١/ ١٩٨، والطبرانى ١١/ ١٩١.

ﷺ أنه قال: «ستفتح عليكم أرض العجم، وستجدون بيوتًا يقال لها الحمام، فلا يدخلها الرجال إلا بإزار، وامنعوا منها النساء إلا مريضة أو نفساء»(١).

وإذا دخل الحمام فلا يسلم ولا يقرأ القرآن، لما تقدم من حديث على رضى الله عنه.

(فصل: فى النهى عن التعرى فى الجملة وفى حال الغسل)

روى أبو داود(٢) بإسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك، قال: قلت: يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم فى بعض قال: إن استطعت ألا يرينها أحدٌ فلا يرينها، قال: قلت: يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليًا؟ قال: الله أحقُّ أن يُسْتَحْيا منه من الناس».

وروى أبو داود(٣) بإسناده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «لا ينظر الرجل إلى عرية الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عرية المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى ثوب».

وأما حالة الغسل فى موضع خال لا يراه أحد، فيكره له أن يغتسل بلا مئزر، لما روى أبو داود بإسناده عن عطاء(٤) عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يغتسل بالبزار بلا إزار، فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: «إن الله حيىّ ستير يحب الستر والحياء فإذا اغتسل أحدكم فليستتر»(٥).

وأما إن دخل الماء للغسل أو لغيره فيكره أيضًا بلا مئزر، لأن للماء سكانًا لما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن النبى ﷺ «أنه نهى أن يدخل الرجل الماء بلا مئزر»(٦).

---

(١) أبو داود فى: الحمام: ب (٣)، والترمذى فى: الأدب: ب (٤٣)، وابن ماجه فى: الأدب: ب (٣٨)، وأحمد ٣/ ٣٣٩.

(٢) رقم (٤٠١٧)، والترمذى (٢٧٩٤)، وابن ماجه (١٩٢٠)، وأحمد ٥/ ٣ و ٤.

(٣) رقم (٤٠١٨)، ومسلم فى: الحيض: حديث (٧٤)، والترمذى (٢٧٩٣).

(٤) عطاء هو: ابن أبى رباح أسلم أبو محمد القرشى مولاهم المكى الأسود. قال أبو حنيفة: ما رأيت أحدًا أفضل من عطاء. مات سنة (١١٤). له ترجمة فى: تذكرة الحفاظ ١/ ٩٨/ ٩٠.

(٥) أبو داود (٤٠١٢)، وأحمد ٤/ ٢٢٤.

(٦) الحاكم ١/ ١٦٢، وصححه على شرطهما، وقال الذهبى على شرط مسلم.

وعن الحسن رحمه الله أنه قال: «إن للماء سكانًا، وإن أحق من استتر من سكانه لنحن».

(فصل) وقد رخص الإمام أحمد رحمه الله فى ذلك فى رواية أخرى وأنه لا يكره ذلك، لأنه سئل عن رجل كان عند نهر ليس يراه أحد، قال: أرجو.

ومعنى ذلك أنه لا يكون به بأس.

والأولى والأصح: ما تقدم من النهى.

* * *

(فصل: فى لبس الخاتم واتخاذه)

عن أبى داود[١] رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال:

«أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى بعض الأعاجم فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلاَّ بخاتم، فاتخذ خاتمًا من فضة، ونقش فيه محمد رسول الله».

وعن أنس رضى الله عنه أنه قال: «كان خاتم رسول الله ﷺ من فضة كله فصه منه»[٢].

وفى لفظ عن أنس رضى الله عنه قال: «كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق فصه حبشى»[٣].

وروى أبو داود[٤] بإسناده عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: « اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب وجعل فصه مما يلى بطن كفه، ونقش فيه: محمد رسول الله، فاتخذ الناس خواتم الذهب فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال: لا ألبسه أبدًا، ثم اتخذ خاتمًا من فضة نقش فيه محمد رسول الله، ثم لبس الخاتم بعده أبو بكر، ثم لبسه بعد أبى بكر عمر، ثم لبسه عثمان حتى وقع فى بئر أريس».

---

(١) فى كتاب الخاتم: حديث (٤٢١٤).

(٢) البخارى ٧/ ٢٠١، ومسلم فى اللباس: حديث (٦١)، وأبو داود فى: الخاتم: ب (١)، والترمذى (١٧٤٠).

(٣) انظر الحديث السابق.

(٤) رقم (٤٢١٨)، والبخارى ٧/ ٢٠١، ومسلم فى: اللباس: حديث (٥٣)، وأحمد ٢/ ٧٢.

(فصل) ويكره اتخاذه من الحديد والشبه، لما روى أبو داود[١] بإسناده عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال: «إن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من شَبَهٍ، فقال له: ما لى أجد منك ريح الأصنام فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال: ما لى أرى عليك حلية أهل النار فطرحه، فقال: يا رسول الله من أى شىء اتخذه؟ قال ﷺ: اتخذه من وَرِق ولا تتمه مثقالاً».

(فصل) ويكره التختم فى الوسطى والسبابة، لما روى أن النبى ﷺ نهى عليًا رضى الله عنه عن ذلك[٢].

(فصل) والاختيار التختم فى اليسرى وفى الخنصر، لما روى أبو داود[٣] رحمه الله بإسناده عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يتختم فى يساره، وكان فصه فى باطن كفه. وروى ذلك عن أكثر السلف الصالح، ولأن خلاف ذلك عادة وشعار المبتدعة، ولأن المستحب أن يكون تناول الأشياء باليمين، لتوضع بالشمال، وفى ذلك صيانة للخاتم وصيانة للمكتوب عليه من الأسماء والحروف.

وقد روى عن على رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يتختم فى يمينه[٤] فعلى هذا اليمين واليسار سواء، والاختيار الأول.

* * *

(فصل: فى آداب الخلاء والاستنجاء)

إذا أراد دخول الخلاء نحّى عنه ما كان فيه ذكر الله عز وجل كالخاتم والتعويذ وغيرهما.

ويقدم رجله اليسرى ويؤخر اليمنى ويقول: بسم الله أعوذ بالله من الخبث والخبائث ومن الرجس النجس الشيطان الرجيم[٥].

لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إن هذه الحشوش[٦] محتَضَرَةٌ، فاستعيذوا بالله من

(١) فى الخاتم: ب (٤)، والترمذى (١٧٨٥)، والنسائى فى: الزينة: ب (٤٣).
(٢) ابن ماجه فى: اللباس: حديث (٣٦٤٨).
(٣) رقم (٤٢٢٧)، وشرح السنة ١٢/ ٦٩.
(٤) أبو داود (٤٢٢٦)، والترمذى (١٧٤٤)، وابن ماجه (٣٦٤٧)، وأحمد ١/ ٢٠٤ و ٢٠٥.
(٥) البخارى ١/ ٤٨، وابن ماجه (٢٩٦)، والترمذى (٥ و ٦)، وأحمد ٣/ ٩٩.
(٦) قوله: «الحشوش» يعنى: الكُنُف ومواضع قضاء الحاجة. الواحد: حَشّ بالفتح. وأصله من =

الشيطان، وليقل أحدكم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث الشيطان الرجيم»[١].

ويكون مغطى الرأس مستترًا، ولا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض، ويكون اعتماده على رجله اليسرى؛ لأنه أسهل لخروج الخارج، ولا يتكلم ولا يرد على من يسلم عليه، ولا يجيب متكلمًا، ويحمد الله فى قلبه عند العطاس، ولا يرفع رأسه إلى السماء، ولا يضحك مما يخرج منه ولا من غيره، ويبعد عن الناس، ويهيئ موضعًا مستقلاً رخوًا لبوله لئلا يترشش عليه، ولا يُرى عورته أحدًا، فإن كان الموضع صلبًا أو مهب الريح ألصق رأس ذكره بالأرض، وإن كان فى الصحراء لم يستقبل القبلة ولم يستدبرها بل يشرّق أو يغرّب كما جاء فى الخبر. ولا يستقبل الشمس والقمر، ولا يبل فى جحر، ولا تحت شجرة مثمرة، ولا غير مثمرة لأنه قد يستظل بها الناس فتتلوث ثيابهم، وقد يسقط من ثمرتها فيتنجس، ولا فى طريق، ولا فى مشرعة نهر، ولا فى فناء حائط لأنه بذلك يستحق اللعنة كما ورد فى الخبر.

ولا يذكر الله فى موضعه بالقرآن ولا بغيره تنزيهًا لاسمه عز وجل.

ولا يزيد على بسم الله، والتعوذ من الشيطان على ما ذكرنا.

فإذا فرغ قال: «الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى، غفرانك»[٢]. ثم يقوم عن موضعه إلى موضع طاهر، ولا يستنجى هناك لئلا تتلوث يده بالنجاسة، أو يرش الماء على بدنه وثيابه، ثم ينظر فإن كان الخارج لم ينتشر عن المخرج إلا بمقدار ما جرت العادة به كان مخيرًا بين الاستجمار بجامد وبين الاستنجاء بالماء ! فإن اختار الجامد فالاختيار الحجر، وعدده ثلاثة أحجار[٣] إن كان لم يستجمر بهن أحد من قبل، طاهرة فيأخذ حجرًا منها بيمينه، فيبدأ بالقبل بعد أن يمسح أصل ذكره إلى رأسه، وينثره ثلاثًا بيده اليسار متنحنحًا ليتحقق استفراغ البول بذلك فهو الاستبراء.

ويأخذ ذكره بشماله، ويمده على الحجر الذى فى يمينه فيمسحه عليه، حتى يرى موضع المسح جافًا، يفعل كذلك بثلاثة أحجار، وإن لم يقدر على الأحجار فبثلاث

= الحش: البستان؛ لأنهم كانوا كثيرًا ما يتغوطون فى البساتين. «النهاية» ١/ ٣٩٠.

(١) أبو داود (٦)، وابن ماجه (٢٩٦)، وأحمد ٤/٣٦٩، والصحيحة (١٠٧٠).

(٢) ابن ماجه (٣٠١)، والإرواء ١/ ٩٢.

(٣) البخارى فى: الوضوء: ب (٢١)، ومسلم فى: الطهارة: حديث (٥٧، ٥٨)، وأحمد ١/ ٣٨٨.

خِرَق أو خزف أو مدر أو ثلاث حثيات من تراب، أو يمسحه على الأرض أو الحائط عند عدم هذه الأشياء، حتى يرى الجفافة والنشافة عن أثر كل مسحة، فإذا فعل ذلك فقد سقط عنه حكم القبل.

وينبغي أن يحتزر عن مدّ الذكر في الاستبراء من موضع الحشفة؛ لأنه قد يبقى البول في قصبة الإحليل ثم يخرج بعد فراغه من الوضوء فيبطل وضوؤه، ولهذا شرع في حقه أن يخطو خطوات قبل الاستبراء والتنحنح خوفًا من بقاء شيء من البول في الإحليل.

وأما الدبر فيأخذ الحجر بشماله ويمسحه على المسربة من مقدمها إلى أن يبلغ مؤخرها، ثم يرمي به، ثم يأخذ الحجر الثاني ويبدأ به من مؤخرها فيمسحها إلى أن يبلغ مقدمها ثم يرمي به، ثم يأخذ الحجر الثالث فيديره حول المسربة فيرمي به، وقد حصل بذلك الإجزاء.

فإن لم ينقَ بذلك بأن رأى على الحجر الأخير نداوة زاد إلى خمسة، وإن لم ينقَ بذلك زاد إلى سبعة أو تسعة، ولا يقطعه إلا على وتر. وإن نقى بحجر واحد أو باثنين زاد إلى ثلاثة، لأن الشرع بذلك ورد.

وقد ذكر للاستجمار صفة أخرى، وهو أن يأخذ الحجر بشماله فيضعه على مقدم صفحته اليمنى، ثم يمره إلى مؤخرها، ثم يديره إلى اليسرى فيمره عليها إلى مؤخرها حتى يبلغ الموضع الذي بدأ منه، ويأخذ حجرًا آخر فيمره من مقدم صفحته اليسرى كذلك، ثم يأخذ حجرًا آخر فيمسح به الوسط. والكل جائز فقد جاء في الأثر أن رجلاً قال لبعض الصحابة من الأعراب وقد خاصمه: «لا أحسبك أنك تحسن الخراءة، فقال: بلى وأبيك إني بها لحاذق. قال: فصفها لي، قال: أبعد الأثر، وأعد المدر، واستقبل الشيح، واستدبر الريح، واقعي إقعاء الظبي، واجفل إجفال النعام».

أما الشيح: فهو نبت طيب الريح يكون بالبادية، والإقعاء هاهنا: الاستيفاز على صدور قدميه، والاجفال: ارتفاع عجزه عن الأرض.

(فصل) والاستنجاء بالماء أن يمسك قضيبه بيده اليسرى، ويطرح الماء باليمنى فيغسله سبعًا بعد الاستبراء والتنحنح وفضل إزعاج على ما ذكرناه.

وقد شبه فقهاء المدينة رحمهم الله الذكر بالضرع، فلا يزال يخرج منه الشيء بعد الشيء ما دام الرجل يمده، فإذا وقع الماء على الذكر انقطع البول.

وأما الدبر فيباشر المحل بيده اليسرى، ويصب الماء باليمنى فيتابع صبه ويسترخى قليلاً قليلاً، ويجود ذلك الموضع بيده حتى يتيقن نظافته وينقى.

ولا يلزمه غسل باطن المخرجين، لأن ذلك مما عفى عنه فى الشرع. وعليه الاستنجاء من الريح.

والفضيلة فى الجمع بين الاستجمار بالجامد وبين الاستنجاء بالماء، فإن اقتصر على الحجر أجزأه، لكن استعمال الماء أولى فى الجملة، لأنه قيل: إذا لم يستنج بالماء اعتراه الوسواس، ولهذا قيل: إن قومًا من الشعراء لا يستنجون بالماء، لأن كلام الخنا والفحش يجىء بذلك، فهو سببه.

نعوذ بالله من كلام يثمره القذر والنتن.

(فصل) وأما إذا انتشرت النجاسة إلى معظم حشفته فى القبل، والصفحتين فى الدبر لم يجزه غير الماء، لأنها خرجت من محل الترخيص، فصارت كالنجاسة التى على بقية البدن من الفخذ والصدر وغيرهما، فلا تزول إلا بالماء.

(فصل) وصفة ما يجوز به الاستجمار أن يكون جامدًا طاهرًا منقيًا غير مطعون لا حرمة له وغير متصل بحيوان.

ولا يجوز بالروث والرِّمَّة، لأنهما من طعام الجن[1].

ولا بشىء لزج يلطخ، فلا يُنَقّى كالحمَّةِ والزجاجة والحصاة الملساء.

(فصل) ويجب ما ذكرنا من الاستنجاء لجميع ما يخرج من السبيلين سوى الريح وذلك كالغائط والبول والدود والحصا والدم والمدة والشعر.

وأما الذكر فالخارج منه خمسة أشياء:

أحدها: البول.

والثانى: المذى وهو ماء أبيض رقيق يخرج عند اللذة وعند الملاعبة والتذكار، وحكمه حكم البول وزيادة غسل الذكر والأنثيين، كما قال النبى ﷺ فى حديث على رضى الله عنه: «ذلك ماء الفحل، ولكل فحل ماء»[2]. فليغسل ذكره وأنثييه وليتوضأ وضوءه للصلاة.

---

(١) النسائى فى: الطهارة: ب (٣٥)، وأبو داود فى: الطهارة: ب (٤١)، وأحمد ٢/ ٢٤٧.

(٢) أحمد ١/ ١٤٥.

والثالث: الودى وهو ماء أبيض خاثر يخرج بأثر البول فحكمه حكم البول فقط.

والرابع: المنى وهو الماء الأبيض الدافق عند اللذة الكبرى بالجماع أو الاحتلام. وقد يكون أصفر عند قوة الرجل، وقد يكون أحمر عند كثرة الجماع، وقد يكون رقيقًا عند ضعف البنية والقوة. ويعلم بالرائحة كرائحة الطلع والعجين، وهو طاهر فى أشهر الروايتين. وموجبه غسل جميع البدن. وماء المرأة رقيق أصفر.

والخامس: الريح يخرج من القبل نادرًا كما يخرج من الدبر.

(فصل: فى كيفية الطهارة الكبرى)

وهى على ضربين: كاملة ومجزئة.

أما الكاملة فهى أن يأتى بالنية وهو اعتقاده رفع الحدث الأكبر أو الجنابة، فإن تلفظ به مع اعتقاده بقلبه كان أفضل. ويسمى عند أخذ الماء، ويغسل يديه ثلاثًا، ويغسل ما به من الأذى، ثم يتوضأ وضوءًا كاملاً.

ويؤخر غسل قدميه، ويحثى على رأسه ثلاث حثيات من الماء، يروى بها أصول شعره، ويفيض الماء على سائر جسده ثلاثًا، ويدلك بدنه بيديه ويتتبع المغابن[(١)] وغضون البدن، ويتحقق وصول الماء إليهما، لقوله ﷺ: «خللوا الشعر، وأنقوا البشرة، فإن تحت كل شعرة جنابة»[(٢)].

ويبدأ بشقه الأيمن، ثم ينتقل من موضع غسله فيغسل قدميه، فإن سلم فى خلال ذلك من نواقض الطهارة الصغرى جاز له أن يصلى بهذه الطهارة، لأنا نحكم له برفع الحدثين جميعًا، وإلا أحدث للصلاة وضوءًا. والأصل فى جميع ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد الغسل من الجنابة يغسل يديه ثلاثًا، ثم يأخذ بيمينه فيصب على شماله، ثم يتمضمض ويستنشق ثلاثًا، ويغسل وجهه ثلاثًا، وذراعيه ثلاثًا، ثم يصب على رأسه الماء ثلاثًا، ثم يغتسل، فإذا خرج غسل قدميه»[(٣)].

---

(١) قوله: «المغابن»، الأرفاغ، وهى بواطن الأفخاذ عند الحوالب، جمع «مغبن». من «غبن الثوب» إذا ثناه وعطفه، وهى معاطف الجلد أيضًا. «النهاية» ٣/ ٣٤١.

(٢) أبو داود فى: الطهارة: حديث (٢٤٨) من طريق الحارث بن وجيه، وقال: حديثه منكر، وهو ضعيف، وأحمد ١/ ٩٤.

(٣) البخارى بنحوه: حديث (٢٤٨).

وأما المجزىء فهـو أن يغسل فرجه، وينوى ويسمى ويعم بدنه بالغسل مع المضمضة والاستنشاق، لأنهما واجبتان، وفى الصغرى روايتان أصحهما وجوبهما فيها أيضًا.

ولا يجوز له أن يصلى بهذا الغسل إلا أن ينوى به الغسل والوضوء، ويتداخل بقية أفعال الوضوء فى الغسل للعذر بالنية.

وإذا عدمت النية لم يحصل له الوضوء، فلا تصح الصلاة، وقد قال النبى ﷺ: «لا صلاة لمن لا وضوء له»[1]. بخلاف الأول فإنه قد أتى فيه بالوضوء الكامل.

والإسراف فى استعمال الماء غير مستحب، والاقتصاد هو المحمود المندوب إليه، وقلة الماء مع أحكام الغسل والوضوء أولى من الإسراف. وقد روى أن النبى ﷺ توضأ بمد وهو رطل وثلث، واغتسل بصاع وهو أربعة أمداد.

(فصل: فى الأذكار المستحب ذكرها عند غسل الأعضاء)

يقول إذا فرغ من الاستطابة: اللهم نقِ قلبى من الشك والنفاق، وحصِّن فرجى من الفواحش.

ويقول عند التسمية: أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون.

ويقول عند غسل يديه: اللهم إنى أسألك اليمن والبركة، وأعوذ بك من الشؤم والهلكة.

ويقول عند المضمضة: اللهم أعنى على تلاوة كتابك، وكثرة الذكر لك.

ويقول عند الاستنشاق: اللهم أوجدنى رائحة الجنة، وأنت عنى راض.

ويقول عند الاستنشار: اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار.

ويقول عند غسل وجهه: اللهم بيِّض وجهى يوم تبيِّض فيه وجوه أوليائك، ولا تسوِّد وجهى يوم تسوّد فيه وجوه أعدائك.

ويقول عند غسل ذراعه اليمنى: اللهم آتنى كتابى بيمينى، وحاسبنى حسابًا يسيرًا.

وعند غسل ذراعه اليسرى: اللهم إنى أعوذ بك أن تؤتينى كتابى بشمالى، أو من وراء ظهرى.

ويقول عند مسح الرأس: اللهم غَشّنى برحمتك، وأنزل على من بركاتك، وأظلنى

---

(١) أبو داود (١٠١)، وابن ماجه (٣٩٨)، وأحمد ٤١٨/٢.

تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك.

ويقول عند مسح الأذنين: اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعنى منادى الجنة مع الأبرار.

ثم يمسح عنقه فيقول: اللهم فكَّ رقبتى من النار، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال.

ويقول عند غسل قدمه اليمنى: اللهم ثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين.

ويقول عند غسل قدمه اليسرى: اللهم إنى أعوذ بك أن تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين.

فإذا فرغ من وضوئه رفع رأسه إلى السماء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سبحانك وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءاً وظلمت نفسى، أستغفرك وأسألك التوبة فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم. اللهم اجعلنى من التوابين، واجعلنى من المتطهرين، واجعلنى صبوراً شكوراً، واجعلنى أذكرك كثيراً، وأسبحك بكرة وأصيلاً.

* * *

(فصل: فى آداب اللباس)

وهو على خمسة أضرب:

محرم على كل مكلف، ومحرم على شخص دون شخص، ومكروه، ومباح، ومتنزه عنه.

فأما المحرم على كل مكلف فالمغصوب.

وأما المحرم على شخص دون شخص فالحرير مباح للنساء حرام على بالغى الذكور.

وهل يباح أن يلبسه الصغار أم لا ؟ على روايتين.

وكذلك فى إباحة لبسه للبالغين فى قتال المشركين وجهادهم روايتان، فهذا هو الضرب المباح.

وأما المكروه فهو إطالة الثوب إلى حد يخرج إلى الخيلاء والكبر، وكذلك ما فيه الحرير والقطن لا يعلم هل هما نصفان أو أحدهما أكثر.

وأما المتنزه عنه فهو كل لبسة يكون بها مشتهراً بين الناس، كالخروج عن عادة أهل بلده وعشيرته فينبغى أن يلبس ما يلبسون ولا يباينهم فيها حتى لا يشار إليه بالأصابع ويغتاب فيكون ذلك سبباً إلى حملهم على غيبته، فيشاركهم فى إثم الغيبة له.

(فصل) ولنا قسمان آخران فى: اللباس:

أحدهما: واجب، والآخر: مندوب.

فأما الواجب فعلى ضربين:

أحدهما: يرجع إلى حق الله تعالى.

والثانى: إلى حق الإنسان خاصة.

فأما الذى لحق الله تعالى فهو ستر العورة عن أعين الناس على ما بيناه فى فصل التعرى.

وأما الذى لحق الإنسان فهو الذى يتوقى به من الحر والبرد وأنواع المضار. فيجب عليه ذلك، ولا يجوز تركه، لأن فيه عوناً على إتلاف نفسه وذلك حرام.

وأما المندوب فكذلك ينقسم على قسمين:

أحدهما: فى حق الله تعالى، وهو الرداء إذا كان فى جماعة ومجمع الناس فلا يعرى منكبيه من شىء من الثياب الجميلة، كالأعياد والجمع وغير ذلك.

والقسم الثانى: فى حق المخلوقين وهو ما يتجملون به بينهم من أنواع الثياب المباحة، ولا يزرى بصاحبه، ولا ينقص مروءته بينهم.

ويكره الاقتعاط وهو التعمم بغير الحنك.

ويستحب التلحى وهو إذا كان بالحنك.

ويكره كل ما خالف زى العرب وشابه زى الأعاجم.

وتطويل الذيل مكروه، لأنه ورد فى الأثر عن النبى ﷺ أنه قال: «إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا حرج أو لا جناح فيما بينه وبين الكعبين، ما كان أسفل من الكعبين فهو فى النار، من جَرَّ إزاره بطراً لم ينظر الله إليه» ذكره أبو داود[١] بإسناده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ.

---

(١) فى اللباس: ب (٣٠)، وأحمد ٢/٤٩٨، والبيهقى ٢/ ٢٤٤.

واشتمال الصماء مكروه فى الصلاة وهو أن يلتحف بثوب ويجعل طرفيه على جانب فلا يكون ليده موضع تخرج منه، ولذلك سمى الصماء.

وكذلك يكره السدل وهو أن يترك وسط ردائه على رأسه وباقيه مسدل على ظهره، وهى لبسة اليهود.

وكذلك يكره الاحتباء وهو أن يجلس ويضم ركبتيه إلى نحو صدره ويدير ثوبه من وراء ظهره إلى أن يبلغ ركبتيه ويشده، حتى يكون كالمعتمد عليه والمستند إليه، إذا لم يكن عليه ثوب، لأنه يؤدى إلى انكشاف عورته، ولا بأس بذلك، إذا كان تحته ثوب.

وكذلك يكره التلثم وتغطية الأنف فى الصلاة.

ويكره التشبه بزى النساء للرجال.

وكذلك يكره للنساء التشبه بزى الرجال، لأن النبى ﷺ لعن فاعله وتوعد عليه.

ويكره الاقعاء فى الصلاة، وهو أن يمد ظهر قدميه، ويجلس على عقبيه، أو يجلس على إليتيه وينصب قدميه، قال النبى ﷺ: «إقعاء كإقعاء الكلب»[١]، فنهى عنه.

ويكره لبس ما تشف منه الأبدان من الثياب، وإن شفت منه العورة كان فاسقًا كما لو كشفها إذا تعمد لبسه، ولا تصح صلاته فيها.

وقد مدح الشرع السراويل بقوله ﷺ: «السراويل نصف الكسوة»[٢].

وهى فى حق الرجال أوكد.

ويكره توسعة بواتكه، وتضييقها أولى وأحب، لأنه أستر للعورة، وقد روى أنه ﷺ قال: «اللهم اغفر للمسرولات»[٣]، قال ذلك فى حق امرأة مرّ بها علت بائكة فسقطت، فأدار وجهه عنها، فقيل له: إنها مسرولة.

وفى بعض الأحاديث عنه ﷺ أنه كره السراويل المُخَرْفَجة، وهى الواسعة الطويلة التى تقع على ظهر القدمين، وأصله: السعة يقال: عيش مخرفج إذا كان واسعًا.

وأفضل اللباس ما كان ساترًا.

---

(١) ابن ماجه فى: الإقامة: ب (٢٢): حديث (٨٩٥).

(٢) الموضوعات ٣/ ٤٥ ـ ٤٧.

(٣) التذكرة (١٥٦)، وتنزيه الشريعة ٢/ ٢٧٢، والفوائد المجموعة (١٨٩)، والموضوعات ٣/ ٤٦.

وأفضل ألوان الثياب ما كان أبيض لقوله ﷺ: «خير ثيابكم البياض»[١]، وفى لفظ آخر: «عليكم بالبياض يلبسها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم»[٢].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألبسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم، وإن خير أكحالكم الأثمد يجلو البصر وينبت الشعر»[٣].

* * *

(فصل: فى آداب النوم)

يستحب لمن أراد أن ينام أن يوكىء سقاءه، ويطفىء سراجه، ويغلق بابه، ويغسل فاه إذا كان قد أكل ما له رائحة لئلا يقصده الدبيب، ويسمى باسم الله عز وجل، ويقول:

ما روى أبو داود بإسناده عن سعد بن عبيدة قال: حدثنى البراء بن عازب قال: قال لى رسول الله: «إذا أتيت مَضْجَعَك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رهبة ورغبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، ونبيك الذى أرسلت. قال: فإن مُتَّ مُتَّ على الفطرة، واجعلهن آخر ما تقول. قال البراء فقلت استذكرهن فقلت وبرسولك الذى أرسلت قال: لا، وبنبيك الذى أرسلت»[٤].

ويكون نومه على ما ذكر فى الخبر على جنبه الأيمن مستقبل القبلة كما يكون فى اللحد، وإن نام على ظهره متفكرًا فى ملكوت السماوات والأرض فلا بأس.

ويكره نومه على وجهه.

وإذا رأى فى منامه ما يزعجه استعاذ بالله تعالى من شره، وتفل عن يساره ثلاثًا، وقال: اللهم ارزقنى خير رؤياى، واكفنى شرها. ويقرأ آية الكرسى وقل هو الله أحد والمعوذتين، إلا أن يكون جنبًا. ولا يفسر منامه إلا على من يحسن من عالم أو حكيم

---

(١) ابن ماجه (١٤٧٢)، وأحمد ١/ ٢٧٤، والحاكم ١/ ٣٥٤.

(٢) النسائى ٨/ ٢٠٥، والبيهقى ٣/ ٤٠٣، والطبرانى ٧/ ٢٨٤.

(٣) أبو داود (٣٨٧٨)، والترمذى (٩٩٤)، والنسائى ٤/ ٣٤، وأحمد ١/ ٢٤٧.

(٤) البخارى ١/ ٧١، وأبو داود (٥٠٤٦).

ويكون محبًا. ولا يفسر ما رآه من الأحلام لأن الشيطان يتمثل له.

وقد روى عن أبى قتادة[١] رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات، ثم ليتعوذ من شرها فإنها لا تضره»[٢].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «إن رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟ ويقول: إنه ليس يبقى بعدى من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»[٣].

وفى حديث عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ أنه قال: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[٤].

وإذا أراد الخروج من منزله ذكر الكلمات التى وردت فى حديث الشعبى عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى قط إلا رفع طرفه إلى السماء فقال: «اللهم إنى أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَم، أو أَجْهَل أو يُجهلَ علىَّ»[٥] ويقرأ: قل هو الله أحد مع المعوذتين إذا أصبح وإذا أمسى، ويدعو مع ذلك بدعاء رسول الله ﷺ: «اللهم بك نصبح وبك نمسى، وبك نحيا وبك نموت، ويزيد فى الصباح: وإليك النشور، وفى المساء: وإليك المصير»[٦].

ويقول مع ذلك: اللهم اجعلنى من أعظم عبادك عندك نصيبًا فى كل خير تقسمه فى هذا اليوم وفيما بعده من نور تهدى به أو رحمة تنشرها أو رزق تبسطه أو ضر تكشفه أو ذنب تغفره أو شدة تدفعها أو فتنة تصرفها أو معاناة تمن بها برحمتك إنك على كل شىء قدير.

---

(١) أبو قتادة هو: الحارث بن ربعى الأنصارى. وقيل: النعمان. وقيل: عمرو. شهد أحدًا وما بعدها، وكان يقال له فارس رسول الله ﷺ. توفى بالكوفة فى خلافة على. له ترجمة فى: الإصابة ٤/١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢) البخارى ٩/٣٩، ومسلم فى: الرؤيا: حديث (١، ٢)، وابن أبى شيبة ١٠/٣٣٧.

(٣) البخارى ٩/٥٦، ومسلم فى: الرؤيا: حديث (٢٣)، وأحمد ٣/١٣٥.

(٤) البخارى ٩/٤٨، ومسلم فى: الرؤيا: حديث (٦)، وأحمد ٢/٥٠٧.

(٥) أبو داود (٥٠٩٤)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وأحمد ٦/٣٢٢.

(٦) الترمذى (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨)، وأحمد ٢/٣٥٤.

وإذا أراد دخول المسجد فليقدم رجله اليمنى ويؤخر رجله اليسرى ويقول: بسم الله السلام على رسول الله ﷺ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمدٍ واغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك[1].

وليسلم على من كان فى المسجد. فإن لم يكن فيه أحد قال: السلام علينا من ربنا عزّ وجلّ.

وإذا دخله لا يجلس حتى يأتى بركعتين، ثم إن شاء تنفّل وإلا جلس مشتغلاً بذكر الله عز وجل، أو صامتًا لا يذكر شيئًا من أمور الدنيا.

ولا يكثر كلامه إلا ما لابد منه.

فإن كان قد دخل وقت الصلاة صلى السنة والفرض مع الجماعة.

فإذا فرغ وأراد الخروج فليقدم رجله اليسرى ويؤخر رجله اليمنى وليقل: بسم الله السلام على رسول الله ﷺ، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد واغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك[2].

ويستحب له فى دبر كل صلاة أن يسبِّح الله عز وجل ثلاثًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويكبره ثلاثًا وثلاثين، ويختم المئة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير.

ويستحب له المداومة على الطهور، فإنه روى عن النبى ﷺ فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «دم على الطهور تزد فى عمرك، وصلِّ بالليل والنهار ما استطعت تحبك الحفظة، وصلّ صلاة الضحى فإنها صلاة الأوابين، وسلّم على أهل بيتك إذا دخلت بيتك يكثر خير بيتك، ووقر كبير المسلمين، وارحم صغيرهم ترافقنى فى الجنة» . فقد جمع هذا الحديث آدابًا جمة.

* * *

(١) ابن ماجه (٧٧١)، وأحمد ٦/ ٢٨٢.

(٢) أحمد ٦/ ٢٨٢.

(فصل: فى دخول المنزل والكسب من الحلال والوحدة)

وإذا أراد دخول منزله:

فلا يدخل حتى يتنحنح، ويقول: السلام علينا من ربنا، فقد جاء فى بعض الأخبار: أن المؤمن إذا خرج من منزله وكّل الله تعالى ببابه ملكين يحفظان ماله وأهله، ويوكل إبليس سبعين شيطانًا مردة، فإذا دنا المؤمن من بابه قال الملكان: اللهم وفقه إن كان انقلب بكسب طيب، فإذا تنحنح دنا الملكان وتباعدت الشياطين، وإذا قال: السلام علينا من ربنا توارت الشياطين، وقام الملكان أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال.

وإذا فتح الباب فقال: بسم الله، ذهبت الشياطين ودخل معه الملكان، وحسنا له كل شىء فى منزله، وأطابا له معيشة يومه وليلته، فإذا جلس المؤمن قام الملكان على رأسه فإن أكل أكل طيبًا، وإن شرب شرب طيبًا ما دام فى منزله يومه وليلته، وكان طيب النفس.

فإن لم يفعل من ذلك شيئًا ذهب عنه الملكان، ودخل معه الشياطين، وقبحوا كل ما فى منزله فى عينه، وأسمعه أهله ما يسوؤه حتى يكون بينه وبين أهله ما يفسد عليه دينه.

وإن كان أعزب ألقوا عليه النعاس والكسل، وإن نام نام جيفة، وإن جلس جلس فى تمنى ما لا ينفعه، خبيث النفس، ويفسدون عليه طعامه وشرابه ونومه.

وأما الكسب:

فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً استعفافًا عن المسألة وسعيًا على أهله وتعطفًا على جاره بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا مرائيًا لقى الله عز وجل يوم القيامة وهو عليه غضبان»[1].

وعن ثابت البنانى رحمه الله أنه قال: «بلغنى أن العافية فى عشرة أشياء: تسعة منها فى السكوت وواحدة فى الفرار من الناس، والعبادة عشرة: تسعة منها فى طلب المعيشة وواحدة فى العبادة».

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يفتح

(١) ابن أبى شيبة ٧/ ١٦، والحلية ٣/ ١١٠، والإتحاف ٥/ ٤١٤.

الرجل على نفسه بابًا من المسألة إلا فتح الله عليه بابًا من الفقر، ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ولئن يأخذ أحدكم حبلاً ثم يعمد إلى هذا الوادى فيحتطب منه، ثم يأتى سوقكم فيبيعه بمد تمر خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه»[١].

وروى «ما من رجل يفتح على نفسه بابًا من المسألة إلا فتح الله عليه سبعين بابًا من الفقر»[٢].

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يحب كل مؤمن محترف أبا العيال، ولا يحب الفارغ الصحيح لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة»[٣].

وروى أن داود نبى الله عز وجل سأل الله تعالى أن يجعل كسبه من يده، فألان له الحديد، فصار فى يده كالعجين والشمع، يتخذ منه الدروع فيبيعها فيعيش هو وعياله بثمنها.

وقال ابنه سليمان عليهما السلام: رب قد أعطيتنى من الملك ما لم تعط أحدًا من قبلى، وسألتك أن لا تعطيه أحدًا من بعدى فأعطيتنيه، فإن قصرت فى شكرك فدلنى على عبدٍ هو أشكر لك منى، فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان: إن عبدًا يكتسب بيده يسد جوعه ويستر عورته ويعبدنى هو أشكر لى منك. فقال: يا رب اجعل كسبى بيدى. فأتاه جبريل عليه السلام فعلمه عمل الخوص، يتخذ منه القفاف، فأول من عمل الخوص سليمان عليه السلام.

وقيل عن بعض الحكماء إنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة: العلماء والأمراء والغزاة وأهل الكسب.

فالأمراء هم الرعاة يرعون الخلق.

والعلماء هم ورثة الأنبياء وهم يدلون الخلق على الآخرة، والناس يقتدون بهم.

والغزاة هم جند الله فى الأرض، يقمع بهم الكفار.

وأما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى، بهم مصالح الخلق وعمارة الأرض.

---

(١) أحمد ٢/ ٤١٨، والمجمع ٣/ ٩٥، وكنز العمال (١٦٧٤٦، ١٦٧٤٧).

(٢) الإتحاف ٥/ ٤١٧، والمغنى عن حمل الأسفار ٢/ ٦٤.

(٣) العلل المتناهية ٢/ ٩٩، وابن عدى ١/ ٣٦٩، والمجمع ٤/ ٦٢ وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» من طريق عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

فالرعاة إذا صاروا ذئابًا فمن يحفظ الغنم؟.

والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فبمن يقتدى الخلق؟.

والغزاة إذا ركبوا للفخر والخيلاء، وخرجوا للطمع فمتى يظفر بالعدو؟.

وأهل الكسب إذا خانوا الناس فكيف يأمنهم الناس؟.

وإذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدنيا والآخرة.

أولها: لسان نقى عن ثلاث: الكذب واللغو والحلف.

والثانية: قلب صاف من الغش والخيانة والحسد لجاره وقرينه.

والثالثة: نفس محافظة لثلاث خصال: الجمعة والجماعات، وطلب العلم فى بعض ساعات الليل والنهار، وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره.

وإياك والكسب الحرام فقد قيل: إذا كسب العبد خبيثًا وأراد أن يأكل منه، وقال: بسم الله، قال الشيطان: كل إنى كنت معك حين كسبته فلا أفارقك، إنما أنا شريكك، فهو شريك كل كاسب حرام. قال الله عز وجل: **﴿وشاركهم فى الأموال والأولاد﴾** [الإسراء: ٦٤] فالأموال: الحرام، والأولاد: أولاد الزنا. كذا ذكر فى التفسير.

وقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكتسب العبد مالاً من الحرام ويتصدق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار»[١].

وبالجملة إنه لا يمتنع من الحرام إلا من هو مشفق على لحمه ودمه فدين المرء لحمه ودمه فليجتنب الحرام وأهله، ولا يجالسهم، ولا يأكل طعام من كسبُه حرام، ولا يدل أحدًا على حرام، فيكون شريكه، فالورع هو ملاك الدين وقوام العبادة واستكمال أمر الآخرة.

وأما الوحدة والعزلة:

فقد جاء عن النبى ﷺ أنه قال: «عليكم بالعزلة فإنها عبادة»[٢].

وقال النبى ﷺ: «المؤمن جليس بيته»[٣].

(١) أحمد ١/ ٣٨٧، والمشكاة (٢٧٧١).

(٢) كنز العمال ٣/ ٤٤٢ موقوفًا على ابن سيرين.

(٣) بنحوه: أحمد ٥/ ٢٥٩، والطبرانى ١٠/ ٢١٠.

وقال النبى ﷺ: «أفضل الناس رجل اعتزل يكفى الناس شره».

وفى بعض الألفاظ عنه ﷺ أنه قال: «الغريب هو الذى يفر بدينه».

وعن بعض السلف أنه قال: هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ـ وهو بشر الحافى ـ.

وقيل لسعد بن أبى وقاص لما تفرد فى قصره بالعقيق: تركت أسواق الناس ومجالس الإخوان وتخليت، فقال: رأيت أسواقهم لاغية ومجالسهم لاهية، فوجدت الاعتزال فيما هناك عافية.

وقال وُهَيْب بن الورد رحمه الله: «خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لى زلة، ولا ستر لى عورة، ولا أمنته إذا غضب، وما وجدت منهم إلا من يركب هواه».

وعن الشعبى رحمه الله أنه قال: «تعاشر الناس بالدين زمنًا طويلاً حتى ذهب الدين، ثم تعاشروا بالمروءة حتى ذهبت المروءة، ثم تعاشروا بالحياء حتى ذهب الحياء، ثم تعاشروا بالرغبة والرهبة، وأظن أنه سيجىء بعد هذا ما هو أشد منه».

وقال الحكيم: «العبادة عشرة أجزاء تسعة فى الصمت وواحدة فى العزلة، فراودت نفسى على الصمت فلم أقدر عليه، فصرت إلى العزلة فجمعت لى التسعة».

وكان يقول: «لا شىء أوعظ من القبر، ولا آنس من الكتاب، ولا أسلم من الوحدة».

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: إنما يطلب العلم ليهرب به من الدنيا لا لتطلب به الدنيا.

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: «قيل: يا رسول الله: أى جلسائنا خير؟ قال ﷺ: من ذكرتكم الله تعالى رؤيته، وزاد فى عملكم منطقه، وذكركم الآخرة عمله»[1].

وكان عيسى ابن مريم عليه السلام يقول: «يا معشر الحواريين تحببوا إلى الله عز وجل ببغض أهل المعاصى، وتقربوا إلى الله تعالى بالتباعد عنهم، والتمسوا رضاه بسخطهم».

(١) الكنز (٢٥٥٨٨)، ومجمع الزوائد ١٠/٢٢٦ وعزاه إلى «أبى يعلى» من طريق مبارك بن حسان، وقد وثق، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وإن كان لابد من المخالطة فلتكن للعلماء، فإن النبى ﷺ قال: «مجالسة العلماء عبادة»[١].

وقال ﷺ: «ألزم قلبك التفكر وجسدك التصبر وعينك البكاء، ولا تهتم لرزق غد فإن ذلك خطيئة تكتب عليك، والزم المساجد فإن عمّار بيت الله تعالى هم أهل الله عز وجل»[٢].

وقال ﷺ: «من أكثر الاختلاف إلى المساجد أصاب أخًا مستفادًا ورحمة منتظرة وكلمة تدل على هدى وأخرى تصرف عن الردى وعلمًا مستطرفًا وترك الذنوب حياء وخشية»[٣].

ولو اعتزل الإنسان الناس مهما اعتزل لم يكن له متسعًا فى الشرع اعتزال الجمعة والجماعات، فلا يجوز له تركها فى الجملة، لأنه يكفر بمداومته على ترك الجمعة لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر طبع الله تعالى على قلبه».

وفى حديث جابر رضى الله عنه: «واعلموا أن الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا إلى يوم القيامة، من تركها وله إمام عادل أو جائر استخفافًا بها أو جحودًا لها فلا جمع الله له شمله ولا أتم له أمره ألا لا صلاة له، ألا لا زكاة له، ألا لا حج له، ألا لا صوم له، إلا أن يتوب، فمن تاب تاب الله عليه»[٤].

ولأن فى تركها استهانة بمنادى الله عز وجل وهو قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله**﴾ [الجمعة: ٩]، ومن استهان بالله تعالى وبمناديه يكفر، فعليه التوبة وتجديد الإسلام، ويتوب الله على من تاب.

ولا يجوز له تركها إلا لعذر يبيحه الشرع كما قيل: «خذ عن الناس جانبًا غير طاعن

---

(١) الإتحاف ٦/ ٢٠٤، والكنز (٢٨٧٥٦).

(٢) مجمع الزوائد ٢/ ٢٣: باب لزوم المساجد مقتصراً على آخره، وعزاه إلى الطبرانى فى «الأوسط» و «أبى يعلى» و «البزار» من طريق صالح المرى، وهو ضعيف.

(٣) الطبرانى ٣/ ٩١، والمجمع ٢/ ٢٢ ـ ٢٣ وعزاه إليه فى «الكبير» من طريق سعد بن طريف، وقال: قد أجمعوا على تركه، وابن عساكر ٤/ ٣٠٨، والتنزيه ١/ ٢٦٩.

(٤) ابن ماجه (١٠٨١)، ولسان الميزان ٤/ ١٧٤.

عليهم ولا تارك لجماعتهم».

فليجتهد المرء فى الاعتزال عن الناس ما استطاع إلا ممن يكون عونًا له فى أمر دينه، لأن الكذب إنما يجرى بين اثنين، والفجور بين اثنين، وقتل النفس بين اثنين وقطع المال بين اثنين، والسلامة من ذلك فى الاعتزال والانفراد.

* * *

(فصل: فى آداب السفر والصحبة فيه)

وإذا أراد سفرًا أو حجًا أو غزوًا أو تحولاً من دار إلى دار أو طلب حاجة فليصل ركعتين، ثم يطلب حاجته، ويتحول.

وأما فى السفر فليقل على إثر الركعتين: «اللهم بلغ بلاغًا مبلغ خير ومغفرة منك ورضوانًا بيدك الخير وأنت على كل شىء قدير، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال والولد، اللهم هوّن علينا السفر واطو لنا البعيد، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والولد والمال»[1].

ويتحرى أن يكون ذلك بكرة خميس أو سبت أو اثنين.

وإذا استوى على راحلته قال: **﴿سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾** [الزخرف: ١٣ ـ ١٤].

وإذا رجع من السفر صلى ركعتين وقال: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[2]، لأنه روى عن النبى ﷺ أنه كان يفعله.

وإذا خرج فلا يكن قائدًا للناس إذا وجد من يقودهم، ولا يشير عليهم بمنازل ينزلونها إذا وجد من يكفيه ذلك.

وعليه بالصمت وحسن الصحبة وكثرة المنفعة لإخوانه، وإياه والقيل والقال.

ولا ينزل على الطريق ولا على ماء، فإنه مأوى الحيات والسباع بل يتنحى عنه، ولا يعرّس على الطريق فإنه مكروه.

وينبغى أن يكون سفره على لسان المعرفة.

(١) أبو داود (٢٥٩٨)، وأحمد ١/٢٥٦.

(٢) البخارى ٣/٩، ومسلم فى: الحج: حديث (٤٢٨ و ٤٢٩)، وأحمد ١/٢٥٦.

ويخرج من أوصافه المذمومة إلى صفـاته المحمودة، فيخرج من هواه إلى طلب رضا مولاه بتصحيح تقواه.

فأول ما يجب عليه إذا أراد أن يسافـر من بلده أن يرضى خصومه ويرضى والديه أو من هو فى حكمهما من الأجداد والخالات.

ويخلف لعياله ما يمونهم فى مدة سفره، أو يستصحبهم ويحملهم معه.

وينبغى أن يكون سفره لطاعـة من الطاعات كالحج أو زيارة النبى ﷺ أو زيارة شيخ أو موضع من المواضع الشريفة.

أو لمباح كالتجارة والعلم بعد أحكام علوم العبـادات الخمس، لأن علمها فريضة وما وراءها مباح وفيه فضل، وقيل فرض على الكفاية.

وينبغى أن يعـاشر أصحـابه فى سفره بحـسن الخلق وجميل المداراة، وترك المخـالفة واللجاج فى جميع الأشياء.

ويشتغل بخدمة أصحابه فى السفر ولا يستخدم أحدًا إلا عند الضرورة، ويجتهد أبدًا أن يكون فى سفره على الطهارة.

ومن آداب الصحبة أن يقف مع صاحبـه إذا عيى، ويسقيه الماء إذا عطش، ويرفق به إذا ضجـر، ويداريه إذا غضب، ويحفظه ورحله إذا نام، ويؤثره إذا قلّ الزاد، ويواسـيه بما يفتح له، ولا ينفرد بـه دونه، ولا يكتمه سرًا، ولا يفشى له سـرًا، ولا يستظهره إلا بجمـيل، ويرد غيبـته، ويحـسن ذكره عند الرفقـة، ولا يعيبـه عندهم، ولا يشكو منه إليهم، ويتحمل أذاه، وينصحه إذا شاوره، ويسأله عن اسمه وبلده ونسبه وإن كان أرفع منه منزلة.

ويظهر للرفقة أنه تابع له وإن كان هو المتبوع، وأوضح لتابعه عيوب نفسه على طريق النصح له لا على طريق التوبيخ والتعنيف.

وينبغى أن يتعوذ من كل شيء يخافه عندما يحل بموضع أو ينزل بمنزل أو يجلس فى مكان، أو ينام فيه بأن يقول:

«أعوذ بالله وبكلماته التـامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وبأسـماء الله الحسنى كلها مـا علمت منهـا وما لم أعلم من شر مـا خلق وذرأ وبرأ، ومن شر مـا ينزل من السماء وما يعرج فيهـا، ومن شر ما ذرأ فى الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن فتن

الليل والنهار، ومن طارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق منك بخير، يا أرحم الراحمين، ومن كل دابة ربى آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم»[١].

ولا يتخذ فى الركاب الأجراس، لأن النبى ﷺ قال: «إنه مع كل جرس شيطان»[٢].

وقال ﷺ: «إن الملائكة لا تصحب رفقة فيها جرس»[٣].

ويستحب أن يصحب فى سفره عصا، ويجتهد ألا يخلو منها، لما روى ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «إمساك العصا سنة الأنبياء وعلامة المؤمنين».

وقال الحسن البصرى رحمه الله: «فى العكازة ست خصال: سنة الأنبياء، وزى الصالحين، وسلاح على الأعداء ـ يعنى الحية والكلب وغير ذلك ـ ، وعون الضعفاء، وغم المنافقين، وزيادة فى الحسنات».

ويقال: إذا كان مع المؤمن العصا هرب الشيطان منه، وخشع منه المنافق والفاجر، وتكون قبلته إذا صلى، وقوته إذا أعيى، وفيها منافع كثيرة كما قال الله فى قصة موسى عليه السلام : ﴿**هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى**﴾ [طه:١٨].

(فصل: ولا يجوز خصاء شىء من الحيوان والعبيد)

نص عليه الإمام أحمد فى رواية حرب وأبى طالب .

وكذلك السمة فى الوجه على ما نقل أبو طالب عنه.

لأن النبى ﷺ نهى أن يخصى كل ذى نسل من البهائم، فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وفى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أنه ﷺ «نهى عن الوسم فى الوجه ورخص فيه فى الأذن»[٤].

وإن كان لابد من الوسم لأجل العلامة ليعرفوا البهائم حين الاختلاط جاز فى غير الوجه كالافخاد والأسنمة.

---

(١) أحمد ٣/ ٤١٩، ودلائل النبوة ١/ ٦٠.

(٢) أبو داود (٤٢٣٠)، وشرح السنة (١١/ ٢٦).

(٣) مسلم فى: اللباس: حديث (١٠٣)، وأبو داود (٢٥٥٤)، وأحمد ٢/ ٣٢٧.

(٤) الترمذى (١٧١٠)، وأحمد ٣/ ٣٧٨، والصحيحة (٣٠٥).

(فصل: ولا يجوز فعل شىء من المستقذرات فى المساجد)

ويكره العمل فيها كالخياطة والخرازة والبيع والشراء وما أشبه ذلك.

ويكره رفع الأصوات إلا بذكر الله تعالى.

والنخامة فى المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها.

ويكره زخرفة المساجد بالتزاويق والخلوق، ولا بأس بتجصيصها وتطيينها.

ويكره اتخاذها بيتًا ومقامًا إلا للغريب أو المعتكف، لأن النبى ﷺ أنزل وفد بنى عبد قيس، وروى: ثقيف فى المسجد.

ولا بأس بإنشاء الشعر والقصائد فيها الخالية من السخف والهجاء للمسلمين، والأولى صيانتها إلا أن تكون من الزهديات المرققات المشوقات المبكيات، فيجوز الإكثار منها. والأولى من ذلك القرآن والتسبيح، لأن المساجد وضعت لذكر الله تعالى والصلاة، فينبغى أن تجل عما سوى ذلك.

ويكره نقل تراب المسجد. وأما ما حصل فيه من المزابل والكناسة فيستحب إخراج ذلك وفيه فضل كثير. وقد روى عن النبى ﷺ أن ذلك مهور الحور العين[1].

ويكره تمكين الصبيان والمجانين من دخوله.

ولا بأس بعبور الجنب فيه.

وتمنع الحائض، لأنه لا يؤمن من تلويث المسجد.

وإذا دعت الضرورة للجنب جاز له أن يتوضأ ويلبث فى المسجد إلى حين يقدر على الغسل، والأولى أن يتيمم للجنابة مع ذلك أيضًا، وكذلك إذا لم يجد الماء إلا فى بئر المسجد تيمم لجوازه إلى البئر، ثم يغتسل إذا وصل إليها.

* * *

(فصل: فى الأصوات)

فما كان منها من إنشاد الأشعار المتعرية من الملاهى على ضربين: مباح ومحظور.

فالمباح: ما لا سخف فيه.

والمحظور: ما كان فيه سخف.

---

(١) تنزيه الشريعة ٢/٣٨، والموضوعات ٣/ ٢٥٤، والقرطبى ١٦/ ١٥٤.

فأما ما ينضم إلى الملاهى فمحظور، سواء خلا عن السخف أو قارن السخف، إلا أنه إذا قارنه سخف حصل الحظر لعلتين.

وتكره قراءة القرآن بالألحان المشبهة بأصوات الأغانى المطربة إعظامًا له وتنزيهًا.

لأن الغالب من ذلك إخراج الكلام عن سننه، وإسقاط الإطالة والهمز فى موضعه، وإطالة المقصور وقصر الممدود وإدغام الحروف.

ولأن ثمرة القراءة خشية الله عز وجل، وتجديد التوبة عند سماع مواعظه والاعتبار ببراهينه وقصصه وأمثاله والتشوق إلى وعده، وذلك يزول بطيب سماعه، قال الله عز وجل: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ [النساء: ٨٢، ومحمد: ٢٤]، وقوله جلّ وعلا: ﴿**ليدبروا آياته**﴾ [ص: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿**وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق**﴾ [المائدة: ٨٣].

والألحان المطربة تحول بين ذلك، فكره لأجل ذلك.

ولا يسافر بالمصحف إلى أهل الحرب، حتى لا ينالوا منه، ويستخفوا بحرمته.

ولا يستمع إلى أصوات الأجنبيات من شواب النساء، لأن النبى ﷺ قال: «التسبيح للرجال والتصفيق للنساء»[1]، هذا إذا ناب المصلى نائب فى صلاته فكيف بالشعر والغزل والأمور المهيجة لطباع الناس من ذكر صفات العشاق والمعشوقين ودقائق صفات المحبة والميل وصفات المشتهاة التى تتوق النفس إلى سماعها، فتهيج دواعى السامع وتثير طبعه إلى المحارم، فلا يجوز لأحد سماع ذلك.

وإن قال قائل إنى أسمعها على معانٍ أسلم فيها عند الله تعالى، كذبناه؛ لأن الشرع لم يفرق بين ذلك، ولو جاز لأحد لجاز للأنبياء عليهم السلام، ولو كان ذلك عذرًا لأجزنا سماع القيان لمن يدعى أنه لا يطربه، وشرب المسكر لمن يدعى أنه لا يسكره.

فلو قال: عادتى أنى متى شربت الخمر انكففت عن الحرام، لم نبحه له.

ولو قال: عادتى إذا شهدت المردان والأجنبيات وخلوت بهن اعتبرت فى حسنهم، لم نجز له ذلك.

---

(١) البخارى ٢/ ٨٠، ومسلم فى: الصلاة: حديث (١٠٦ و ١٠٧)، وأحمد ٢/ ٢٦١.

بل نقول: ترك ذلك واجب، والاعتبار بغير المحرمات أكثر من ذلك، وإنما هذه طريقة من أراد تناول الحرام بطريق الله عز وجل فيركب هواه، فلا نسلم لأصحابها، ولا نلتفت إليهم، قال الله عز وجل: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم﴾** [النور: ٣٠].

فمن قال: النظر أزكى، كان مكذبًا للقرآن.

ويكره الندب والنياحة.

فأما البكاء على الميت فغير مكروه.

* * *

(فصل: في الآداب في قتل الحيوان، ما يباح منه وما لا يباح)

فمن رأى شيئًا من الحيات في منزله فليؤذنه ثلاثًا، فإن بدا له بعد ذلك فليقتله.

وأما في الصحاري فيجوز قتله من غير إيذان وكذلك الأبتر وهو قصير الذنب وذو الطفيتين الذي في ظهره خط أسود، وقيل له شعرتان سوداوان بين عينيه فإنه يقتله بلا إيذان.

وصفة الإيذان:

أن يقول: امض بسلام لا تؤذنا.

قد جاء في ذلك أن النبي ﷺ سئل عن حيات البيوت فقال: إذا رأيتم منهن شيئًا في مساكنكم فقولوا: أنشدكم العهد الذي أخذه عليكم نوح، أنشدكم العهد الذي أخذه عليكم سليمان أن لا تؤذونا، فإن عدن فاقتلوهن»[١].

وما روى عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اقتلوا الحيات كلهن، فمن خاف ثأرهن فليس مني»[٢].

وفي حديث سالم عن أبيه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال: اقتلوا الحيات وذا الطفيتين والأبتر فإنهما يكسفان البصر ويسقطان الحبل[٣].

قال: وكان عبد الله رضي الله عنه يقتل كل حية وجدها، فأبصره أبو لبابة رضي الله

(١) أبو داود (٥٢٦٠)، والطبراني ٧/ ٩٢.
(٢) أبو داود (٥٢٤٩)، والطبراني ٢/ ٣٨٢.
(٣) البخاري ٤/ ١٥٤، ومسلم في: السلام: حديث (١٢٨، ١٢٩)، وأحمد ٢/ ٩.

عنه وهو يطارد حية فقال: إنه قد نهى عن ذوات البيوت[١].

والأصل فى النهى عن ذوات البيوت، ما روى عن أبى السائب قال: أتيت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه فبينا أنا جالس عنده سمعت تحت سريره تحريك شيء، فنظرت فإذا حية فقمت، قال أبو سعيد: ما لك، قلت: حية ها هنا، قال: فتريد ماذا؟ قلت: أقتلها، فأشار إلى بيت فى داره تلقاء بيته، فقال: إن ابن عم لى كان فى هذا البيت، فلما كان يوم الأحزاب استأذن إلى أهله، وكان حديث عهد بعرس، فأذن له رسول الله ﷺ وأمره أن يذهب بسلاحه، فأتى داره فوجد امرأته قائمة على باب البيت، فأشار إليها بالرمح، فقالت: لا تعجل حتى تنظر ما أخرجنى فدخل البيت فإذا حية منكرة، فطعنها بالرمح ثم خرج بها فى الرمح يرتكض، قال: فلا أدرى أيهما كان أسرع موتًا الرجل أو الحية؟ فأتى قومه رسول الله ﷺ فقالوا: ادع الله تعالى أن يرد صاحبنا فقال: استغفروا لصاحبكم، ثم قال: إن نفرًا من الجن أسلموا بالمدينة فإذا رأيتم أحدًا منهم فحذروه ثلاث مرات، ثم إن بدا لكم بعد أن تحذروه فاقتلوه بعد الثلاث»[٢].

وروى عن بعض الألفاظ: فليؤذنه ثلاثًا، فإن بدا له فليقتله فإنه شيطان.

ويجوز قتل الأوزاغ، لما روى عامر بن سعد عن أبيه ـ رضى الله عنه ـ قال: أمر رسول الله ﷺ بقتل الوزغ، وسماه فويسقًا»[٣].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «فى أول ضربة سبعين حسنة»[٤]. يعنى فى قتلها بأول ضربة كان له ذلك.

ويكره قتل النملة إلا من أذيّة شديدة، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «أن نملة قرصت نبيًا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه: ـ أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح»[٥].

ويكره قتل الضفدع لما روى عن عبد الرحمن بن عثمان أنه سأل النبى ﷺ عن

(١) أحمد ٢/ ٩.

(٢) أبو داود (٥٢٥٧)، وأحمد ٣/ ٤١.

(٣) البخارى فى: بدء الخلق: ب (١٥)، ومسلم فى: السلام: حديث (١٤٢، ١٤٤)، وأحمد ١٧٦/١.

(٤) مسلم فى: السلام: حديث (١٤٦)، وأحمد ١/ ٤٢٠.

(٥) مسلم: حديث (١٧٥٩)، وأبو داود (٥٢٦٦)، والبيهقى ٥/ ٢١٣.

ضفدع يجعلها فى دواء، فنهاه النبى ﷺ عن قتلها[١].

ويكره قتل جميع ما يباح قتله بالنار من القمل والبق والبراغيث والنمل، لقوله ﷺ: «لا يعذب بالنار إلا ربّ النار»[٢].

ويجوز قتل كل شىء يؤذى من الحيوانات، وإن لم توجد منه الأذية بعدما كان مخلوقًا على صفة تؤذى، لأن من طبعه الأذية، وذلك كالحية التى ذكرنا صفتها.

والعقرب والكلب العقور والفأرة وغير ذلك. وكذلك الكلب الأسود البهيم لأنه شيطان.

وكل حيوان يجده إنسان عطشانًا أُثيب على إسقائه الماء، لقوله ﷺ: «فى كل ذى كبد حرّى أجر»[٣]. هذا إذا لم يكن مؤذيًا.

وأما المؤذى فلا يسقيه فإن ذلك تنمية وتكثير للأذية وذلك لا يجوز.

ولا يجوز اتخاذ الكلب وتربيته فى داره إلا للحرس أو الصيد أو الماشية.

وإن كن عقورًا حرم تركه قولاً واحدًا، ووجب قتله ليدفع شره عن الناس، وقد ورد فى بعض الأحاديث: «من اقتنى كلبًا لغير ماشية أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان»[٤].

ولا يجوز تكليف الحيوان البهيم فوق طاقته فى الحمل والحرث والسير ومنعه ما يكفيه من العلف، فإن فعل ذلك أثم.

ويكره له إطعامه فوق طاقته، وإكراهه على أكل ما اتخذه الناس عادة لأجل التسمين.

ويكره الأكل من كسب الحجام، لأن فى ذلك دناءة وقد قال ﷺ: «كسب الحجام خبيث»[٥].

وقد حرم ذلك بعض أصحابنا لأن ذلك مروى عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

---

(١) ابن ماجه (٣٢٢٣).

(٢) أبو داود فى: الجهاد: ب (١٢١)، وشرح السنة ١٢/ ١٩٨، وابن عساكر ٤/ ٤٥٠.

(٣) أحمد ٢/ ٢٢٢، والبيهقى ٤/ ١٨٦.

(٤) البخارى ٧/ ١١٢.

(٥) مسلم فى: المساقاة: حديث (٤١)، وأبو داود (٣٤٢١)، وأحمد ٣/ ٤٦٤.

(فصل: وبر الوالدين واجب)

قال الله عز وجل: ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريمًا**﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿**وصاحبهما فى الدنيا معروفًا**﴾ [لقمان: ١٥]، وقال جلّ وعلا: ﴿**أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير**﴾ [لقمان: ١٤].

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «من أصبح مسخطًا لوالديه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى مسخطًا لوالديه أمسى له بابان مفتوحان إلى النار، وإن كان واحدًا فواحد، وإن ظلماه وإن ظلماه وإن ظلماه»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: رضا الرب فى رضا الوالدين وسخطه فى سخط الوالدين»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: «جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أريد الجهاد، فقال: ألك أبوان؟ قال: نعم. قال ﷺ: ففيهما فجاهد»(٣).

وصفة البر: أن تكفيهما ما يحتاجان إليه، وتكف عنهما الأذى وتداريهما مداراة الطفل الصغير، ولا تتضجر منهما ولا من حوائجهما، وتجعل خدمتهما بدلاً من كثير نوافلك من الصلاة والصيام والقراءة، وتستغفر لهما عقيب صلواتك، ولا تحوجهما إلى التعب، وتتحمل أذاهما، ولا تعل صوتك على أصواتهما، ولا تخالفهما فى ما لا يكون فيه خرق للشرع، معناه لا يكون فى ذلك ترك الفرائض كحجة الإسلام والصلوات الخمس والزكاة والكفارة والنذر، وألا يكون فى ذلك ارتكاب المحرم من أنواع المناهى من الزنا وشرب الخمر والقتل والقذف وأخذ المال كالغصب والسرقة لقول النبى ﷺ: «لا طاعة لمخلوق فى معصية الله تعالى»(٤).

وقد قال تعالى: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفًا**﴾ [لقمان: ١٥].

---

(١) الإتحاف ٦/ ٣١٤.

(٢) الترمذى (١٨٩٩)، والحاكم ٤/ ١٥٢.

(٣) أبو داود فى: الجهاد: ب (٣٣)، والترمذى (١٦٧١)، والنسائى ٦/ ١٠، وشرح السنة ١٠/ ٣٧٧.

(٤) أحمد ١/ ١٣١، والصحيحة (١٧٩).

فهـذا الحديث والآية عـام فى ترك طاعة كل من أمـر بمعصـية الله أو ترك طاعـته، ومـذكور ذلك عن الإمـام أحمـد فى رواية أبى طالب فى الرجل الذى ينهـاه أبواه عن الصلاة فى الجماعة، فقال: ليس لهما طاعة فى ترك الفرض.

وأما النوافل فيجوز تركها لطاعتهما، بل الأفضل طاعتهما.

ومن البر لهـما أن تصل من وصلهما، وتـهجر من هجرهمـا، وتغضب لهما كـما تغضب لنفسك فى الموت والحياة.

وإذا ثار طبعك فى الغضب عليهـما فاذكر تربيتهما وسـهرهما وإشفاقهما وتـعبهما، وقول الله تعالى: ﴿**وقل لهما قولاً كريمًا**﴾ [الإسراء:٢٣].

فإن لم تردعك عن غيظك الرحمة لهما ولا بهما فاعلم أنك محروم مسخوط عليك فتب إلى الله تعالى إذا سكن غضبك إن كنت خالفت أمره فيهما.

ولا تسافر سفرًا ليس بواجب عليك إلا بإذنهما.

ولا تغزُ إلا أن يتعين عليك إلا بإذنهما.

ولا تفجعهما بنفسك، فقد نهى غـيرك أن يفجعهما بك، فقال النبى ﷺ: «لعن الله المفرق بين الوالدة وولدها»[(١)].

وإن ظفرت بطعام أو شـراب فعليك بإيثارهما بأطيـبه، فطالما آثراك وجاعا وأشـبعاك وسهرا ونوماك. ترشد بذلك إن شاء الله تعالى.

* * *

(فصل: فيما يستحب من انكنى والأسماء وما يكره منها)

يمنع الإنسان أن يسمى ولده ويـكنيه باسم النبى ﷺ وكنيته، ويجوز إفـراد أحدهما عن الآخر، وقد روى عن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى كراهيته فى الجملة، يعنى الجمع والإفراد. وروى عنه الجواز فى الجملة.

والدليل على جواز التسـمية باسم النبى ﷺ دون كنيتـه ما روى أنس بن مالك وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «سموا باسمى ولا تكنوا بكنيتى»[(٢)].

---

(١) كنز العمال (٢٥٠٢٤).

(٢) البخارى ١/٣٨، ومسلم فى: الآداب: حديث (١، ٥)، وأحمد ٢/٢٤٨.

والدليل على جواز الجمع بينهما: ما روى عن عائشة رضى الله عنها، قالت: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله إنى ولدت غلامًا فسميته محمدًا وكنيته بأبى القاسم فذكر لى أنك تكره ذلك، فقال ﷺ: ما الذى أحلَّ اسمى وحرم كنيتى؟ أو ما الذى حرم كنيتى وأحل اسمى؟»[١].

ويكره من الكنى أبو يحيى وأبو عيسى[٢].

ويكره أن يسمى عبيده بأفلح ونجاح ويسار ونافع ورباح وبركة وبرة وحزن وعاصية، لما روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لئن عشت لأنهين أن يسمى العبيد يسارًا أو بركة أو رباحًا أو نجاحًا أو أفلح[٣].

ويكره من الألقاب والأسماء ما يوازى أسماء الله تعالى كملك الملوك وشاهنشاه وما شاكل ذلك، لأن ذلك عادة الفرس.

ويكره التسمى بالأسماء التى لا تليق إلا بالله سبحانه وتعالى كقدوس وإله وخالق ومهيمن ورحمن، قال الله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ [الرعد:٣٣]، قال بعض المفسرين: قل سموهم بأسمائى فانظروا ذلك هل تليق بهم.

ويحرم على كل أحد أن يلقب أخاه أو عبده بلقب يكره لأن الله تعالى نهى عن ذلك، فقال عز وجل: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ [الحجرات:١١] وسماه فسوقًا.

ويستحب أن تدعو أخاك بأحب أسمائه إليه.

(فصل)

ويستحب لمن غضب إن كان قائمًا أن يجلس، وإن كان جالسًا أن يضطجع، وإن مس الماء البارد سكن غضبه، لما روى الحسن رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن الغضب جمرة تتوقد فى قلب ابن آدم فإذا وجد أحدكم ذلك فإن كان قائمًا فليقعد وإن كان قاعدًا فليتكىء»[٤].

---

(١) أبو داود (٤٩٦٨).

(٢) أبو داود (٤٩٦٣).

(٣) مسلم فى: الأدب: حديث (١٢)، وأبو داود فى: الأدب: ب (٦٩)، والترمذى (٢٨٣٦)، وأحمد ٥/ ١٠ و ١١ و ٢١.

(٤) أحمد ٣/١٩، وعبد الرزاق (٢٠٢٨٩).

ويكره أن يجلس الرجل بين قوم وهم فى سر بغير إذنهم، لأن النبى ﷺ نهى عن ذلك.

ويكره الجلوس بين الظل والشمس.

ويكره الاتكاء على يده اليسرى[١] والاضطجاع بين الجُلُوس.

وإذا قام من مجلسه يستحب له أن يقول كفارة المجلس: «سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[٢].

ويكره المشى بالنعل فى المقابر.

ويستحب لمن دخلها أن يقول: اللهم رب هذه الأجساد البالية، والعظام الناخرة، التى خرجت من دار الدنيا وهى بك مؤمنة، صل على محمد وعلى آل محمد، وأنزل عليهم روحًا منك وسلامًا منى، ويقول:

السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[٣].

لأنه مروى أيضًا.

وإذا زار قبرًا لا يضع يده عليه، ولا يقبله، فإنه عادة اليهود، ولا يقعد عليه، ولا يتكىء إليه، ولا يدوسه إلا أن يضطر إلى ذلك كله، بل يقف عند موضع وقوفه منه أن لو كان حيًا، ويحترمه كما لو كان حيًا، ويقرأ إحدى عشرة مرة: قل هو الله أحد وغيرها من القرآن، ويهدى ثواب ذلك لصاحب القبر وهو أن يقول: اللهم إن كنت أثبتنى على قراءة هذه السورة، فإنى قد أهديت ثوابها لصاحب هذا القبر، ثم يسأل الله حاجته.

ولا يكسر عظمًا، ولا يدوسه، فإن أُلجىء إلى ذلك واضطر فليستغفر الله لصاحب القبر.

وتكره الطيرة، ولا بأس بالتفاؤل.

ويستحب التواضع لكل واحد من المسلمين.

ويستحب توقير الشيوخ ورحمة الأطفال والعفو عنهم ولا يترك تأديبهم.

---

(١) أبو داود (٤٨٤٨)، وأحمد ٤/ ٣٨٨.

(٢) الترمذى (٣٤٣٣)، وأحمد ٢/ ٤٩٤.

(٣) مسلم فى: الجنائز: حديث (١٠٢)، وأبو داود (٢٣٣٧)، وأحمد ٢/ ٣٧٥.

(فصل: ويجوز أن يقول الرجل لغيره: صلى الله عليك)

وصلى الله على فلان ابن فلان لما روى أن عليًا رضى الله عنه قال لعمر رضى الله عنه: صلى الله عليك. والنبى ﷺ قال: اللهم صل على آل أبى أوفى(١).

(فصل: وتكره مصافحة أهل الذمة)

لما روى أبو هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تصافحوا أهل الذمة(٢).

(فصل: والأدب فى الدعاء)

أن يمد يديه ويحمد الله تعالى ويصلى على النبى ﷺ ثم يسأل الله حاجته، ولا ينظر إلى السماء فى حال دعائه، وإذا فرغ مسح يديه على وجهه، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «سلوا الله ببطون أكفكم»(٣).

(فصل: والتعوذ بالقرآن جائز)

لقوله عز وجل: ﴿**فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم**﴾ [النحل:٩٨]، وقوله تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ [الفلق:١]، و ﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ [الناس:١].

وما روى: أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى شيئًا قرأ على نفسه المعوذتين ونفث.

وكان ﷺ يقول: أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر كل دابة ربى آخذ بناصيتها(٤).

وكذلك الرقية بالقرآن، وبأسماء الله تعالى جائزة، لقوله عز وجل: ﴿**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ [الإسراء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك**﴾ [الأنعام:٩٢].

قال النبى ﷺ: «استرقوا لها فإنه لو سبق القدر شىء لسبقته العين»(٥) ويريد به ﷺ

---

(١) البخارى ٢/ ١٥٩، ومسلم فى: الزكاة: حديث (١٧٦)، وأحمد ٤/ ٣٥٣.

(٢) البيهقى ١٠/ ١٣١، والإتحاف ٦/ ٢٧٨.

(٣) أبو داود (١٤٨٥)، والبيهقى ٢/ ٢١٢، والإرواء ٢/ ٨٠.

(٤) البخارى ٦/ ٧١، وأحمد ٣/ ٣٠٩.

(٥) البخارى ٧/ ١٧١، ومسلم فى: السلام: حديث (٥٩)، والبيهقى ٩/ ٣٤٨.

فى حق الحسن والحسين رضى الله عنهما.

(فصل) ويكتب للمحموم ويعلق عليه ما روى عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: حممت فكتب لى من الحمى بسم الله الرحمن الرحمن بسم الله وبالله محمد رسول الله ﴿**يا نار كونى بردًا وسلامًا على إبراهيم * وأرادوا به كيدًا فجعلناهم الأخسرين**﴾ [الأنبياء: ٦٩ - ٧٠].

اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك، يا أرحم الراحمين.

(فصل) وقال بعض أصحابنا يكتب للمرأة إذا عسرت عليها الولادة فى جام أو آنية نظيفة «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم» ﴿**الحمد لله رب العالمين**﴾ [الفاتحة: ٢]، ﴿**كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها**﴾ [النازعات: ٤٦]، ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون**﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ثم يغسل ويسقى منه، وينضح ما بقى منه على صدرها.

وكذلك تجوز الرقية من النملة وغيرها كالعقارب والحيات والبراغيث والبق لأن النبى ﷺ رخص فى الرقية من كل ذى حمّة.

وقال ﷺ: من قال حين يمسى ثلاث مرات: صلى الله على نوح وعلى نوح السلام، لم تلدغه عقرب تلك الليلة[1].

وقال ﷺ: «من قال حين يمسى ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره حمة تلك الليلة»[2].

ويجوز النفخ فى الرقية، ويكره التفل.

(فصل) ويغسل العائن وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخل إزاره فى إناء، ثم يصب الماء على المريض، لما روى أبو أمامة بن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال: «رأى عامر بن ربيعة سهل بن حُنَيف، وهو يغتسل فعجب منه فقال: والله ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخَبَّأة فى خدرها، أو قال: جلد فتاة، ففلج به حتى ما كان يرفع

---

(١) تنزيه الشريعة ٢/ ٣٢٤، والتذكرة (٢١١)، وابن عدى ٢/ ٤٤٠.

(٢) الترمذى (٣٣٨٩)، والحاكم ٤/ ٤١٥.

رأسه، قال: فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: هل تتهمون أحدًا؟ قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن عامر بن ربيعة قال له كذا وكذا، فدعاه رسول الله ﷺ ودعا عامرًا وقال: سبحان الله لم يقتل أحدكم أخاه إذا رأى شيئًا يعجبه فليدعُ له بالبركة، قال: ثم أمره ﷺ أن يغتسل، فغسل وجهه وظهر كفيه ومرفقيه وغسل صدره وداخل إزاره وركبتيه وقدميه فى الإناء ظاهرهما وباطنهما، ثم أمر به فصب على رأسه، فكفىء الإناء من خلفه حسبته قال: فأمره فحسا منه حسوات، فراح مع الركب»(١).

وإن اغتسل غسلاً كاملاً ثم صب الماء على المعين كان أكمل.

* * *

(فصل: والتعالج فى الأمراض جائز)

بالحجامة والفصد والكى وشرب الأدوية والأشربة وقطع العروق والبط وقطع العضو عند وقوع الأكلة فيه وخوف التعدى إلى بقية البدن وقطع البواسير، وكل ما فيه صلاح للجسد، لما روى أن النبى ﷺ احتجم وشاور الطبيب فقال للطبيبين: إنما رأيكما طب، فقالوا: يا رسول الله وهل فى الطب خير؟ فقال ﷺ : إن الذى أنزل الداء أنزل الدواء(٢).

وسئل الإمام أحمد عن الكى فقال: الأعراب تفعله، وقد كوى النبى ﷺ، وقد فعله الصحابة رضى الله عنهم.

وقال فى موضع آخر: قطع عمران بن حصين رضى الله عنهما عرق النساء.

وعن الإمام أحمد رحمه الله رواية أخرى كراهية ذلك.

وأما التداوى بمحرم كالخمر والسم والميتة وشىء نجس فغير جائز، وكذلك بلبن الأتن الأهلية، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما جُعل شفاء أمتى فى ما حُرم عليها»(٣).

والحقنة مكروهة إلا عند الضرورة.

ولا يجوز الفرار من الطاعون، وإن كان خارجًا من البلد لا يقدم عليه لئلا يكون عونًا على هلاك نفسه.

---

(١) ابن ماجه (٣٥٠٩)، وأحمد ٣/ ٤٨٦، ومالك (٩٣٨ و ٩٣٩).

(٢) بنحوه: الترمذى (٢٠٣٨)، وأبو داود (٣٨٥٥)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، وأحمد ٤/ ٢٧٨.

(٣) البيهقى ١٠/ ٥، وتلخيص الحبير ٤/ ٧٤.

(فصل: ولا يخلو بامرأة ليست منه بمحرم)

لأن النبى ﷺ نهى عن ذلك وقال: «إن الشيطان ثالثهما»[١]، ولأن الشيطان يزين لهما المعصية.

ولا ينظر إلى امرأة شابة إلا لعذر من شهادة أو علاج فى المرض.

ويجوز النظر إلى المرأة البرزة العجوز، لعدم الافتتان بها.

ولا يجتمع رجلان ولا امرأتان عريانين فى لحاف واحد أو إزار، لأن النبى ﷺ نهى عن ذلك، ولأن ذلك يؤدى إلى أن ينظر أحدهما عورة الآخر وذلك منهى عنه، ولأنه لا يؤمن من ارتكاب الفجور بتزيين الشيطان ذلك.

(فصل: فإن كان له مملوك من ذكر أو أنثى وجب عليه الرفق به)

ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق، ويكسوه ويطعمه ويزوجه إن شاء، ولا يكرهه على ذلك.

فإن قصر فى ذلك عصى وأمر ببيعه أو عتقه إن شاء، أو يكاتبه إن طلب العبد ذلك. وقد جاء فى الحديث: إن آخر وصية رسول الله ﷺ: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»[٢].

(فصل) وتكره المسافرة بالمصحف إلى أرض العدو لئلا تناله أيدى المشركين، إلا أن يكون للمسلمين قوة ظاهرة وشوكة وغلبة، فيجوز استصحابه ليقرأ فيه، لئلا ينسى القرآن.

(فصل) ويستحب إذا نظر فى المرآة أن يقول: الحمد لله الذى سوّى خلقى وأحسن صورتى وزان منى ما شان من غيرى. لأن ذلك مروى عن النبى ﷺ[٣].

(فصل) وإذا طنت أذنه صلى على النبى ﷺ وليقل: ذكر الله من ذكرنى بخير. لأنه مروى عن النبى ﷺ[٤].

---

(١) أحمد ١/ ٢٦، والترمذى (١١٧١)، والبيهقى ٧/ ٩١.

(٢) ابن ماجه (١٦٢٥ و ٢٦٩٧ و ٢٦٩٨)، وأحمد ٣/ ١١٧، وشرح السنة ٩/ ٣٥٠.

(٣) الإتحاف ٥/ ١١٣، وابن السنى (١٦٢)، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٤) الطبرانى ١/ ٣٠١، وابن عساكر ٢/ ٢١٥، وتنزيه الشريعة ٢/ ٢٩٣، وتذكرة الموضوعات (١٦١).

(فصل) ويقول إذا اشتكى بدنه أو أعضاءه ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من اشتكى منكم شيئًا، أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الله الذى فى السماء، تقدس اسمك، أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء والأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا رب الطيبين، انزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على الوجع الذى به، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى»[(١)].

(فصل) وإذا رأى شيئًا يتطير منه قال: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله لأنه مروى عن النبى ﷺ[(٢)].

(فصل) ويستحب إذا رأى بيعة أو كنيسة أو سمع صوت ناقوس أو رأى جمعًا من المشركين واليهود والنصارى أن يقول:

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا، لا نعبد إلا إياه فإن ذلك مروى عن النبى ﷺ، وقال: غفر الله له بعدد أهل الشرك[(٣)].

(فصل) ويقول إذا سمع صوت الرعد والصواعق: اللهم لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك[(٤)].

ويقول إذا رأى الريح: اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها ومن شر ما أرسلت به.

(فصل) وإذا دخل السوق قال ما كان النبى ﷺ يقول: اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها، اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينًا فاجرة أو صفقة خاسرة[(٥)].

ويقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير.

---

(١) أبو داود فى: الطب: ب (١٩)، والحاكم ١/٣٤٣.

(٢) أبو داود (٣٩١٩)، والبيهقى ٨/ ١٣٥ ـ ١٣٩، وابن السنى (٢٨٨).

(٣) الطبرانى ١٢/ ١٣٦، ومجمع الزوائد ١٠/ ١٤١ وعزاه إليه من طريق عمر بن صبح، وقال: متروك.

(٤) الترمذى (٣٤٥٠)، وأحمد (٢/ ١٠٠)، والبيهقى ٣/ ٣٦٢، وشرح السنة ٤/ ٣٩٣.

(٥) مجمع الزوائد ١٠/ ١٢٩، وعزاه إلى «الطبرانى» من طريق محمد بن أبان الجعفى، وقال: ضعيف.

(فصل) وإذا رأى الهلال قال: اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام، ربى وربك الله عز وجل(١).

(فصل) وإذا رأى مبتلى قال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به، وفضلنى عليك وعلى كثير ممن خلق تفضيلاً(٢).

فإن الله عزّ وجلّ يعافيه من ذلك كائنًا ما كان أبدًا ما عاش.

(فصل) يقول للحاج إذا قدم من سفره: تقبل الله نسكك، وأعظم أجرك، وأخلف نفقتك.

لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه كان هكذا يقول.

(فصل) وإذا عاد مريضًا مسلمًا، ورآه منزولاً به موت قال ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «الموت فزع، فإذا بلغ أحدكم وفاة صاحبه فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم اكتبه عندك من المحسنين، واجعل كتابه فى عليين، واخلف على عقبه فى الآخرين، ولا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده»(٣).

ويستحب أيضًا أن يشير عليه بالتوبة من الذنوب والخروج من المظالم والوصية بثلث ماله للأقارب الفقراء منهم الذين لا يرثونه، وإن لم يكونوا فللفقراء والمساكين والمساجد والقناطر ووجوه البر والخير.

(فصل) ويقول حين يضع الميت فى قبره ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: إذا وضعتم موتاكم فى القبر فقولوا: بسم الله وعلى ملة رسول الله(٤).

ويقول إذا حثا التراب على الميت: إيمانًا بك وتصديقًا برسولك إيمانًا ببعثك، هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله.

لأن ذلك مروى عن على رضى الله عنه، وقال: من فعل ذلك كان له بكل ذرة من ترابه حسنة.

* * *

(١) الترمذى (٣٤٥١)، والدارمى ٢/ ٤، والطبرانى ١٢/ ٣٥٦.
(٢) ابن ماجه (٣٨٩٢)، وابن السنى (٣٠٣)، وابن عساكر ١/ ٤٥٦.
(٣) ابن السنى (٥٥٥)، والأذكار (١٣٢).
(٤) أحمد ٢/ ٢٧، والبيهقى ٤/ ٥٥، وابن أبى شيبة ٣/ ٣٢٩.

باب
فى آداب النكاح

من آداب النكاح أن يكون فيه نية المتزوج امتثال أمر الله فى قوله تعالى: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾** [النور:٣٢]، وقوله تعالى: **﴿فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾** [النساء:٣].

وقوله ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثر بكم الأمم ولو بالسقط»[١].

فيعتقد وجوب النكاح بهاتين الآيتين، والخبر عند عدم خوفه الزنا أو عند وجوده، ليخرج من الخلاف فى الجملة، لأن النكاح عند أبى داود فى رواية الإمام أحمد واجب على الإطلاق، فيكون له ثواب الممتثل لأمر الله عزّ وجل.

ويعتقد مع ذلك إحراز دينه وتكميله، لقول النبى ﷺ: «من تزوج فقد أحرز نصف دينه»[٢]، وقوله ﷺ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف دينه»[٣].

ويتخير الحسيبة الأجنبية البكر، وأن تكون من نساء يعرفن بكثرة الولادة، لأن النبى ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضى الله عنهما لما أخبره أنه تزوج بالثيب، فقال له: «أفلا بكرًا تلاعبها وتلاعبك»[٤].

وإنما شرطنا كثرة الولادة، لما تقدم من قوله ﷺ: «تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثر بكم الأمم ولو بالسقط»[٥].

وفى بعض الأحاديث قال ﷺ: «تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثر بكم»[٦].

وإنما شرطنا الأجنبية ولا تكون من أقاربه، لئلا يقع بينهم منافرة وعدواة فتؤدى إلى قطع الأرحام المأمور بإيصالها، ولهذا منع الشرع الجمع بين الأختين فى عقد النكاح.

(١) عبد الرزاق (١٠٣٩١)، والإتحاف ٥/ ٢٨٦.
(٢) العلل المتناهية ٢/ ١٢٢.
(٣) المشكاة (٣٠٩٦)، والصحيحة (٦٢٥).
(٤) أحمد ٣/ ٣٠٢.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائى فى: النكاح: ب (١١)، وابن ماجه (١٨٤٦).

ولا ينبغى أن يتزوج سليطة اللسان ولا مختلعة ولا متواشمة، فإذا تزوج فليحسن خلقه معها، ولا يؤذيها ولا يكرهها على مهرها، فتختلع منه، ولا يشتم لها أبًا ولا أمًا، فإن فعل ذلك كان الله ورسوله بريئين منه، قال النبى ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان عندكم»[١] يعنى إسراء.

وقد جاء فى بعض الآثار: «من تزوج امرأة بصداق، ولا يريد أن يؤديه إليها جاء يوم القيامة زانيًا»[٢].

فإن آذته امرأة بلسانها وكان فى ذلك إفساد دينه فليفتد هو نفسه منها، أو يلجأ إلى الله عز وجل، ويبتهل إليه بالدعاء، فإنه يكفى. وإن صبر على ذلك كان كالمجاهد فى سبيل الله، وإن طابت هى له بشىء من مالها من غير إكراه فليأكله هنيئًا مريئًا، كما قال الله عز وجل.

وينبغى أن يجتهد فينظر إلى وجهها ويديها من غير أن يخلو بها قبل العقد خوفًا إذا رآها بعد العقد لا تقع بقلبه فيكرهها، فيؤدى إلى طلاقها ومفارقتها من قريب. وفى ذلك وقوع فى المكروه عند الله عزّ وجلّ لأن النبى ﷺ قال: «ما من مباح أبغض إلى الله تعالى من الطلاق»[٣].

والأصل فى ذلك ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا قذف الله تعالى فى قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر إلى وجهها وكفيها فإنه أحرى أن يؤدم بينهما»[٤].

وما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» فخطبت جارية فكنت أتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعانى إلى نكاحها وتزويجها. ذكره أبو داود فى سننه[٥].

وينبغى أيضًا أن تكون من ذوات الدين والعقل، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين

(١) ابن ماجه (١٨٥١).

(٢) الخطيب ٦/ ٣١٣، والعلل المتناهية ٢/ ١٣٤.

(٣) بنحوه: أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، وشرح السنة ٩/ ١٩٥.

(٤) الطبرانى ١٩/ ٢٢٥.

(٥) أبو داود (٢٠٨٢)، وأحمد ٣/ ٣٣٤، والصحيحة (٩٩).

تربت يداك»(١).

وإنما نص النبى ﷺ على ذات الدين، لأنها تعين الزوج على معيشته وتقنع باليسير، والباقيات يوقعنه فى الوزر والوبال، إلاّ أن يسلمه الله تعالى من ذلك.

وقد فسر أكثر المفسرين قوله عزّ وجلّ: ﴿**فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم**﴾ [البقرة:١٨٧] المباشرة: بالجماع، والابتغاء: بابتغاء الولد، أى اطلبوا الولد بالمباشرة.

وكذلك ينبغى للمرأة أن تنوى بذلك تحصين فرجها والولد والثواب الجزيل عند الله بالصبر عند الزوج وعلى الحبل والولادة وتربية الولد، لما روى زياد بن ميمون عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: إن امرأة كان يقال لها الحولاء عطارة من أهل المدينة دخلت على عائشة رضى الله عنها فقالت: يا أمَّ المؤمنين زوجى فلان أتزين له كل ليلة وأتطيب كأنى عروس زفت إليه، فإذا آوى إلى فراشه دخلت عليه فى لحافه، وألتمس بذلك رضا الله تعالى حوَّل وجهه عنى أراه قد أبغضنى، فقالت: اجلسى حتى يدخل رسول الله ﷺ قالت: فبينما أنا كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ فقال: ما هذه الريح التى أجدها، أتتكم الحولاء؟ هل ابتعتم منها شيئًا؟ قالت عائشة رضى الله عنها: لا والله يا رسول الله، فقصت الحولاء قصتها، فقال لها رسول الله ﷺ: اذهبى واسمعى وأطيعى له، قالت: أفعل يا رسول الله، فما لى من الأجر؟ قال ﷺ: ما من امرأة رفعت من بيت زوجها شيئًا ووضعته تريد به الإصلاح إلا كتب الله تعالى لها حسنة ومحا عنها سيئة، ورفع لها درجة، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا كان لها من الأجر مثل القائم ليله والصائم نهاره والغازى فى سبيل الله، وما من امرأة يأتيها طلق إلا كان لها بكل طلقة عتق نسمة، وبكل رضعة عتق رقبة، فإذا فطمت ولدها ناداها منادٍ من السماء: أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأنفى العمل فيما بقى. قالت عائشة رضى الله عنها: قد أعطى النساء خيرًا كثيرًا، فما بالكم يا معشر الرجال فضحك رسول الله ﷺ ثم قال: ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له حسنة، فإن عانقها فعشر حسنات، فإذا أتاها كان خيرًا من الدنيا وما فيها، فإذا قام ليغتسل، لم يمر الماء على شعرة من جسده إلا تكتب له بكل قطرة حسنة، وتمحى عنه سيئة وترفع له درجة، وما يعطى بغسله خير من الدنيا وما فيها، وأن الله عز وجل

(١) البخارى ٧/ ٩، ومسلم فى: الرضاع: حديث (٥٣)، وأحمد ٢/ ٤٢٨.

يباهي به الملائكة يقول: انظروا إلى عبدى قام فى ليلة قرة يغتسل من الجنابة، يتيقن بأنى ربه، اشهدوا بأنى قد غفرت له»(١).

وعن المبارك بن فضالة عن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوَان عندكم - يعنى مأسورات - لا يملكن لأنفسهن شيئًا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله تبارك وتعالى، واستحللتم فروجهن بكلمة الله عز وجل»(٢).

وعن عباد بن كثير عن عبد الله الجريرى عن ميمونة زوج النبى ﷺ قالت: «قال لى رسول الله ﷺ: خيار الرجال من أمتى خيارهم لنسائهم، وخير النساء من أمتى خيرهن لأزواجهن، يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا فى سبيل الله صابرين محتسبين، وتفضل إحداهن على الحور العين كفضل محمد ﷺ على أدنى رجل منكم، وخير النساء من أمتى من تأتى مسرة زوجها فى كل شىء يهواه ما خلا معصية الله تعالى، وخير الرجال من أمتى من يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها، يكتب لكل رجل منهم فى كل يوم وليلة أجر مئة شهيد قتلوا فى سبيل الله صابرين محتسبين، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: يا رسول الله وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مئة شهيد؟ قال ﷺ: أوما علمت أن المرأة أعظم أجرًا من الرجل وأفضل ثوابًا فإن الله عزّ وجل ليرفع للرجل فى الجنة درجات فوق درجاته برضا زوجته عنه فى الدنيا ودعائها له، أوما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله المرأة إذا عصت زوجها، ألا فاتقوا الله فى الضعيفين، فإن الله سائلكم عنهما اليتيم والمرأة، فمن أحسن إليهما فقد بلغ إلى الله عزّ وجلّ رضوانه، ومن أساء إليهما فقد استوجب من الله سخطه، وحق الزوج كحقى عليكم، فمن ضيع حقى فقد ضيع حق الله، ومن ضيع حق الله فقد باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير».

وعن أبى جعفر محمد بن على عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو فى نفر من أصحابه إذ أقبلت امرأة حتى قامت على رأسه ثم قالت: السلام عليك يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، ليست امرأة يبلغها

---

(١) الموضوعات ٢/ ٢٧٠ - ٢٧١.

(٢) سبق تخريجه.

مسيرى إليك إلا أعجبها ذلك يا رسول الله، إن الله تعالى رب الرجال ورب النساء وآدم أبو الرجال وأبو النساء وحواء أم الرجال وأم النساء، فالرجال إذا خرجوا فى سبيل الله فقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون، وإذا خرجوا فلهم من الأجر مثل ما علمت، ونحن نحبس عليهم، ونخدمهم فهل لنا من الأجر شىء؟ قال ﷺ: اقرئى عنى النساء السلام وقولى لهن: إن طاعة الزوج والاعتراف بحقه يعدل ما هناك، وقليل منكن يفعله»[١].

وعن ثابت عن أنس رضى الله عنه، قال: حين بعثتنى النساء إلى رسول الله ﷺ فقلن: «يا رسول الله ذهب الرجال بالفضل وبالجهاد فى سبيل الله، فما لنا من عمل ندرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله؟ قال رسول الله ﷺ مهنة إحداهن فى بيتها تدرك بها عمل المجاهدين فى سبيل الله»[٢].

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه قال: «سئل رسول الله ﷺ هل على النساء جهاد؟ فقال ﷺ: نعم جهادهن الغيرة، يجاهدن أنفسهن، فإن صبرن فهن مجاهدات، فإن رضين فهن مرابطات، ولهن أجران اثنان».

فينبغى للزوجين أن يعتقدا هذا الثواب المذكور فى هذا الحديث وما قبله عند العقد والجماع جميعًا، وأداء الحق الواجب على كل واحد منهما للآخر بقوله عز وجل: ﴿**ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف**﴾ [البقرة: ٢٢٨] ليكونا مطيعين لله تعالى، ممتثلين أمره جل ثناؤه، وتعتقد المرأة أن ذلك خيرًا من العزوبة، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس شىء خيرًا لامرأة من زوجٍ أو قبر»[٣].

وقال ﷺ: «مسكين مسكين مسكين رجل ليس له امرأة، قيل يا رسول الله: وإن كان غنيًا من المال؟ قال: وإن كان غنيًا من المال».

وقال أيضًا: «مسكينة مسكينة امرأة ليس لها زوج، قيل يا رسول الله وإن كانت غنية من المال؟ قال ﷺ: وإن كانت غنية من المال»[٤].

(١) العلل المتناهية ٢/ ١٤١، وجامع المسانيد ٢/ ٤٦٤.

(٢) مجمع الزوائد ٤/ ٣٠٤: باب ثواب المرأة على طاعتها لزوجها، وعزاه إلى «أبى يعلى» و «البزار» من طريق روح بن المسيب، وقال: وثقه ابن معين والبزار، وضعفه ابن حبان وابن عدى.

(٣) بنحوه: الطبرانى فى «الصغير» ٢/ ١١١، والموضوعات ٣/ ٢٣٧، والفوائد المجموعة (٢٦٦)، وتنزيه الشريعة ٢/ ٣٧٢.

(٤) مجمع الزوائد ٤/ ٢٥٢، وعزاه إلى الطبرانى فى «الأوسط» وقال: رجاله ثقات إلاَّ أنَّ أبا نجيح =

ويستحب أن يكون العقد يوم الجمعة أو الخميس والمساء أولى من التبكير، ويُسنّ أن تكون الخطبة قبل التواجب، فإن أخرت جاز، وهو مخير بين أن يعقد بنفسه أو يوكل فيه غيره.

فإذا انعقد العقد يستحب للحاضرين أن يقولوا: بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما فى خير وعافية(١).

ثم إن طلبت المرأة وأهلها الإمهال استحب له إجابتهم إلى ذلك قدر ما يعلم التهيؤ لأمورها فيه وقضاء حوائجها من شراء الجهاز والتزيين لها.

فإذا زفت إليه اتبع ما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وذلك أنه جاء رجل فقال: إنى تزوجت بجارية بكر، وقد خشيت أن تكرهنى أو تفركنى فقال له: إن الألف من الله والفرك من الشيطان، وإذا دخلت إليك فمرها أن تصلى خلفك ركعتين، وقل: اللهم بارك لى فى أهلى، وبارك لأهلى فىّ، اللهم ارزقنى منهم، وارزقهم منى، اللهم اجمع بيننا إذا جمعت فى خير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير. . .»(٢).

فإذا أراد الجماع فليقل: «بسم الله العلى العظيم، اللهم اجعله ذرية طيبة إن قدّرت أن تخرج من صلبى، اللهم جنبنى الشيطان، وجنّب الشيطان ما رزقتنى»(٣).

وإذا قضى حاجته فليقل: بسم الله الحمد لله الذى خلق من الماء بشرًا، فجعله نسبًا وصهرًا، وكان ربك قديرًا، يقول ذلك فى نفسه، ولا يحرك به شفتيه.

والأصل فى ذلك ما روى كريب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال: «بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدّر أن يكون بينهما ولد فى ذلك لم يضره شيطان أبدًا»(٤).

وإذا ظهرت أمارة حبل المرأة فليصف غذاءها من الحرام والشبهة، ليتخلق الولد على أساس لا يكون للشيطان عليه سبيل.

= لا صحبة له.

والدر المنثور ٢/ ٣١١، وكنز العمال (٤٤٤٥٥).

(١) أبو داود (١٣٢٠)، والترمذى (١٠٩١)، وابن ماجه (٧٠٨)، وأحمد ٣/ ٤٥١.

(٢) مجمع الزوائد ٤/ ٢٩٢، وعزاه إلى «الطبرانى» وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) البخارى ١/ ٤٨، ومسلم فى: النكاح: حديث (١٦)، وأحمد ١/ ٢٤٣.

(٤) سبق تخريجه.

والأولى أن يكون من حين الزفاف، ويدوم على ذلك، ليتخلص هو وأهله وولده من الشيطان فى الدنيا ومن النار فى العقبى، قال الله عز وجل: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾ [التحريم:٦] ومع ذلك يخرج الولد صالحًا، بارًا بوالديه، طائعًا لربه عزّ وجلّ، كل ذلك ببركة تصفية الغذاء.

فإذا فرغ من الجماع تنحى عنها، وغسل ما به من الأذى وتوضأ إن أراد العود إليها، وإلا اغتسل.

ولا ينام جنبًا فإنه مكروه، وكذلك روى عن النبى ﷺ، إلا أن يشق ذلك عليه لبرد أو بعد حمام وماء أو خوف ونحو ذلك.

فينام إلى حين زوال ذلك، ولا يستقبل القبلة عند المجامعة، ويغطى رأسه ويستتر عن العيون، وإن كان عن صبى طفل؛ لأنه روى عن النبى ﷺ قال: «إذا أتى أحدكم أهله فليستتر، فإنه إذا لم يستتر استحيت الملائكة وخرجت ويحضره الشيطان، وإذا كان بينهما ولد كان الشيطان فيه شريكًا»(١).

وكذلك يروى عن السلف أنه إذا لم يسم عند الجماع التف الشيطان على إحليله يطأ كما يطأ.

ويستحب له الملاعبة لها قبل الجماع، والانتظار لها بعد قضاء حاجته، حتى تقضى حاجتها، فإن فى ترك ذلك مضرة عليها، ربما أفضى إلى البغضاء والمفارقة.

وإن أراد العزل عنها فلا يفعل إلا بإذنها إن كانت حرة، وبإذن سيدها إن كانت أمة، وإن كانت أمته جاز بغير إذنها، لأن الحق له دونها. وقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن لى جارية هى خادمتنا أطوف عليها، وأنا أكره أن تحمل، قال ﷺ: اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها(٢).

ويجتنب وطأها فى حال الحيض والنفاس، وكذلك بعد انقطاع الدم حتى تغتسل من الحيض قولاً واحدًا، وفى النفاس قبل الأربعين استحبابًا.

فإن لم تجد الماء وجب التيمم.

فإن خالف فوطىء فى الحيض تصدق بدينار أو نصف دينار على إحدى الروايتين،

---

(١) ابن ماجه (١٩٢١)، والبيهقى ٧/ ١٩٣، والخطيب ١٣/ ٢٤٨.

(٢) مسلم فى: النكاح: حديث (١٣٤)، وأبو داود (٢١٧٣)، وأحمد ٣/ ٣١٢.

والأخرى: يستغفر الله تعالى ويتوب إليه ألا يرجع إلى مثله، ولا يكفر.

ويجتنب وطأها فى الموضع المكروه. قال النبى ﷺ: «ملعون من أتى امرأة فى دبرها»[(١)].

فإن لم تتق نفسه إلى الجماع لا يجوز له تركه، لأن لها حقًا فى ذلك، وعليها مضرة فى تركه، لأن شهوتها أعظم من شهوته، وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «فضلت شهوة النساء على الرجال بتسعة وتسعين، إلا أن الله تعالى ألقى عليهن الحياء»[(٢)].

وقيل: الشهوة عشرة أجزاء تسعة منها للنساء وواحدة للرجال.

والقدر الذى لا يجوز أن يؤخر الوطء عنه أربعة أشهر، إلا أن يكون له عذر، فإن جوز أربعة أشهر كان لها فراقه.

وإن سافر عنها مدة أكثر من ستة أشهر فطلبت منه القدوم فأبى أن يقدم مع القدرة كان للحاكم أن يفرق بينهما، إذا طلبت الزوجة ذلك، وهذا هو التوقيت الذى وقته عمر ابن الخطاب رضى الله عنه للناس فى مغازيهم، يسيرون شهرًا، ويقيمون أربعة أشهر، ويسيرون راجعين إلى أهلهم شهرًا.

وإذا رأى امرأة غيره فأعجبته جامع امرأته، ليسكن ما به من التوقان، لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه فليأت أهله، فإن لم يكن له امرأة فإن الشيطان يقبل فى صورة امرأة ويدبر فى صورة امرأة»[(٣)].

فمن لم تكن له امرأة يلتجىء إلى الله عز وجل ويسأله السلامة من معاصيه، ويستعيذ به من الشيطان الرجيم.

ولا يجوز له أن يحدث غيره بما جرى بينه وبين أهله من أمر الجماع، ولا المرأة أن تحدث بذلك النساء، لأن ذلك سخف ودناءة وقبيح فى الشرع والعقل، لما روى أبو هريرة رضى الله عنه فى حديث فيه طول عن النبى ﷺ إلى أن قال: ثم أقبل على الرجال فقال: هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابه وألقى عليه ستره، واستتر

---

(١) أبو داود فى: النكاح: ب (٤٦)، وأحمد ٢/ ٤٤٤، وشرح السنة ٩/ ١٠٦.

(٢) كنز العمال (٤٤٨٤٥)، وتذكرة الموضوعات (١٣٠)، والفوائد المجموعة (١٣٦).

(٣) كنز العمال (١٣٠٥٠).

بستر الله؟ قالوا: نعم، قال: ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا، فعلت كذا، قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء، فقال: هل منكن من تحدث؟ فسكتن، فجثت فتاة على إحدى ركبتيها، وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يا رسول الله، إنهم ليتحدثون وإنهن ليتحدثن، فقال: هل تدرون ما مثل ذلك؟ إنما مثل ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانًا فى السكة، فقضى منها حاجته، والناس ينظرون إليه، ألا وإن طيب الرجال ما ظهر ريحه ولم يظهر لونه، ألا إن طيب النساء ما ظهر لونه ولم يظهر ريحه[(١)].

(فصل) وإذا دعا امرأته للجماع فأبت عليه كانت عاصية لله تعالى، وعليها وزر، قال النبى ﷺ فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه: «أيما امرأة منعت زوجها حاجته كان عليها قيراطان من الأصر، وأيما رجل منع امرأته حاجتها كان عليه من الأصر قيراط»[(٢)]. يعنى الإثم.

وفى بعض الأحاديث قال ﷺ: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور»[(٣)].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[(٤)].

وعن قيس بن سعد رضى الله عنه قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت لرسول الله ﷺ أحق أن يسجد له، قال: فأتيت النبى ﷺ فقلت له: إنى أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك، فقال ﷺ: أرأيت لو مررت بقبرى أكنت تسجد له؟ قال: قلت: لا. قال ﷺ: فلا تفعلوا ذلك، لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله تعالى لهم عليهن من حق[(٥)].

والمرزبان: هو ملك لهم.

(١) أبو داود فى: النكاح: ب (٥٠)، وكنز العمال (٤٤٨٧٩ و ٤٤٩٠٨).
(٢) لم أقف عليه فى المصادر التى بين يدى.
(٣) الترمذى فى: الرضاع: ب (١٠)، وأحمد ٤/ ٢٣.
(٤) مسلم فى: النكاح: حديث (١٢٢)، وأبو داود (٢١٤١)، والبيهقى ٧/ ٢٩٢.
(٥) أبو داود فى: النكاح: ب (٤١)، وأحمد ٤/ ٣٨١.

وعن حكيم بن معاوية القشيرى عن أبيه رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله: ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال ﷺ: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا فى البيت»[١].

فإن أصرت المرأة على النشوز وهو الامتناع عن الإجابة لهذا الشأن، أو تجيبه متكرهة متبرمة، فليبدأ الزوج بوعظها ويخوفها بالله عز وجل، فإن أقامت على ذلك هجرها فى المضجع والكلام فيما دون ثلاثة أيام، فإن ارتدعت وإلا كان له ضربها بما لا يكون مبرحًا كالدرة أو مخراق؛ لأن المقصود ارتداعها وطاعتها له لا إهلاكها.

فإن لم ينصلح الحال بينهما بعث الحاكم حكمين حرين مسلمين عدلين من أهلهما، ويوكلهما الزوجان، فينظران بينهما ما فيه من المصلحة من إصلاح أو فراق بمال وغيره، فما يفعلان يلزمهما حكمه.

(فصل) ويستحب وليمة العرس والسنة ألا ينقص فيها عن شاة، وبأى شىء أولم من الطعام جاز، وتجب إجابته إذا كان مسلمًا فى اليوم الأول، ويستحب فى اليوم الثانى، ويباح فى اليوم الثالث، بل هى دناءة، والأصل فى ذلك ما روى عن النبى ﷺ أنه قال لعبد الرحمن رضى الله عنه: أولم ولو بشاة[٢].

وقال ﷺ: «الوليمة فى أول يوم حق، والثانى معروف، وبعد ذلك دناءة»[٣].

وقال ﷺ: فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما: «إذا دعى أحدكم إلى وليمة عرس فليجب، فإن كان مفطرًا أكل، وإن كان صائمًا ترك وانصرف»[٤].

وهل يكره النثار والتقاطه أم لا؟

على روايتين:

إحداهما: يكره لما فيه من السخف ودناءة النفس والنهبة والشره، فكانت الصيانة عن ذلك أولى، وتركه فى باب الورع أحرى.

وعلى الرواية الثانية: لا يكره، لما روى أن النبى ﷺ نحر بدنة وخلى بينها وبين

---

(١) أبو داود (٢١٤٢)، والبيهقى ٧/ ٣٠٥، وشرح السنة ٩/ ١٦٠.

(٢) البخارى ١/ ١٣، ومسلم فى: النكاح: حديث (٨١:٧٩)، وأحمد ٣/ ١٦٥.

(٣) أبو داود (٣٧٤٥)، وابن ماجه (١٩١٥)، والدارمى ٢/ ١٠٥، وأحمد ٥/ ٢٨.

(٤) ابن ماجه (١٩١٤)، وأحمد ٢/ ٢٢.

المساكين، وقال: من شاء اقتطع[1] ولا فرق بين النثار وبين ذلك. وأولى من ذلك: القسمة بين الحاضرين فإنه أطيب وأحل وأدخل فى باب الورع.

(فصل) فإذا كملت شرائط عقد النكاح وهو: حضور الولى العدل، والشهود العدول، والكفاءة، والخلو من المانع من الردة والعدة وغيرهما، استأذنها العاقد للنكاح إذا لم تكن مجبرة، وهو إذا كانت ثيبًا أو بكرًا لا أب لها، وعرّفها الزوج مقدار الصداق وصفته، ثم يخطب، ويستغفر الله عز وجل، ويأمر بذلك الولى على وجه الاستحباب والأولى، ثم يستنطقه فيقول له: قد زوجتك بنتى أو أختى فلانة فيسميها على ما اتفقا عليه من الصداق، ويقول الزوج: قد قبلت هذا النكاح.

ولا ينعقد النكاح إلا بالعربية لمن يحسنها، فإن لم يحسنها فبلسانه ولغته. وهل يلزمه تعلم العربية إذا لم يحسنها لعقد النكاح أم لا؟ على الوجهين.

ويستحب أن يخطب بخطبة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، لأنه قد روى أن الإمام أحمد بن حنبل كان إذا شهد إملاكًا ولم يسمع خطبة عبد الله بن مسعود ترك الإملاك وانصرف، وهو ما أخبرنا به الإمام هبة الله بن المبارك بن موسى السقطى ببغداد، عن القاضى أبى المظفر هناد بن إبراهيم بن محمد بن نصر النسفى، عن القاضى أبى عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمى البصرى، عن محمد بن إسحاق اللؤلؤى، عن أبى داود، قال: حدثنا محمد بن سليمان الأنبارى المفتى، قال: حدثنا وكيع عن إسرائيل، عن ابن إسحاق عن أبى الأخوص عن أبى عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «علمنا رسول الله ﷺ خطبة النكاح:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[آل عمران: ١٠٢].

---

(١) أحمد ٤/ ٣٥٠، والحاكم ٤/ ٢٢١، والإرواء ٧/ ١٩.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]»[١].

ويستحب أن يضيف إليها قوله عز وجل: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليم﴾** [النور: ٣٢]، **﴿يرزق من يشاء بغير حساب﴾** [النور: ٣٨].

وإن قرأ غير هذه الخطبة جاز، مثل: أن يقول: الحمد لله المتفرد بآلائه، الجواد بإعطائه، الذى تجلى فى سمائه المتوحد بكبريائه، لا يصفه الواصفون حق صفته، ولا ينعته الناعتون حق نعته، لأنه الله الأحد الصمد المعبود، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تبارك الله العزيز الغفار، بعث محمداً ﷺ بالحق نبيًا صفيًا بريًا من العاهات كلها، فبلغ ما أرسل به، سراجًا زاهراً ونوراً ساطعًا وبرهانًا لامعًا ﷺ وعلى آله أجمعين.

ثم أن هذه الأمور كلها بيد الله يصرفها فى طرائقها، ويمضيها فى حقائقها، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، ولا يجتمع اثنان إلا بقضاء وقدر، ولكل قدر أجل، ولكل أجل كتاب **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾** [الرعد: ٣٩].

وكان من قضاء الله وقدره أن فلان ابن فلان يخطب كريمتكم فلانة بنت فلان، وقد أتاكم راغبًا فيكم، خاطبًا كريمتكم، وقد بذل لها من الصداق ما وقع عليه الاتفاق، فزوجوا خاطبكم، وأنكحوا راغبكم، قال الله تعالى:

﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليم﴾ [النور: ٣٢].

فإذا فرغ من الخطبة، عقد النكاح على ما قدمنا ذكره.

* * *

---

(١) أبو داود فى: الجمعة: ب (٢٣)، والنسائى فى: الجمعة: ب (٢٣)، وأحمد ١/ ٣٥٠.

باب
فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وقد ذكر الله عز وجل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومدحهم فى كتابه.

قال الله عـز وجل: ﴿الآمرون بالمعـروف والناهون عن المنكر والحـافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ [التوبة: ١١٢].

وقال الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضـهم أولياء بعض يأمرون بالمعـروف وينهون عن المنكر﴾ [التوبة: ٧١].

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله تعالى شراركم على خياركم، فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»(١).

وروى سالم بن عبد الله بن عمـر عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قـبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم، وقبل أن تسـتغفروا فلا يغفر لكم، إن الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يدفع رزقًا ولا يقرب أجلاً، ألا إن الأحبـار من اليهـود، والرهبان من النصـارى لما تركوا الأمر بالمعـروف، والنهى عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ثم عمُّوا بالبلاء»(٢).

فالأمر بالمعـروف والنهى عن المنكر واجبان على كل مسلم حـر مكلف عالم بذلك، بشرط القدرة على وجه لا يؤدى إلى فساد عظيم وضرر فى نفسه وماله وأهله، ولا فرق بين أن يكون إمامًا أو عالمًا أو قاضيًا أو واحدًا من الرعية.

وإنما شرطنا العلم بالمنكر والقطع به، لما فى ذلـك من خوف الوقوع فى الإثم، لأنه لا يأمن المنكر أن يكون الأمر بخلاف ما ظن، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) أبو داود فى: الملاحم: ب (١٧)، وأحمد ٥/ ٣٩١، والبيهقى ١٠/ ٩٣.
(٢) البيهقى ١٠/ ٩٣، والحلية ٨/ ٢٨٧.

ولا يجب عليه كشف ما ستر عنه لأن الله تعالى نهى عن ذلك فقال: **﴿ولا تجسسوا﴾** [الحجرات:١٢]، إنما الواجب عليه إنكار ما ظهر، وفى بحث ما سُتر كشف الستر، وذلك ممنوع فى الشرع.

(فصل) **وإنما شرطنا القدرة على ذلك** لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ما من قوم يكون فيهم رجل يعمل المعاصى، ويقدرون أن يغيروا عليه فلا يغيروا عليه إلا عمهم الله بعذاب قبل أن يتوبوا»(١).

فقد شرط عليه الصلاة والسلام ذلك وهو إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح وعدل السلطان وأعانه أهل الخير.

وأما إذا كان الإنكار تغريرًا بالنفس مع لحوق ضرر به وبماله فلا يجب عليه ذلك؛ لقوله عز وجل: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** [البقرة:١٩٥]، وقوله تعالى: **﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾** [النساء:٢٩].

وقول النبى ﷺ: «لا ينبغى للمؤمن أن يذل نفسه، قيل يا رسول الله: كيف يذل نفسه؟ قال ﷺ: لا يتعرض لما لا يمكنه»(٢).

وقول النبى ﷺ: «إذا رأيتم أمرًا لا تستطيعون تغييره فاصبروا حتى يكون الله تعالى هو الذى يغيره»(٣).

فإذا ثبت أنه لا يجب عليه الإنكار فهل يجوز إنكاره إذا غلب على ظنه الخوف على نفسه، فعندنا يجوز ذلك وهو الأفضل إذا كان من أهل العزيمة والصبر، فهو كالجهاد فى سبيل الله مع الكفار، وقد قال الله تعالى فى قصة لقمان: **﴿وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك﴾** [لقمان:١٧].

وقال النبى ﷺ لأبى هريرة رضى الله عنه: «يا أبا هريرة مر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك»(٤).

ولا سيما إذا كان ذلك عند سلطان جائر، أو لإظهار كلمة الإيمان عند ظهور كلمة

(١) ابن عدى ٣/ ١٢١٦، وأمالى الشجرى ١/ ٣٥.

(٢) الترمذى (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦)، والطبرانى ١٢/ ٤٠٩.

(٣) الطبرانى ٨/ ١٩٣، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٧٥ وعزاه إليه من طريق عفير بن معدان، وقال: هو ضعيف.

(٤) البيهقى ١٠/ ١٧٣، والخطيب ٨/ ٢٥٨.

الكفـر، لأن الفـقهـاء اتفـقـوا على ذلك، وإنما الخـلاف بيننا وبينهم فى غـيـر هذين الموضوعين.

(فـصل) وإذا غلب على ظنه عـدم زوال المنكر وبقـاؤه على ذلك، فـهل يجب عليـه إنكاره، أم لا؟ على روايتين عن الإمام أحمد رحمه الله:

إحداهما: يجب لجواز أن يرتدع وينزجر، ويرق قلبه، ويلحقه التوفيق والهداية ببركة صدقه، فيرجع عمّا هو عليه، والظن لا يمنع من جواز إنكاره.

والرواية الأخرى: لا يجب عليـه إنكاره حـتى يغلب على ظنه زواله، لأن الـقصـد بالإنكار زوال المنكر، فإذا قوى فى الظن بقاؤه كان تركه أولى.

(فصل) فإذا ثبت وجوب الإنكار، فالمنكرون ثلاثة أقسام:

قسم: يكون إنكارهم باليد، وهم الأئمة والسلاطين.

والقسم الثانى: إنكارهم باللسان دون اليد، وهم العلماء.

والقسم الثالث: إنكارهم بالقلب، وهم العامة.

وقد جاء فى هذا المعنى حديث، وهو مـا روى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «أذا رأى أحد منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[١].

يعنى: أضعف فعل أهل الإيمان.

وقد روى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أنه قال:

«إذا رأى أحد منكم منكرًا لا يستطيع النكيـر عليه فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر فأزله، فإذا قال ذلك كان له ثواب من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر»[٢].

(فصل) ويشترط فى الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر خمس شرائط:

أولها: أن يكون عالمًا بما يأمر وينهى.

والثانى: أن يكون قصده وجه الله، وإعزاز دين الله، وإعلاء كلمته، وإظهار طاعته، دون الرياء والسمـعة والحميـة لنفسه، وإنما ينصر ويوثق ويزول به المنكـر إذا كان صادقًا

(١) مسلم: حديث (٦٩)، والترمذى (٢١٧٣)، والنسائى ٨/ ١١١ و ١١٢، وأحمد ٣/ ٢٠.
(٢) تذكرة الموضوعات (٥٢٩).

مخلصًا، قال الله تعالى: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾ [محمد:٧]، وقال الله تعالى: ﴿**إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾ [النحل:١٢٨].

فإذا اتقى الشرك وترك نظر الخلق فى إنكاره وأحسن العمل بإخلاصه فى ذلك كان الظفر له، وإن كان غير ذلك كان له الخذلان والصغار والذلة والمهانة، وبقاء المنكر على حاله، بل زيادته وتفاقمه وضراوة أهل المعاصى واتفاق شياطين الإنس والجن على مخالفة الله تعالى، وترك طاعته، وارتكاب المحرمات.

والثالث: أن يكون أمره ونهيه باللين والتودد، لا بالفظاظة والغلظة، بل بالرفق والنصح والشفقة على أخيه، كيف وافق عدوه الشيطان اللعين الذى قد استولى على عقله، وزين له معصية ربه ومخالفة أمره، يريد بذلك إهلاكه وإدخاله النار،كما قال الله تعالى: ﴿**إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير**﴾ [فاطر:٦]، وقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون: ﴿**فقولا له قولاً لينًا لعله يتذكر أو يخشى**﴾ [طه:٤٤].

وقال النبى ﷺ فى حديث أسامة: «لا ينبغى لأحد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يكون فيه ثلاث خصال: عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهى، رفيقًا فيما يأمر، رفيقًا فيما ينهى»[(١)].

والرابع: أن يكون صبورًا حليمًا حمولاً متواضعًا زائل الهوى قوى القلب لين الجانب، طبيبًا يداوى مريضًا، حكيمًا يداوى مجنونًا، إمامًا هاديًا، قال الله تعالى: ﴿**وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا**﴾ [السجدة:٢٤] على احتمال الأذى من قومهم على نصرة دين الله وإعزازه والقيام معه، فجعلهم أئمة هداة أطباء الدين، قادة المؤمنين. وقال الله تعالى فى قصة لقمان: ﴿**وأمر بالمعروف وانه عنه المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور**﴾ [لقمان:١٧].

والخامس: أن يكون عاملاً بما يأمر، متنزهًا عمّا ينهى عنه، وغير متلطخ به، لئلا يكون لهم تسلط عليه، فيكون عند الله مذمومًا ملومًا، قال الله تعالى: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**﴾ [البقرة:٤٤].

---

(١) الإتحاف ٧/ ٤٩، والمغنى عن حمل الأسفار ٢/ ٣٢٨.

وقال النبى ﷺ فى حديث أنس بن مالك رضى لله عنه: «رأيت ليلة أسرى بى رجالاً تقرض شفاههم بالمقاريض، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب»(١).

قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتى مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

وقال قتادة رضى الله عنه: ذكر لنا أن فى التوراة مكتوبًا أن ابن آدم يذكرنى وينسانى، ويدعو إلى ويفر منى، باطل ما تذهبون. وأراد بذلك عز وجل: من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويترك نفسه وهو تعالى أعلم بذلك.

(فصل) والأولى له إن استطاع أن يأمره وينهاه سرًا فى خلوة، ليكون ذلك أبلغ وأمكن فى الموعظة والزجر والنصيحة له، وأقرب إلى القبول والإقلاع، وقد قال أبو الدرداء رضى الله عنه: «من وعظ أخاه بالعلانية فقد شانه، ومن وعظه سرًا فقد زانه»، فإن فعل ذلك ولم ينفعه أظهر حينئذ ذلك، واستعان عليه بأهل الخير، وإن لم ينفع فبأصحاب السلطان.

وينبغى ألا يترك إنكار المنكر أبدًا، لأن الله تعالى ذم قومًا تركوا ذلك وتغافلوا عنه، قال عزّ وجل: **﴿كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾** [المائدة:٧٩]، وقال تعالى: **﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون﴾** [المائدة:٦٣]، يعنى: هلا نهاهم علماؤهم وفقهاؤهم وقراؤهم عن القول الفاحش وأكل الحرام وفعل المعاصى.

وقيل: إن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام إنى مهلك من قومك أربعين ألفًا من خيارهم وستين ألفًا من شرارهم، قال: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال تعالى: إنهم لم يغضبوا بغضبى وواكلوهم وشاربوهم.

(فصل) وقد ذكرنا أن الشرط الخامس: أن يكون عالمًا بما يأمر متنزهًا عما ينهى عنه، إلا أن شيوختنا ذكروا: إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب على الفاسق، كوجوبه على العدل، فأشرنا إلى ذلك لما تقدم من عموم الآيات والأخبار من غير فرق.

(٥) أحمد ٣/ ٢٣٩، وابن حبان (٣٥).

وقد حمل بعض السلف قوله تعالى: ﴿**ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله**﴾ [البقرة:٢٠٧] على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع إنسانًا يقرأ هذه الآية، فقال: ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ [البقرة:١٥٦]، قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل.

وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء يوم القيامة حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»(٢).

وقد ذكر الله تعالى الذى ينهى عن المنكر، وتأخذه العزة فلا يمتنع، فقال تعالى: ﴿**وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم**﴾ [البقرة:٢٠٦] الآية.

وقال ابن مسعود رضى الله عنه: إن من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقال للعبد اتق الله، فيقول: عليك بنفسك.

وجميع ذلك عام فى حق الصالح والطالح.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه»(٣).

ولأنه لا يخلو أحد من معصية إما ظاهرًا وإما باطنًا.

فإن قلنا لا ينكر إلا المتنزه عنه، تعذر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فيندرس الدين ويضمحل.

(فصل) والذى يؤمر به وينكر على ضربين:

فكل ما وافق الكتاب والسنة والعقل فهو معروف.

وكل ما خالف ذلك فهو منكر.

ثم ذلك ينقسم قسمين:

(١) أبو داود (٤٣٤٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، والطبرانى ٨/ ٣٣٨.
(٢) أبو داود (١٩٥)، والطبرانى ٣/ ١٦٥، والصحيحة (٣٧٤).
(٣) مجمع الزوائد ٧/ ٢٧٧، وعزاه إلى الطبرانى فى «الصغير» و «الأوسط» من طريق عبد السلام بن عبد القدوس بن حبيب عن أبيه، وقال: هما ضعيفان.

أحدهما: ظاهر يعرفه العوام والخواص، وهو كوجوب الصلوات الخمس، وصوم رمضان والزكاة والحج وغير ذلك، ومن المنكر: كتحريم الزنا وشرب الخمر والسرقة وقطع الطريق والربا والغصب وغير ذلك، فهذا القسم يجب إنكاره على العوام، كما يجب على الخواص من العلماء.

والقسم الثانى: ما لا يعرفه إلا الخواص، مثل: اعتقاد ما يجوز على البارى تعالى وما لا يجوز عليه.

فهذا يختص إنكاره بالعلماء، فإن أخبر أحد من العلماء بذلك واحدًا من العوام جاز له ذلك.

ووجب على العامى الإنكار عند القدرة على ما بينا، ولا يجوز قبل ذلك.

وأما إذا كان الشيء مما اختلف الفقهاء فيه وساغ فيه الاجتهاد، كشرب عامى النبيذ مقلدًا لأبى حنيفة رحمه الله، وتزوج امرأة بلا ولى على ما عرف من مذهبه، لم يكن لأحد ممن هو على مذهب الإمام أحمد والشافعى رحمهما الله الإنكار عليه، لأن الإمام أحمد قال فى رواية المرزوى: لا ينبغى للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ولا يشدد عليهم، وإذا ثبت هذا فالإنكار إنما يتعين فى خرق الإجماع دون المختلف فيه.

وقد نقل عن الإمام أحمد رحمه الله ما يدل على جواز الإنكار فى المختلف فيه وهو ما قال فى رواية الميمونى فى الرجل يمر بالقوم وهو يلعبون بالشطرنج ينهاهم ويعظهم، ومعلوم أن هذا جائز عند أصحاب الشافعى رحمهم الله.

(فصل) وينبغى لكل مؤمن أن يعمل بهذه الآداب فى سائر أحواله، ولا يترك العمل بها.

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: «تأدبوا ثم تعلموا».

وقال أبو عبد الله البلخى رحمه الله: «أدب العلم أكثر من العلم».

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «إذا وصف لى رجل له علم الأولين والآخرين ولا أدب له لا أتأسف على فوت لقائه، وإذا سمعت برجل له أدب النفس أتمنى لقاءه وأتأسف على فواته».

ويقال مثل الإيمان كمثل بلدة لها خمسة من الحصون، الأول من ذهب، والثانى من

فضـة، والثالث من حديد، والرابع من آجـر، والخامس من لبن، فمـا دام أهل الحصن متـعاهدين الذى هو من لبن لا يطـمع العدو فى الثـانى، فإذا أهملوا ذلك طمـعوا فى الحصن الثانى ثم فى الثالث حتى تخرب الحـصون كلها، فكذلك الإيمان فى خمسة من الحصـون، أولها اليـقين، ثم الإخـلاص، ثم أداء الفرائض، ثم إتمام السنن، ثـم حفظ الآداب، فما دام العبد يحفظ الآداب ويتعاهدها فالشيطان لا يطمع فيه.

فإذا ترك الآداب طمع الشيطان فى السنن ثم فى الفرائض، ثم فى الإخلاص، ثم فى اليقين.

فـينبغى للإنسـان أن يحفظ الآداب فـى جمـيع أموره من الوضـوء والصلاة والبـيع والشراء وغير ذلك.

هذا آخر مـا اخترنا وأردنا ولخصنا من آداب الشـريعة، فبامـتثال الأمر فى العـبادات الخمس المقـدم ذكرها يصيـر مسلمًا، وبالتأدب بهـذه الآداب يكون تابعًا للسنة ومقتـفيًا للأثر، ويحصل له بذلك معرفة ما ينبغى.

ويبقى عليـه حقيقة مـعرفة الصانع وهى من أعـمال القلب، فأخرناها ليـسهل عليه الدخول فى ديننا.

فإذا تقمص بنور الإسلام ظاهرًا قلنا له: تقمص بنور الإيمان باطنًا.

* * *

القسم الثانى

فى

العقائد

باب
فى معرفة الصانع عز وجل

نقول: أما معرفة الصانع عز وجل بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهى:

أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد فرد صمد، ﴿**لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد**﴾ [الإخلاص: ٣ ـ ٤]، ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١] لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا ند ولا مشير، ليس بجسم فيمس، ولا بجوهر فيحس، ولا عرض فيقضى، ولا ذى تركيب أو آلة وتأليف، أو ماهية وتحديد.

وهو الله للسماء رافع، وللأرض واضع، لا طبيعة له من الطبائع، ولا طالع له من الطوالع، ولا ظلمة تظهر، ولا نور يزهر، حاضر الأشياء علمًا، شاهد لها من غير مماسة، قاهر حاكم قادر، راحم غافر، ساتر معز ناصر، رؤوف خالق فاطر، أول آخر، ظاهر باطن، فرد معبود، حى لا يموت، أزلى لا يفوت، أبدى الملكوت سرمدى الجبروت، قيوم لا ينام، عزيز لا يضام، منيع لا يرام، له الأسماء العظام والمواهب الجسام، قضى بالفناء على جميع الأنام فقال: ﴿**كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

وهو بجهة العلو مستوٍ على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء، ﴿**إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**﴾ [فاطر: ١٠].

﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾ [السجدة: ٥].

خلق الخلائق وأفعالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، أراد ما العالم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعًا لأطاعوه، يعلم السر وأخفى، عليم بذات الصدور، ﴿**ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير**﴾ [الملك: ١٤].

هو المحرك، هو المسكن، لم تتصوره الأوهام ولا تقدره الأذهان، ولا يقاس بالناس،

جل أن يشبه بما صنعه، أو يضاف إلى ما اخترعه وابتدعه، محصى الأنفاس، القائم على كل نفس بما كسبت ﴿لقد أحصاهم وعدهم عداً * وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ [مريم: ٩٤ ـ ٩٥]، ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ [طه: ١٥]، ﴿ليجزى الذين أساؤوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾ [النجم: ٣١] غنى عن خلقه، رازق لبريته، يطعم ولا يُطعم، يرزق ولا يرزق، يجير ولا يجار عليه، الخليقة مفتقرة إليه، لم يخلقهم لاجتلاب نفع ولا دفع ضرر، ولا لداع دعاه إليه، ولا لخاطر خطر له، وفكر حدث له، بل إرادة مجردة كما قال وهو أصدق القائلين: ﴿ذو العرش المجيد * فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٥ ـ ١٦].

متفرد بالقدرة على اختراع الأعيان، وكشف الضر والبلوى وتقليب الأعيان وتغيير الأحوال، ﴿كل يومٍ هو فى شأن﴾ [الرحمن: ٢٩].

يسوق ما قدر إلى ما وقت.

وأنه تعالى حى بحياة، وعالم بعلمٍ، وقادر بقدرة، ومريد بإرادة، وسميع بسمعٍ، وبصير ببصر، ومدرك بإدراك، ومتكلم بكلام، وآمر بأمر، وناهٍ بنهى، ومخبر بخبر.

وأنه تعالى عادل فى حكمه وقضائه، ومحسن متفضل فى عطائه وإنعامه، مبدىء ومعيد، محيى ومميت، محدث وموجد، مثيب ومعاقب، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يقبض ويبسط، يضحك ويفرح، يحب ويكره، ويبغض ويرضى، ويغضب ويسخط، يرحم ويغفر، ويعطى ويمنع، له يدان وكلتا يديه يمين، قال جلّ وعلا: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧]، روى عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: «قرأ رسول الله ﷺ على المنبر ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وقال: تكون فى يمينه يرمى بها كما يرمى الغلام بالكرة، ثم يقول: أنا العزيز، قال: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يتحرك على المنبر حتى كاد يسقط»[1].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: يقبض الأرضين والسموات جميعًا، فلا يرى طرفهما من قبضته.

وعن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من

(١) الأسماء والصفات (٣٤).

نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين»[1].

وخلق آدم عليه السلام بيده على صورته، وغرس جنة عدن بيده، وغرس شجرة طوبى بيده، وكتب التوراة بيده، وناولها موسى من يده إلى يده، وكلمه تكليمًا من غير واسطة ولا ترجمان، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد، والسموات والأرض يوم القيامة فى كفه كما جاء فى الحديث.

ويضع قدمه فى جهنم، فينزوى بعضها إلى بعض، وتقول: قطِ قطِ، ويخرج قومًا من النار بيده.

وينظر أهل الجنة إلى وجهه، ويرونه لا يضامون فى رؤيته، ولا يضارون، كما جاء فى الحديث[2]: «يتجلى لهم ويعطيهم ما يتمنون»، وقال عز من قائل: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ [يونس:٢٦] قيل: الحسنى هى الجنة، والزيادة: النظر إلى وجهه الكريم، وقال تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة:٢٢ ـ ٢٣].

ويعرض عليه العباد يوم الفصل والدين، يتولى حسابهم بنفسه، ولا يتولى ذلك غيره.

وأن الله تعالى خلق سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، ومن الأرض العليا إلى السماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تعالى على العرش، ودونه حجب من نار ونور وظلمة، وما هو أعلم به، وللعرش حملة يحملونه، قال الله عز وجل: ﴿**الذين يحملون العرش ومن حوله**﴾ [غافر:٧] الآية.

وللعرش حدٌّ يعمله الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿**وترى الملائكة حافين من حول العرش**﴾ [الزمر:٧٥] وهو من ياقوتة حمراء، وسعته كسعة السموات والأرضين.

والكرسى عند العرش كحلقة ملقاة فى أرض فلاة.

وهو جل وعلا يعلم ما فى السموات السبع وما بينهن وما تحتهن، وما فى الأرضين السبع وما تحتهن وما بينهن وما تحت الثرى، وما فى قعر البحار ومنبت كل شعرة وكل

(١) البيهقى ١٠/٨٧ ـ ٨٨، وأحمد ٢/٢٠٣، وشرح السنة ١٠/٦٣.

(٢) البخارى ١/١٤٥، ومسلم فى: المساجد: حديث (٢١١)، وأحمد ٤/ ٣٦٠.

شجرة وكل زرع ينبت، ومسقط كل ورقة، وعدد ذلك كله، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وأعمال العباد وآثارهم، وأنفاسهم وكلامهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وهو باين من خلقه، ولا يخلو من علمه مكان، ولا يجوز وصفه بأنه فى كل مكان، بل يقال: إنه فى السماء على العرش، كما قال جل ثناؤه: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** [طه:٥]، وقوله: **﴿ثم استوى على العرش الرحمن﴾** [الفرقان:٥٩]، وقال تعالى: **﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾** [فاطر:١٠].

والنبى ﷺ حكم بإسلام الأمَة لما قال لها: أين الله؟ فأشارت إلى السماء[١].

وقال النبى ﷺ فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه: لما خلق الله الخلق كتب كتابًا على نفسه، وهو عنده، فوق العرش: أن رحمتى تغلب غضبى.

وفى لفظ آخر: لما قضى الله سبحانه الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتى سبقت غضبى[٢].

وينبغى إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل، وأنه استواء الذات على العرش لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية، ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية، ولا على معنى الاستيلاء والغلبة كما قالت المعتزلة، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا نقل عن أحد من الصحابة والتابعين من السلف الصالح من أصحاب الحديث، بل المنقول عنهم حمله على الإطلاق.

وقد روى عن أم سلمة زوج النبى ﷺ فى قوله عز وجل: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** [طه:٥] قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به واجب، والجحود به كفر.

وقد أسنده مسلم بن الحجاج عنها عن النبى ﷺ فى صحيحه، وكذلك فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله قبل موته بقريب: أخبار الصفات تمر، كما جاءت، بلا تشبيه ولا تعطيل.

---

(١) مسلم فى: المساجد: حديث (٣٣)، وأحمد ٤/ ٢٢٢.

(٢) البخارى ٩/ ١٤٧، ومسلم فى: التوبة: حديث (١٤)، وأحمد ٢/ ٤٣٣.

وقال أيضًا فى رواية بعضهم: لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام فى شىء من هذا، إلا ما كان فى كتاب الله عز وجل، أو حديث عن النبى ﷺ أو عن أصحابه رضى الله عنهم، أو عن التابعين، فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود، فلا يقال فى صفات الرب عز وجل: كيف، ولم، ولا يقول ذلك إلا شاك.

وقال أحمد رحمه الله، فى رواية عنه فى موضع آخر: نحن نؤمن بأن الله عز وجل على العرش، كيف شاء، وكما شاء، بلا حد ولا صفة، يبلغها واصف، أو يحده حاد، لما روى عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار قال الله تعالى فى التوراة: أنا الله فوق عبادى، وعرشى فوق جميع خلقى، وأنا على عرشى، عليه أدبر عبادى، ولا يخفى على شىء من عبادى.

وكونه عز وجل على العرش مذكورًا فى كل كتاب أنزل على كل نبى أرسل بلا كيف، ولأن الله تعالى فيما لم يزل موصوف بالعلو والقدرة والاستيلاء والغلبة على جميع خلقه من العرش وغيره، فلا يحمل الاستواء على ذلك.

فالاستواء من صفات الذات بعدما أخبرنا به، ونص عليه، وأكده فى سبع آيات من كتابه، والسنة المأثورة به، وهو صفة لازمة له، ولائقة به كاليد والوجه والعين والسمع والبصر والحياة والقدرة، وكونه خالقًا ورازقًا ومحييًا ومميتًا، موصوف بها، ولا نخرج من الكتاب والسنة، نقرأ الآية والخبر، ونؤمن بما فيهما، ونكل الكيفية فى الصفات إلى علم الله عز وجل، كما قال سفيان بن عيينة رحمه الله: كما وصف الله تعالى نفسه فى كتابه.

فتفسيره قراءته، لا تفسير له غيرها، ولا نتكلف غير ذلك، فإنه غيب، لا مجال للعقل فى إدراكه، ونسأل الله تعالى العفو والعافية، ونعوذ به من أن نقول فيه وفى صفاته ما لم يخبرنا به هو أو رسوله عليه الصلاة والسلام.

وأنه تعالى ينزل فى كل ليلة إلى سماء الدنيا، كيف شاء وكما شاء، فيغفر لمن أذنب وأخطأ وأجرم وعصى لمن يختار من عباده ويشاء، تبارك وتعالى العلى الأعلى، لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى، لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادعته المعتزلة والأشعرية، لما روى عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: هل من

سائلٍ فيعطى سؤله؟ هل من مستغفر فيغفر له؟ هل من عانٍ فيفك عانيه؟ حتى يصبح الصبح، ثم يعلو ربنا تبارك وتعالى على كرسيه»(١).

وفى لفظ آخر عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: ألا عبد من عبادى يدعونى فأستجيب له؟ ألا ظالم لنفسه يدعونى فأغفر له؟ ألا مقتر عليه رزقه يدعونى فأرزقه؟ ألا مظلوم يذكرنى فأنصره؟ ألا عانٍ يدعونى فأفكه؟ قال: فيكون كذلك إلى أن يطلع الصبح، ويعلو على كرسيه»(٢).

وقد روى هذا الحديث بألفاظ مختلفة عن أبى هريرة وجابر بن عبد الله وعلى رضى الله عنهم، وعن عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وابن عباس وعائشة رضوان الله عليهم، كلهم عن رسول الله ﷺ.

ولهذا كانوا يفضلون صلاة آخر الليل على أوله.

وروى أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ينزل الله عزّ وجلّ ليلة النصف من شعبان إلى سماء الدنيا، فيغفر لكل نفس إلا لإنسان فى قلبه شحناء، أو شرك بالله عز وجل»(٣).

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل إذا ذهب شطر الليل الأول ينزل إلى سماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه؟ حتى ينشق الفجر»(٤).

وقيل لإسحاق(٥) بن راهويه: ما هذه الأحاديث التى تحدث بها أن الله تعالى ينزل

---

(١) البخارى ٢/ ٦٦، ومسلم فى: صلاة المسافرين: حديث (١٦٨)، وأحمد ٢/ ٤٨٧.

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٤، وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» و «الأوسط» من طريق يحيى بن إسحاق وقال: لم يسمع من عبادة، ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح.

(٣) الميزان (٥٢٢٨)، ولسان الميزان ٤/ ١٩٧.

(٤) سبق بنحوه.

(٥) إسحاق بن راهويه هو: إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد الإمام الحافظ الكبير المجتهد أبو يعقوب الحنظلى المروزى. قال أحمد: لا أعلم له بالعراق نظيرًا. قال البخارى: مات سنة (٢٣٨). له ترجمة فى: شذرات الذهب ٢/ ٨٩، والعبر ١/ ٤٢٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٩٣.

إلى السماء الدنيا، والله يصعد ويتحرك، قال للسائل: تقول إن الله تعالى يقدر على أن ينزل ويصعد، ولا يتحرك؟ قال: نعم، قال: فلم تنكره؟.

وقال يحيى بن معين: إذا قال لك الجهميّ: كيف ينزل؟ فقل له: كيف صعد؟.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: إذا قال لك الجهميّ: أنا كافر بربٍّ ينزل، فقل له: وأنا مؤمن بربٍّ يفعل ما يشاء.

وعن شريك بن عبد الله رحمه الله ـ لما قيل له عندنا قوم ينكرون هذه الأحاديث ـ: من جاءنا بأسماء ليست عن رسول الله ﷺ الصلاة والصيام والزكاة والحج، وإنما عرفنا الله عزّ وجلّ بهذه الأحاديث.

(فصل) ونعتقد أن القرآن كلام الله وكتابه وخطابه ووحيه الذى نزل به جبريل على رسول الله ﷺ.

كما قال عزّ وجل: **﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين﴾** [الشعراء:١٩٣ ـ ١٩٥].

هو الذى بلغه رسول الله ﷺ أمته امتثالاً لأمر رب العالمين بقوله تعالى: **﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾** [المائدة:٦٧].

وروى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: «كان النبى ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: هل من رجلٍ يحملنى إلى قومه فإن قريشًا قد منعونى أن أبلغ كلام ربى»(١).

وقال عز وجل: **﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾** [التوبة:٦] وكلام الله تعالى هو القرآن غير مخلوق كيفما قرىء وتلى وكتب، وكيفما تصرفت به قراءة قارئ، ولفظ لافظ، وحفظ حافظ، هو كلام الله وصفة من صفات ذاته، غير محدث ولا مبدل ولا مغير ولا مؤلف ولا منقوص ولا مصنوع ولا مزاد فيه، منه بدأ تنزيله، وإليه يعود حكمه، كما قال النبى ﷺ، فى حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه: «إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه»(٢).

وذلك أن القرآن منه تبارك وتعالى خرج وإليه يعود فمعناه: أن تنزيله وبدايته وظهوره

---

(١) أحمد ٣/ ٣٩٠، والحاكم ٢/ ٦١٣.

(٢) الكنز (٢٣٠١)، وابن عدى ٥/ ١٧٠٥، والأسماء والصفات (٢٣٧:٢٣٩).

منه عز وجل، وإليه يعود حكمه الذى هو العبادات من أداء الأوامر وانتهاء النواهى، لأجله تفعل وتترك، فالأحكام عائدة إليه عز وجل.

وقيل: منه بدء حكمًا، وإليه يعود علمًا، وهو كلام الله فى صدور الحافظين وألسن الناطقين وفى أكف الكاتبين وملاحظة الناظرين ومصاحف أهل الإسلام وألواح الصبيان حيثما رؤى ووجد.

فمن زعم أنه مخلوق أو عبارته أو التلاوة غير المتلو، أو قال: لفظى بالقرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم، ولا يخالط ولا يؤاكل ولا يناكح ولا يجاور، بل يهجر ويهان، ولا يصلى خلفه، ولا تقبل شهادته، ولا تصح ولايته فى نكاح وليه، ولا يصلى عليه إذا مات، فإن ظفر به استتيب ثلاثًا كالمرتد، فإن تاب وإلا قتل.

سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عمن قال: لفظى بالقرآن مخلوق فقال: كفر.

وقال رحمه الله فيمن قال: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، والتلاوة مخلوقه، أو ألفاظنا بالقرآن مخلوقة: هو كافر.

وروى عن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه سأل النبى ﷺ عن القرآن فقال: «كلام الله غير مخلوق»[1].

ورَوَى عن عبد الله بن عبد الغفار وكان مولى لرسول الله ﷺ، عتاقة عن النبى ﷺ قال: «إذا ذكر القرآن فقولوا: كلام الله غير مخلوق، فمن قال مخلوق فهو كافر».

وقال الله عز وجل: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ [الأعراف:٥٤]، ففصل بين الخلق والأمر، فلو كان أمره الذى هو كن، الذى به يخلق الخلق مخلوقًا لكان ذلك تكرارًا وعبيًا لا فائدة فيه. كأنه قال: ألا له الخلق والخلق، والله عز وجل يتعالى عن ذلك.

وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم أنهما فسرا قوله عز وجل: ﴿**قرآنًا عربيًا غير ذى عوج**﴾ [الزمر:٢٨] أنه غير مخلوق.

وقد هدد الله تعالى الوليد بن المغيرة المخزومى حين سمى القرآن قول البشر - بسقر فقال: ﴿**إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر**﴾ [المدثر: ٢٤ - ٢٦].

(١) كنز العمال (٢٤٧٠)، والخطيب ٢/ ٣٨٩، وتنزيه الشريعة ١/ ١٣٤، وتذكرة الموضوعات (٧٧).

فكل من قال: القرآن عبارة أو مخلوق، أو لفظى بالقرآن مخلوق، فله سقر، كما هو للوليد، إلاّ أن يتوب.

وقال تعالى: ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمعَ كلام الله﴾ [التوبة: ٦]، ولم يقل: حتى يسمع كلامك يا محمد.

وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه فى ليلة القدر﴾ [القدر: ١]، يعنى القرآن الذى هو فى الصدور والمصاحف.

وقال عز وجل: ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وقال تعالى: ﴿وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ [الإسراء: ١٠٦] والناس إنما سمعوا قراءة النبى ﷺ ولفظه، فلفظه بالقرآن هو القرآن، ومدح الله سبحانه وتعالى الجن الذين سمعوا قراءة النبى ﷺ: ﴿فقالوا إنّا سمعنا قرآنًا عجبًا * يهدى إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢].

وقال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وسمى الله قراءة جبريل عليه السلام للقرآن قرآنًا، فقال جل وعلا: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ [المزمل: ٢٠].

وأجمع المسلمون على أن من قرأ فاتحة الكتاب فى صلاة إنه قارئ كتاب الله، وأن من حلف أنه لا يتكلم فقرأ القرآن لم يحنث، فدلّ على أنه ليس بعبارة.

وقال النبى ﷺ فى حديث معاوية بن الحكم رضى الله عنه: «إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شىء من كلام الآدميين، إنما هى القراءة، والتسبيح، والتهليل، وتلاوة القرآن»[1].

فأخبر أن تلاوة القرآن هى القرآن، فعلم بذلك أن التلاوة هى المتلو، والله تعالى، ورسوله ﷺ أمرا المؤمنين بالقراءة فى الصلاة، ونهيا عن الكلام، فلو كانت قراءتنا كلامنا لا كلام الله لكنا مرتكبين للنهى فى الصلاة.

(١) النسائى ٣/ ١٧، والبيهقى ٢/ ٢٤٩، والطبرانى ١٩/ ٤٠١، والإرواء ٢/ ١١١.

(فصل) ونعتقد أن القرآن حروف مفهومة وأصوات مسموعة.

لأن بها يصير الأخرس والساكت متكلمًا وناطقًا، وكلام الله عز وجل لا ينفك عن ذلك، فمن جحد ذلك الكتاب فقد كابر حسَّه، وعميت بصيرته، قال الله عز وجل: **﴿ألم * ذلك الكتاب﴾** [البقرة: ١ ـ ٢]، **﴿حم﴾**، **﴿طسم * تلك آيات الكتاب﴾** [القصص: ١ ـ ٢]، فقد ذكر حروفًا وكنى عنها بالكتاب، وقال تعالى: **﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾** [لقمان: ٢٧].

فأثبت لنفسه كلمات متعددة غير متناهية الأعداد، وكذلك قوله: **﴿قل لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددًا﴾** [الكهف: ١٠٩].

وقال النبي ﷺ: «إقرؤوا القرآن فإنكم تؤجرون عليه بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: **﴿الم﴾** حرف، ولكن الألف عشر، واللام عشر، والميم عشر، فذلك ثلاثون»(١).

وقال النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف»(٢).

وقال تعالى في حق موسى عليه السلام: **﴿وإذْ نادى ربُّك موسى﴾** [الشعراء: ١٠]، **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا﴾** [مريم: ٥٢].

وقال تعالى لموسى عليه السلام: **﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾** [طه: ١٤].

كلٌّ هذا لا يكون إلا صوتًا، ولا يجوز أن يكون هذا النداء وهذا الاسم والصفة إلا لله عز وجل، دون غيره من الملائكة وسائر المخلوقات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، يأتي الله عز وجل في ظلل من الغمام، فيتكلم بكلام طَلْقٍ ذَلْقٍ، فيقول ـ وهو أصدق القائلين ـ: انصتوا فطالما أنصت لكم، منذ خلقتكم، أرى أعمالكم، وأسمع أقوالكم، فإنما هي صحائفكم، تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد الله سبحانه وتعالى، ومن وجد غير

---

(١) الخطيب ١/ ٢٨٥، والصحيحة (٦٤٠).

(٢) النسائي في: الافتتاح: ب (٢٦)، وأحمد ٢/ ٢٣٢، والطبراني ٣/ ١٨٥.

ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»[١].

وروى البخارى فى صحيحه[٢] بإسناده عن عبد الله بن أنيس رضى الله عنه أنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يحشر الله سبحانه العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد، كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان».

وروى عبد الرحمن بن محمد المحاربى، عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله رضى الله عنه قال: «إذا تكلم الله بالوحى سمع صوته أهل السماء فيخرون سجدًا حتى إذا فزع عن قلوبهم، قال: سكن عن قلوبهم، نادى أهل السماء: أهل السماء ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق، قال: كذا وكذا، يعنى ذكر الوحى»[٣].

وعن عبد الله بن الحرث، عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا تكلم بالوحى سمع أهل السموات صوتًا كصوت الحديد إذا وقع على الصفا فيخرون له سجدًا فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق وهو العلى الكبير»[٤].

قال محمد بن كعب: قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: بم شبهت صوت ربك حين كلمك فى هذا الخلق، قال: شبهت صوت ربى بصوت الرعد حين لا يرتجع.

وهذه الآيات والأخبار تدل على أن كلام الله صوت لا كصوت الآدميين، كما أن علمه وقدرته وبقية صفاته لا تشبه صفات الآدميين، كذلك صوته.

وقد نص الإمام أحمد رحمه الله على إثبات الصوت فى رواية جماعة من الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين.

خلاف ما قالت الأشعرية من أن كلام الله معنى قائم بنفسه، والله حسيب كل مبتدع ضال مضلّ، فالله سبحانه لم يزل متكلمًا وقد أحاط كلامه بجميع معانى الأمر والنهى والاستخبار.

وقال ابن خزيمة رحمه الله: كلام الله تعالى متواصل لا سكوت فيه ولا صوت.

---

(١) المغنى عن حمل الأسفار ٤/ ١٥٨، وضعفه.

(٢) فى التوحيد: ب (٣٢)، وأحمد ٣/ ٤٩٥.

(٣) أبو داود (٤٧٣٨)، والكنز (٣٢١٥٢).

(٤) الخطيب ١١/ ٣٩٢، والأسماء والصفات (٢٠١).

وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله: هل يجوز أن تقول إن الله تعالى متكلم، ويجوز عليه السكوت؟ فقال رحمه الله: نقول فى الجملة إن الله تعالى لم يزل متكلمًا، ولو ورد الخبر بأنه سكت لقلنا به ولكنا نقول إنه متكلم كيف شاء بلا كيف ولا تشبيه.

(فصل) وكذلك حروف المعجم غير مخلوقة وسواء كان ذلك فى كلام الله تعالى أو فى كلام الآدميين.

وقد ادعى قوم من أهل السنة أنها قديمة فى القرآن الشريف محدثة فى غيره، وهذا خطأ منهم، بل القول السديد هو الأول من مذهب أهل السنة بلا فرق، لقوله تعالى: ﴿**إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون**﴾ [يس: ٨٢].

وهى حرفان فلو كانت «كن» مخلوقة لاحتاجت إلى «كن» تخلق بها إلى ما لا نهاية له، وقد تقدمت أدلة كثيرة من الآيات فلا نعيدها.

وأما من السنة فما روى عن النبى ﷺ أنه قال لعثمان بن عفان لما سئل عن أ، ب، ت، ث، إلى آخر الحروف.

فقال: الألف من اسم الله الذى هو الله، والباء من اسم الله الذى هو البارئ، والتاء من اسم الله الذى هو المتكبر، والثاء من اسم الله الذى هو الباعث والوارث، حتى أتى إلى آخرها، فذكر أنها كلها من أسماء الله وصفاته.

وأسماؤه عزّ وجلّ غير مخلوقة. وقال النبى ﷺ فى حديث على كرّم الله وجهه لما سأله عن معنى أبجد هوز حطى... إلى آخرها: يا على ألا تعرف تفسير أبى جاد؟ الألف من اسم الله عز وجل الذى هو الله، والباء من اسم الله الذى هو البارئ، والجيم من اسم الله الذى هو الجليل... إلى آخرها. فذكر النبى ﷺ أنها من أسماء الله وهى فى كلام الآدميين[1].

وقد نص أحمد بن حنبل رحمه الله على قدم حروف الهجاء، فقال فى رسالته إلى أهل نيسابور وجرجان: ومن قال إن حروف التهجى محدثة فهو كافر بالله، ومتى حكم أن ذلك مخلوق فقد جعل القرآن مخلوقًا.

ولما قيل له رحمه الله إن فلانًا يقول: إن الله تعالى لما خلق الحروف انضجعت اللام، وانتصبت الألف، فقالت لا أسجد حتى أومر. فقال أحمد هذا كفر من قائله.

---
(١) تنزيه الشريعة ١/٢٢٦.

وقال الشافعى رحمه الله: لا تقولوا بحدث الحروف فإن اليهود أول ما هلكت بهذا، ومن قال بحدث حرف من الحروف فقد قال بحدث القرآن.

ولأنه لا يخلو إما أن يقال هى قديمة فى القرآن أو محدثة فيه فإن قيل هى قديمة فى القرآن فوجب أن تكون قديمة فى غيره، لأنه لا يجوز أن يكون الشىء الواحد قديمًا وهو بعينه محدث.

فإن قالوا هى محدثة فى القرآن فقد تقدمت الأدلة على قدمها فى القرآن، فإذا ثبت ذلك فى القرآن فكذلك فى غيره.

فإن قالوا فهذا يفضى إلى أن جميع الكلام يكون قديمًا، قيل يلزم القرآن لما لم يقل ذلك فى حروف الهجاء.

(فصل) ونعتقد أن الله عز وجل له تسعة وتسعون اسمًا، مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة.

وذلك مروى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعون اسمًا مئة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»[1].

وجميعها فى القرآن فى سور متفرقة: منها خمسة أسماء فى الفاتحة، وهى: يا الله، يا رب، يا رحمن، يا رحيم، يا مالك.

وفى سورة البقرة ستة وعشرون اسمًا: يا محيط، يا قدير، يا عليم، يا حليم، يا تواب، يا بصير، يا واسع، يا بديع، يا سميع، يا كافى، يا رؤوف، يا شاكر، يا واحد، يا غفور، يا حكيم، يا قابض، يا باسط، يا لا إله إلا هو، يا حى، يا قيوم، يا على، يا عظيم، يا ولى، يا غنى، يا حميد.

وفى آل عمران أربعة أسماء: يا قائم، يا واهب، يا سريع، يا خبير.

وفى سورة النساء ستة أسماء: يا رقيب، يا حسيب، يا شهيد، يا غفور، يا مقيت، يا وكيل.

وفى الأنعام خمسة أسماء: يا فاطر، يا قاهر، يا قادر، يا لطيف، يا خبير.

وفى الأعراف اسمان: يا محيى، يا مميت.

(١) البخارى ٣/ ٢٥٩، ومسلم فى: الذكر والدعاء: حديث (٦)، وأحمد ٢/ ٢٥٨.

وفى الأنفال اسمان: يا نعم المولى، ويا نعم النصير.

وفى هود سبعة أسماء: يا حفيظ، يا رقيب، يا مجيد، يا قوى، يا مجيب، يا ودود، يا فعال لما يريد.

وفى الرعد اسمان: يا كبير، يا متعال.

وفى إبراهيم اسم واحد: وهو يا منان.

وفى الحجر اسم واحد: وهو يا خلاق.

وفى النحل اسم : يا باعث.

وفى مريم اسمان، يا صادق، يا وارث.

وفى المؤمنين اسم: يا كريم.

وفى النور ثلاثة أسماء: يا حق، يا مبين، يا نور.

وفى الفرقان: يا هادى.

وفى سبأ: يا فتاح.

وفى المؤمن أربعة أسماء: يا غافر، يا قابل، يا شديد، يا ذا الطول.

وفى الذاريات ثلاثة أسماء: يا رزاق، يا ذا القوة، يا متين.

وفى الطور: يا منان.

وفى اقتربت الساعة: يا مقتدر.

وفى الرحمن : يا باقى، يا ذا الجلال، يا ذا الإكرام.

وفى الحديد أربعة: يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن.

وفى الحشر عشرة أسماء: يا قدوس، يا سلام، يا مؤمن، يا مهيمن، يا عزيز، يا جبار، يا متكبر، يا خالق، يا بارئ، يا مصور.

وفى البروج: يا مبدىء، يا معيد.

وفى قل هو الله أحد: يا أحد، يا صمد.

هكذا ذكرها سفيان بن عيينة رحمه الله.

وذكر عبد الله بن أحمد أسماء زوائد على هذه: وهى: يا قاهر، يا فاصل، يا فالق، يا رقيب، يا ماجد، يا جواد، يا أحكم الحاكمين.

وذكر أبو بكر النقاش في كتاب تفسير الأسماء والصفات، عن جعفر بن محمد ـ يعنى الصادق رحمه الله ـ أنه قال: إن لله ثلاثمائة وستين اسمًا.

وروى أيضًا عن غيره: مئة وأربعة عشرة اسمًا.

وكل ذلك محمول على أنهم وجدوا في القرآن أسماء مكررة فعدوها أسماء، والصحيح ما ذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(فصل) ونعتقد أن الإيمان قول باللسان، ومعرفة بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل، وبالتوفيق يقع.

كما قال الله عز وجل: ﴿**فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهو يستبشرون**﴾ [التوبة: ١٢٤].

وما جاز عليه الزيادة جاز عليه النقصان. وقال تعالى: ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون**﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله عزّ وجل: ﴿**ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانًا**﴾ [المدثر: ٣١].

وما روى عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهم، أنهم قالوا: الإيمان يزيد وينقص. وغير ذلك مما يطول شرحه.

وقد أنكرت الأشعرية زيادة الإيمان ونقصانه. وهو في اللغة تصديق القلب المتضمن للعلم بالمصدق به، وهو في الشريعة: التصديق؛ وهو العلم بالله وصفاته مع جميع الطاعات الواجبات منها والنوافل واجتناب الزلات والمعاصي.

ويجوز أن يقال الإيمان: هو الدين والشريعة والملة؛ لأن الدين هو ما يدان به من الطاعات مع اجتناب المحظورات والمحرمات، وذلك هو صفة الإيمان.

وأما الإسلام: فهو من جملة الإيمان وكل إيمان إسلام، وليس كل إسلام إيمانًا.

لأن الإسلام هو بمعنى الاستسلام والانقياد وكل مؤمن مستسلم منقاد لله تعالى. وليس كل مسلم مؤمنًا بالله، لأنه قد يسلم مخافة السيف.

فالإيمان اسم يتناول مسميات كثيرة، أفعالاً وأقوالاً، فيعم جميع الطاعات.

والإسلام عبارة عن الشهادتين مع طمأنينة القلب والعبادات الخمس.

وقد أطلق الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن الإيمان غير الإسلام، فذهب إلى

الحديث المروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: حدثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه، أنه قال: «بينما أنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثوب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال ﷺ: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه، ثم قال: أخبرنى عن الإيمان: قال ﷺ: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان: قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرنى عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرنى عن أماراتها، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان.

قال عمر رضى الله عنه: فلبثت هنيهة. ثم قال لى رسول الله ﷺ: هل تدرى من السائل؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: فإنه جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»(١).

وفى لفظ آخر قال: «ذلك جبريل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم، وما أتانى قط فى صورة إلا عرفته إلا فى صورته هذه».

فقد فرق جبريل عليه السلام بين الإسلام والإيمان بسؤالين: فأجاب النبى ﷺ عنهما بجوابين مختلفين فذهب الإمام أحمد رضى الله عنه إلى حديث الأعرابى حيث قال: «يا رسول الله أعطيت فلانًا ومنعتنى فقال له النبى ﷺ ذلك مؤمن: فقال الأعرابى: وأنا مؤمن. فقال له النبى ﷺ أو مسلم أنت؟»(٢).

وذهب أيضًا إلى قول الله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**﴾ [الحجرات: ١٤].

واعلم أن زيادة الإيمان: إنما تكون على التحقيق بعد أداء الأوامر وانتهاء النواهى

---

(١) البخارى ١/ ٢٠، ومسلم فى: الإيمان (٥)، وأحمد ١/ ٥١ و ٥٣.

(٢) المغنى عن حمل الأسفار ١/ ١٢٢.

بالتسليم فى القدر، وترك الاعتراض على الله عز وجل فى فعله فى خلقه، وترك الشك فى وعده فى الأقسام والرزق وفى الثقة به، والتوكل عليه، والخروج من الحول والقوة والصبر على البلاء والشكر على النعماء، والتنزيه للحق، وترك التهمة له عز وجل فى سائر الأحوال، وأما بمجرد الصلاة والصوم فلا.

وسئل الإمام أحمد رحمه الله عن الإيمان أمخلوق هو أم غير مخلوق؟ فقال: من قال إن الإيمان مخلوق فقد كفر؛ لأن فى ذلك إيهامًا وتعريضًا بالقرآن، ومن قال إنه غير مخلوق فقد ابتدع؛ لأن فى ذلك إيهام أن إماطة الأذى عن الطريق وأفعال الأركان غير مخلوقة فقد أنكر على الطائفتين.

وذكر فى الحديث أن النبى ﷺ قال: «الإيمان بضع وسبعون خصلة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[١].

وإنما كفر القائل بخلق القرآن، وبدع الآخر لأن مذهبه رحمه الله مبنى على أن القرآن إذا لم ينطق بشيء ولم يرو فى السنة عن رسول الله ﷺ شيء فانقرض عصر الصحابة ولم ينقل أحد منهم قولاً، فالكلام فيه بدعة وحدث.

ولا يجوز للمؤمن أن يقول: أنا مؤمن حقًا، بل يجب أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، خلاف ما قالت المعتزلة إنه يجب أن يقول: أنا مؤمن حقًا.

وإنما قلنا ذلك لما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال: من زعم أنه مؤمن فهو كافر.

وعن الحسن رضى الله عنه: أن رجلاً قال عند عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: إنى مؤمن.

فقيل لابن مسعود إن هذا يزعم أنه مؤمن قال: فاسألوه أفى الجنة هو أم هو فى النار؟ فسألوه فقال: الله أعلم. فقال عبد الله: فهلا وكلت الأخرى كما وكلت الأولى.

ولأن المؤمن حقًا من هو عند الله تعالى مؤمن، وهو الذى يكون من أهل الجنة.

ولا يكون كذلك إلا بعد موافاته بالإيمان، ويختم له بذلك، ولا يعلم أحد بما يختم له.

---

(١) مسلم فى: الإيمان: حديث (٥٨)، والترمذى (٢٦١٤)، والنسائى ٨/ ١١٠، وأحمد ٢/ ٤١٤.

فينبغى أن يكون خائفًا راجيًا مصلحًا حذرًا مترقبًا حتى يأتيه الموت على خير عمل، وإن الناس يموتون على ما عشوا عليه، ويحشرون على ما ماتوا عليه، كما جاء فى الحديث: قال عليه الصلاة والسلام: «كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون».

ونعتقد أن أفعال العباد خلق الله عز وجل وكسب لهم خيرها وشرها، حسنها وقبيحها ما كان منها طاعة ومعصية، لا على معنى أنه أمر بالمعصية، لكن قضى بها وقدرها، وجعلها على حسب قصده، وأنه قسم الأرزاق وقدرها، فلا يصدها صاد ولا يمنعها مانع، لا زائدها ينقص، ولا ناقصها يزيد، ولا ناعمها يخشن، ولا خشنها ينعم، ورزق غدٍ لا يؤكل اليوم، وقسم زيد لا ينقل إلى عمرو.

وإنه تعالى يرزق الحرام كما يرزق الحلال، على معنى أنه يجعله غذاء للأبدان وقوامًا للأجسام لا على معنى إباحة الحرام.

وكذلك القاتل لم يقطع أجل المقتول المقدر له، بل يموت بأجله، وكذلك الغريق، ومن هدم عليه الحائط وألقى من شاهق، ومن أكله سبع، وكذلك هداية المسلمين والمؤمنين وضلالة الكافرين إليه عز وجل، جميع ذلك فعل له وصنعة، لا شريك له فى ملكه.

وإنما أثبتنا للعباد كسبًا لموضع توجه الأمر والنهى والخطاب إليهم، ثم استحقاق الثواب والعقاب لديه كما وعده وضمن جل وعزّ، قال الله تعالى: ﴿**جزاء بما كانوا يعملون**﴾ [السجدة: ١٧، والأحقاف: ١٤، والواقعة: ٢٤].

وقال عز وجل: ﴿**بما صبرتم**﴾ [الرعد: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿**ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين**﴾ [المدثر: ٤٢ ـ ٤٤].

وقال تبارك وتعالى: ﴿**هذه النار التى كنتم بها تكذبون**﴾ [الطور: ١٤]، وقال تعالى: ﴿**ذلك بما قدمت يداك**﴾ [الحج: ١٠] وغير ذلك من الآيات.

فعلق سبحانه الجزاء على أفعالهم، فأثبت لهم كسبًا خلاف ما قالت الجهمية من أنه لا كسب للعباد، وأنه كالباب يرد ويفتح، والشجرة تحرك وتهز. وهم الجاحدون للحق، الرادون للكتاب والسنة.

والدليل على أن ذلك خلق الله عز وجل وكسب للعباد خلافًا للقدرية فى قولهم: إن جميع ذلك خلق للعباد دون الله عز وجل.

تبًا لهم وهم مجوس هذه الأمة جعلوا لله شركاء ونسبوه إلى العجز، وأن يجرى فى ملكه ما لا يدخل فى قدرته ولا إرادته تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا لقوله عز وجل: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** [الصافات:٩٦]، وكما قال تعالى: **﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾** [السجدة:١٧، والأحقاف: ١٤، والواقعة:٢٤].

فلما كان الجزاء واقعًا على أعمالهم كان الخلق واقعًا على أعمالهم، ولا جائز أن يقال: المراد بذلك ما يعملون من الحجارة والأصنام، لأن الحجارة أجسام، والعباد لا يعملون، وإنما الأعمال التى يقع فيها ما يعملها العباد فوجب أن يرجع الخلق إلى أعمالهم من الحركات والسكنات وقال تعالى: **﴿ولا يزالون مختلفين * إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾** [هود:١١٨ ـ ١١٩] والمعنى للخلاف، وقال تعالى: **﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كلخقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء﴾** [الرعد:١٦].

وقال جلَّ وعلا: **﴿هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض﴾** [فاطر:٣]، وقال تعالى إخبارًا عن المشركين: **﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾** [النساء:٧٨].

وقال النبى ﷺ فى حديث حذيفة رضى الله عنه: «إن الله تعالى خلق كل صانع وصنعته، حتى خلق الجازر وجزوره»(١).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله قال: أنا خلقت الخير والشر فطوبى لمن قدرت على يديه الخير، وويل لمن قدرت على يديه الشر»(٢).

وسئل على رضى الله عنه عن أعمال العباد التى يستوجبون من الله السخط والرضى، أشيئًا من الله أم شىء من العباد، قال هى: لله خلق وللعباد عمل.

ويعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوبًا كثيرة من الكبائر والصغائر لا يكفر بها وإن خرج من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص، بل يرد أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه، وأدخله النار، فلا يدخل بين الله تعالى

---

(١) ابن أبى عاصم ١/ ١٥٨، ومجمع الزوائد ٧/ ١٩٧ وعزاه إلى «البزار» وقال: رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن عبد الله أبو الحسين وهو ثقة.

(٢) الطبرانى ١٢/ ١٧٣، والإتحاف ٩/ ٦٥٢، والكنز (١٥٠٣٠).

وبين خلقه ما لم يخبرنا الله بمصيره.

(فصل) ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لا يخلد فيها، بل يخرجه منها.

لأن النار فى حقه كالسجن فى الدنيا فيستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته، ثم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها، ولا تلفح وجهه النار ولا تحرق أعضاء السجود منه، لأن ذلك محرم على النار، ولا ينقطع طمعه من الله عز وجل فى كل حال ما دام فى النار حتى يخرج منها فيدخل الجنة، ويعطى الدرجات على قدر طاعته التى كانت له فى الدنيا، خلاف ما قالته القدرية إن الكبيرة تحبط الطاعات، فلا يثاب عليها، وكذلك قول الخوارج تبًا لهم.

(فصل) وينبغى أن يؤمن بخير القدر وشره، وحلو القضاء ومره.

وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه بالحذر، وما أخطأه من الأسباب لم يكن ليصيبه بالطلب، وأن جميع ما كان فى سالف الدهور والأزمان، وما يكون، إلى يوم البعث والنشور بقضاء الله وقدره المقدور، وأنه لا محيص لمخلوق من القدر المقدور الذى خط فى اللوح المسطور، وأن الخلائق لو جهدوا أن ينفعوا المرء بما لم يقضه الله تعالى لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه لما لم يقضه الله عليه لم يستطيعوا.

كما ورد فى خبر ابن عباس رضى الله عنهما وقال: قال الله تعالى: **﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده﴾** [يونس:١٠٧].

وروى عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - قال : حدثنى رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يومًا نطفة» وفى لفظ آخر «أربعين ليلة، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغة، مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا بأربع كلمات: خلقه ورزقه وعمله وشقى أم سعيد، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا باع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[1].

(١) البخارى ٤/ ١٣٥، ومسلم فى: القدر: حديث (١)، وأحمد ١/ ٣٨٢.

وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وإنه لمكتوب فى الكتاب أنه من أهل النار فإذا كان عند موته تحول فعمل بعمل أهل النار، فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار وإنه لمكتوب فى الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته عمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة»[1].

وعن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: «بينما نحن مع رسول الله ﷺ وهو ينكث فى الأرض إذ رفع رأسه فقال: ما من أحد إلا وقد علم مقعده من النار، أو مقعده من الجنة، فقالوا: أفلا نتكل ؟ قال ﷺ اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[2].

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال: إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «يا رسول الله، أرأيت ما نعمل فيه، أشىء قد فرغ منه، أو شىء مبتدع، أو مبتدأ؟ قال رسول الله ﷺ: لا، بل فيما قد فرغ منه، قال: أفلا نتكل؟ قال عليه الصلاة والسلام: اعمل يا ابن الخطاب فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فيعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فيعمل للشقاوة»[3].

(فصل) ونؤمن بأن النبى ﷺ رأى ربه عز وجل ليلة الإسراء بعينى رأسه لا بفؤاده ولا فى المنام.

لما روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه قال: «قال رسول الله ﷺ: فى قوله تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى**﴾ [النجم:١٣].

قال: رأيت ربى جل اسمه مشافهة لا شك فيه، وفى قوله تعالى: ﴿**عند سدرة المنتهى**﴾ [النجم:١٤] قال: رأيته عند سدرة المنتهى حتى تبين لى نور وجهه».

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾ [الإسراء:٦٠] هى رؤيا عين أريها النبى ﷺ ليلة أسرى به».

---

(١) البخارى ٤/ ٤٥، ومسلم فى: الإيمان: حديث (١٧٩)، وأحمد ٥/ ٣٣٥.

(٢) البخارى ٦/ ٢١١، ومسلم فى: القدر: حديث (٦، ٧، ٨)، وأحمد ١/ ٨٢.

(٣) مجمع الزوائد ٧/ ١٩٤، وعزاه إلى «الطبرانى» من طريق سليمان بن عتبة، وثقه أبو حاتم وجماعة، وضعفه ابن معين وغيره، وبقية رجاله ثقات.

وإلى «البزار» وقال: حسن حديثه.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: كانت الخلة لإبراهيم عليه السلام والكلام لموسى عليه السلام، والرؤية لمحمد ﷺ(١).

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: رأى محمد ﷺ ربه عز وجل بعينيه مرتين(٢).

ولا يعارض هذا ما روى عن عائشة رضى الله عنها من إنكار ذلك، لأنه نفى وهذا إثبات فقدم عند الاجتماع لأن النبى ﷺ أثبت لنفسه الرؤية.

وقال أبو بكر بن سليمان: رأى محمد ﷺ ربه إحدى عشرة مرة، منها بالسنة تسع مرات فى ليلة المعراج حين كان يتردد بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل يسأله أن يخفف عن أمته الصلاة فنقص خمسًا وأربعين صلاة فى تسع مقامات ومرتين بالكتاب.

(فصل) ونؤمن بأن منكراً ونكيراً إلى كل أحد ينزلان سوى النبيين.

فيسألانه ويمتحنانه عما يعتقده من الأديان، وهما يأتيان القبر، فيرسل فيه الروح، ثم يقعد، فإذا سئل سلت روحه بلا ألم.

ونؤمن بأن الميت يعرف من يزوره إذا أتاه، وآكده يوم الجمعة بعد طلوع الفجر قبل طلوع الشمس.

والإيمان بعذاب القبر وضغطته واجب لأهل المعاصى والكفر وجميع الخلق سوى النبيين ثم يخفف عن المؤمنين برحمة الله عز وجل، وكذلك النعيم فيه لأهل الطاعة والإيمان، خلاف ما قالت المعتزلة من إنكارهم ذلك، وإنكارهم مسألة منكر ونكير.

ودليل أهل السنة على إثبات ذلك، قوله عز وجل: **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾** [إبراهيم: ٢٧].

قيل فى التفسير **﴿فى الحياة الدنيا﴾**: عند خروج الروح، **﴿وفى الآخرة﴾**: عند مسألة منكر ونكير.

وما روى عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قبر أحدكم أو الإنسان أتاه

(١) مجمع الزوائد ١/ ٧٩: باب فى الرؤية، وعزاه إلى «الأوسط» من طريق حفص بن عمر العدنى، روى ابن أبى حاتم توثيقه عن أبى عبد الله الطهرانى، وقد ضعفه النسائى وغيره.

(٢) المصدر السابق، وقال: رجاله رجال الصحيح خلا جمهور بن منصور الكوفى، وقد ذكره ابن حبان فى «الثقات».

ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ يعنى محمداً رسول الله، فهو قائل ما كان يقول، فإذا كان مؤمنًا قال هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، فيقولان إنا كنا لنعلم أنك تقول مثل ذلك. ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعًا فى سبعين ذراعًا، وينور له فيه، ثم يقال له: نم. فيقول: دعونى أرجع إلى أهلى فأخبرهم، فيقال له: نم كنومة العروس التى لا يوقظها إلا أحب أهلها إليها، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك.

وإن كان منافقًا قال: لا أدرى كنت أسمع الناس يقولون شيئًا وكنت أقوله، فيقولان: إنا كنا نعلم أنك تقول ذلك، ثم يقال للأرض التئمى عليه، فتلتام حتى يختلف فيها أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله عز وجل من مضجعه ذلك»(١).

وتعلقوا أيضًا بما روى عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه: «يا عمر كيف أنت إذا أعد لك من الأرض ثلاثة أذرع وشبر فى عرض ذراع وشبر، ثم قام إليك أهلك فغسلوك وكفنوك وحنطوك، ثم حملوك حتى يغيبوك فيه، ثم يهيلوا عليك التراب، ثم انصرفوا عنك، وأتاك مُسائلا القبر منكر ونكير، أصواتهما مثل الرعد القاصف، وأبصارهما مثل البرق الخاطف قد سدلا شعورهما فتلتلاك وتوهلاك وقالا: من ربك وما دينك؟.

قال: يا نبى الله أو يكون معى قلبى الذى هو معى اليوم؟ قال ﷺ: نعم. قال: إذًا أكفيكهما بإذن الله عزّ وجلّ»(٢).

وهذا دليل ونص على أن ذلك يكون بعد إعادة الروح، لأن عمر قال أو يكون قلبى، فقال النبى ﷺ: نعم.

وعن المنهال بن عمرو عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار وانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس النبى ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير من هيبته، وفى يده عود ينكت به الأرض فرفع رأسه وقال: أستعيذ بالله من عذاب القبر، مرتين أو ثلاث.

ثم قال ﷺ: إن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزلت

---

(١) الترمذى (١٠٧١) وقال: حسن غريب، وابن حبان (١٨٠)، والإتحاف ٤١٣/١٠.
(٢) المغنى عن حمل الأسفار ٤٨٧/٤.

عليه ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، ومعهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون معه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوانه، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذونها ولا يدعونها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن والحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون هذا فلان ابن فلان بأحسن أسمائه، ثم ينتهون بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فيفتح لهم فيستقبلوها ويشيعوها من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهوا إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى عليين وأعيدوه إلى الأرض: **﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾** [طه: ٥٥].

فتعاد الروح إلى جسده، ويأتيه ملكان فيقولان له: من ربك وما دينك ؟ فيقول: ربى الله ودينى الإسلام، فيقولان له: ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، جاءنا بالحق، فيقولان له: وما علمك بذلك؟ فيقول: قرأت كتاب الله تعالى، وآمنت به وصدقته، فينادى من السماء: صدق عبدى فافرشوا له من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره، مد البصر، ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح فيقول له: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول عند ذلك: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة .

وإن العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا أنزل الله تعالى عليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون معه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط الله وغضبه فتتفرق فى أعضائه كلها فينزعها كما ينزع العود من الصوف المبلول، فتنقطع منه العروق والعصب فيأخذونها فيجعلونها فى تلك المسوح فيخرج منها كأنتن جيفة، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان ابن فلان بأقبح أسمائه حتى ينتهوا بها إلى سماء الدنيا فيستفتحون لها فلا يفتح لهم، ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: **﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾** [الأعراف: ٤٠]،

ثم يقول الله سبحانه وتعالى: «اكتبوا كتابه فى سجين» ثم تطرح روحه طرحًا، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق﴾ [الحج: ٣١].

يعنى ترد فتعاد إليه روحه فى جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدرى، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له: ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فينادى المنادى من السماء: كذب عبدى فافرشوا له فراشًا، من النار وألبسوه من النار وافتحوا له بابًا من النار، فيدخل عليه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح المنظر والثياب منتن الريح فيقول له: أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول من أنت؟ فيقول: أنا عملك السوء، فيقول: رب لا تقم الساعة[1].

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: قال: إن المؤمن إذا وضع فى قبره يوسع عليه فى قبره سبعون ذراعًا عرضًا وسبعون ذراعًا طولاً، وتنثر عليه الرياحين، ويستر بالحرير فى الجنة، فإن كان معه شىء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن معه شىء من القرآن جعل له نور مثل نور الشمس، ويكون مثله كمثل العروس تنام فلا يوقظها من نومتها إلا أحب أهلها إليها، فتقوم من نومتها كأنها لم تشبع منها.

وإن الكافر إذا وضع فى قبره يضيق عليه قبره حتى تدخل أضلاعه فى جوفه، ويرسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لا يذرن على عظمه لحمًا، ويرسل عليه شياطين صم بكم عمى، ويقال: هو الشيطان الرجيم، ومعهم فطاطيس من حديد، فيضربونه بها حتى لا يسمعوا صوته فيرحمونه، ولا يبصرونه فيرحمونه، وتعرض عليه النار بكرة وعشيًا.

فهذه أخبار دالة على إثبات عذاب القبر ونعيمه، فإن اعترضوا عليها فقالوا: كيف القول فى المصلوب والمحترق والغريق ومن أكلته السباع فتفرقت بلحمه والطير معها فحصل أجزاء متعددة؟

(١) أحمد ٤/٢٨٧، والحاكم ١/٣٧، ومجمع الزوائد ٣/٤٩ ـ ٥٠، وعزاه إلى «أحمد» وقال: رجاله رجال الصحيح.

فيقال لهم إن النبى ﷺ ذكر عذاب القبر والمسألة على ما هو معهود وعادة فى الخلق أنهم يدفنون فى القبور، وإن وجد ميت على هذه الصفة البعيدة النادرة لا يمتنع أن يقال: إن الله يصير روحه إلى الأرض، ثم تضغط وتسئل وتعذب وتنعم، كما أن أرواح الكفار تعذب كل يوم مرتين، غدوة وعشية، حتى تقوم الساعة، ثم تدخل النار مع الأجساد حينئذ، كما قال الله تعالى: **﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشيًا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾** [غافر:٤٦].

وإن أرواح الشهداء والمؤمنين فى حواصل طيور خضر، تسرح فى الجنة، وتأوى إلى قناديل من نور تحت العرش ثم تأتى إلى الأجساد عند النفخة الثانية إلى الأرض للعرض والحساب يوم القيامة.

كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل أثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أننا أحياء فى الجنة نرزق، فلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عز وجل وهو أصدق القائلين: أنا أبلغهم فأنزل عزّ وجلّ: **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾** [آل عمران:١٦٩ ـ ١٧٠]»[(١)].

فيجوز أن تقع المسألة والعذاب والنعيم ببعض جسد الكافر والمؤمن دون بقية أجزائه ويكون ما فعل بالبعض فعلاً بالكل، وقد قيل: إن الله يجمع تلك الأجزاء المتفرقة للضغط والمسألة كما يفعل ذلك فى الحشر والمحاسبة.

ثم إن الإيمان بالبعث من القبور والنشر عنها واجب، كما قال الله عزّ وجلّ: **﴿وإن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور﴾** [الحج:٧]. وكما قال الله عز وجل: **﴿كما بدأكم تعودون﴾** [الأعراف:٢٩]، وقال جل وعلا: **﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾** [طه:٥٥].

سيحشرهم ويجمعهم جميعًا جل وعلا: **﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾** [طه:١٥]، **﴿ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾** [النجم:٣١]، وقال

---

(١) أبو داود (٢٥٢٠)، وأحمد ١/ ٢٦٦، والبيهقى ٩/ ١٦٣، ودلائل النبوة ٣/ ٣٠٤.

جل جلاله: ﴿الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ [الروم: ٤٠].

فالذى قدر على إنشاء الخلق قادر على إعادتهم، وقد أنكرت المعطلة ذلك تبًا لهم.

(فصل) والإيمان بأن الله تعالى يقبل شفاعة نبينا ﷺ فى أهل الكبائر والأوزار واجب.

قبل دخول النار عامًا للحساب لجميع أمم المؤمنين، وبعد دخولها لأمته خاصة، فيخرجون منها بشفاعته ﷺ وغيره من المؤمنين حتى لا يبقى فى النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان، ومن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة فى عمره مخلصًا لله عز وجل خلاف ما زعمت القدرية من إنكار ذلك.

وفى كتاب الله تكذيبهم قال الله عز وجل: ﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾ [الشعراء: ١٠٠ ـ ١٠١].

وقوله عز وجل: ﴿فما لنا من شفعاء فيشفعوا لنا...﴾ [الأعراف: ٥٣] الآية.

وقال الله جل جلاله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ [المدثر: ٤٨].

فقد أثبت الله تعالى فى الآخرة شفاعة، وكذلك فى السنة.

وهو ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إنَّ أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة أنا ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر، وأنا أول من يدخل الجنة ولا فخر، وأنا آخذ بحلقة باب الجنة، فيؤذن لى فيستقبلنى وجه الجبار عزّ وجل، فأخرّ له ساجدًا. فيقول تعالى: يا محمد ارفع رأسك واشفع تشفع وسل تعط، فأرفع رأسى فأقول: يا رب أمتى أمتى، فلا أزال أرجع إلى ربى، فيقول لى: اذهب فانظر، فمن وجدت فى قلبه مثقال حبة من الإيمان فأخرجه من النار.

قال ﷺ فأخرج من أمتى أمثال الجبال، ثم يقول لى النبيون: ارجع إلى ربك فاسأله، فأقول قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه»[1].

وقال النبى ﷺ فى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»[2].

(١) الترمذى (٣١٤٨)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد ١/ ٢٨١، وابن أبى شيبة ١٤/ ٩٨.
(٢) أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذى (٢٤٣٦)، وأحمد ٣/ ٢١٣.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله تعالى لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»(١).

وقال ﷺ فى حديث أنيس الأنصارى رضى الله عنه: «إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر»(٢).

وله ﷺ شفاعة فى القيامة عند الميزان وعلى الصراط، وكذلك ما من نبى إلا وله شفاعة.

وعن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة: يا رباه. فيقول الله عز وجل: يا لبيكاه، فيقول: يا رب أحرقت بنى آدم. فيقول جل وعلا: أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال برة أو شعيرة من الإيمان(٣).

وكذلك للصديقين والصالحين من كل أمة شفاعة.

وقال ﷺ فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «لكل نبى عطية، وإنى اختبأت عطيتى شفاعة لأمتى، وإن الرجل من أمتى ليشفع للقبيلة فيدخلهم الله تعالى الجنة بشفاعته، وإن الرجل ليشفع لفئام من الناس فيدخلهم الله الجنة بشفاعته، وإن الرجل ليشفع لثلاثة نفر، والرجل لاثنين، وإن الرجل ليشفع لرجل»(٤).

وقال النبى ﷺ فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه: «ليدخل الجنة قوم من المسلمين قد عذبوا فى النار برحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين»(٥).

وأيضًا فى حديث أويس(٦) القرنى رحمه الله ورضى عنه المعروف: «ولله عزّ وجل تفضل وتكرم ورحمة ومنة على من يشاء من أهل النار فى إخراجهم من النار بعدما احترقوا وصاروا فحمًا».

---

(١) مسلم فى: الإيمان: حديث (٣٣٨)، وابن ماجه (٤٣٠٧)، وأحمد ٢/ ٢٧٥.

(٢) الإتحاف ١٠/ ٤٨٩، والخطيب ١٢/ ٣٣٠.

(٣) ابن أبى عاصم ٢/ ٤٠٣.

(٤) سبق تخريجه بنحوه.

(٥) الطبرانى ١٠/ ٢٦٥، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٩ وعزاه إليه، وقال: فيه من لم أعرفهم.

(٦) أويس القَرَنى هو: ابن عامر المرادى سيد التابعين. ويقال: أويس بن عمرو، العابد. نزل الكوفة. له ترجمة فى: الميزان ١/ ٢٧٨ ـ ٢٨٢.

وعن الحسن عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ما زلت أشفع إلى ربى فيشفعنى حتى أقول: يا رب شفعنى فيمن قال: لا إله إلا الله.

فيقول جل وعلا: هذه ليست لك يا محمد ولا لأحد، هذه لى، وعزتى وجلالى ورحمتى لا أدع فى النار واحدًا يقول: لا إله إلا الله»(١).

(فصل) والإيمان بالصراط على جهنم واجب.

وهو جسر ممدود على متن جهنم يأخذ من يشاء الله إلى النار، ويجوز من يشاء ويسقط فى جهنم من يشاء.

ولهم فى تلك الأحوال أنوار على قدر أعمالهم فهم بين ماش وساع وراكب وزحف وسحب.

وقد وصفه النبى ﷺ بأنه ذو كلاليب فى خبر فيه طول إلى أن قال ﷺ: «ذو كلاليب مثل شوك السعدان، هل تعرفون شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلمها إلا الله عز وجل، فتخطف الناس، فمنهم موبق بعمله ومنهم المخردل، ثم ينجو المخردل، المرمى المصروع»(٢) وقيل ذلك للمنقطع أيضًا.

وقال ﷺ: «استجيدوا ضحاياكم فإنها مطاياكم على الصراط»(٣).

وجاء فى وصف الصراط عنه ﷺ «أنه أدق من الشعرة وأحرّ من الجمرة وأحد من السيف، طوله ثلثمائة سنة من سنىّ الآخرة، يجوزه الأبرار وتزل عنه الفجار، وقيل طوله ثلاثة آلاف سنة من سنى الآخرة».

(فصل) وأهل السنة يعتقدون أن لنبينا ﷺ حوضًا فى القيامة.

يسقى منه المؤمنون، دون الكافرين، ويكون ذلك بعد جواز الصراط قبل دخول الجنة، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، عرضه مسيرة شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، حوله أباريق على عدد نجوم السماء، فيه ميزابان يصبان من الكوثر، أصله فى الجنة وفرعه فى الوقف.

---

(١) الإتحافات (٢٦٦)، وابن أبى عاصم ٢/ ٣٩٦، وتاريخ أصفهان ١/ ٢٣٤.

(٢) مسلم فى: الإيمان: حديث (٣١٦)، وأحمد ٣/ ٣٤٥.

(٣) تلخيص الحبير ٤/ ١٣٨، والضعيفة (٧٤).

وقد ذكره النبى ﷺ فى حديث ثوبان[١] رضى الله عنه: «أنا عند حوضى يوم القيامة، فسئل النبى ﷺ عن سعة الحوض، فقال ﷺ: ما بين مقامى هذا إلى عمان، شرابه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، فيه ميزابان من الجنة، أحدهما من ورق والآخر من ذهب، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا»[٢].

وقال ﷺ فى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: «موعدكم حوضى عرضه مثل طوله، وهو أبعد ما بين إيلة إلى مكة، وذلك مسيرة شهر، فيه أباريق أمثال الكواكب، ماؤه أشد بياضًا من الفضة، من ورده فشرب منه لم يظمأ بعدها أبدًا»[٣].

وكذلك لكل نبى من الأنبياء حوض إلا صالحًا النبى، فإن حوضه ضرع ناقته يسقى من ذلك مؤمنو كل أمة منهم دون الكافرين.

وفى حديث آخر عن النبى ﷺ أنه قال: «حوضى ما بين عدن وعمان، حافتاه خيام الدر المجوف، وآنيته عدد نجوم السماء، طينة المسك الأذفر، وماؤه أبيض من اللبن وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، فيذاد عنى يوم القيامة رجال كما تذاد الغريبة من الإبل فأقول: ألا هلم ألا هلم، فيقال لى إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول: وما أحدثوا؟ فيقال: إنهم غيروا وبدلوا فأقول: ألا سحقًا وبعدًا»[٤].

وقد أنكرت ذلك المعتزلة فلا يسقون منه، ويدخلون النار وردًا عطشًا إن لم يتوبوا عن مقالتهم وجحودهم الحق ورد الآيات والأخبار والآثار.

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: «من كذب بالشفاعة لم يكن له فيها نصيب ومن كذب بالحوض لم يكن له فيه نصيب».

(فصل) وأهل السنة يعتقدون أن الله يجلس رسوله ونبيه المختار على سائر رسله وأنبيائه معه على العرش يوم القيامة.

---

(١) ثوبان هو: ابن بُجْدُد الهاشمى، مولى رسول الله ﷺ، أصله من حمير، فسبى فى الجاهلية فاشتراه رسول الله وأعتقه، فلازمه حضرًا وسفرًا، فلما توفى رسول الله خرج إلى الشام، فنزل الرملة. مات سنة (٤٥). له ترجمة فى: الرياض ص (٤٣).

(٢) ابن أبى شيبة ١٣/ ١٤٦.

(٣) الحاكم ١/ ٧٥، وصححه، ووافقه الذهبى.

(٤) الطبرانى ٢/ ٩٦، وابن أبى عاصم ٢/ ٣٢٦، وابن عساكر ٧/ ٢٢٥.

لما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فى قوله عز وجل: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ [الإسراء:٧٩] قال يجلسه معه على السرير(١).

وعن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت سألت رسول الله ﷺ عن المقام المحمود، فقال ﷺ: «وعدنى ربى القعود على العرش»(٢).

وكذلك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وعن عبد الله(٣) بن سلام رضى الله عنه قال: إذا كان يوم القيامة جىء بنبيكم ﷺ فأقعد بين يدى الله على كرسيه، فقيل له يا أبا مسعود إذا كان معه على كرسيه أليس هو معه؟ قال: ويلكم هذا أقر حديث فى الدنيا لعينى».

وقال الحجاج فى حديثه: إذا كان يوم القيامة نزل الجبار جل اسمه على عرشه وقدماه على الكرسى، ويؤتى بنبيكم ﷺ فيقعد بين يديه على الكرسى، فقالوا للحميدى: إذا كان على الكرسى فهو معه، قال: نعم، ويلكم هو معه»..

(فصل) ويعتقد أهل السنة أن الله تعالى يحاسب عبده المؤمن يوم القيامة، ويدنيه منه فيضع كنفه عليه حتى يستره من الناس.

لما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالمؤمن يوم القيامة فيدنيه الله تعالى منه، فيضع كنفه عليه حتى يستره من الناس فيقول: عبدى أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ مرتين، فيقول: نعم رب، حتى إذا قرره بذنوبه كلها فرأى نفسه أنه قد هلك، قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم»(٤).

ومعنى المحاسبة: تعريف الله تعالى عبده بمقادير ثواب الأعمال وعذابه بقراءة سيئاته أو حسناته وما له وما عليه.

وقد أنكرت المعطلة المحاسبة، وقد كذبهم الله تعالى بقوله: **﴿إن إلينا إيابهم * ثم إن**

(١) الدر المنثور ٤/ ١٩٨.

(٢) موضوع.

(٣) عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلى نسبًا، الأنصارى وكان اسمه فى الجاهلية حصنًا، فسماه النبى ﷺ عبد الله، وكان من سادات اليهود وأحبارهم. مات سنة (٤٣). له ترجمة فى: الرياض المستطابة ص (١٩٣ ـ ١٩٤).

(٤) البخارى فى: الأدب: ب (٦٠)، ومسلم فى: التوبة: حديث (٥٢)، وأحمد ٢/ ٧٤ و ١٠٥.

علينا حسابهم﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦].

(فصل) ويعتقد أهل السنة أن لله تعالى ميزانًا يزن فيه الحسنات والسيئات يوم القيامة، له كفتان ولسان.

وقد أنكرت المعتزلة مع المرجئة والخوارج ذلك، فقالت: إن معنى الميزان: العدل دون موازنة الأعمال، وفي كتاب الله وسنة رسوله تكذيبهم، قال الله تعالى: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾** [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى: **﴿فأما من ثقلت موازينه * فهو في عيشة راضية * وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية﴾** [القارعة: ٦ ـ ٩].

والعدل لا يوصف بالخفة والثقل، وإنما هو بيد الرحمن جل جلاله؛ لأنه هو الذي يتولى حسابهم، لما روى النواس بن سمعان الكلابي ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الميزان بيد الرحمن عز وجل، يرفع أقوامًا ويضع آخرين يوم القيامة»[1].

وقيل إنه بيد جبرائيل عليه السلام لما روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: إن جبرائيل عليه السلام صاحب الميزان، فيقول له ربه زن يا جبريل بينهم فيرجح بعضهم على بعض.

وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يوضع الميزان يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة الميزان، ويوضع ما أحصى من عمله في كفة، فيميل به الميزان، فيبعث الله به إلى النار فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن: لا تعجلوا لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى بشيء فيه لا إله إلا الله فيوضع مع الرجل في كفة حسناته حتى يميل به الميزان، فيؤمر به إلى الجنة»[2].

وفي حديث آخر عن النبي ﷺ أنه قال: إنه يؤتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان ثم يؤتى بتسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر فيها كلها سيئاته وخطيئاته فترجح سيئاته على حسناته فيؤمر به إلى النار، فإذا أدبر به إذا صائح يصيح من عند الرحمن لا تعجلوا لا تعجلوا فقد بقي له، فيؤتى بمثل رأس الإبهام، وأمسك على النصف منها،

---

(١) ابن ماجه (١٩٩)، وأحمد ٤/ ١٨٢، والطبراني ٧/ ١٣٨.

(٢) الإتحاف ١٠/ ٥٦٤.

فيه شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فيوضع فى كفة حسناته فتثقل حسناته على سيئاته، فيؤمر به إلى الجنة.

وفى لفظ آخر: فيخرج له بقرطاس مثل هذا ـ وأمسك على إبهامه ـ فيه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. . . إلى آخر الحديث.

وقيل إن الصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تكون الحسنات فى صورة حسنة تطرح فى كفة النور فيثقل بها الميزان برحمة الله وتكون السيئات فى صورة سيئة تطرح فى كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى.

وعلامة تثقيل الميزان ارتفاعها، وعلامة خفتها انحطاطها بخلاف موازين الدنيا، وقد قيل مثل موازين الدنيا.

وسبب تثقيلها الإيمان وقول الشهادتين، وسبب خفتها الشرك بالله عز وجل، فإذا ارتفعت أدخل صاحبها الجنة لأنها عالية، وإذا خفت أدخل صاحبها النار الهاوية، لأنها فى التخوم أسفل السافلين.

كما قال الله عز وجل: ﴿**فأما من ثقلت موازينه * فهو فى عيشة راضية**﴾ [القارعة:٦ ـ ٧] أى فى جنة عالية. ﴿**وأما من خفت موازينه * فأمه هاوية**﴾ [القارعه:٨ ـ ٩] أى أصله ومأواه ومرجعه نار حامية، وهى هاوية.

والناس فى موازنة الأعمال على ثلاثة أضرب: منهم من ترجح حسناته على سيئاته، فيؤمر به إلى الجنة، ومنهم من ترجح سيئاته على حسناته، فيؤمر به إلى النار. ومنهم من لا ترجح إحداهما على الأخرى، فهم أصحاب الأعراف، ثم ينالهم الله برحمته إذا شاء فيدخلهم الجنة. فهو قوله عز وجل: ﴿**وعلى الأعراف رجال**﴾ [الأعراف:٤٦].

والذى يوزن صحائف أعمالهم على ما ذكرنا من تسعة وتسعين سجلاً وطريق ذلك النقل والسمع.

وأما المقربون فيدخلون الجنة بغير حساب، كما جاء فى الحديث: «أنه يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، ومع كل واحد منهم سبعون ألفا» على نص الحديث المشهور.

وأما الكافرون فيدخلون النار بغير حساب، ومن المؤمنين من يحاسب حسابًا يسيرًا ثم يؤمر به إلى الجنة على ما تقدم.

(١) البخارى ٨/ ١٢٤، ومسلم فى: الإيمان (٣٧١ ـ ٣٧٢)، وأحمد ١/ ٣٢١.

ومنهم من يناقش ثم أمره إلى الله عز وجل إن شاء أمر به إلى الجنة أو إلى النار. قال الله عز وجل: ﴿فأما من أوتى كتابه بيمينه * فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا * وينقلب إلى أهله مسرورًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩] الآية، وقال جل وعلا: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورًا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤].

وقال النبى ﷺ فى حديث على رضى الله عنه: «إن الله يحاسب كل الخلق إلا من أشرك بالله، فإنه لا يحاسب ويؤمر به إلى النار».

(فصل) ويعتقد أهل السنّة أن الجنة والنار مخلوقتان، وهما الداران أعدهما الله تعالى.

إحداهما للنعيم والثواب لأهل الطاعة والإيمان، والأخرى للعقاب والنكال لأهل المعاصى والطغيان، وهما منذ خلقهما الله تعالى باقيتان لا تفنيان أبدًا، وهى الجنة التى كان فيها آدم وحواء عليهما السلام وإبليس اللعين، ثم أخرجا منها، القصة المشهورة.

وقد أنكرت المعتزلة ذلك، فأما الجنة فلا يدخلونها، وأما النار فلعمرى هم فيها خالدون مخلدون لإنكارهم ولحكمهم بذلك للمؤمن الموحد المطيع لله عز وجل سبعين سنة بكبيرة واحدة، وفى كتاب الله العزيز عز وجل وسنة رسول الله ﷺ تكذيبهم. قال الله عز وجل: ﴿وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال عز وجل: ﴿واتقوا النار التى أعدت للكافرين﴾ [آل عمران: ١٣١] وما كان معدًا كان موجودًا يعلمه كل عاقل فعلم أنهما مخلوقتان.

وقال رسول الله ﷺ فى حديث أنس بن مالك رضى الله عنه: «دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجرى؟ حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدى إلى ماء يجرى إذ مسك أذفر، قلت: يا جبريل ما هذا، قال: هذا الكوثر الذى أعطاك الله تعالى»[1].

وقال ﷺ فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه: حين قيل له يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال عليه الصلاة والسلام: لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وبلاطها المسك الأذفر، وحصاها الياقوت واللؤلؤ، وترابها الورس والزعفران، من دخلها يخلد

---

(١) أحمد ٣/١٠٣ و ١١٥ و ٢٦٣، وابن أبى شيبة ١١/٤٣٧.

ولا يموت وينعم ولا ييأس، ولا يخلق ثيابهم ولا يبلى شبابهم»[(١)].

فهـذا دليل على كونهـما مخلوقـتين، وأن نعـيم الجنة دائم لا يفنى، كمـا قال الله تعالى: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ [الرعد:٣٥]، وقال عـز وجل: ﴿لا مقطوعـة ولا ممنوعة﴾ [الواقعة:٣٣].

ومن نعيمهـا الحور العين خلقهن الله تعالى فى الجنة للبقـاء، لا يفنين ولا يمتن كما قـال الله عـز وجل: ﴿فـيـهن قاصـرات الطرف لم يطـمثـهن أنس قـبلهم ولا جـان﴾ [الرحمن:٥٦]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿حور مقصورات فى الخيام﴾ [الرحمن:٧٢].

وروت أم سلمة زوج النبى ﷺ قـالت: قلت: يا رسول الله، أخبـرنى عن قول الله عز وجل: ﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة:٢٣].

قال: صفاؤهن كصفاء الدر فى الأصداف... إلى أن قال: يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ونحن الناعـمات فلا نـبأس أبدًا، ونحن المقـيمات فـلا نظعن أبدًا، ونحن الراضيات فلا نسـخط أبدًا، وهن فى دار حق ولا يقلن إلا حقًا، والنبى ﷺ صادق لا يقول إلا حقًا فقد أخبر أنهن خالدات لا يمتن أبدًا[(٢)].

وروى معاذ بـن جبل رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لا تؤذى امـرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحـور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»[(٣)].

فإذا ثبت أنهمـا لا يفنيان وما فيـهما أبدًا فلا يخرج الله تعـالى من الجنة أحدًا، ولا يسلط على أهلها الموت فيها، ولا يزول عنهم نعيمها فهم فى كل يوم فى مزيد نعيم أبد الآباد.

وتمام نعيمـهم أن الله عز وجل يأمر بالموت فيذبح على صـورة كبش أملح بين الجنة والنار، وينادى المنادى: يا أهل الجنة خلود ولا مـوت، ويا أهل النار خلود ولا موت، على ما ورد به الخبر الصحيح عن النبى ﷺ[(٤)].

(١) الترمذى (٢٥٢٦)، وأحمد ٢/ ٣٠٥ و ٤٤٥.

(٢) المجمع ٧/ ١١٩ بنحوه، وعزاه إلى «الطبرانى» من طريق سليمان بن أبى كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدى.

(٣) البخارى (١١٧٤)، وابن ماجه (٢٠١٤)، وأحمد ٥/ ٢٤٢، والصحيحة (١٧٣).

(٤) البخارى ٦/ ١١٨، وأحمد ٢/ ٤٢٣.

(فصل) ويعتقد أهل الإسلام قاطبة أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم رسول الله، وسيد المرسلين وخاتم النبيين عليهم السلام، وأنه مبعوث إلى الناس كافة وإلى الجن عامة.

كما قال الله عز وجل: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾** [سبا:٢٨]، وقال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾** [الأنبياء:١٠٧].

وقال النبى ﷺ فى حديث أبى أمامة رضى الله عنه: «إن الله فضلنى على الأنبياء بأربع: أرسلنى إلى الناس كافة. . .» وذكر الحديث[١].

وأنه ﷺ أعطى من المعجزات ما أعطى غيره من الأنبياء وزيادة، وقد عدها بعض أهل العلم ألف معجزة.

منها القرآن المنظوم على وجه مخصوص مفارق لجميع أوزان كلام العرب ونظمه وترتيبه وبلاغته وفصاحته على وجه جاوز فصاحة كل فصيح، وبلاغة كل بليغ، وعجزت العرب أن تأتى بمثله، ولا بسورة منه كما قال الله تعالى: **﴿فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾** [هود:١٣] فلم يأتوا، ثم قال تعالى: **﴿فأتوا بسورة من مثله﴾** [البقرة:٢٣] فعجزوا عن ذلك مع براعتهم وفصاحتهم على أهل زمانهم، وانقطعوا فظهر فضله عليهم، فلذلك صار القرآن معجزة له ﷺ، كالعصا فى حق موسى عليه السلام لأن موسى بعث فى زمن السحرة الحذاق فى صنعتهم، فتلقفت عصا موسى عليه السلام ما سحروا به أعين الناس وخيلوه إليهم: **﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * وألقى السحرة ساجدين﴾** [الأعراف:١١٩ ـ ١٢٠].

وكإحياء عيسى عليه السلام الموتى، وإبراءه الأكمه والأبرص لأنه عليه السلام بعث فى زمن الناس فيه أطباء حذاق، يوقفون الأعلال والأسقام التى لا تبرأ ببراعتهم فى حذق الصنعة، فانقادوا إليه وآمنوا به لمجاوزته فى الصنعة عليهم وبراعته فى المعجزة فيما تعاطوه منه.

ففصاحة القرآن وإعجازه معجزة للنبى ﷺ كالعصا وإحياء الموتى فى حق موسى وعيسى عليهما السلام.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام نبع الماء من بين أصابعه وإطعام الزاد القليل

(١) الترمذى (١٥٥٣) وقال: حسن صحيح، والمشكاة (٤٠٠١)، والكنز (٣١٩٥١).

للخلق الكثير، وكلام الذراع المسموم، وقوله: لا تأكل منى فإنى مسموم، وانشقاق القمر، وحنين الجذع، وكلام البعير، ومجيء الشجرة إليه، وغير ذلك مما يبلغ ألف معجزة على ما ذكروا.

وإنما لم يأت النبى ﷺ بمثل عصا موسى ويده البيضاء، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ومثل ناقة صالح، والمعجزات التى كانت للأنبياء لأمرين اثنين.

أحدهما: لئلا يكذب بها أمته فيهلكوا كما هلكت الأمم قبلهم، كما قال الله تعالى: **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾** [الإسراء: ٥٩].

والثانى: لو جاء بمثل ما جاء به الأولون لقالوا له ما جئت بغريب وقد تعلمت من موسى وعيسى، فأنت من أتباعهم لا نؤمن لك حتى تأتينا بما لم يأت به الأولون. ولهذا لم يؤت الله سبحانه نبيًا من أنبيائه معجزة غيره، بل خص كل نبى بمعجزة غير معجزة من كان قبله.

(فصل) ويعتقد أهل السنة أن أمة نبينا محمد ﷺ خير الأمم أجمعين، وأفضلهم أهل القرن الذين شاهدوه وآمنوا به وصدقوه وبايعوه وتابعوه وقاتلوا بين يديه ومدوه بأنفسهم وأموالهم وعزروه ونصروه.

وأفضل أهل القرون أهل الحديبية الذين بايعوه بيعة الرضوان وهم ألف وأربعمائة رجل.

وأفضلهم أهل بدر وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدد أصحاب طالوت.

وأفضلهم الأربعون أهل دار الخيزران الذين كملوا بعمر بن الخطاب.

وأفضلهم العشرة الذين شهد لهم النبى ﷺ بالجنة وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة[١] والزبير[٢] وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وأبو عبيدة بن الجراح.

وأفضل هؤلاء العشرة الأبرار الخلفاء الراشدون الأربعة الأخيار.

---

(١) طلحة هو: ابن عبيد الله بن عثمان القرشى التيمى، كان أحد العشرة، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السباق إلى الإسلام، ومناقبه جمة. قتل يوم الجمل سنة (٣٦). له ترجمة فى: الرياض ص (١٣٥ ـ ١٣٨).

(٢) الزبير هو: ابن العوام بن خويلد القرشى الأسدى. كان رابعًا أو خامسًا فى الإسلام، وقد عذب فى الله، وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها. قتل يوم الجمل سنة (٣٦). له ترجمة فى: الرياض ص (٧٤ ـ ٧٩).

وأفضل الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله تعالى عنهم.

ولهؤلاء الأربعة الخلافة بعد النبى ﷺ ثلاثون سنة ولى منها أبو بكر رضى الله عنه سنتين وشيئًا، وعمر رضى الله عنه عشراً، وعثمان رضى الله عنه اثنتى عشرة، وعلى رضى الله عنه تسعًا، ثم وليها معاوية تسعة عشرة سنة، وكان قبل ذلك ولاه عمر الإمارة على أهل الشام عشرين سنة.

وخلافة الأئمة الأربعة كانت باختيار الصحابة واتفاقهم ورضاهم، ولفضل كل واحد منهم فى عصره وزمانه على من سواه من الصحابة ولم تكن بالسيف والقهر والغلبة والأخذ ممن هو أفضل منه.

وأما خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فباتفاق المهاجرين والأنصار كانت.

وذلك أنه لما توفى رسول الله ﷺ قامت خطباء الأنصار فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن النبى ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فقالوا: بلى، قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر؟ قالوا: معاذ الله أن نتقدم أبا بكر.

وفى لفظ آخر قال عمر رضى الله تعالى عنه: فأيكم تطيب نفسه أن يزيله عن مقام أقامه فيه رسول الله ﷺ؟ فقالوا كلهم: كلنا لا تطيب أنفسنا، نستغفر الله، فاتفقوا مع المهاجرين فبايعوه بأجمعهم، وفيهم على والزبير.

ولهذا فى النقل الصحيح: «لما بويع أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه قام ثلاثًا يقبل على الناس يقول: يا أيها الناس أقلتكم بيعتى هل من كاره؟ فيقوم على رضى الله عنه فى أوائل الناس فيقول: لا نقيلك ولا نستقيلك أبدًا، قدمك رسول الله ﷺ فمن يؤخرك»(١).

وبلغنا عن الثقات أن عليًا رضى الله عنه كان أشد الصحابة قولاً فى إمامة أبى بكر رضى الله عنه.

وروى أن عبد الله بن الكواء دخل على علىٍّ بعد قتال الجمل وسأله: هل عهد إليك رسول الله ﷺ فى هذا الأمر شيئًا؟ فقال: نظرنا فى أمرنا فإذا الصلاة عضد الإسلام

---

(١) مجمع الزوائد ٥/ ١٨٣ : كتاب الخلافة، وعزاه إلى «أحمد» و «أبى يعلى» من طريق عاصم بن أبى النجود، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

فرضينا لدنيانا من رضى الله ورسوله لديننا، فولينا الأمر أبا بكر.

وذلك أن النبى ﷺ استخلف أبا بكر الصديق رضى الله عنه فى إمامة الصلاة المفروضة أيام مرضه، فكان يأتيه بلال وقت كل صلاة فيؤذنه بالصلاة، فيقول عليه الصلاة والسلام: «مروا أبا بكر فليصل بالناس».

وكان النبى ﷺ يتكلم فى شأن أبى بكر رضى الله عنه فى حال حياته بما يتبين للصحابة أنه أحق الناس بالخلافة بعده.

وكذلك فى حق عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أن كل واحد منهم أحق بالأمر فى عصره وزمانه.

من ذلك ما روى عن ابن بطة بإسناده عن على رضى الله عنه أنه قال: «قيل يا رسول الله من نؤمِّر بعدك؟ قال ﷺ: «إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينًا زاهدًا فى الدنيا راغبًا فى الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويًا أمينًا لا يخاف فى الله لومة لائم، وإن تؤمروا عثمان تجدوه قائمًا بالدليل والبرهان، وإن تولوا عليًا تجدوه هاديًا مهديًا، فلذلك أجمعوا على خلافة أبى بكر رضى الله عنه»[١].

وقد روى عن إمامنا أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله رواية أخرى: إن خلافة أبى بكر رضى الله عنه ثبتت بالنص الخفى والإشارة، وهذا مذهب الحسن البصرى وجماعة من أصحاب الحديث رحمهم الله.

وجه هذه الرواية ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لما عرج بى إلى السماء سألت ربى عزّ وجلّ أن يجعل الخليفة من بعدى على بن أبى طالب، فقالت الملائكة: يا محمد إن الله يفعل ما يشاء ! الخليفة من بعدك أبو بكر»[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما: «الذى بعدى أبو بكر لا يلبث بعدى إلا قليلاً»[٣].

وعن مجاهد رحمه الله قال: قال لى على بن أبى طالب رضى الله عنه ما خرج النبى ﷺ من دار الدنيا حتى عهد إلى أن أبا بكر يلى من بعدى، ثم عمر من بعده، ثم

---

(١) أحمد ١/١٠٩، والعلل المتناهية ١/٢٥٢، والمشكاة (٦١٢٤)، والمجروحين ٢/٢٠٩.
(٢) (موضوع) اللآلىء ١/١٥٦.
(٣) الطبرانى ١/٧، وابن عدى ٤/١٥٢٤، والصحيحة ٣/٦٣.

عثمان من بعده ثم على من بعده.

وأما خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فإنها كانت باستخلاف أبى بكر له رضى الله عنه، فانقادت الصحابة إلى بيعته وسموه أمير المؤمنين، فقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: قالوا لأبى بكر رضى الله عنه: ما تقول لربك غدًا إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر وقد عرفت فظاظته؟ فقال: أقول استخلفت عليهم خير أهلك.

وأما خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه، فكانت أيضًا عن اتفاق الصحابة رضى الله عنهم ، وذلك أن عمر رضى الله عنه أخرج أولاده عن الخلافة، وجعلها شورى بين ستة نفر، وهم طلحة، والزبير، وسعد بن أبى وقاص، وعثمان، وعلى، وعبد الرحمن ابن عوف، فأخرج طلحة، والزبير، وسعد أنفسهم منها، فبقيت بين على، وعثمان، وعبد الرحمن.

فقال عبد الرحمن لعلى وعثمان: أنا أختار أحدكما لله ورسوله وللمؤمنين، فأخذ بيد على رضى الله عنه فقال: عليك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله إن أنا بايعتك لتنصحن لله ولرسوله وللمؤمنين، ولتسيرن بسيرة رسول الله وأبى بكر وعمر، فخاف على ألا يقوى على ما قووا عليه فلم يجبه.

ثم أخذ بيد عثمان فقال له مثل ما قال لعلى، فأجابه عثمان على ذلك، فمسح يد عثمان فبايعه، وبايع على رضى الله عنه معه، ثم بايع الناس أجمع.

فصار عثمان بن عفان خليفة من بين الستة باتفاق الكل.

فكان إمامًا حقًا إلى أن مات، ولم يوجد فيه أمر يوجب الطعن فيه ولا فسقه ولا قتله، خلاف ما قالت الروافض تبًا لهم.

وأما خلافة على رضى الله عنه بعد عثمان فكانت عن اتفاق الجماعة وإجماع الصحابة، لما روى عن عبد الله بن بطة عن محمد بن الحنفية قال: كنت مع على بن أبى طالب وعثمان بن عفان محصورًا، فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة.

قال فقام على رضى الله عنه فأخذت بوسطه تخوفًا عليه.

فقال: خل لا أم لك، قال فأتى على الدار وقد قتل عثمان رضى الله عنه فأتى داره فدخلها وأغلق بابه.

فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن عثمان قد قتل ولا بد للناس من خليفة، ولا نعلم أحدًا أحق بها منك.

فقال لهم على: لا تريدونى فإنى لكم وزير خير من أمير، قالوا: والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك، قال رضى الله عنه: فإن أبيتم على فإن بيعتى لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد، فمن شاء أن يبايعنى بايعنى.

قال: فخرج رضى الله عنه إلى المسجد فبايعه الناس، فكان إمامًا حقًا إلى أن قتل رضى الله عنه، خلاف ما قالت الخوارج إنه لم يكن إمامًا قط. تبًا لهم إلى آخر الدهر.

وأما قتاله رضى الله عنه لطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضى الله عنهم فقد نص الإمام أحمد رحمه الله على الإمساك عن ذلك، وجميع ما شجر بينهم من منازعة ومنافرة وخصومة.

لأن الله تعالى يزيل ذلك من بينهم يوم القيامة، كما قال عزّ وجل: ﴿**ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانًا على سرر متقابلين**﴾ [الحجر:٤٧].

ولأن عليًا رضى الله عنه كان على الحق فى قتالهم.

لأنه كان يعتقد صحة إمامته على ما بينا من اتفاق أهل الحل والعقد من الصحابة على إمامته وخلافته، فمن خرج عن ذلك بعد وناصبه حربًا كان باغيًا خارجًا على الإمام فجاز قتاله، ومن قاتله من معاوية وطلحة والزبير طلبوا ثأر عثمان بن عفان خليفة الحق المقتول ظلمًا، والذين قتلوه كانوا فى عسكر على رضى الله عنه، فكل ذهب إلى تأويل صحيح، فأحسن أحوالنا الإمساك فى ذلك، وردهم إلى الله عز وجل وهو أحكم الحاكمين وخير الفاصلين، والاشتغال بعيوب أنفسنا وتطهير قلوبنا من أمهات الذنوب وظواهرنا من موبقات الأمور.

وأما خلافة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فثابتة صحيحة بعد موت على رضى الله عنه وبعد خلع الحسن بن على رضى الله عنهما نفسه من الخلافة وتسليمها إلى معاوية لرأى رآه الحسن ومصلحة عامة تحققت له، وهى حقن دماء المسلمين وتحقيق قول النبى ﷺ فى الحسن رضى الله عنه: «إن ابنى هذا سيد يصلح الله تعالى به بين فئتين عظيمتين»[١].

---

(١) البخارى ٣/ ٢٤٤، وأحمد ٥/ ٣٨.

فوجبت إمامته بعقد الحسن له، فسمى عامه عام الجماعة، لارتفاع الخلاف بين الجميع واتباع الكل لمعاوية رضى الله عنه، لأنه لم يكن هناك منازع ثالث فى الخلافة.

وخلافته مذكورة فى قول النبى ﷺ، وهو ما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «تدور رحى الإسلام خمسًا وثلاثين سنة أو ستًا وثلاثين أو سبعًا وثلاثين»(١).

والمراد بالرحى، فى هذا الحديث القوة فى الدين والخمس السنين الفاضلة من الثلاثين فهى من جملة خلافة معاوية إلى تمام تسع عشرة سنة وشهور، لأن الثلاثين كملت بعلى رضى الله عنه كما بينا.

ونحسن الظن بنساء النبى ﷺ أجمعين، ونعتقد أنهن أمهات المؤمنين.

وأن عائشة رضى الله عنها أفضل نساء العالمين وبرأها الله تعالى من قول الملحدين فيها بما يقرأ ويتلى إلى يوم الدين.

وكذلك فاطمة بنت نبينا محمد ﷺ ورضى الله تعالى عنها وعن بعلها وأولادها أفضل نساء العالمين، ويجب موالاتها ومحبتها كما يجب ذلك فى حق أبيها ﷺ قال النبى ﷺ: «فاطمة بضعة منى، يريبنى ما يريبها»(٢).

فهذا القرن هم الذين ذكرهم الله عز وجل فى كتابه وأثنى عليهم، فهم المهاجرون الأولون والأنصار الذين صلوا إلى القبلتين.

قال الله تعالى فيهم: **﴿لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى﴾** [الحديد: ١٠].

وقال جل وعلا: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنًا﴾** [النور: ٥٥].

وقال تعالى: **﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا...﴾** إلى قوله: **﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾** [الفتح: ٢٩].

وروى جعفر بن محمد عن أبيه فى قوله عز وجل: **﴿محمد رسول الله والذين معه﴾** فى العسر واليسر فى الغار والعريش أبو بكر **﴿أشداء على الكفار﴾** عمر بن الخطاب

(١) أبو داود (٤٢٥٤)، وأحمد ١/ ٣٩٠، ودلائل النبوة ٦/ ٣٩٣.
(٢) البخارى ٥/ ٢٦ و ٣٦، والبيهقى ٧/ ٦٤.

﴿رحماء بينهم﴾ عثمان بن عفان **﴿تراهم ركعًا سجدًا﴾** على بن أبى طالب **﴿يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا﴾** طلحة والزبير حواريا رسول الله ﷺ **﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾** سعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح هؤلاء العشرة **﴿ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾** يعنى محمدًا ﷺ **﴿فآزره﴾** بأبى بكر **﴿فاستغلظ﴾** بعمر **﴿فاستوى على سوقه﴾** بعثمان بن عفان **﴿يعجب الزراع﴾** بعلى بن أبى طالب **﴿ليغيظ بهم﴾** بالنبى ﷺ وأصحابه **﴿الكفار﴾**.

واتفق أهل السنة على وجوب الكف عما شجر بينهم، والإمساك عن مساويهم، وإظهار فضائلهم ومحاسنهم، وتسليم أمرهم إلى الله عز وجل على ما كان وجرى من اختلاف على وطلحة والزبير وعائشة ومعاوية رضى الله عنهم على ما قدمنا بيانه، وإعطائه كل ذى فضل فضله، كما قال الله عز وجل: **﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾** [الحشر: ١٠].

وقال تعالى: **﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾** [البقرة: ١٣٤].

وقال ﷺ: «إذا ذكر أصحابى فأمسكوا»(١).

وفى لفظ آخر: «إياكم وما شجر بين أصحابى، فلو أنفق أحدكم مثل أحُد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(٢).

وقال ﷺ: «طوبى لمن رآنى ومن رأى من رآنى»(٣).

وقال ﷺ: «لا تسبوا أصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله»(٤).

وقال ﷺ فى رواية أنس: «إن الله عز وجل اختارنى واختار لى أصحابى، فجعلهم أنصارى وجعلهم أصهارى، وأنه سيجىء فى آخر الزمان قوم ينقصونهم، ألا فلا تواكلوهم، ألا فلا تشاربوهم، ألا فلا تناكحوهم، ألا فلا تصلوا معهم، ألا فلا تصلوا

(١) الطبرانى ٢/ ٩٣، والصحيحة (٣٤).

(٢) البخارى ٥/ ١٠، ومسلم فى: الصحابة (٢٢١)، وأبو داود (٤٦٥٨)، والترمذى (٣٨٦١)، وابن ماجه (١٦١).

(٣) أحمد ٣/ ٧١، والصحيحة (١٢٤١).

(٤) ابن عدى ٣/ ١٠٩٣، وكنز العمال (٣٢٥٤٥).

عليهم، عليهم حلت اللعنة»[١].

وروى جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»[٢].

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلع الله على أهل بدر فقال يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[٣].

وروى ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أصحابى مثل النجوم، فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم»[٤].

وعن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال إن النبى ﷺ قال: «من مات من أصحابى بأرض جعل شفيعًا لأهل تلك الأرض»[٥].

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: من نطق فى أصحاب رسول الله ﷺ بكلمة فهو صاحب هوى.

وأهل السنة أجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين واتباعهم، والصلاة خلف كل بر منهم وفاجر، والعادل منهم والجائر، ومن ولوه ونصبوه واستنابوه، وألا ينزلوا أحدًا من أهل القبلة بجنة ولا نار، مطيعًا كان أو عاصيًا، رشيدًا كان أو غاويًا أو عاتيًا إلا أن يطلع منه على بدعة وضلالة.

وأجمعوا على تسليم المعجزات للأنبياء، والكرامات للأولياء.

وأن الغلاء والرخص من قبل الله، لا من أحد من خلقه من السلاطين والملوك، ولا من الكواكب كما زعمت القدرية والمنجمون.

لما روى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الغلاء والرخص جندان من جنود الله، اسم أحدهما الرغبة، والآخر الرهبة.

فإذا أراد الله أن يغليه قذف الرغبة فى قلوب التجار فحبسوه.

---

(١) ابن أبى عاصم ٢/ ٤٨٣، والحلية ٢/ ١١، والخطيب ٢/ ٩٩، والحاكم ٣/ ٦٣٢.
(٢) أبو داود (٤٦٥٣)، والترمذى (٣٨٦٠)، وأحمد ٣/ ٣٥٠.
(٣) البخارى ٨/ ٣٢، وأحمد ١/ ٧٩ و ٨٠.
(٤) جامع بيان العلم ٢/ ٩٠، والضعيفة (٦١) وقال: موضوع.
(٥) كنز العمال (٣٢٥١٥)، وكشف الخفاء ٢/ ٣٨٧.

وإذا أراد أن يرخص قذف الرهبة فى صدور التجار فأخرجوه من أيديهم»[١].

والأولى للعاقل المؤمن الكيس أن يتبع ولا يبتدع، ولا يغالى ويعمق ويتكلف لئلا يضل ويزل فيهلك.

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[٢].

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه: إياك ومغمضات الأمور، وأن تقول للشىء ما هذا، فقال مجاهد رحمه الله حين بلغه هذا عن معاذ: قد كنا نقول للشىء ما هذا؟ فأما الآن فلا.

فعلى المؤمن اتباع السنة والجماعة، فالسنة ما سنه رسول الله ﷺ، والجماعة ما اتفق عليه أصحاب رسول الله ﷺ فى خلافة الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين رحمة الله عليهم أجمعين.

وألا يكاثر أهل البدع ولا يدانيهم، ولا يسلم عليهم، لأن إمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله قال: من سلم على صاحب بدعة فقد أحبه.

ولقول النبى ﷺ: «افشوا السلام بينكم تحابوا»[٣].

ولا يجالسهم ولا يقرب منهم ولا يهنيهم فى الأعياد وأوقات السرور، ولا يصلى عليهم إذا ماتوا، ولا يترحم عليهم إذا ذكروا بل يباينهم ويعاديهم فى الله عز وجل، معتقدًا ومحتسبًا بذلك الثواب الجزيل والأجر الكثير.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من نظر إلى صاحب بدعة بغضًا له فى الله ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا، ومن انتهر صاحب بدعة بغضًا له فى الله أمنه الله يوم القيامة، ومن استحقر بصاحب بدعة رفعه الله تعالى فى الجنة مائة درجة، ومن لقيه بالبشر أو بما يسره فقد استخف بما أنزل الله تعالى على محمد ﷺ»[٤].

وعن أبى المغيرة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبى الله عزّ وجلّ أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»[٥].

---

(١) الخطيب ٨/ ٥٠، وتنزيه الشريعة ٢/ ١٨٨، والفوائد المجموعة (١٤٣)، والموضوعات ٢/ ٢٤٠.

(٢) المجمع ١/ ١٨١، وعزاه إلى الطبرانى فى «الكبير» وقال: رجاله رجال الصحيح.

(٣) مسلم فى: الإيمان: حديث (٩٣)، وابن ماجه (٣٦٩٢)، وأحمد ١/ ١٦٥.

(٤) الإتحاف ٦/ ١٣٥، وتذكرة الموضوعات (١٥).

(٥) ابن ماجه (٥٠)، وقال محققه: رجال إسناده كلهم مجهولون، وقاله الذهبى. والخطيب =

وقال فضيل بن عياض: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإيمان من قلبه.

وإذا علم الله عز وجل من رجل أنه مبغض لصاحب بدعة رجوت الله تعالى أن يغفر ذنوبه وإن قل عمله، وإذا رأيت مبتدعًا فى طريق فخذ طريقًا آخر.

وقال فضيل بن عياض رحمه الله: سمعت سفيان بن عيينة رحمه الله يقول: من تبع جنازة مبتدع لم يزل فى سخط الله تعالى حتى يرجع.

وقد لعن النبى ﷺ المبتدع، فقال ﷺ: «من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل منه صرفًا ولا عدلاً»[1].

يعنى بالصرف: الفريضة، وبالعدل: النافلة.

وعن أبى أيوب السجستانى رحمه الله أنه قال: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا بما فى القرآن، فاعلم أنه ضال.

(فصل) واعلم أن لأهل البدع علامات يعرفون بها.

فعلامة أهل البدعة الوقيعة فى أهل الأثر.

وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل الأثر: بالحشوية، ويريدون إبطال الآثار.

وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر: مجبرة.

وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة: مشبهة.

وعلامة الرافضة تسميتهم أهل الأثر: ناصبة.

وكل ذلك عصبية وغياظ لأهل السنة، ولا اسم لهم إلا اسم واحد: وهو «أصحاب الحديث».

ولا يلتصق بهم ما لقبهم به أهل البدع، كما لم يلتصق بالنبى ﷺ تسمية كفار مكة له ساحرًا وشاعرًا ومجنونًا ومفتونًا وكاهنًا، ولم يكن اسمه عند الله وعند ملائكته وعند إنسه وجنه وسائر خلقه إلا رسولاً نبيًا بريًا من العاهات كلها.

قال الله تعالى: **﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾** [الإسراء: ٤٨].

= ١٣/ ١٨٦، وابن أبى عاصم ١/ ٢٢، والجامع الصغير ١/ ٥ وحسنه.

(١) أبو داود فى: الديات: ب (١١)، والنسائى فى: القسامة: ب (١٠)، وأحمد ١/ ١١٩.

هذا آخر ما ألفنا فى باب معـرفة الصانع والاعتقاد على مـذهب أهل السنة والجماعة على وجه الاختصار والقدرة.

* * *

ثم نردف هذه الجملة بفصلين آخرين: لا يسع العاقل المؤمن جـهلهما إذا أراد سلوك المحجة.

أحد الفصلين: فيمـا لا يجوز إطلاقه على البارى عزّ وجلّ من الصـفات، وأخلاق العباد والنقائض، وما يجوز من ذلك.

والفصل الثانى: فى بيان مقـالة الفرق الضالة عن طريق الهدى الداحضـة الحجة فى يوم الدين والمحاسبة.

* * *

أما الفصل الأول:
فبما لا يجوز إطلاقه على البارى عزّ وجلّ من الصفات ويستحيل إضافته إليه من الأخلاق ، وما يجوز من ذلك

لا يجوز أن يوصف البارى تعالى بالجهل والشك والظن وغلبة الظن والسهو والنسيان والسنة والنوم والغلبة والغفلة والعجز والموت والخرس والصمم والعمى والشهوة والنفور والميل والحرد والغيظ والحزن والتأسف والكمد والحسرة والتلهف والألم واللذة والنفع والمضرة والتمنى والعزم والكذب، ولا يجوز أن يسمى إيمانًا خلاف ما قالت السالمية، وتعلقهم بقوله عز وجل: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ [المائدة:٥] محمول على أنه من يكفر بوجوب الإيمان، كان كمن كفر بالرسول، وما جاء به ﷺ من الله عز وجل من الأوامر والنواهى.

ولا يجوز أن يوصف عز وجل بأنه مطيع ولا محبل لنساء العالم.

ولا يجوز عليه الحد ولا النهاية، ولا القبل ولا البعد، ولا تحت ولا قدّام، ولا خلف ولا كيف، لأن جميع ذلك ما ورد به الشرع إلا ما ذكرناه من أنه على العرش استوى، على ما ورد به القرآن والأخبار، بل هو عز وجل خالق لجميع الجهات ولا يجوز عليه الكمية.

واختلف فى جواز إطلاق تسميته بالشخص، فمن جوّز ذلك فلقول النبى ﷺ فى حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه: (لا شخص أغير من الله، ولا شخص أحب إليه المعاذير من الله)(١).

ومن منع ذلك فلأن لفظ الخبر ليس بصريح فى الشخص لاحتماله أن يكون معناه: لا أحد أغير من الله.

وقد ورد فى بعض الألفاظ : (لا أحد أغير من الله).

ولا يجوز أن يسمى فاضلاً وعتيقًا وفقيهًا ولا فهيمًا ولا فطنًا ولا محققًا وعاقلاً وموقرًا ولا طيبًا، وقيل يجوز.

(١) البخارى ٩/ ١٥١، ومسلم فى: اللعان: حديث (١٧)، وأحمد ٤/ ٢٤٨.

ولا عاديًا، لأن ذلك منسوب إلى زمن عاد وهو محدث، ولا مطيقًا، لأنه خالق كل طاقة وهى متناهية، ولا محفوظًا لأنه هو الحافظ.

ولا يجوز وصفه بالمباشرة، ولا يجوز وصفه بأنه مكتسب، لأن ذلك محدث بقدرة محدثة، والله تعالى منزه عن ذلك.

ولا يجوز عليه العدم وهو قديم لا بقدم، ولا أول لوجوده خلاف ما قال ابن كلاب من أنه قديم بقدم، وهو باق لا ببقاء، وهو عزّ وجلّ عالم بمعلومات غير متناهية، قادر بمقدورات غير متناهية خلاف ما أذاعت المعتزلة من أن كل ذلك متناه.

وأما الصفات التى يجوز وصفه عز وجل بها: فالفرح والضحك والغضب والسخط والرضا، وقد قدمنا ذلك فى أول الباب.

ويجوز وصفه عزّ وجل بأنه موجود لقوله عز وجل: ﴿ووجد الله عنده﴾ [النور:٣٩].

ويجوز وصفه بأنه شىء لقوله تعالى: ﴿قل أى شىء أكبر شهادة قل الله﴾ [الأنعام:١٩].

ويجوز أن يوصف بأنه: نفس وذات وعين من غير تشبيه بجارحة الإنسان على ما تقدم بيانه.

ويجوز وصفه بأنه كائن من غير حد لقوله تعالى: ﴿وكان الله بكل شىء عليمًا﴾ [الأحزاب:٤٠، والفتح:٢٦].

﴿وكان الله على كل شىء رقيبًا﴾ [الأحزاب:٥٢].

ويجوز وصفة بأنه قديم وباق، وبأنه مستطيع، لأن معنى الاستطاعة القدرة، وهو موصوف بالقدرة.

ويجوز وصفه بأنه سيد، ويجوز وصفه بأنه عارف ومتين وواثق ودرى ودار.

لأن جميع ذلك راجع إلى معنى العالم، ولم يرد الشرع بمنع ذلك ولا اللغة، بل قال الشاعر:

اللهم لا أدرى وأنت الدارى

ويجوز وصفه بأنه راءٍ ويرجع إلى معنى العالم، ويجوز وصفه بأنه مطلع على خلقه وعباده بمعنى عالم بهم، وكذلك واجد بمعنى عالم.

ويجوز وصفه بأنه جميل ومجمل، يعنى فى الصنع إلى خلقه.

ويجوز وصفه بأنه ديّان، على معنى أنه مجاز لعباده على أفعالهم.

الدين: الحساب، «كما تدين تدان»[1] ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] أي يوم الحساب، وعلى معنى الشارع لعباده عبادة وشريعة دعاهم إليها، وفرض ذلك عليهم ثم هو يجازيهم على ما فعلوا فيها.

ويجوز وصفه بأنه مقدر على معنى التقدير: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿والذي قدّر فهدى﴾ [الأعلى: ٣].

وعلى معنى الخبر قال تعالى: ﴿إلا امرأته قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ [الحجر: ٦٠]، أي أخبرنا لوطًا عليه السلام أن امرأته من الباقين في العذاب من دون أهله، ولا يجوز أن يكون معناه الظن والشك تعالى الله عن ذلك.

ويجوز وصفه بأنه ناظر على معنى أنه راءٍ مدرك للأشياء، لا على معنى أنه مترو مفكر، تعالى عن ذلك.

ويجوز وصفه أنه شفيق على معنى الرحمة بخلقه والرأفة بهم، لا على معنى الخوف والحزن.

وكذلك يجوز وصفه بأنه رفيق على معنى الرحمة والتعطف بخلقه لا على معنى التثبيت في الأمور والإجمال في إصلاحها والسلامة من عواقبها.

ويجوز وصفه بأنه سخي كما يجوز وصفه بأنه كريم وجواد لأن معنى الكل التفضل والإحسان إلى خلقه.

ولا يقصد بذلك الرخاوة واللين على ما هو في اللغة مستعمل في أرض سخية وقرطاس سخي إذا كانا لينين.

ويجوز وصفه بأنه آمر وناه، ومبيح وحاضر، ومحلل ومحرم، وفارض وملهم، وموجب ونادب، ومرشد وقاض، وحاكم على ما ذكرناه.

وكذلك يجوز وصفه بأنه واعد ومتوعد، ومخوف ومحذر، وذام ومادح، ومخاطب ومتكلم، وقائل كل ذلك راجع إلى معنى أنه موصوف بالكلام.

ويجوز وصفه بأنه معدم على معنى أنه لم يوجد ولم يفعل، وعلى معنى أنه معدم

(١) كنز العمال (٤٣٠٣٢)، والأسماء والصفات (٧٩)، والأسرار (١٧٢).

لما أوجده بعد إيجاده بقطع البقاء عنه فينعدم بذلك.

ويجوز وصفه بأنه فاعل بمعنى أنه مخترع لذات ما فعله، وخالق له، وجاعل بقدرته، فاستحق لذلك هذا الوصف، لا على معنى المباشرة للأشياء لأن حقيقة ذلك تلاقي الأجسام ومماستها، والله سبحانه متعالٍ عن ذلك.

وكذلك يجوز وصفه بأنه جاعل على معنى أنه فاعل وفعله مفعول، كقوله تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ [الإسراء: ١٢].

ويجوز أن يكون الجعل بمعنى الحكم، قال عزّ وجلّ: ﴿إنّا جعلناه قرآنًا عربيًا﴾ [الزخرف: ٣].

ويجوز وصفه بأنه تارك في الحقيقة كما وصف بأنه فاعل، على معنى أنه فاعل ضد فعله الآخر بدلاً من الأول بقدرته العامة الشاملة، لا على معنى كف النفس ومنعها عما يدعو إلى فعله.

ويجوز وصفه بأنه يوجد على معنى أنه يخلق؟ وكذلك يجوز وصفه بأنه مكون على معنى أنه موجد.

ويجوز وصفه بأنه مثبت على معنى أنه يوجد في الشيء البقاء والثبات، كما قال عزّ وجلّ: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ [الرعد: ٣٩].

ويجوز وصفه بأنه عامل وصانع بمعنى خالق.

ويجوز وصفه بأنه مصيب، على معنى أن أفعاله واقعة على ما قصده وأراده من غير تفاوت وتزايد وتناقص، لأنه تعالى عالم بها وبحقائقها وكيفياتها، لا على معنى أن ذلك موافق لأمر آمر أمره بفعلها، تعالى عن ذلك.

ويجوز إطلاق هذه الصفة على عبد من عبيده فيقال له إنه مصيب، بمعنى أنه مطيع لربه، متبع لأمره، منته لنهيه، وكذلك إذا كان مطيعًا لمن هو فوقه ورئيسه.

ويجوز وصف أفعاله عزّ وجلّ بأنها صواب على معنى أنها حق وثابت.

ويجوز وصفه بأنه مثيب ومنعم، على معنى أنه يجعل المثاب منعمًا معظمًا.

وكذلك يجوز وصفه بأنه معاقب ومجازٍ، على معنى أنه يهين العاصي ويؤلمه على معصيته.

ويجوز وصفه بأنه قديم الإحسان على معنى أنه موصوف بالخلق والرزق فى القدم، قال الله عز وجل: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ [الأنبياء: ١٠١].

ويجوز وصفه بأنه دليل، وقد نص الإمام أحمد عليه فى حق رجل قال له: زودنى دعوة فإنى أريد الخروج إلى طرطوس، فقال له: قل يا دليل الحائرين، دلنى على طريق الصادقين، واجعلنى من عبادك الصالحين.

ويجوز وصفه بأنه طبيب لما روى عن أبى رمثة التميمى أنه قال: «كنت مع أبى عند النبى ﷺ، فرأيت على كتف النبى ﷺ مثل التفاحة. قال: فقال أبى: يا رسول الله إنى طبيب أفأطبها لك، قال ﷺ: طبيبها الذى خلقها»(١).

وروى عن أبى السفر أنه قال: مرض أبو بكر رضى الله عنه فعادوه فقالوا له: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال قد رآنى، قالوا: فأى شىء قال لك: قال: قال لى: إنى فعال لما أريد.

وكذلك يروى أن أبا الدرداء رضى الله عنه مرض، فعادوه، فقالوا له: أى شىء تشتكى؟ قال: ذنوبى، فقالوا: أى شىء تشتهى؟ قال: الجنة، قالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ قال: هو أمرضنى.

فإذا ثبت هذا على ما ذكرنا فلا يجوز أن يدعا عزّ وجلّ بكل اسم لا يجوز إطلاقه عليه عز وجل، على ما ذكرنا فى أول الفصل.

وإنما يجوز أن يدعا بما يسمى به من الأسماء التى يجوز وصفه بها، وصفاته التى يجوز أن يوصف بها، وقد ذكرنا التسعة والتسعين اسمًا فيما تقدم، فهى آكد فى الدعاء.

وإذا أراد أن يصفه ويدعو بما ذكرنا فى هذا الفصل جاز ذلك، إلا أنه يجتنب فى دعائه من أن يدعوه عزّ وجلّ بقوله يا ساخر يا مستهزى يا ماكر يا خادع، ومبغض وغضبان، ومنتقم ومعاد، ومعدم ومهلك، فلا يدعو بها وإن كان مما يجوز وصفه بها على وجه الجزاء والمقابلة لأهل الإحرام على وجه الاستحقاق.

* * *

(١) أبو داود فى: الترجل: ب (١٨)، وأحمد ٢/ ٢٢٧ و ٢٢٨، وابن سعد ١/ ٢.

وأما الفصل الثانى:
فى بيان مقالة الفرق الضالة عن طريق الهدى

فالأصل فى ذلك ما روى عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لتسلكن سنن من قبلكم حذو النعل بالنعل، ولتأخذن مثل أخذهم إن شبرًا فشبرًا وإن ذراعًا فذراعًا وإن باعًا فباعًا، حتى لو دخلوا فى جحر ضب لدخلتم فيه معهم[(١)].

ألا إن بنى إسرائيل افترقت على موسى بإحدى وسبعين فرقة كلها ضالة، إلا فرقة واحدة: الإسلام وجماعتهم.

ثم إنها افترقت على عيسى ابن مريم باثنين وسبعين فرقة كلها ضالة إلا واحدة: الاسلام وجماعتهم.

ثم إنكم تكونون على ثلاث وسبعين فرقة كلها ضالة إلا فرقة واحدة: الإسلام وجماعتهم».

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة أعظمها فتنة على أمتى الذين يقيسون الأمور برأيهم يحرمون الحلال ويحللون الحرام»[(٢)].

وعن عبد الله بن زيد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن بنى إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة. وستفترق أمتى على ثلاثة وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة، قالوا: وما تلك الواحدة؟ قال ﷺ: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابى»[(٣)].

وهذا الافتراق الذى ذكره النبى ﷺ لم يكن فى زمانه ولا فى زمن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم.

---

(١) البخارى ٤/٢٠٦، ومسلم فى: العلم: حديث (٦)، وأحمد ٢/٣٢٧، والحاكم ١/١٢٩.

(٢) أحمد ٢/ ٣٣٢، والإتحاف ٨/ ١٤٠.

(٣) الترمذى (٢٦٤٢)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد ٣/ ١٤٥.

وإنما كان بعد تقادم السنين والأعوام، وفوت الصحابة والتابعين والفقهاء السبعة فقهاء المدينة، وعلماء الأمصار وفقهائهـا قرنًا بعد قرن، وقبض العلم بموتهم إلا شرذمة قليلة، وهم الفرقة الناجية فحفظ الله الدين بهم.

كما روى عن عروة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله تعالى لا ينزع العلم من صدور الرجال بعد أن يعطيهم، ولكن يذهب بالعلماء، فكلما ذهب بعالم ذهب بما معه من العلم حتى يبقى من لا يعلم، فيَضِلّون ويُضِلّون»(١).

وفى لفظ آخر عن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً، فسئلوا فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»(٢).

وعن كثير بن عبد الله بن عوف عن أبيه عن جده رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء؟ قال ﷺ: الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى بعدى»(٣).

وعن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لا يأتى على الناس زمان إلا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة.

وعن الحارث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال:

ذكر رسول الله ﷺ الفتن فقلنا: ما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ: «كتاب الله هو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذى لا تلتبس له الألسن، هو

---

(١) مسلم فى: العلم: حديث (١٤)، وأحمد ٢/٢٠٣.

(٢) البخارى ١/٣٦، ومسلم فى: العلم: حديث (١٣)، وأحمد ٢/١٦٢.

(٣) الترمذى (٢٦٣٠)، والطبرانى ١٧/١٦.

الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنًا عجبًا﴾ [الجن:١] من قال به صدق، ومن حكم به عدل»(١).

وعن عبد الرحمن بن عمر عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال:

«صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت بها القلوب ورمضت منها الجلود، فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فقال ﷺ: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش من بعدى يرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة»(٢).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيما داع دعا الى الهدى فاتبع فله مثل أجر من اتبعه، لا ينقص من أجورهم شيء، وأيما داع دعا إلى الضلالة فاتبع فعليه مثل أوزار من اتبعه لا ينقص من أوزارهم شيء»(٣).

(فصل) فأصل ثلاث وسبعين فرقة عشرة: أهل السنة، والخوارج، والشيعة، والمعتزلة، والمرجئة، والمشبهة، والجهمية، والضرارية، والنجارية، والكلابية.

فأهل السنة طائفة واحدة، والخوارج خمس عشرة فرقة، والمعتزلة ست فرق، والمرجئة اثنتا عشرة فرقة، والشيعة اثنتان وثلاثون فرقة، والجهمية والنجارية والضرارية والكلابية كل واحدة فرقة واحدة، والمشبهة ثلاث فرق، فجميع ذلك ثلاث وسبعون فرقة على ما أخبر به النبى ﷺ.

*** أما الفرقة الناجية فهى أهل السنة والجماعة.**

وقد بينا مذهبهم واعتقادهم على ما قدمنا ذكره.

وتُسَمَّى هذه الفرقة الناجية القدرية والمعتزلة: مجبرة لقولها إن جميع المخلوقات بمشيئة الله تعالى وقدرته وإرادته وخلقه.

(١) الدر المنثور ٢/٣٧، والقرطبى ٢٠/١١.

(٢) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذى (٢٦٧٦)، وأحمد ٤/١٢٦.

(٣) ابن ماجه (٢٠٥)، والإتحاف ٨/ ٣٢٠.

وتسميها المرجئة شكاكية لاستثنائها فى الإيمان، يقول أحدهم: أنا مؤمن إن شاء الله تعالى، على ما قدمنا بيانه.

وتسميها الرافضة ناصبة، لقولها باختيار الإمام ونصبه بالعقد.

وتسميها الجهمية والنجارية مشبهة، لإتيانها صفات البارى عز وجل من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات.

وتسميها الباطنية حشوية، لقولها بالأخبار وتعلقها بالآثار.

وما اسمهم إلا أصحاب الحديث وأهل السنة، على ما بينا.

* * *

*** وأما الخوارج فلهم أسام وألقاب:**

سموا الخوارج؛ لخروجهم على علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه.

وسموا محكمة؛ لإنكارهم الحكمين أبا موسى الأشعرى وعمرو بن العاص رضى الله عنهما، ولقولهم لا حكم إلا لله، لا حكم الحكمين.

وسموا أيضًا حرورية؛ لأنهم نزلوا بحروراء، وهو موضع.

وسموا شراة؛ لقولهم شرينا أنفسنا فى الله: أى بعناها بثواب الله وبرضاه الجنة.

وسموا مارقة؛ لمروقهم من الدين، وقد وصفهم النبى ﷺ، بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه.

فهم الذين مرقوا من الدين والإسلام، وفارقوا الملة وشردوا عنها وعن الجماعة، وضلوا عن سواء الهدى والسبيل وخرجوا على السلطان، وسلوا السيف على الأئمة، واستحلوا دماءهم وأموالهم، وكفّروا من خالفهم، ويسبون أصحاب رسول الله ﷺ وأصهاره، ويتبرؤون منهم ويرمونهم بالكفر والعظائم، ويرون خلافهم، ولا يؤمنون بعذاب القبر ولا الحوض ولا الشفاعة، ولا يخرجون أحدًا من النار، ويقولون: من كذب كذبة أو أتى صغيرة أو كبيرة من الذنوب فمات من غير توبة فهو كافر وفى النار مخلد.

ولا يرون الجماعة إلا خلف إمامهم، ويرون تأخير الصلاة عن وقتها والصوم قبل رؤية الهلال، والفطر مثل ذلك، والنكاح بغير ولى.

ويرون المتعة والدرهم بالدرهمين يدًا بيد حلالاً.

ولا يرون الصلاة فى الخفاف ولا المسح عليها ولا طاعة السلطان ولا خلافة قريش.

وأكثر ما يكون الخوارج بالجزيرة وعمان والموصل وحضرموت ونواحى المغرب.

والذى وضع لهم الكتب وصنفها عبد الله بن زيد ومحمد بن حرب ويحيى بن كامل وسعيد بن هارون.

فهم خمس عشرة فرقة:

ـ **منهم النجدات:** نسبوا إلى نجدة بن عامر الحنفى، من اليمامة وتميم، وهم أصحاب عبد الله بن ناصر.

ذهبوا إلى أن من كذب كذبة أو أتى صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، وإن زنى وسرق وشرب الخمر من غير أن يصر عليها فهو مسلم، وأنه لا يحتاج إلى إمام إنما الواجب العلم بكتاب الله فحسب.

ـ **ومنهم الأزارقة:** وهم أصحاب نافع بن الأزرق ذهبوا إلى أن كل كبيرة كفر وأن الدار دار كفر، وأن أبا موسى وعمرو بن العاص رضى الله عنهما كفرا بالله حين حكمهما على رضى الله عنه بينه وبين معاوية رضى الله عنه فى النظر فى الأصلح للرعية.

ويرون أيضًا قتل الأطفال، يعنى أولاد المشركين، ويحرمون الرجم، ولا يحدون قاذف المحصن، ويحدون قاذف المحصنات.

ـ **ومنهم الفدكية:** منسوبة إلى ابن فديك.

ـ **ومنهم العطوية:** منسوبة إلى عطية بن الأسود.

ـ **ومنهم العجاردة:** وهم فرق كثيرة.

ـ **ومنهم اليمونية:** جميعًا.

يجيزون بنات البنين وبنات البنات وبنات الإخوة وبنات الأخوات، ويقولون إن سورة يوسف ليست من القرآن.

ـ **ومنهم الخازمية:** تفردت بأن الولاية والعداوة صفتان فى ذاته تعالى.

وتشعبت الخازمية من المعلومية، ذهبت إلى أن من لم يعلم الله بأسمائه فهو جاهل، ونفوا أن تكون الأفعال خلقًا لله تعالى، وأن تكون الاستطاعة مع الفعل.

ومن أصل الخمس عشرة:

ـ **المجهولية**: وهى تقول أن من علم الله ببعض أسمائه فهو عالم به غير جاهل.

ـ **ومنهم الصلتية**: وهى منسوبة إلى عثمان بن الصلت، وادعت أن من استجاب لنا وأسلم وله طفل فليس له إسلام حتى يدرك، ويدعوه فإن أبى فيقتله.

ـ **ومنهم الأخنسية**: منسوبة إلى رجل يقال له الأخنس، ذهبوا إلى أن السيد يأخذ من زكاة عبده ويعطيه من زكاته إذا احتاج وافتقر.

ـ **ومنهم الصفرية**: والحفصية طائفة متشعبة منها، يزعمون أن من عرف الله وكفر بما سواه من رسول وجنة ونار، وفعل سائر الجنايات من قتل النفس، واستحلال الزنا فهو برىء من الشرك، وإنما يشرك من جهل الله وأنكره فحسب.

ويزعمون أن الحيران الذى ذكره الله تعالى فى القرآن هو على وحزبه وأصحابه، يدعونه إلى الهدى ائتنا، وهم أهل النهروان.

ـ **ومنهم الأباضية**: زعموا أن جميع ما افترضه الله تعالى على خلقه إيمان، وأن كل كبيرة فهو كفر نعمة لا كفر شرك.

ـ **ومنهم البيهسية**: منسوبة إلى أبى بيهس، تفردوا فزعموا أن الرجل لا يكون مسلمًا حتى يعلم جميع ما أحل الله له وحرم عليه بعينه ونفسه.

ومن البيهسية من يقول: كل من واقع ذنبًا حرامًا عليه ليس يكفر حتى يرفع إلى السلطان فيحده عليه، فحينئذ يحكم بالكفر.

ـ **ومنهم الشمراخية**: منسوبة إلى عبد الله بن الشمراخ زعم أن قتل الأبوين حلال.

وكان حين ادعى ذلك فى دار التقية، فتبرأت منه الخوارج بذلك.

ـ **ومنهم البدعية**: قولها كقول الأزارقة، وتفردت بأن الصلاة ركعتان بالغداة وركعتان بالعشى، لقول الله عز وجل: **﴿وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفًا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾** [هود: ١١٤].

واتفقت مع الأزارقة على جواز سبى النساء وقتل الأطفال من الكفار مغتالاً لقوله تعالى: **﴿لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾** [نوح: ٢٦].

واتفقت جميع الخوارج على كفر على رضى الله عنه لأجل التحكيم، وعلى كفر مرتكب الكبيرة، إلا النجدات فإنها لم توافقهم على ذلك.

*** (فصل) وأما الشيعة فلهم أسامٍ منها: الشيعة والرافضة والغالية والطيارة.**

وإنما قيل لها الشيعة، لأنها شيعت عليًا رضى الله عنه وفضلوه على سائر الصحابة.

وقيل لها الرافضة لرفضهم أكثر الصحابة وإمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وقيل سموا الروافض لرفضهم زيد بن على لما تولى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وقال بإمامتهما، وقال زيد: رفضونى، فسموا رافضة.

وقيل إن الشيعى من لا يفضل عثمان على على رضى الله عنهما، لأن الرافضى من فضل عليًا على عثمان رضى الله عنهما.

ومنهم القطعية لقبوا به لقطعهم على موت موسى بن جعفر ومنهم الغالية سموا بذلك لغلوهم فى على رضى الله عنه، وقولهم فيه ما لا يليق به من صفات الربوبية والنبوة.

والذين صنفوا كتبهم: هشام بن الحكم، وعلى بن منصور، وأبو الأحوص، والحسين بن سعيد والفضل بن شاذان وأبو عيسى الوراق وابن الراوندى والمنيجى.

وأكثر ما يكونون فى بلاد قم وقاشان وبلاد إدريس والكوفة.

(فصل) فأما الرافضة، فهم ثلاثة أصناف: الغالية، والزيدية، والرافضة.

أما الغالية فيتفرق منها اثنتا عشرة فرقة:

منها البيانية والطيارية، والمنصورية، والمغيرية، والخطابية، والمعمرية، والبزيعية، والمفضلية، والمتناسخة، والشريعية، والسبئية، والمفوضة.

وأما الزيدية فتشعبت ست شعب:

منها الجارودية، والسليمانية، والبترية، والنعيمية، واليعقوبية، والسادسة لا تنكر الرجعة ويتبرؤون من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

وأما الرافضة فتفرقت أربع عشرة فرقة:

القطعية، والكيسانية، والكريبية، والعميرية، والمحمدية، والحسينية، والناوسية، والإسماعيلية، والقرامطة، والمباركية، والشميطية، والعمارية، والممطورية، والموسوية، والإمامية.

والذى اتفقت عليه طوائف الرافضة وفرقها، إثبات الإمامة عقلاً وأن الإمامة نص،

وأن الأئمة معصومون من الآفات من الغلط والسهو والخطأ.

ومن ذلك إنكارهم إمامة المفضول والاختيار الذى قدمناه فى ذكر الأئمة.

ومن ذلك تفضيلهم عليًا رضى الله عنه على جميع الصحابة وتنصيصهم على إمامته بعد النبى ﷺ، وتبرؤهم من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وغيرهما من الصحابة إلا نفرًا منهم سوى ما حكى عن الزيدية، فإنهم خالفوهم فى ذلك.

ومن ذلك أيضًا ادعاؤهم أن الأمة ارتدت بتركهم إمامة على رضى الله عنه إلا ستة نفر.

وهم على وعمار والمقداد بن الأسود وسلمان الفارسى ورجلان آخران.

ومن ذلك قولهم: إن للإمام أن يقول لست بإمام فى حال التقية.

وإن الله تعالى لا يعلم ما يكون قبل أن يكون، وإن الأموات يرجعون إلى الدنيا قبل يوم الحساب.

إلا الغالية منهم، فإنها زعمت بأن لا حساب ولا حشر.

ومن ذلك قولهم: أن الإمام يعلم كل شىء ما كان وما يكون من أمر الدنيا والدين حتى عدد الحصى وقطر الأمطار وورق الشجر، وأن الأئمة تظهر على أيديهم المعجزات كالأنبياء عليهم السلام.

وقال الأكثرون منهم: إن من حارب عليًا رضى الله عنه فهو كافر بالله عزّ وجلّ، وأشياء ذكروها غير ذلك.

وأما الذى انفردت به كل فرقة:

فمنهم الغالية: وقد ادعت أن عليًا رضى الله عنه أفضل من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وادعت أنه ليس بمدفون فى التراب كبقية الصحابة رضى الله عنهم، بل هو فى السحاب يقاتل أعداءه تعالى من فوق السحاب، وأنه كرم الله وجه يرجع فى آخر الزمان يقتل مبغضيه وأعداءه، وأن عليًا وسائر الأئمة لم يموتوا، بل هم باقون إلى أن تقوم الساعة، ولا يجوز عليهم الموت.

وادعت أيضًا أن عليًا رضى الله عنه نبى وأن جبريل عليه السلام غلط فى نزول

الوحى عليه.

وادعت أيضًا أن عليًا كان إلهًا - عليهم لعنة الله وملائكته وسائر خلقه إلى يوم الدين، وقلع آثارهم وأباد خضراءهم، ولا جعل منهم فى الأرض ديارًا -.

لأنهم بالغوا فى غلوهم ومردوا على الكفر، وتركوا الإسلام وفارقوا الإيمان، وجحدوا الإله والرسل والتنزيل، فنعوذ بالله ممن ذهب إلى هذه المقالة.

ويتفرع عن الغالية:

- **البيانية**: وهم ينسبون إلى بيان بن سمعان.

ومن جملة فريتهم وأباطيلهم أن الله على صورة الإنسان. كذبوا على الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، قال عز وجل: ﴿**ليس كمثله شىء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى: ١١].

- **وأما الطيارية**: من الغالية، وهى منسوبة إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار يقولون بالتناسخ، وأن روح آدم عليه السلام روح الله نسخت فيه.

والمتعمقون من الغالية القائلون بالتناسخ يزعمون أن الروح المنقولة إلى هذه الدار بعد أن خرجت من الدنيا بالموت أول ما تنسخ فى حمل، ثم تنقل إلى ما دون هيكله أبدًا حالاً بعد حال، إلى أن تنقل إلى دود العذرة وما شاكل ذلك، وهو آخر ما ينسخ فيه.

حتى قال بعضهم: إن أرواح العصاة تنسخ فى الحديد والطين والفخار، وتكون معذبة بالنار والطبخ والضرب والسبك والابتذال والامتهان عقابًا على إجرامهم.

- **وأما المغيرية**: فمنسوبة إلى مغيرة بن سعيد، ادعى النبوة، وزعم أن الله نور على صورة رجل، وادعى إحياء الموتى وغير ذلك.

- **وأما المنصورية**: فمنسوبة إلى أبى منصور، كان يزعم أنه صعد إلى السماء، ومسح الرب رأسه، وزعم أن عيسى عليه السلام أول خلق الله، ثم على رضى الله عنه، ورسل الله لا تنقطع، وأن لا جنة ولا نار، وتزعم هذه الطائفة أن من قتل أربعين نفسًا ممن خالفهم دخل الجنة، ويستحلون أموال الناس، وأن جبريل عليه السلام أخطأ بالرسالة، وهو الكفر الذى لا يشوبه شىء.

- **وأما الخطابية**: فمنسوبة إلى أبى الخطاب، يزعمون أن الأئمة أنبياء أمناء، وفى كل وقت رسول ناطق وصامت فمحمد ناطق وعلى رضى الله عنه صامت.

ـ **وأما المعمرية:** فكذلك تقول، وانفردت عن الخطابية بالزيادة فى ترك الصلاة.

ـ **وأما البزيعية:** المنسوبة إلى بزيع، زعموا أن جعفراً هو الله فلا يرى ولكن شبه هذه الصورة، تبًا لهم ما أعظم فريتهم وكذبهم وأباطيلهم، بل يحطون إلى أسفل السافلين، إلى الهاوية والدرك الأسفل من النار بمقالتهم السوء ودعواهم الزور.

ـ **وأما المفضلية:** فمنسوبة إلى المفضل الصيرفى، ينتحلون الرسالة والنبوة، وقولهم فى الأئمة كقول النصارى فى المسيح.

ـ **وأما الشريعية:** فمنسوبة الى شريع، زعموا أن الله تعالى فى خمسة أشخاص النبى وآله، يعنى فى النبى وآله وهم: العباس وعلى وجعفر وعقيل.

ـ **وأما السبئية:** فمنسوبة إلى عبد الله بن سبأ، من دعواهم أن عليًا لم يمت، وأنه يرجع قبل يوم القيامة، والسيد الحميرى منهم.

ـ **وأما المفوضية:** فهم القائلون إن الله فوض تدبير الخلق إلى الأئمة، وإن الله تعالى قد أقدر النبى ﷺ على خلق العالم وتدبيره، وإن كان ما خلق الله من ذلك شيئًا، وكذلك قالوا فى حق على رضى الله عنه، ومنهم من إذا رأى السحاب سلم عليه، يزعم أن عليًا رضى الله عنه فيه، على ما بينّا من قبل.

وأما الزيدية: فإنما سموا بذلك لميلهم إلى قول زيد بن على فى تولية أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.

ـ **وأما الجارودية:** فمنسوبة إلى أبى الجارود، زعموا أن عليًا رضى الله عنه وصى رسول الله ﷺ وهو الإمام.

وقالوا إن النبى ﷺ نص على علىّ رضى الله عنه بصفته لا باسمه، ويسوقون الإمامة إلى الحسين، ثم هى شورى بينهم فيمن خرج منهم.

ـ **وأما السليمانية:** فمنسوبة إلى سليمان بن كثير، قال زرقان: زعموا أن عليًا كرم الله وجهه كان الإمام، وأن بيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما خطأ، لا يستحقان اسم السبق، وأن الأمة تركت الأصلح.

ـ **وأما البترية:** فمنسوبة إلى الأبتر وهو النواء، وكان يلقب به وزعموا أن بيعة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ليست بخطأ، لأن عليًا رضى الله عنه ترك الإمارة لهما، وهم واقفون فى عثمان، ويقولون علىّ إمام حين بويع.

ـ **وأما النعيمية**: فمنسوبة إلى نعيم بن اليمان، وهى تقول بقول الأبترية، إلا أنها تبرأت من عثمان بن عفان رضى الله عنه وكفرت به.

ـ **وأما اليعقوبية**: فيقولون: (بإمامة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما إلا أنهم يقولون بتفضيل على عليهما) وينكرون الرجعة، فهى تنسب إلى رجل يقال له يعقوب.

ـ **ومنهم** من تبرأ من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويقولون بالرجعة.

(فصل) وأما الرافضة، فالأربع عشرة فرقة التى تفرعت عنها:

ـ **أولها: القطعية**: سموا بذلك لقطعهم على موت موسى بن جعفر، ساقوا الإمامة إلى محمد بن الحنفية، وهو القائم المنتظر.

ـ **والثانية: الكيسانية**: وهى منسوبة إلى كيسان، يقولون بإمامة محمد بن الحنفية، لأنه دفع إليه الراية بالبصرة.

ـ **والثالثة: الكريبية**: وهم أصحاب ابن كريب الضرير.

ـ **والرابعة: العميرية**: وهم أصحاب عمير وهو إمامهم إلى خروج المهدى.

ـ **والخامسة: المحمدية**: وقد زعمت أن القائم محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين، وأنه أوصى إلى أبى منصور دون بنى هاشم، كما أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع بن نون دون ولده وولد هارون.

ـ **وأما السادسة: فالحسينية**: زعمت أن أبا منصور أوصى إلى ولده الحسين بن أبى منصور وهو الإمام بعده.

ـ **وأما الناوسية**: فلقبوا به لأنهم نسبوا إلى ناوس البصرى.

ـ **وأما الإسماعيلية**: فقد قالوا إن جعفرًا ميت والإمام بعده إسماعيل، وقالوا إنه يملك، وهو المنتظر عندهم.

ـ **وأما القرامطة**: فهم يسوقون الإمامة إلى جعفر، وأن جعفرًا نص على وارثة محمد ابن إسماعيل، ومحمد لم يمت وهو حى، وهو المهدى.

ـ **وأما المباركية**: فمنسوبة إلى رئيسهم المبارك، زعموا أن محمد بن إسماعيل مات، وأن الإمامة فى ولده.

ـ **وأما الشمطية**: فمنسوبة إلى رئيسهم يقال له يحيى بن شميط، زعموا أن الإمام جعفر ثم محمد بن جعفر ثم فى ولده.

ـ **وأما المعمرية:** ويقال لهم الأفطحية، لأن عبد الله بن جعفر كان أفطح الرجلين، يقولون إن الإمام بعد جعفر ابنه عبد الله وهم عدد كثير.

ـ **وأما الممطورية:** فسموا بذلك لأنهم ناظروا يونس بن عبد الرحمن وهو من القطعية الذين يقطعون على موت موسى بن جعفر، فقال لهم يونس: أنتم أهون من الكلاب الممطورة، فلزمهم هذا اللقب، ويسمون الواقفة، لوقوفهم على موسى بن جعفر، وقولهم هو حى لم يمت، ولا يموت، وهو المهدى عندهم.

ـ **أما الموسوية:** فسموا بذلك لوقوفهم فى موسى وقولهم لا ندرى أميت هو أم حى؟ وقالوا إن صحت إمامة غيره أنفذوها.

ـ **وأما الإمامية:** فيسوقون الإمامة إلى محمد بن الحسن، وأنه القائم المنتظر الذى يظهر فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا.

ـ **وأما الزرارية:** فهم أصحاب زرارة، ادعى ما ادعت العمارية، وقيل إنه ترك مقالتها وأنه سأل عبد الله بن جعفر عن مسائل ولم يعلمها فصار إلى موسى بن جعفر.

فقد شبهت مذاهب الروافض باليهودية؛ قال الشعبى: محبة الروافض محبة اليهود، قالت اليهود: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد على بن أبى طالب؛ وقالت اليهود: لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل بسبب من السماء، وقالت الروافض: لا جهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادى مناد من السماء، وتؤخر اليهود صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم، وكذلك الروافض يؤخرونها؛ واليهود تزول عن القبلة شيئًا، وكذلك الرافضة؛ واليهود تنوّر فى الصلاة، وكذلك الرافضة؛ واليهود تسدل أبوابها فى الصلاة، وكذلك الروافض؛ واليهود تستحل دم المسلم، وكذلك الروافض؛ واليهود لا ترى على النساء عدة، وكذلك الرافضة؛ واليهود لا ترى فى الطلاق الثلاث شيئًا، وكذلك الروافض؛ واليهود حرّفت التوراة، وكذلك الرافضة حرّفوا القرآن؛ لأنهم قالوا القرآن غيّر وبدل، وخولف بين نظمه وترتيبه، وأحيل عما أنزل عليه، وقرىء على وجوه غير ثابتة عن الرسول ﷺ، وأنه قد نقص منه وزيد فيه؛ واليهود يبغضون جبريل عليه السلام ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك صنف من الروافض يقولون غلط جبريل عليه السلام بالوحى إلى محمد ﷺ، وإنما بعث إلى علىّ رضى الله عنه، كذبوا تبًا لهم إلى آخر الدهر.

*** (فصل) وأما المرجئة ففرقها اثنتا عشرة فرقة:**

الجهمية، والصالحية، والشمرية، واليونسية، واليونانية، والنجارية، والغيلانية، والشبيبية، والغسانية، والمعاذية، والمريسية، والكرامية.

وإنما سموا المرجئة لأنها زعمت أن الواحد من المكلفين إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وفعل بعد ذلك سائر المعاصى لم يدخل النار أصلاً.

وأن الإيمان قول بلا عمل، والأعمال الشرائع، والإيمان قول مجرد، والناس لا يتفاضلون فى الإيمان، وأن إيمانهم وإيمان الملائكة والأنبياء واحد لا يزيد ولا ينقص ولا يستثنى فيه، فمن أقر بلسانه ولم يعمل فهو مؤمن.

(فصل):

ـ **وأما الجهمية:** فمنسوبة إلى جهم بن صفوان، وكان يقول: الإيمان هو المعرفة بالله ورسوله وجميع ما جاء من عنده فقط.

ويزعمون أن القرآن مخلوق، وأن الله تعالى لم يكلم موسى، وأنه تعالى لم يتكلم ولا يرى ولا يعرف له مكان وليس له عرش ولا كرسى، ولا هو على العرش.

وأنكروا الموازين وعذاب القبر، وكون الجنة والنار مخلوقين.

وادعوا أنهما إذا خلقتا تفنيان، والله عزّ وجلّ لا يكلم خلقه ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا ينظر أهل الجنة إلى الله تعالى ولا يرونه فيها، وأن الإيمان معرفة القلب دون إقرار اللسان، وأنكروا جميع صفات الحق عز وجل، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

ـ **وأما الصالحية:** فإنما سميت بذلك لقولها بمذهب أبى الحسين الصالحى.

وكان يقول: الإيمان هو المعرفة، والكفر هو الجهل، وإن قول من قال ثالث ثلاثة ليس بكفر وإن كان لا يظهر إلا ممن كان كافرًا، وأن لا عبادة إلا الإيمان.

ـ **وأما اليونسية:** فمنسوبة إلى يونس البرى، زعم أن الإيمان هو المعرفة والخضوع والمحبة لله عزّ وجلّ، وأنه من ترك خصلة منها فهو كافر.

ـ **وأما الشمرية:** فمنسوبة إلى أبى شمر، زعم أن الإيمان هو المعرفة والخضوع والمحبة والإقرار بأنه واحد ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى:١١] وذلك باجتماعه إيمانًا.

وقال أبو شمر: لا أسمى من ركب الكبيرة فاسقًا على الإطلاق دون أن أقول فاسق فى كذا وكذا.

ـ **وأما اليونانية:** فمنسوبة إلى يونان، زعموا أن الإيمان هو الإيمان والإقرار بالله ورسله، وما يجوز فى العقل إلا أن يفعله.

ـ **وأما النجارية:** فمنسوبة إلى الحسين بن محمد النجار.

يقولون: إن الإيمان هو المعرفة بالله وبرسله، وفرائضه المجتمع عليها، والخضوع له والإقرار باللسان، فمتى جهل منه شيئًا وقامت عليه الحجة ولم يقر به كان كافرًا.

ـ **وأما الغيلانية:** فمنسوبة إلى غيلان، وافقوا الشمرية وزعموا أن العلم بحدوث الأشياء ضرورى، والعلم بالتوحيد باللسان.

وفى حكاية زرقان أن غيلان يقول: بأن الإيمان هو الإقرار باللسان وهو التصديق.

ـ **وأما الشبيبية:** فهم أصحاب محمد بن شبيب.

زعموا أن الإيمان هو الإقرار بالله والمعرفة بوحدانيته ونفى التشبيه عنه.

وزعم محمد أن الإيمان كان فى إبليس، وإنما كفر لاستكباره.

ـ **وأما الغسانية:** فهم أصحاب غسان الكوفى، زعم أن الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله وبما جاء من عنده جملة على ما ذكره البُرْهُوتى فى كتاب الشجرة.

ـ **وأما المعاذية:** فمنسوبة إلى معاذ الموصى، كان يقول: من ترك طاعة الله يقال له إنه فسق، ولا يقال فاسق، والفاسق ليس بعدو لله ولا ولى.

ـ **وأما المريسية:** فمنسوبة إلى بشر المريسى، يزعمون أن الإيمان هو التصديق، وأن التصديق يكون بالقلب واللسان وإلى هذا كان يذهب ابن الراوندى.

وزعم أيضًا أن السجود للشمس ليس بكفر ولكنه أمارة الكفر.

(فصل):

ـ **وأما الكرامية:** فمنسوبة إلى أبى عبد الله محمد بن كرام، زعموا أن الإيمان هو الإقرار باللسان دون القلب، وأن المنافقين كانوا مؤمنين فى الحقيقة.

ومن قولهم إن الاستطاعة تتقدم الفعل مع وجود كونها مقارنة له، بخلاف ما قال أهل السنة من أنها مع الفعل، ولا يجوز أن تتقدمه من غير شرط.

ومؤلفو كتبهم: أبو الحسين الصالحى، وابن الراوندى، ومحمد بن شبيب، والحسين ابن محمد النجار.

وأكثر ما يكون مذهبهم بالمشرق ونواحى خراسان.

* * *

*** (فصل) فى ذكر مقالة المعتزلة والقدرية.**

وإنما سموا المعتزلة لاعتزالهم الحق، وقيل لاعتزالهم أقاويل المسلمين، لأن الناس كانوا مختلفين فى مرتكب الكبيرة.

فقال بعضهم: هم مؤمنون بما معهم من الإيمان، وقال بعضهم: هم كافرون، فأحدث واصل بن عطاء قولاً ثالثًا وفارق المسلمين واعتزل المؤمنين فقال: ما هم بمؤمنين ولا كافرين فسموا بذلك المعتزلة.

وقيل: إنما سموا بذلك، لاعتزالهم مجلس الحسن البصرى رحمه الله، فمر الحسن بهم وقال: هؤلاء معتزلة فلقبوا بذلك.

وهم يقتدون بعمرو بن عبيد، ولما غضب الحسن البصرى على عمرو بن عبيد عوتب فى ذلك، فقال: أتعاتبوننى فى رجل رأيته يسجد للشمس من دون الله فى المقام؟.

وسموا أيضًا قدرية لردهم قضاء الله عز وجل وقدره فى معاصى العباد، وإتيانهم بها بأنفسهم.

ومذهب المعتزلة والجهمية والقدرية فى نفى الصفات واحد، وقد ذكرنا بعض مذاهبهم فى الاعتقاد.

ومؤلفو كتبهم: أبو الهذيل، وجعفر بن حرب، والخياط ، والكعبى، وأبو هاشم، وأبو عبد الله البصرى، وعبد الجبار بن أحمد الهمدانى.

وأكثر ما يكون مذهبهم بالعسكر والأهواز وجهرم.

وهم ست فرق: الهذلية، والنظامية، والمعمرية، والجبائية، والكعبية، والبهشمية.

والذى اجتمعت عليه فرق المعتزلة نفى الصفات جميعها.

فنفت أن يكون له عز وجل علم وقدرة وحياة وسمع وبصر.

وكذلك نفى الصفات المثبتة بالسمع، من الاستواء والنزول وغير ذلك.

واجتمعت أيضًا على أن كلام الله محدث، وإرادته محدثة، وأنه تعالى تكلم بكلام خلقه فى غيره، ويريد بإرادة محدثة، لا فى محل ، وأنه تعالى يريد خلاف معلومه، ويريد من عباده ما لا يكون، ويكون ما لا يريد، وأنه تعالى لا يقدر على مقدورات غيره، بل يستحيل ذلك.

وأنه لم يخلق أفعال عبيده، بل هم الخالقون لها دون ربهم.

وإن أكثر ما يتغذاه الإنسان لم يرزقه الله إذا كان حرامًا، وإنما الذى يرزق الله الحلال دون الحرام، وأن الإنسان قد يقتل دون أجله، والقاتل يقطع أجله قبل حينه.

وأن من ارتكب كبيرة من الموحدين وإن لم يكن كفرًا فإنه يخرج بها من إيمانه، ويخلد فى النار أبد الآبدين، وتبطل جميع حسناته.

وأبطلوا شفاعة النبى ﷺ لأهل الكبائر، وأكثرهم نفوا عذاب القبر والميزان، ورأوا الخروج على السلطان وترك طاعته.

وأنكروا انتفاع الميت بدعاء الحى له والصدقة عنه ووصول ثوابها إليه.

وزعمت أيضًا أن الله سبحانه لم يكلم آدم ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله عليهم أجمعين، ولا جبريل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا حملة العرش ولا ينظر إليهم، مثل ما لا يكلم إبليس واليهود والنصارى.

وأما الذى انفردت به كل فرقة منها:

ـ **أما الهذيلية:** فقد انفرد شيخهم أبو الهذيل بأن لله علمًا وقدرة وسمعًا وبصرًا، وأن كلام الله بعضه مخلوق وبعضه غير مخلوق، وهو قوله تعالى: ﴿كن﴾ [البقرة:١١٧، وآل عمران:٤٧، ٥٩، والأنعام: ٧٣، والنحل: ٤٠، ومريم: ٣٥، ويس: ٨٢، وغافر: ٦٨].

وقال: إن الله تعالى ليس بخلاف خلقه، وأن مقدور الله متناه فيبقى أهل الجنة لا حركة لهم، والله تعالى لا يقدر على تحريكهم ولا هم يقدرون على ذلك.

ويجوز أن يكون الميت والمعدوم والعاجز يفعل الأفعال، وأبى أن يكون الله تعالى لم يزل سميعًا.

ـ **وأما النظامية:** فكان شيخهم النظام يقول: إن الجمادات تفعل بإيجاب الخلقة.

وكان ينفى الأعراض إلا الحركة الاعتمادية، ويقول: إن الإنسان هو الروح، وإن أحدًا لم ير النبى ﷺ، وإنما رأى ظرفه يعنى جسمه.

وخرق الإجماع فقال: من ترك الصلاة عامدًا ذاكرًا فلا إعادة عليه.

وكان ينفى إجماع الأمة، ويجوز اجتماعها على باطل، ويقول: إن الإيمان مثل الكفر، والطاعة كالمعصية وفعل النبى ﷺ كفعل إبليس اللعين وأن سيرة عمر وعلى رضى الله عنهما كسيرة الحجاج.

وإنما التزم ذلك وركبه لأنه كان يقول إن الحيوان كله جنس واحد.

وزعم أن القرآن ليس بمعجز فى نظمه، وأن الله تعالى ليس بقادر على تحريق الطفل ولو كان على شفير جهنم ولا على طرحه فيها.

وهو أول من قال بالكفر من أهل القبلة، وكان يقول: إن الجسم يتجزأ إلى ما لا غاية له.

وكان يقول: إن الحيات والعقارب والخنافس فى الجنة، وكذلك الكلاب والخنازير فى الجنة.

ـ **وأما المعمرية:** فكان شيخهم معمر يقول بقول أهل الطبائع ويتجاوز ويزعم أن الله تعالى لم يخلق لونًا ولا طعمًا ولا رائحة ولا موتًا ولا حياة، ولأن ذلك كله فعل الجسم بطبعه.

وكان يقول إن القرآن فعل الأجسام، وليس هو بفعل الله تعالى.

وأنكر أن يكون الله تعالى قديمًا ـ تبًا له وأبعده الله تعالى مع هذه المقالة ـ.

ـ **وأما الجبائية:** فكان شيخهم الجبائى، خرق الإجماع وشذ عنه فى أشياء منها:

أنه كان يقول: إن العباد خالقون لأفعالهم ولم يسبقه إلى هذه المقالة أحد.

وكان يقول: إن الله تعالى أحبل نساء العالمين بخلقه الحبل فيهن.

وكان يقول: إن الله مطيع لعباده إذا فعل ما أراده.

وقال من حلف أن يعطى غريمه حقه غدًا واستثنى فى ذلك بقول إن شاء الله لم ينفعه الاستثناء، فإذا لم يعط حنث.

وكان يقول إن من سرق خمسة دراهم كان فاسقًا، وإن نقصت منه حبة لم يفسق.

ـ **وأما البهشمية:** فمنسوبة إلى أبى هاشم بن الجبائى.

وكان أبو هاشم يجوِّز أن يكون المكلف قادرًا، وهو لا يكون فاعلاً ولا تاركًا، فيعاقبه الله تعالى على فعله.

وكان يقول: من تاب من سائر الذنوب إلا ذنبًا واحدًا لم تصح توبته فيما تاب منه.

ـ **وأما الكعبية:** فمنسوبة إلى أبى القاسم الكعبى وكان بغدادى المذهب.

فأنكر أن يكون الله سميعًا بصيرًا، وأن يكون مريدًا بالحقيقة، وأن إرادة الله تعالى من فعل عباده هى الأمر به، وإرادته من فعل نفسه فعله، وزعم أن العالم كله ملأ، وأن المتحرك إنما هو الصفحة الأولى من الأجسام، وأن الإنسان لو تدهن بدهن ومشى لم يكن المتحرك، وإنما الدهن هو المتحرك.

وكان يقول: إن القرآن محدث ولا يقول مخلوق.

* * *

* **(فصل) فى ذكر مقالة المشبهة، فهم ثلاث فرق: الهشامية، والمقاتلية، والواسمية.**

والذى اتفقت عليه الفرق الثلاث إن الله جسم، وأنه لا يجوز أن يعقل الموجود إلا جسمًا، والذى غلب عليهم التشبيه فرق الروافض والكرامية.

والذى ألف كتبهم: هشام بن الحكم، وله كتاب فى إثبات الجسم.

ـ **أما الهشامية:** فمنسوبة إلى هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم طويل عريض عميق نور ساطع له قدر من الأقدار كالسبيكة الصافية يتحرك ويسكن ويقوم ويقعد.

وحكى عنه أنه قال: أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار، وقيل له: ربك أعظم أم أحد؟ فقال ربى أعظم.

ـ **وأما المقاتلية:** فمنسوبة إلى مقاتل بن سليمان حكى عنه أنه قال: إن الله تعالى جسم، وإنه جثة على صورة الإنسان لحم ودم وله جوارح وأعضاء من رأس ولسان وعنق.

وإنه فى جميع ذلك لا يشبه الأشياء، والأشياء لا تشبهه.

* * *

* **(فصل) فى ذكر مقالة الجهمية:**

تفرد جهم بن صفوان بأن الإنسان إنما ينسب إليه ما يظهر منه على المجاز لا على الحقيقة، كما يقال: طالت النخلة وأدركت الثمرة.

وكان يأبى أن يقول: (إن الله شىء ويقول يحدث علم الله ويمتنع أن يقول)، إن الله كان عالمًا بالأشياء قبل كونها، ويقول: إن الجنة والنار تفنيان وينفى الصفات.

وكان مذهب جهم بترمذ وهو بلد، وقيل بمرو، وله تآليف فى نفى الصفات، قتله مسلم بن أحور المازنى.

* * *

* **وأما الضرارية:** فمنسوبة إلى ضرار بن عمرو، وكان يقول ضرار إن الأجسام أعراض مجتمعة، وجوز أن تنقلب الأعراض أجسامًا، وأن الاستطاعة بعض المستطيع وهى قبل الفعل ومع الفعل، وأنكر قراءة ابن مسعود وأبى بن كعب رضى الله عنه.

* * *

* **وأما النجارية:** فهي منسوبة إلى الحسين بن محمد النجار كان يثبت فعل الفاعلين بالحقيقة لله وللعبد.

وكان يقول بنفي الصفات، وقال بقول المعتزلة في نفي الصفات، إلا في نفي الإرادة، فإنه أثبت أن القديم مريد لنفسه.

وكان يقول بخلق القرآن، ويقول إن الله مريد على معنى أنه ليس بمقهور ولا مغلوب، وإن الله متكلم بمعنى أنه ليس بعاجز عن الكلام، وأنه لم يزل جوادًا بمعنى نفي البخل عنه.

ومذهبه موافق لمذهب ابن عون وابن يوسف الرازي، وأكثر ما يكون مذهبه بقاشان.

* * *

* **وأما الكلابية:** فمنسوبة إلى عبد الله بن كلاب، وكان يقول صفات الله ليست بقديمة ولا محدثة وكان يقول: لا أقول صفاته هي هو، ولا هي غيره، وإن معنى الاستواء نفي الاعوجاج في قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [طه:٥] وإن الله لم يزل على ما كان عليه من قبل وأن لا مكان له، ونفى أن يكون القرآن حروفًا.

(فصل) في ذكر مقالة السالمية: وهي منسوبة إلى ابن سالم.

من قولهم إن الله سبحانه يرى يوم القيامة في صورة آدمي محمدي، وإنه عز وجل يتجلى لسائر الخلق يوم القيامة من الجن والإنس والملائكة والحيوان أجمع لكل واحد في معناه، وفي كتاب الله تكذيبهم، وهو في قوله عز وجل: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [الشورى:١١].

ومن قولهم إن لله تعالى سرًا لو أظهره لبطل التدبير، وللأنبياء سرًا لو أظهروه لبطلت النبوة، وللعلماء سرًا لو أظهروه لبطل العلم.

وهذا فاسد، لأن الله تعالى حكيم وتدبيره محكم لا يتطرق نحوه البطلان والفساد، وما ذكروه يؤدي إلى إبطال حكمته تعالى وهذا كفر.

ومن قولهم إن الكفار يرون الله تعالى في الآخرة ويحاسبهم.

ومن قولهم إن إبليس سجد لآدم في الثانية، وفي القرآن تكذيبهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾ [البقرة:٣٤]، وقوله تعالى: ﴿**إلا إبليس لم يكن من الساجدين**﴾ [الأعراف:١١].

ومن قولهم: إن إبليس ما دخل الجنة، وفى القرآن تكذيبهم، وهو قوله تعالى: **﴿فاخرج منها فإنك رجيم﴾** [الحجر: ٢٤، وص: ٧٧].

ومن قولهم: إن جبريل كان يجىء إلى النبى ﷺ ولا يبرح من مكانه.

ومن قولهم إن الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام أعجب موسى بنفسه، فأوحى الله إليه يا موسى أتعجبك نفسك، مد عينيك، فمد موسى عينيه فنظر فإذا مائة طور، على كل طور موسى.

وهذا منكر عند أهل النقل وأصحاب الحديث، وقد أوعد النبى ﷺ من كذب عليه فقال: «من كذب علىَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[1].

ومن قولهم إن الله تعالى يريد من العباد الطاعات ولا يريد منهم المعاصى، وإنه عز وجل أرادها بهم لا منهم.

وهذا باطل منهم، لأن الله تعالى قال: **﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا﴾** [المائدة: ٤١] يعنى كفره، وقال الله تعالى: **﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾** [الأنعام: ١١٢]، **﴿ولو شاء الله ما فعلوه﴾** [الأنعام: ١٣٧]، وقال تعالى: **﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا﴾** [البقرة: ٢٥٣].

ومن قولهم إن النبى ﷺ كان يحفظ القرآن قبل النبوة وقبل أن يأتيه جبريل عليه السلام.

وفى القرآن تكذيبهم، وهو قوله تعالى: **﴿ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان﴾** [الشورى: ٥٢]، وقوله تعالى: **﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾** [العنكبوت: ٤٨].

ومن قولهم: إن الله تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، وإنهم إذا سمعوا القرآن من قارئ فإنما يسمعونه من الله.

وهذا القول يفضى إلى الحلول، نعوذ بالله من ذلك، ويؤدى إلى أن الله تعالى يلحن ويغلط، وهذا كفر.

ومن قولهم: إن الله تعالى فى كل مكان، ولا فرق بين العرش وغيره من الأمكنة.

* * *

---

(١) البخارى ١/ ٣٨، ومسلم فى: المقدمة: حديث (٣، ٤)، وأحمد ١/ ٧٨.

القسم الثالث

فى

المجالس

باب
وأما الاتعاظ بمواعظ القرآن والألفاظ النبوية ففى مجالس نسوقها
الأول من ذلك:

مجلس فى قوله عز وجل:
﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل:٩٨]

اعلم أن هذه الآية فى سورة النحل وهى مكية، إلا ثلاث آيات من آخرها أُنزلت بالمدينة، وعدد آياتها مائة وعشرون آية وثمان آيات، وعدد كلماتها ألف وثمانمائة وإحدى وأربعون كلمة، وحروفها سبعة آلاف وسبعمائة وتسعة أحرف.

قال أهل التفسير: كان سبب نزول هذه الآية «أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم وقرأ ﴿والليل إذا يغشى...﴾ [الليل:١] فى صلاة الفجر بمكة أعلنهما فلما بلغ إلى قوله: ﴿أفرأيتم اللات والعزى * ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم:١٩ - ٢٠] نعس النبى ﷺ فألقى الشيطان على لسانه «الغرانيق العلا عندها الشفاعة ترتجى»[1] يعنى الأصنام.

قال: ففرح المشركون بذلك، لأنهم اثبتوا لها الشفاعة، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، كما قال الله عز وجل: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر:٣].

وكانوا يقولون إنها أجسام طاهرة ليس لها ذنوب، فهى أولى بالعبادة لها من غيرها من الملوك والملائكة، لأن لهم ذنوبًا وهم ذوو أرواح، فشبهوا الأصنام بالغرانيق، وهى الذكور من الطيور، واحدها: غرنوق وغرنيق، لكونها تعلو وترتفع فى السماء.

وقيل: هو طائر أبيض من طير الماء.

وقيل: هو الكركى.

ويسمى أيضًا الشاب الناعم غرنوقًا. ومنه حديث على رضى الله عنه: فكأنى انظر إلى غرنوق من قريش يتشحط فى دمه: أى شاب.

وقال مقاتل: يعنى الملائكة رجوا أن تكون للملائكة شفاعة، لأن طائفة من الكفار

---

(١) الدر المنثور ٤/٣٦٧. وقد ألف العلامة الألبانى رسالة فى ذلك سماها: نصب المجانيق فى نسف الغرانيق.

كانت تعبد الملائكة، فلما بلغ الرسول ﷺ خاتمة النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشرك، غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً شيخًا كبيرًا، فرفع ملء كفه من التراب إلى جبهته فسجد عليه، فقال: نحنى كما تحنى أم أيمن وصواحباتها، وكان أيمن خادم النبى ﷺ فقتل يوم حنين.

فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك، وهما من سجع الشيطان وفتنته ألقاهما على لسان النبى ﷺ عند آخر ذكر الطواغيت والأصنام.

فعجب الفريقان كلاهما من سجودهم أجمعين، واتباعهم للنبى ﷺ فى ذلك.

فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين على غير إيمان ولا يقين، وأما المشركون فطابت أنفسهم إلى النبى ﷺ وأصحابه، لما سمعوا منه ما ألقى الشيطان فى أمنيته واستبشروا وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فسجدوا تعظيمًا لآلهتهم، ففشت الكلمتان فى الناس بإظهار الشيطان حتى بلغتا الحبشة، فكبر ذلك على النبى ﷺ فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام وقال: معاذ الله من هاتين الكلمتين ما أنزلهما ربى عز وجل ولا أمرنى بهما ربك، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ شق عليه وقال: أطعت الشيطان وتكلمت بكلامه، وأشركته فى أمر الله عز وجل، فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأنزل عليه: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته﴾** [الحج:٥٢] يعنى فى تلاوته وقراءته **﴿فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾** [الحج:٥٢].

فلما برأ الله عزّ وجل نبيه ﷺ من سجع الشيطان وفتنته انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم، ثم أمر النبى ﷺ بالاستعاذة فأنزل الله عز وجل **﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾** [النحل:٩٨].

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: معناه إذا أردت أن تقرأ القرآن فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، يعنى احترز بالله من الشيطان الرجيم: أى إبليس اللعين، يعنى المرجوم باللعنة، يقال: ليس شىء قط أغيظ على إبليس اللعين من التعوذ بالله منه **﴿إنه ليس له سلطان﴾** [النحل:٩٩] يعنى ملكًا **﴿على الذين آمنوا﴾** [النحل:٩٩] فى علم الله فى الشرك فيضلهم عن الهدى **﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾** [النحل:٩٩] يعنى بالله يثقون **﴿إنما سلطانه﴾** [النحل:١٠٠] يعنى ملكه **﴿على الذين يتولونه﴾** [النحل:١٠٠] يعنى إبليس

اللعين، يعنى يتبعونه على أمره فيضلهم عن دينهم الإسلام ﴿والذين هم به﴾ [النحل: ١٠٠] يعنى بالله ﴿مشركون﴾ [النحل: ١٠٠] أى من أجله مشركون.

(فصل) ومعنى أعوذ: الاستعاذة والاستجارة والالتجاء والمعاذ والملتجأ، يقال: عاذ به يعوذ عياذًا وأعوذ عوذًا، ومعنى معاذ الله: أى ألجأ إليه وأعوذ به. يقال: هذا عوذ لى مما أخاف، أى مجيرى والدافع عنى، فكان العبد يعوذ بالله ليقيه شر الشيطان، والتعوذ بالقرآن هو التشفى به.

وقيل: معنى الاستعاذة: الاحتراز بالله عزو جل، قال الله تعالى حاكيًا عن أم مريم حنة: ﴿وإنى أعيذها بك وذريتها﴾ [آل عمران: ٣٦] يعنى مريم وعيسى ﴿من الشيطان الرجيم﴾ [آل عمران: ٣٦] يعنى احترز بالله فى حقهما من الشيطان الرجيم.

واشتقاق الشيطان مأخوذ من الشطن وهو الحبل الطويل المضطرب، والشطن: البعد، فكأنه تباعد من الخير وطال فى الشر واضطرب فيه، ثم قيل للإنسان شيطان: أى كالشيطان فى فعله، وكل شىء مستقبح فهو مشبه بالشيطان، فيقال كأن وجهه وجه الشيطان، وكأن رأسه رأس الشيطان، ومنه قوله عز وجل: ﴿طلعها كأنه رؤوس الشياطين﴾ [الصافات: ٦٥] فهو رأس الشيطان المعروف، وقد قيل هى حيات لها رؤوس منكرة وأعراف، وقيل رؤوس الشياطين ثبت معروف.

وأما الرجيم: فهو المرجوم باللعن: أى رماه باللعن وأبعده من الحضرة بعصيانه فى ترك السجود لآدم عليه السلام، ورجمته الملائكة بالرماح وطردته بها حينئذ من السماء إلى الأرض، ثم جعلت له الكواكب رجومًا، فيرجم هو وذريته إلى أن تقوم الساعة بالكواكب وباللعن. كما قال الله عز وجل: ﴿وجعلناها رجومًا للشياطين﴾ [الملك: ٥].

(فصل) الشيطان بعيد من الله، وبعيد من كل خير، وبعيد من الجنة، وقريب إلى النار.

فأمر النبى ﷺ وأمته الكرام بالتعوذ من الشيطان الرجيم، المبعد من الرحمن ليبعدوا من النيران، ويقربوا إلى الجنان، وينظروا إلى وجه المنان.

فكأن الله عز وجل يقول: يا عبدى، الشيطان منى بعيد، وأنت منى قريب، فأحسن الأدب فى حفظ الحال حتى لا يكون للشيطان عليك سبيل لسبب من الأسباب، وحسن الأدب فى أداء الأمر وانتهاء النهى والرضا بجريان المقدور فى النفس والمال والأهل والولد والخلائق أجمعين.

فإذا دام العبد على ذلك ولازمه وواظب عليه وعانقه، كانت له النجاة من فتن الشيطان ووساوسه، وهواجس النفس وغوائلها، وعذاب القبر وضغطته، وهول القيامة وشدتها، وألم النار وزفرتها، وكان فى جوار الله فى جنة المأوى، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، متقلبًا فى نعم الله فى كل حال، دائمًا أبدًا، قال الله عز وجل: **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾** [الحجر: ٤٢].

فإذا كان على العبد سمة العبودية للملك الأعلى، لم يكن للشيطان الضعيف الخسيس الأدنى عليه تسلط وابتلاء لا فى الجلوة ولا إذا خلا، لا على القلب بالمعصية إذا نوى، ولا على الجوارح إذا كادت بها أن تهوى وتردى.

فحينئذ يسمع النداء هكذا فعلنا بمن ترك الهوى، واتبع الحق وبه اهتدى، وفيه يختصم الملأ الأعلى، وبالعظيم يدعى فى الملكوت الأعلى، وبه يباهى الملك الأعلى على العرش إذ هو عليه استوى، بكلامه القديم، المصون من سجع الشيطان والباطل عند قراءة القارئ إذا قرأ **﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾** [يوسف: ٢٤] إذ هو السر والعلانية اتقى، فالفرار من الشيطان الرجيم ودعائه أحرى وأولى، إذ الحذر واقع من العلى الأعلى حيث قال: **﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوًا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾** [فاطر: ٦]، **﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون﴾** [يس: ٦٢].

فاتباع الشيطان أصل كل شقاوة وعناء وفى المخالفة سعادة ونعماء وراحة وهدى، والخلود فى دار البقاء.

(فصل) ويستفيد العبد بالاستعاذة خمسة أشياء:

أحدها: الثبات على الدين والبقا.

والثانى: السلامة من شر اللعين والعناء.

والثالث: الدخول فى الحصن الحصين والزلفى.

والرابع: الوصول إلى اللقاء الأمين مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين.

والخامس: نيل معونة رب الأرض والسماء.

كما ذكر فى بعض الكتب المتقدمة لما قال إبليس اللعين فى مخاطبته لله عز وجل: **﴿لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم﴾** [الأعراف: ١٧].

قال الله تعالى: «وعزتى وجلالى لآمرنهم بالاستعاذة فإذا استعاذوا بى حفظتهم عن اليمين بالهداية، وعن الشمال بالعناية، وعن الخلف بالعصمة، وعن القدام بالنصرة، حتى لا تضرهم وسوستك يا معلون».

ورد فى بعض الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من استعاذ بالله مرة حفظه الله تعالى فى يومه ذلك».

وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «أغلقوا أبواب المعاصى بالاستعاذة وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية».

وقيل: إن إبليس يبعث كل يوم ثلاثمائة وستين عسكرًا لإضلال المؤمن، فإذا استعاذ المؤمن بالله عز وجل نظر الله إلى قلبه ثلاثمائة وستين نظرة، ففى كل نظرة من نظراته يهلك عسكرًا من عساكره لعنه الله.

(فصل) والذى يخاف الشيطان منه ويحذره الاستعاذة، وشعاع نور معرفة قلوب العارفين، فإن لم تكن من العارفين فعليك باستعاذة المتقين إلى الله ترقى إلى درجة العارفين، فحينئذ شعاع نور قلبك يكسر شوكته، ويهزم جنده ويبيد حضراه، ويقلع شافته فى خاصتك، وربما جعلت سجنه لإخوانك وأتباعك، كما ورد عن النبى ﷺ فى حق عمر بن الخطاب رضى الله عنه «إن الشيطان يفر من ظلك يا عمر»[1].

وقوله ﷺ: «ما سلك عمر واديًا إلا والشيطان سلك غير ذلك الوادى»[2].

وقيل: إن الشيطان كان يصرع إذا رأى عمر رضى الله عنه.

فإذا علم الشيطان من العبد الصدق فى عداوته والمخالفة لدعوته أيس منه وتركه واشتغل بغيره.

وإنما يأتيه لممًا أحيانًا على وجه الاختفاء والتلصص، فليكن العبد أبدًا ملازمًا للصدق مستيقظًا مرتقبًا لمجىء الشيطان وكيده، فإن مثقبه دقيق، وعداوته قديمة أصلية، وإنه يجرى فى الجلود واللحوم كجرى الدم فى العروق.

وقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول بعد كبره: اللهم إنى أعوذ بك من أن أزنى أو أقتل، فقيل له: أتخاف من ذلك؟ فقال كيف لا أخاف وإبليس حى.

(١) بنحوه: كنز العمال ٣٢٧٦٤.

(٢) جامع المسانيد ٢/٢٨٦.

(فصل) وأولى ما يستعان به على محاربة الشيطان ودفعه كلمة الإخلاص ، وذكر المرء ربه عز وجل.

كما قال النبى ﷺ حاكيًا عن ربه عز وجل أنه قال: «لا إله إلا الله حصنى، فمن دخل حصنى أمن من عذابى»(١).

وقوله عليه الصلاة والسلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة»(٢).

فالشيطان سبب العذاب، فإذا قال العبد الكلمة وتقمص بموجباتها من أداء الأوامر وترك النواهى، فرآه الشيطان متلبسًا بذلك، تباعد منه ولم يقدم عليه، فنجا العبد من فتنته، كما ينجو بجنة القتال من سلاح عدوه.

وكذلك التسمية يكثر ذكرها، فإنه روى عن النبى ﷺ «أنه سمع رجلاً يقول تعس الشيطان، فقال له عليه الصلاة والسلام: لا تقل هكذا، فإنه يتعاظم الشيطان اللعين ويقول: بعزتى غلبتك، ولكن قل: بسم الله، فإنه يتصاغر الشيطان حتى يصير مثل الذرة»(٣).

وكذلك يستعان عليه بترك الطمع فيما سوى فضل الله عز وجل من أبناء الدنيا وأموالهم وحمدهم وثنائهم وجمعهم والتكثر بهم وهداياهم، فإن الدنيا وأبناءها مال الشيطان وجنوده وحزبه، والمرء مع ماله والملك مع جنده.

فعلى العبد اليأس من ذلك كله، والاستغناء بالله عز وجل والثقة به، والتوكل عليه والرجوع إليه فى جميع أموره وأحواله واستعمال الورع من الحرام والشبهة وترك منّة الخلق والتقلل من مباح الدنيا وحلالها، والأكل بشهوة وشره كحاطب الليل من غير تفتيش وتنقير، ومن لم يبال من أين مطعمه ومشربه لم يبال الله تعالى من أى أبواب النار يدخله.

فيلزم العبد ذلك حتى ييأس الشيطان منه، فيسلم برحمة الله وعونه، فإن لم يفعل ذلك فالشيطان قرينه فى قلبه وصدره، قال الله عز وجل: ﴿**ومن يعش عن ذكر الرحمن**

---

(١) الإتحاف ٣/ ١٤٦، وابن عساكر ٢/ ٨٢.

(٢) الطبرانى ٥/ ٢٢٣، ومجمع الزوائد ١/ ١٧، ١٨.

(٣) بنحوه: مجمع الزوائد ١٠/ ١٣١ ـ ١٣٢ وقال: رواه أحمد بأسانيده ورجالها كلها رجال الصحيح.

نقيض له شيطانًا فهو له قرين﴾ [الزخرف: ٣٦].

فتارة يوسوسه فى الصلاة، وأخرى يُمَنِّيه الأمانى الباطلة من شهوات النفس المحرمة منها والمباحة، ومرة يثبطه عن المسارعة فى الخيرات، والإتيان بالسنن والواجبات، والعبادات والقربات، فيخسر الدنيا والآخرة، فيحشر معه، وربما سلب الإيمان فى آخر عمره فيخلد معه فى النار يوم القيامة، مع فرعون وهامان وقارون، نعوذ بالله من سلب الإيمان، ومتابعة الشيطان فى السر والإعلان.

(فصل) روى مقاتل[1] عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: راح أصحاب رسول الله ﷺ ذات عشية يريدون رسول الله ﷺ فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وسلمان وعمار بن ياسر رضى الله عنهم أجمعين، فخرج رسول الله ﷺ وقد أخذته الرحضاء، يعنى عرق الحمى، يتحدر منه مثل الجمان، يعنى اللؤلؤ، ثم مسح جبهته وقال: لعن الله الملعون ثلاثًا، ثم أطرق، فقال له على رضى الله عنه: بأبى أنت وأمى من لعنت آنفًا؟ فقال ﷺ: إبليس الخبيث، عدو الله دخل ذنبه فى دبره، فباض سبع بيضات، فهم أولاده الموكلون ببنى آدم:

أحدهم: اسمه المدهش وُكّل بالعلماء، يردهم إلى الأهواء المختلفة.

والثانى: اسمه حديث، وهو صاحب الصلاة، فينسيهم الذكر، ويعبثهم بالحصا، ويطرح عليهم التثاؤب والنعاس حتى ينام أحدهم فيقال له: قد نمت، فيقول: لم أنم، فيدخل فى الصلاة بغير وضوء، والذى نفس محمد بيده ليخرجن أحدهم من صلاته ما له شطرها ولا ربعها ولا عشرها، ووزرها أكثر من أجرها.

والثالث: اسمه الزلبنون، وهو صاحب الأسواق، يأمرهم بالتطفيف والكذب فى الشراء والبيع والتحلية لسلعه، والمدحة لها إذا باعها حتى ينفقها عن نفسه.

والرابع: اسمه بتر، وهو صاحب قد الجيوب وخمش الوجوه، والدعاء بالويل والثبور عند نزول المصيبة، حتى يحبط أجر صاحبها.

والخامس: اسمه منشوط، وهو صاحب أخبار الكذب والنميمة والهمز والفخر حتى يؤثم العباد.

---

(١) مقاتل هو: ابن سليمان بن كثير الأدى الخراسانى. قال الذهبى: متروك الحديث مع أنه كان من أوعية العلم بحرًا فى التفسير. له ترجمة فى: طبقات المفسرين ٢/ ٣٣٠ - ٣٣١.

والسادس: اسمه واسم، وهو صاحب الزنا الذى ينفخ فى إحليل الرجل وعجز المرأة حتى يزنى كل واحد منهما بصاحبه.

والسابع: اسمه الأعور، وهو صاحب السرقة، يقول للسارق: لتسد بها فاقتك، وتقضى بها دينك، وتستر بها عورتك ثم تتوب.

فينبغى لكل مؤمن ألا يغفل عن الشيطان فى سائر أحواله، ولا يأمنه فى جميع أموره(١).

وقد جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «إن للوضوء شيطانًا يقال له الولهان، فاستعيذوا بالله منه»(٢).

وجاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «تراصوا فى الصفوف لئلا يتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف»(٣).

قالوا: وما بنات حذف ؟ قال أبو حذيفة: قال أبو عبيدة هى هذه الغنم الصغار الحجازية، واحدتها: حذفة.

ويقال نقد أيضًا، ونقاد ليس لها أذناب ولا آذان يجاء بها من جرش، بلد باليمن.

وقد روى عن عثمان بن العاص رضى الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله كيف حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى؟ فقال ﷺ: ذاك شيطان يقال له خنزب إذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثًا ففعلت ذلك، فأذهبه الله عنى(٤).

وقال النبى ﷺ فى الحديث المشهور: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: ولا أنا إلا أن الله تبارك وتعالى قد أعاننى عليه فأسلم»(٥).

وفى حديث آخر عنه ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: ولا أنا إلا أن الله قد أعاننى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير»(٦).

---

(١) علامات الوضع على هذا الحديث لائحة.

(٢) بنحوه: البيهقى ١/١٩٧، والعلل المتناهية ١/٣٤٦.

(٣) الحاكم ١/٢١٧، وقال: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه بهذا اللفظ، ووافقه الذهبى.

(٤) مسلم فى: السلام: حديث (٦٨)، وأحمد ٤/٢١٦.

(٥) دلائل النبوة ٧/١٠١، وبنحوه مسلم فى: صفات المنافقين: حديث (٦٩)، وأحمد ١/٣٨٥.

(٦) سبق تخريجه.

وقيل: إن الله لما لعن إبليس، خلق منه زوجته الشيطانة من ضلعه الأيسر، كما خلقت حواء من آدم عليه السلام، فغشيها فحملت منه إحدى وثلاثين بيضة، فصارت أصلاً لذريته، فتفرعت الذرية عنها، فطبقت البر والبحر حتى قيل: فقصت كل بيضة عشرة آلاف ذكر وأنثى، يعنى تفرعت منها، فسكنوا الجبال والجزائر والخرابات والفلوات والبحار والرمال والأدغال والآجام والعيون ومجامع الطرق والحمامات والكنف والمزابل والهواء ومعارك الحروب والنواقيس والقبور والدور والقصور وخيام الأعراب وجميع البقاع قال تعالى: **﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً﴾** [الكهف: ٥٠].

فويل لمن استبدل بعبادة الله عز وجل طاعة الشيطان وذريته، لا جرم أنه معهم فى النار خالدًا فيها إن لم يتب ولم يتذكر فيتنبه لنفسه ويسعى فى فكاكها وخلاصها، فيفارق قرناء السوء والأعمال الخبيثة، ودعاة الضلال وجنود الشيطان، فيرجع إلى الله، ويلزم طاعته، ويجالس العلماء من عباده، والعارفين به العاملين له الداعين إليه الراغبين فيه، والراجين لفضله الخائفين لسطوته، الراهبين من أخذته الزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى العقبى، القائمين فى الليل، والصائمين فى النهار، الباكين على ما فات من أيام البطالات، العازمين على الخيرات فيما يأتى من الساعات، التائبين من جميع الذنوب والخطيئات، المتوكلين على خالق الأرض والسموات، الواثقين برب الخليقة والبريات فى اللحظات والساعات، القانتين فى آناء الليل وأطراف النهار، أولئك آمنون من السلاسل والأغلال وآفات الدنيا وأهوال النيران، لأنهم خالفوا طاعة الشيطان، وأطاعوا الرحمن فى السر والإعلان، فقابلهم الديّان، وجازاهم المنّان بما أخبر فى قوله البيان: **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا * وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا﴾** [الإنسان: ١١ ـ ١٢]، وقوله تعالى: **﴿إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾** [القمر: ٥٤ ـ ٥٥]، وقال تعالى: **﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾** [الرحمن: ٤٦].

وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه هذا العبد المفتون بعد تقواه بقوله تعالى: **﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾** [الأعراف: ٢٠١].

فأخبر عز وجل أن جلاء القلوب بذكر الله وبه يزول عنها الغطاء والظلمة والرين والغفلة، وبه تنكشف الكروب، فالذكر مفتاح التقوى والورع، والتقوى باب الآخرة،

كما أن الهوى باب الدنـيا، قال الله تعالى: ﴿واذكروا ما فيـه لعلكم تتقون﴾ [البقرة: ٦٣] فأخبر تبارك وتعالى أن الإنسان بالذكر يتقى.

(فصل) وفى القلب لمتان: لمة من الملك، وهى إيعاد بالخـير وتصديق بالحق، ولمة من العدو، وهى إيعاد بـالشر، وتكذيب بالحق، ونهى عن الخير، وهو مـروى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه.

وقال الحسن البصرى رحـمه الله: وإنما هما همان يجولان فى القلب: هم من الله، وهم من العدو، فرحم الله عبداً وقف عند همه، فـما كان من الله أمضاه، وما كان من عدوه جاهده.

وقال مجاهد رحمه الله فى قوله تعالى: ﴿من شر الوسواس الخناس﴾ [الناس: ٤] قال: هو ينبسط على قلب الإنسان، فإذا ذكر الله خنس وانقبض، وإذا غفل انبسط على قلبه.

وقال مقاتل رحمه الله: هو الشيطان فى صورة خنزير معلق فى القلب فى جسد ابن آدم، يجرى منه مجرى الدم، سلطه الله عـز وجل على ذلك من الإنسان، فذلك قوله: ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ [الناس: ٥].

فإذا سـها ابن آدم وسوس فى قـلبه حتى يبـتلع قلبه الخناس، الذى إذا ذكـر الله عز وجل ابن آدم خنس عن قلبه، فذهب عنه وخرج من جسده.

وقال عكرمة رحـمه الله: الوسواس محله من الرجل فى فؤاده وعـينيه، ومحله فى المرأة فى عينيها إذا أقبلت، وفى عجيزتها إذا أدبرت.

(فصل) وفى القلب خواطر ستة:

أحدها: خاطر النفس.

والثانى: خاطر الشيطان.

والثالث: خاطر الروح.

والرابع: خاطر الملك.

والخامس: خاطر العقل.

والسادس: خاطر اليقين.

فخاطر النفس يأمر بتناول الشهوات ومتابعة الهوى المباح منه والجناح.

وخاطر الشيطان يأمر فى الأصل بالكفر والشرك والشكوى والتهمة لله عز وجل فى وعده، وفى الفزع بالمعاصى والتسويف بالتوبة، وما فيه هلاك النفس فى الدنيا والآخرة.

فالخاطران مذمومان محكوم لهما بالسوء، وهما لعموم المؤمنين.

وخاطر الروح، وخاطر الملك: يردان بالحق والطاعة لله عز وجل، وما يكون عاقبته سلامة الدنيا والآخرة، وما يوافق العلم.

فهما محمودان لا يعدمهما خصوص الناس.

وأما خاطر العقل، فتارة يأمر بما تأمر به النفس والشيطان، وأخرى بما يأمر به الروح والملك، وذلك حكمة من الله وإتقان لصنعه، ليدخل العبد فى الخير والشر بوجود معقول، وصحة شهود وتميز، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدًا له وعليه، لأن الله تعالى جعل الجسم مكانًا لجريان أحكامه، ومحلاً لنفاذ مشيئته فى مبانى حكمته، كذلك جعل العقل مطية الخير والشر، يجرى معهما فى خزانة الجسم إذ كان مكانًا للتكليف وموضعًا للتصريف، وسببًا للتعريف العائد إلى لذة النعيم أو عذاب أليم.

وأما خاطر اليقين، وهو روح الإيمان ومورد العلم، فيرد من الله تعالى، ويصدر عنه.

وهو مخصوص بخواص من الأولياء الموقنين الصديقين، والشهداء والأبدال، لا يرد إلا بحق، وإن خفى وروده ودق مجيئه، ولا ينقدح إلا بعلم لدنى وأخبار الغيوب وأسرار الأمور، فهو للمحبوبين والمرادين والمختارين الفانين بالله فيه عنهم، الغائبين عن ظواهرهم، الذين انقلبت عبادتهم الظاهرة إلى الباطنة، ما خلا الفرائض والسنن المؤكدات، فهؤلاء أبدًا فى مراقبة بواطنهم، والله تعالى يتولى تربية ظواهرهم، كما قال عز وجل فى كتابه العزيز: **﴿إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين﴾** [الأعراف:١٩٦] تولاهم وكفاهم، وأشغل قلوبهم بمطالعة أسرار الغيوب، ونورها بالتجلى فى كل قريب، فاصطفاهم لمحادثته، واختصهم بالأنس به، والسكون إليه، والطمأنينة لديه، فهم فى كل يوم فى مزيد علم ونمو معرفة، وتوفير نور، وقرب من محبوبهم ومعبودهم، وهم فى نعيم لا نفاد له، وآلاء لا انقطاع لها، وسرور لا غاية له ولا

منتهى، فإذا بلغ الكتاب أجله، وانتهى ما قدر لهم من البقاء فى دار الفناء، نقلهم منها بأحسن الانتقال، كما ينقل العروس من حجرة إلى دار، من الأدنى إلى الأعلى، فالدنيا فى حقهم جنة، وفى الآخرة لأعينهم قرة، وهو النظر إلى وجهه الكريم من غير حجاب ولا باب ولا حاجب ولا بوّاب، ولا مانع ولا جداد، ولا منّ ولا امتنان، ولا ضيم ولا إضرار، ولا انقطاع ولا نفاد، كما قال عزّ من قائل: ﴿**إن المتقين فى جنات ونهر * فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ [القمر: ٥٤ ـ ٥٥]، وكما قال: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ [يونس: ٢٦].

أحسنوا فى الدنيا له بالطاعة، فجازاهم فى العقبى بالجنة والكرامة، وأعطاهم النعمة والسلامة، وزادوا له بتطهير القلوب وترك العمل لما سواه، فجازاهم سبحانه وتعالى بالزيادة فى دار البقاء والمنة، وهو دوام النظر إلى وجهه الكريم، كما أخبر فى كتابه المبين لعباده أولى الألباب والعقول.

(فصل) وللنفس والروح مكانان لإلقاء الملك والشيطان، فالملك يلقى التقوى إلى القلب، والشيطان يلقى الفجور إلى النفس، فتطالب النفس القلب باستعمال الجوارح بالفجور.

وفى مكانين فى البنية: العقل والهوى: يتصرفان بمشيئة حاكم، وهو التوفيق والإغواء.

وفى القلب نوران ساطعان: وهما العلم، والإيمان.

فجميع ذلك أدوات القلب وحواسه وآلاته، والقلب فى وسط كالملك وهذه جنوده تؤدى إليه، أو كالمرآة المجلوة، وهذه الآلات حولها تظهر فيراها ويقدح فيها فيجدها.

(فصل) أعوذ برب العرش والكرسى من الشيطان الغوى، وخواطر السوء وهواجس النفس، ومن فتنة كل جنى وإنسى، ومن رياء ونفاق وعجب وكبر وشرك وخلال السوء الناشئة فى قلبى، ومن كل شهوة ولذة مردية فى المهالك نفسى، ومن البدع والضلال والأهوية المسلطة للنيران على جسمى، ومن كل قول وفعل وهمة تحجب عن القلوب العرشية قلبى، ومن اتباع الأهوية المضلة والطبائع النفسية والأخلاق الردية أعوذ بالملك الحميد المجيد من الشيطان الخبيث المريد، أعوذ بالرب الودود من نقمته إذا غفلت عن طاعته إذ هو أقرب إلى من حبل الوريد، أعوذ به من سطوته إذا غضب على أهل

معصيتـه، أعوذ به من هيبته عند شدة بطشه فى يوم القيامـة للطاغين من بريته، وأعوذ به من كشف الغـطاء والستر والتـيهان فى مـعصيـته فى البـر والبحر، ونسـيان الأصل والفرع، والميل إلى الزيغ والرعونة والخيلاء والكبـر، وترك الطاعة والقربة والبر والتالى عليـه، والأيمان الكاذبة، والحنث دون البـر، وخاتمة السـوء والإفلاس من كل خـير، والموافاة عند حضور المنية بالشر.

(فصل) ومجاهدة الشـيطان باطنة وهى بالقلب والجنان والإيمان، فإذا جاهدته كان مددك الرحمن، ومعتمدك الملك الديّان، ورجاؤك رؤية وجه الجليل المنّان.

وجهاد الكفار جهاد ظاهر بالسيـوف والرماح، ومددك فيه الملك والأعوان، ورجاؤك فيه دخول الجنان.

فإن قـتلت فى مجـاهدة الكفار كـان جزاؤك الخلود فى دار الـبقاء، وإن قـتلت فى مجاهدة الشيطان ومخالفتك إياه بفـناء أجلك واخترام منيتك كان جزاؤك رؤية وجه رب العالمين عند اللقـاء، فإن قتلك الكافر كنت شـهيدًا، وإن قتلك الشيطان بمـتابعتك إياه، والانقياد لأمره كنت من قرب الملك الجبار طريدًا، فـجهاد الكفار له نهاية وفناء، وجهاد الشيطان والنفس لا غاية له ولا منتهى.

قـال الله جل وعـلا: ﴿**واعـبد ربك حـتى يأتيك اليقـين**﴾ [الحجر:٩٩] يعنـى الموت واللقاء.

فالعبادة بمخالفـة الشيطان والهوى، قال الله عز وجل: ﴿**فكبكبوا فيها هم والغاوون * وجنود إبليس أجمعون**﴾ [الشعراء: ٩٤ ـ ٩٥].

وقال النبى ﷺ حـين رجع من غزوة تبوك: «رجعنا من الجـهاد الأصغر إلـى الجهاد الأكبر»[١].

عنى به ﷺ مجـاهدة الشيطان والنفس والهـوى لمداومتهـا وطول ممارستـها وخطرها والخوف من سوء خاتمتها.

* * *

---

(١) الخطيب ١٣/ ٤٩٣.

مجلس آخر: فى قوله عز وجل:
﴿إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ [النمل: ٣]

اعلم أن هذه الآية الشريفة فى سورة النمل، وهى مكية، وعدد آياتها ثلاث وتسعون آية، وكلماتها ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة، وحروفها أربعة الآف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفًا.

وذلك أن سليمان بن داود النبى الملك عليه السلام وعلى نبينا المصطفى وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وسائر عباد الله الصالحين وملائكته المقربين، لما خرج من وادى النمل فى مسيره من بيت المقدس إلى اليمن، أخذ بالناس فى مفازة فعطش الناس، فسألوه عن الماء، فتفقد الهدهد عند ذلك فسأل عنه، ودعا أمير الطيور، وهو الكركى، فسأل عنه، ولم يكن معه إلا هدهد واحد، فقال الكركى: لا أدرى أين ذهب ولا استأمرنى، وكان عليه السلام يريد الهدهد ليضع منقاره فى الأرض فيخبره كم بعد الماء وقربه، وكم بينه وبين الماء من قامة أو فرسخ، وكان الهدهد مخصصًا بذلك من دون بقية الطيور، وكان إذا أريد منه ذلك ارتفع فى طيران إلى الجو فينظر ذلك ثم ينقض إلى طين تلك البقعة التى فيها الماء فيضع منقاره فيها فيعرف ذلك، فتبادر الشياطين فتحفر تلك البقعة فيخرج الماء، وتتخذ الأحواض والبرك والركايا، وتملأ الروايا والقرب والظروف، وتشرب الدواب والناس والجان، ثم يرتحلون.

فلما فقد الهدهد فى تلك الساعة، غضب سليمان عند ذلك غضبًا شديدًا وأوعده فقال: ﴿**لأعذبنه عذابًا شديدًا**﴾ [النمل: ٢١] يعنى لأنتفن ريشه فلا يطير مع الطيور حولاً كاملاً ﴿**أو لأذبحنه**﴾ [النمل: ٢١] ثم استثنى فقال: ﴿**أو ليأتينى بسلطان مبين**﴾ [النمل: ٢١] يقول: أو ليأتينى بعذر وحجة بيّنة، وكان أشد عذابه الذى يعذب به الطير لما يريد عذابه أن ينتف ريشه حتى يتركه أقرع ليس عليه ريش.

قال: ﴿**فمكث غير بعيد**﴾ [النمل: ٢٢] أى لبث غير طويل، ثم أقبل الهدهد فقيل له: إن سليمان قد أوعدك فقال: هل استثنى؟ قيل: نعم، قال: فأقبل حتى قام بين يديه وسجد، فقال: دام ملكك الدهر وعشت الأبد فجعل ينكث بمنقاره ويومىء برأسه إلى سليمان ﴿**فقال**﴾ [النمل: ٢٢] له: ﴿**أحطت بما لم تحط به**﴾ [النمل: ٢٢] يقول: أبلغت

وعلمت ما لم تبلغ وتعلم يقول: جئتك بأمر لم يخبرك به الجن، ولم ينصحوك فيه، ولم تعلم به الإنس ﴿**وجئتك من سبأ**﴾ [النمل:٢٢] يقول: من قرية سبأ ﴿**بنبأ يقين**﴾ [النمل:٢٢] يعنى بخبر عجيب لا شك فيه، فقال له سليمان: ما هو؟ فقال: ﴿**إنى وجدت امرأة تملكهم**﴾ [النمل:٢٣] يقال لها بلقيس بنت أبى السرح الحميرية ﴿**وأوتيت من كل شىء**﴾ [النمل:٢٣] يقول: وأعطيت من كل شىء فى بلادها اليمن وما والاها يعنى: العلم والسلطان والمال والجنود وأنواع الخيل ﴿**ولها عرش عظيم**﴾ [النمل:٢٣] يقول: سرير حسن، وكان طول عرشها فى السماء ثلاثين ذراعًا وقيل فى السماء ثمانون ذراعًا، وفى العرض ثمانون فى ثمانين، مكللاً بأنواع الجواهر والدرر واللؤلؤ ﴿**وجدتها وقومها يسجدون للشمس**﴾ [النمل:٢٤] يقول: يصلون للشمس ﴿**من دون الله**﴾ [النمل:٢٤] دين المجوسية ﴿**وزين لهم الشيطان أعمالهم**﴾ [النمل:٢٤] يعنى حسنها لهم ﴿**فصدهم عن السبيل**﴾ [النمل:٢٤] يعنى أن الشيطان صدها وجنودها عن طريق الإسلام والهدى ﴿**فهم لا يهتدون**﴾ [النمل:٢٤] يقول: لا يعرفون الإسلام ﴿**ألا يسجدوا لله**﴾ [النمل:٢٥] يعنى هلا يسجدوا لله ﴿**الذى يخرج الخبء**﴾ [النمل:٢٥] يعنى الغيب والسر ﴿**فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون**﴾ [النمل:٢٥] بألسنتهم ﴿**الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم**﴾ [النمل:٢٦] يعنى بالعظيم العرش فـ ﴿**قال**﴾ [النمل:٢٧] سليمان للهدهد: دلنا على الماء ﴿**سننظر**﴾ [النمل:٢٧] فيما تقول: ﴿**أصدقت**﴾ [النمل:٢٧] فى مقالتك ﴿**أم كنت من الكاذبين**﴾ [النمل:٢٧] فلما دلهم على الماء وشربوا واستكفوا دعا سليمان الهدهد وكتب معه كتابًا وختمه بخاتمه ودفعه إليه، ثم قال: ﴿**اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم**﴾ [النمل ٢٨] يعنى أهل سبأ ﴿**ثم تول عنهم**﴾ [النمل:٢٨] يعنى ارجع ﴿**فانظر ماذا يرجعون**﴾ [النمل:٢٨] يعنى ماذا يردون عليك من الجواب.

والذى كتب فى الكتاب ﴿**إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ [النمل:٣٠] إنه من سليمان بن داود ﴿**ألاَّ تعلوا علىَّ**﴾ [النمل:٣١] يعنى ألا تعظموا على طاعتى ﴿**وائتونى مسلمين**﴾ [النمل:٣١] يعنى مصالحين، فإن كنتم من الجن فقد عبدتم لى، وإن كنتم من الإنس فعليكم السمع والطاعة، قال: فانطلق الهدهد بالكتاب حتى انتهى إليها ظهيرة وهى قائلة فى قصرها قد غلقت عليها الأبواب، فلا يصل إليها شىء والحرس حول قصرها، وكان لها من قومها اثنا عشر ألف مقاتل، كل واحد منهم أمير على مائة ألف مقاتل، سوى نسائهم وذراريهم، وكانت تخرج إلى قومها تقضى بينهم فى أمورهم

وحوائجهم فى كل جمعة يومًا، قد جعلت على عرشها أربع أعمدة من ذهب، ثم تجلس هى فيه وهى تراهم ولا يرونها فإذا أراد الرجل منها الحاجة والأمر سألها، فقام بين يديها فينكس ولا ينظر نحوها، ثم يسجد فلا يرفع رأسه، حتى تأذن له إعظامًا لها، فإذا قضت حوائجهم وأمرت بأمرها دخلت قصرها ولم يروها إلى مثل ذلك اليوم، ملكها ملك عظيم.

فلما أتى الهدهد بالكتاب وجد الأبواب قد غلقت دونها، والحرس حول القصر دائر حوله، فطلب السبيل إليها حتى وصل إليها من كوة فى القصر، فدخل منها من بيت إلى بيت حتى انتهى إلى أقصى سبعة أبيات علا عرشها فى السماء ثلاثون ذراعًا، فرآها مستلقية على عرشها نائمة، ليس عليها إلا خرقة على عورتها، وكذلك كانت تصنع إذا نامت، قال: فوضع الكتاب إلى جنبها على السرير، ثم طار فوقف فى كوة ينتظرها حتى تقرأه، فمكث طويلاً وهى لا تستيقظ، فلما أبطأ عليه ذلك انحط فنقرها فاستيقظت، فنظرت فإذا هى بالكتاب إلى جنبها على السرير، فأخذته وفركت عينيها فجعلت تنظر ما حال الكتاب وكيف وصل الكتاب إليها والأبواب مغلقة، فخرجت فإذا الحرس حول القصر، فقالت: هل رأيتم أحدًا دخل على وفتح بابًا؟ قالوا: لا، ما زالت الأبواب مغلقة كما هى ونحن حول القصر نحرس، ففتحت الكتاب وقرأته وكانت كاتبة وقارئة، فإذا فيه ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فلما قرأته أرسلت إلى قومها فاجتمعوا إليها و ﴿**قالت**﴾ [النمل:٢٩] لهم: ﴿**يا أيها الملأ إنى أُلقى إلىَّ كتاب كريم**﴾ [النمل:٢٩] يعنى مختومًا وحسنًا ﴿**إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألاَّ تعلوا علىَّ وائتونى مسلمين**﴾ [النمل: ٣٠ - ٣١] يعنى مصالحين و ﴿**قالت يا أيها الملأ افتونى فى أمرى**﴾ [النمل:٣٢] يعنى أخبرونى بما أريد أن أصنع فى أمرى ﴿**ما كنت قاطعة أمرًا**﴾ [النمل:٣٢] يعنى عاملة ﴿**حتى تشهدون**﴾ [النمل:٣٢] يعنى تسمعون وتحضرون المشورة فـ ﴿**قالوا نحن أولوا قوة**﴾ [النمل:٣٣] يعنى منعة ﴿**وأولوا بأس شديد**﴾ [النمل:٣٣] لم يغلبنا عدو قط بالقتال والمنعة والكثرة، ولم نعط أحدًا المقادة، وأنت أعلم بأمرك، فأمرينا بأمر نتبعه، فأبوا إلا تعظيمًا لحقها، فهو قوله عز وجل: ﴿**والأمر إليك فانظرى ماذا تأمرين**﴾ [النمل:٣٣] به نتبع أمرك، فنطقت بعلم وحكم و ﴿**قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها**﴾ [النمل:٣٤] يعنى خربوها ﴿**وجعلوا أعزة أهلها أذلة**﴾ [النمل:٣٤] يعنى منعة أهلها أذلة صغيرة ﴿**وكذلك يفعلون**﴾ [النمل:٣٤] الملوك المحاربون، يأخذون

أموالهم ويقتلون مقاتلتهم ويسبون ذراريهم، ثم قالت: **﴿وإني مرسلة إليهم بهدية﴾** [النمل:٣٥] يعنى إلى سليمان **﴿فناظرة بم يرجع المرسلون﴾** [النمل:٣٥] يعنى فأنظر ماذا يردون على رسلى وماذا يخبرونى عنه، قال: فأهدت إليه اثنى عشر غلامًا فيهم تأنيث، مخضبة أيديهم، قد مشطتهم وألبستهم لباس الجوارى وتقدمت إليهم إذا كلموهم يردوا عليهم بكلام فيه تأنيث، وأهدت إليه اثنتى عشرة جارية فيهن غلظ، فاستأصلت رؤوسهن وأزرتهن وألبستهن النعال، وقالت لهن: إذا كلمكن سليمان فارددن له جوابًا صحيحًا، وأرسلت إليه بعود الحرج البخور وبالمسك والعنبر والحرير فى الأطباق على أيدى الوصائف، وأرسلت بثنتى عشرة بختية تحلب كذا وكذا من اللبن، وأرسلت إليه بخرزتين إحداهما مثقوبة وثقبتها ملتوية، والثانية غير مثقوبة، وأرسلت بقدح ليس فيه شيء، وأرسلت إليه مع هديتها إلى سليمان امرأة، وأوصتها بأن تحفظ جميع ما يكون من أمر سليمان وكلامه حتى تخبرها به، وقالت لهم: قوموا بين يديه قيامًا ولا تجلسوا حتى يأمركم، فإنه إن كان جبارًا لم يأمركم بالجلوس فأرضيه بالمال فيسكت عنا، وإن كان حليمًا عليمًا عالمًا أمركم بالجلوس، وأمرت المرأة أن تقول له بأن يدخل فى الخرزة المثقوبة خيطًا بغير علاج إنس ولا جان، وأمرتها أن تقول له أن يثقب الأخرى بغير حديد ولا علاج إنس ولا جان، وأن يميز بين الغلمان والجوارى، وأمرتها أن تقول له أن يملأ القدح ماء مزيدًا رويًا، ليس من الأرض ولا من السماء، وكتبت إليه تسأله عن ألف باب من العلم.

فانطلق رسلها بهديتها حتى أتوا بها إلى سليمان، فوضعوا الهدية بين يديه وقاموا على أرجلهم ولم يجلسوا، فنظر إليهم سليمان لحظًا لم يحرك يدًا ولا رجلاً ولا تهشهش لها ولم يفرح ولم يعرف الرسل ذلك فيه ولا من مقالته، ثم رفع رأسه ونظر إلى رسلها وقال: إن الله عزّ وجل رفع السماء، ووضع الأرض فمن شاء وقف ومن شاء جلس، فأذن لهم بالجلوس، قال فتقدمت المرسلة إلى سليمان وقدمت إليه الخرزتين وقالت له أن بلقيس تقول لك بأن تدخل فى هذه الخرزة المثقوبة خيطًا ينفذ إلى الجانب الآخر من غير علاج إنس ولا جان وأن تثقب الخرزة الثانية ثقبًا ينفذ إلى الجانب الآخر بغير حديد ولا علاج إنس ولا جان، ثم قربت إليه القدح وقالت له إنها تقول لك بأن تملأ هذا القدح ماء مزيدًا رويًا ليس من الأرض ولا من السماء، ثم قدمت الوصف والوصائف وقالت إن بلقيس تقول لك أنك تميز بين الغلمان والجوارى.

فعند ذلك جمع سليمان أهل مملكته، فاجتمعوا عليه، ثم أخرج الخرزتين فقال: من لى بهذه الخرزة يدخل فيها خيطًا يخرج من الجانب الآخر، فتكلمت دودة تكون فى الفصفصة يعنى فى الأرض الرطبة وهى دودة حمراء وقالت: أيها الملك أنا لك بها على أن تجعل رزقى فى الرطبة، فقال: نعم، فعلق فى رأس الدودة خيطًا فدخلت فى الخرزة تحكها حتى خرجت من الجانب الآخر، فجعل رزقها فى الرطبة، ثم قرب الخرزة الثانية وقال: من لى يثقب هذه الخرزة بغير حديد فتكلمت دودة أخرى بين يديه وهى الأرضة، فقالت: أيها الملك أنا لك بهذه، على أن تجعل رزقى فى الخشب، فقال: ذلك لك، فوقفت على الخرزة فثقبتها إلى الجانب الآخر، فجعل رزقها فى الخشب، ثم قدم القدح وأمر بإحضار الخيل العراب فحضروا، فأجريت حتى إذا جهدت واتبعت وسال عرقها فحينئذ ملأ القدح من العرق، وهو الماء المزيد الروى ليس هو من الأرض ولا من السماء، ثم أمر بماء فوضع بين يديه فقال للوصفاء: توضؤوا ليتميز الغلمان من الجوارى.

قالت: فجعلت الجوارى يصببن الماء على أكفهن فجعلت إحداهن تأخذ الماء بكفها اليسرى وتفرغه على ذراعها الأيسر، ثم تتبعها كفها اليمنى فتغسلها، فتُعرف عند ذلك أنها جارية، فيعزلها حتى عزل اثنتى عشرة جارية وصيفة.

وأما الغلمان فجعل الوصيف يأخذ الماء بكفه اليمنى فيغسل به ذراعه اليمنى ثم يتبع بها كفه اليسرى فيعرف أنه غلام، حتى عزل اثنى عشرة غلامًا.

ثم نظر إلى المسائل فأجاب عنها بألف جواب مع رسولها، ثم رد عليها هديتها، و ﴿**قال**﴾ [النمل:٣٦] لمرسلتها: ﴿**أتمدونني بمال فما آتاني الله**﴾ [النمل:٣٦] من النبوة والملك ﴿**خير مما آتاكم**﴾ [النمل:٣٦] من المال ﴿**بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾ [النمل: ٣٦] يعنى تعجبون.

ثم كتب إليها كتابًا ودفعه إلى الهدهد وقال: ﴿**ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها**﴾ [النمل:٣٧] يعنى بجموع لا قبل لهم بها ﴿**ولنخرجنهم منها أذلة**﴾ [النمل:٣٧] يعنى من قرية سبأ أذلة صغيرة ﴿**وهم صاغرون**﴾ أذلاء.

فلما أتى الهدهد بالكتاب مرة أخرى فقرأته ورجعت رسلها عنده، فقصت عليها قصة سليمان وما فعل فى جميع ما أرسلت به إليه وما رد إليها من الجواب، فقالت

لقومهـا: هذا أمر نزل علينا من السمـاء، لا ينبغى منابذته ولا نطيقه، ثـم عمدت إلى عرشها فجعلته فى آخر سبعة أبيات، ثم أقامت عليه الحرس، ثم أقبلت إلى سليمان.

قال: فرجع الهدهد إلى سليمان فأخبره أنهـا قد أقبلت إليه، فجمع أهل مملكته إليه ثم **﴿قال يا أيهـا الملأ أيكم يأتينى بعرشـها﴾** [النمل:٣٨] يعنى سـريرها **﴿قبل أن يأتونى مسلمين﴾** [النمل:٣٨] يعنى مـصـالحين، فـلا يحل لنا بعـد الصلح أخـذه **﴿قال﴾** له **﴿عفريت من الجن﴾** [النمل:٣٩] يقال له عـمرو وهو العفريـت الشديد الغليظ من الجن **﴿أنا آتيك به قبل أن تقـوم من مقامك﴾** [النمل:٣٩] يعنى من مجلسك للقـضاء وهو إلى نصف النهار **﴿وإنى عليه لقوى﴾** [النمل:٣٩] أى على حمله **﴿أمين﴾** [النمل:٣٩] على ما فيه من اللؤلؤ والجـواهر والزمرد والذهب والفضة، وكانت قوة العفـريت أنه يضع قدمه حيث ينال طرفه يعنى ينتـهى بصره، فقال لسليمان: أنا أضع قـدمى حيث يبلغ بصرى فآتيك به، فقال سليـمان: أريد أعجل من ذلك فـ **﴿قال الذى عنده علـم من الكتاب﴾** [النمل: ٤٠] يعنى اسم الله الأعظـم وهو: يا حى يا قـيـوم **﴿أنا﴾** [النمل: ٤٠] أدعو ربى فأراجع همى وأنظر كتاب ربى و **﴿آتيك به قـبل أن يرتد إليك طرفك﴾** [النمل: ٤٠] وهو آصف بن برخيا بن شعياء واسم أمه باطورا، وهو من بنى إسرائيل، وكان يعلم اسم الله الأعظم: **﴿أنا آتيك به قـبل أن يـرتد إليك طرفك﴾**، يعنى قـبل أن يجىء إليك الشىء الذى يبلغـه طرفك أى نظرك، فـقـال له سليـمـان: غلبت إن فـعلت، وإن لم تفـعل فضحتنى بين الجن وأنا سيد الإنس والجن، وقام آصف بن برخيا فتوضأ ثم سجد لله عزّ وجل يدعو الله باسمه الأعظم وهو يقول: يا حى يا قيوم.

وروى عن على بن أبى طالـب رضى الله عنه أنه قـال: هو الاسم الذى إذا دُعى به أجاب وإذا سئل به أعطى، وهو: ياذا الجلال والإكرام: قـال فغاب عرشها تحت الأرض حتى نبغ عند كرسى سليمان.

وقيل: إنه نبغ تحت كـرسى كان يضع سليمـان قدميـه عليه إذا جلس على كرسـيه الكبير، فلمـا رأى العرش قد نبغ قالت الجن لسليمـان: أيقدر آصف أن يجىء بالسرير ولا يجىء ببلقيس، فـقال آصف لسليمـان: أنا آتيك بها، قال: فـأمر سليمـان فبُنى له صرح أملس من قوارير، ثم أُجرى تحته الماء وألقى فيه المسك، يرى من فوق الصرح من صفائه، ثم أمـر سليمان بكرسيـه فوضع فى وسط الصرح، وأمر بكـراسى لأصحابه،

فوضعت فجلس عليه وجلس أصحابه، وكان الذين يلونه عليه السلام من أهل الكراسى الإنس ثم الجن ثم الشياطين، وكان هذا دأبه عليه السلام حتى إذا أراد أن يسير فى البلاد يجلس هو على كرسيه وأولئك على كراسيهم، ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والأرض، وإذا أراد أن يسير على الأرض أمر الريح فتسكن فيسير على وجه الأرض.

وكان لسليمان عليه السلام مجلس كما هو للملوك اليوم، فلما استقر بهم المجلس أمر آصف فعاد وسجد ودعا الله عزّ وجل باسمه الأعظم وهو: يا حى يا قيوم، فإذا ببلقيس مستقرة عنده.

وقيل: إن الذى عنده علم من الكتاب هو ضبة بن آد، وكان هو على خيل سليمان.

وقيل: إن الذى عنده علم من الكتاب هو الخضر عليه السلام، **﴿فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى﴾** [النمل: ٤٠] يعنى ليختبرنى **﴿أأشكر﴾** على ما أعطيت من الملك **﴿أم أكفر﴾** [النمل: ٤٠] بالنعمة إذا رأيت من هو دونى أفضل منى علمًا، فعزم لله عز وجل على الشكر وقال: **﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر﴾** [النمل: ٤٠] بنعمته **﴿فإن ربى غنى كريم﴾** [النمل: ٤٠] لا يعجل بالعقوبة.

فلما سمعت الجن بذلك وقعوا فى بلقيس عند سليمان ليكرهوها إليه، خافوا أن يتزوجها فتظهره على أمورهم وكانت تعلم بذلك، لأن أمها جنية، وكان اسمها عميرة بنت عمرو، وقيل: إن اسمها رواحة بنت السكن ملك الجن، فقالوا: أصلح الله الملك إن فى عقلها شيئًا ورجلاها كحافر الحمار وكانت بلقيس هلباء شعراء، فلما قيل له ذلك أراد أن يروز عقلها ويرى قدميها، فمن ثمة أجرى الماء وجعل فيه الضفادع والسمك، وأمر بعرشها أن يغير فيزاد فيه، وينقص منه ليروز عقلها فذلك قوله تعالى: **﴿قال نكروا لها عرشها﴾** [النمل: ٤١] يعنى غيروا لها سريرها **﴿ننظر أتهتدى﴾** [النمل: ٤١] يعنى أتعرفه **﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾** [النمل: ٤١] يعنى الذين لا يعرفون، فأقبلت حتى انتهت إلى الصرح فـ **﴿قيل لها ادخلى الصرح﴾** [النمل: ٤٤] يعنى القصر، وقيل الصرح: هو البيت بلغة حمير **﴿فلما رأته حسبته لجة﴾** [النمل: ٤٤] يعنى ماء غمرًا، فقالت فى نفسها إنما أراد أن يغرقنى كان غير هذا أحسن من ذا؟ **﴿وكشفت عن ساقيها﴾** [النمل: ٤٤] فإذا ساقان شعراوان، وإنما هى من أحسن الناس وأبعد مما قيل له فيها، فقيل

لها: ﴿إنه صرح ممرد﴾ [النمل:٤٤] يعنى قصرًا أملس لا شعث فيـه كالأمرد الذى لا شعر فى وجهـه، كان ملزق بـعضه ببـعض اتخذ بلاطـه من القوارير، قـال: فمضـت نحو سليمان وقد أبصر قدميها وأبصر الشعر الذى على ساقها مهدبًا.

قال فأعجبه ما رأى عجبًا شديدًا ﴿فلما جاءت﴾ [النمل:٤٢] إلى سلميان فـ ﴿قيل﴾ [النمل:٤٢] لها ﴿أهكذا عرشك﴾ [النمل:٤٢] فنظرت إليه فجعلت تعرف وتنكر فقالت فى نفسهـا: من أين تخلص إلى ذلك السرير الذى هو داخل سبعة أبيـات والحرس حوله، فلم تعرف ولـم تنكر فـ ﴿قالت كأنه هو﴾ [النمل:٤٢] فقال سليمان: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ [النمل:٤٢] يعنى من قبل بلقيس، وكانت مـجوسية ﴿وكنا مسلمين﴾ [النمل:٤٢] من قبلها فـ ﴿قالت﴾ حينئذ ﴿رب إنى ظلمت نفسى﴾ [النمل:٤٤] يعنى فى الظن الذى ظننت بسليـمان أنه أراد أن يغرقنى، وقـيل: ظلمت نفسى يعنى ضـررت نفسى بعـبادة الشمس ﴿وأسلمت مع سليـمان﴾ [النمل:٤٤] يعنى وأطعت الله مع سليـمان، ويقـال: أخلصت مع سليـمان ﴿لله رب العـالمين﴾ [النمل:٤٤] فى العبـادة فأسلمت ﴿وصدها﴾ [النمل:٤٣] يعنى أن سليمـان صدها عـ ﴿ما كـانت تعبد من دون الله إنها كـانت من قوم كافرين﴾ [النمل:٤٣] فتزوج بها سليمان، فأمـر بالنورة فاتخذت فتنور سليمان وبلقيس، وهو أول من اتخذ النورة، قـال: فسألهـا سليمان عن أشـياء وهى سألتـه، ودخل بها سليمـان، فولدت له غلامًا فسـماه داود، ومات فى حـياته، ثم مات سليمـان وماتت بلقيس بعده بشهر.

وقيل: إن سليمان أعطاها قرية بالشام، فكانت تأخذ خراجها حتى ماتت.

وقيل: إن سليمـان لما دخل بها سرحها فى جنوده وردها إلى ملكها وكـان يأتيها فى كل شهر مرة، فيركب من بيت المقدس إلى اليمن على ما تقدم ذكره.

(**فصل**) وإنما استـوفيت هذه القصـة فى هذا المجلس لما فيـها من العبـرة لكل مؤمن عاقل ناظر فى العـواقب معتبـر فى سير السلف الصالح والطالح، وقـدرة الله عز وجل النافذة فى الأمم الماضـية الخاليـة، وكرامته لأهل الطاعـة وتسخيـره أهل معصيـته لهم وإعطائه مقادتهم وإذلالهـم وتمليكه الخلق لأهل ولايته ومحـبته، لما أطاع سليمان ربه عز وجل كيف ملكه بلقيس وملكهـا، وقد كان فى أهل مملكتها اثنا عشـر ألف مقاتل، كل واحد منهـم أمير على مائة ألف منهم، وجند سليمـان يحتوى على أربعمائة ألف، مائتا

ألف من إنس ومائتا ألف من الجن، والتفاوت ما بين الجندين ظاهر.

فهذا ملك لطاعته، وهذه ملكت لكفرها ومعصيتها.

الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ [النساء: ١٤١].

وكذلك أنت يا موفق إذا آمنت أمنت من أعدائك فى الدنيا، ومن نار الله الموقدة التى فى العقبى، تخدمك النار وتطرق بين يديك، وترشدك الطريق مكرمة لك ومعظمة وطائعة لأمر مولاها وممتثلة له، فتقول لك: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى.

(**عبارة لطيفة**) أى أنك مكرم منور، خلعة الملك عليك، علامته الوقار عليك، فعلى الحواشى والعبيد تعظيمك وتوقيرك وخدمتك.

وأما الكافر والعاصى، فتتغيظ النار عليه وتنتقم منه انتقام الجبار من عدوه عند ظفره به، كما قال عز وجل: ﴿**إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا**﴾ [الفرقان: ١٢].

فإن أردت العزة فى الدنيا والآخرة، فعليك بطاعة الله والصبر عن معصية الله، تجدها برحمة الله تعالى، قال الله عزّ وجل: ﴿**من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا**﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**﴾ [المنافقون: ٨].

فنفاقك يا مدعى الإيمان، وشركك يا مدعى الإخلاص حجباك عن رؤية عزة الجبار ونبيه المختار والمؤمنين الأخيار.

فلو كنت عاملاً بموجب الإيمان موقنًا بشرائط الإيقان، لأمنت فى الدنيا من كل مؤذ وكل شيطان من الإنس والجان، وفى الآخرة من عذاب النيران، وكانت النصرة لك ولأعدائك الهوان، قال الله عز وجل: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم**﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿**فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم**﴾ [محمد: ٣٥] ولكن الغفلة قد تكاثفت على قلبك وتراكم الرين عليه، وترادف السواد والظلمة لديه، فيا لها من حسرة وندامة ﴿**يوم تبلى السرائر**﴾ [الطارق: ٩] فى يوم القيامة، يوم الحاقة، يوم الطامة الكبرى، يوم القارعة، يوم الصاخة ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾ [الحاقة: ١٨]، ﴿**يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم * فمن يعمل**

مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾ [الزلزلة: ٦ ـ ٨].

قيل: إن الذرة هى قشر الهباء الذى يظهر فى شعاع الشمس مثل رؤوس الإبر، وقيل: أربع ذرات مثقال خردلة، وقيل: هى النملة الحمراء الصغيرة التى لا تكاد ترى إذا دبت، وقيل: إن الذرة جزء من ألف جزء من شعيرة.

وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: إذا وضعت كفك على التراب ثم رفعتها، فكل شىء يعلق بها من التراب فهو ذرة.

فأين أنت من يوم توزن فيه الأعمال بهذه الزنة تثقل وتخف بهذه الخفة، ويوم يقول الله تعالى فيه: **﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدًا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردًا﴾** [مريم: ٨٥ ـ ٨٦] أى عطاشًا.

وحينئذ ينكشف الغطاء ويظهر المخبأ، ويمتاز المؤمن من الكافر، والصديق من المنافق، والموحد من المشرك، والولى من العدو، والمحق من المدعى.

فاحذر يا مسكين من هول ذلك اليوم، وانظر من أى الحزبين تكون؟ فإن أنت عملت لله العظيم واتقيت فى عملك الخبير وصفيته عما يسوء للناقد البصير، فأنت فى حزب المتقين الوافدين على الرحمن فى يوم النشور.

فلك الكرامة يا كريم، ولك السلامة والبشرى يا حكيم.

وإن كان غير ذلك فاعلم أنك بالحزب الآخر لاحق وهالك، مع من هو هالك فى النار مع فرعون وهامان وقارون متلاحق، قال الله عز وجل: **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا﴾** [الكهف: ١١٠] فلا ينجيك فى ذلك اليوم غير العمل الصالح.

(فصل: فى فضل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾)

عن عطاء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «لما نزل **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** هرب الغيم إلى الشرق، وسكنت الرياح وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله عز وجل بعزته لا يسمى اسمه على شىء إلا شفاه، ولا يسمى اسمه على شىء إلا بارك فيه، ومن قرأ **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** دخل الجنة»[1].

(١) تدريب الراوى ١/ ٥٣ وعزاه إلى ابن مردويه فى تفسيره.

وعن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: «من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسع عشرة فليقل: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فإنها تسعة عشر حرفًا، ليجعل الله تعالى لكل حرف منها جُنَّة من واحد منهم»(١).

وعن طاوس عن ابن عباس رضى الله عنهما أن عثمان بن عفان رضى الله عنه «سأل النبى ﷺ عن ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال: فقال: هو اسم من أسماء الله عز وجل وما بينه وبين اسم الله الأعظم إلا كما بين سواد العين وبياضها من القرب»(٢).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رفع قرطاسًا من الأرض فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إجلالاً لله أن يداس، كتب عند الله من الصدّيقين، وخفف عن والديه وإن كانا مشركين»(٣). يعنى العذاب.

وقيل: «لم يرن إبليس اللعين مثل ثلاث رنات قط: رنة حين لعن وأخرج من ملكوت السماء، ورنة حين ولد النبى ﷺ، ورنة حين أُنزلت فاتحة الكتاب لكون ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فيها»(٤).

وعن سالم بن أبى الجعد أن عليًا رضى الله عنه قال: «لما أُنزلت ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال رسول الله ﷺ: أول ما أُنزلت هذه الآية على آدم، فقال: أمن ذريتى من العذاب ما داموا على قراءتها، ثم رفعت فأُنزلت على إبراهيم الخليل فتلاها وهو فى كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردًا وسلامًا، ثم رفعت بعده، فما أُنزلت إلا على سليمان وعندها قالت له الملائكة: الآن تم والله ملكك، ثم رفعت فأنزلها الله عز وجل علىّ، ثم تأتى أمتى يوم القيامة وهم يقولون: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، فإذا وضعت أعمالهم فى الميزان رجحت حسناتهم، قال رسول الله ﷺ: اكتبوها فى كتبكم فإذا كتبتموها فتكلموا بها».

(فصل آخر: فى فضل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾)

عن عكرمة رحمه الله أنه قال: أول ما خلق الله اللوح والقلم، أمر الله القلم فجرى

(١) الدر المنثور ١/ ٩.

(٢) الحاكم ١/ ٥٥٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.

(٣) العلل المتناهية ١/ ٨١، والضعيفة (٢٦٨) وقال: موضوع.

(٤) الدر المنثور ١/ ٥.

على اللوح بما هو كائن إلى يوم القيامة، فأول ما كتب على اللوح: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، فجعل الله هذه الآية أمانًا لخلقه ما داموا على قراءتها، وهى قراءة أهل سبع سموات، وأهل الصفح الأعلى وأهل سرادقات المجد والكروبيين، والصافين، والمسبّحين، فأول ما أنزلت على آدم عليه السلام، فقال: قد أمن ذريتى من العذاب ما داموا على قراءتها، ثم رفعت بعده فأنزلت على إبراهيم الخليل عليه السلام فى سورة الحمد فتلاها وهو فى كفة المنجنيق، فجعل الله النار عليه بردًا وسلامًا، ثم رفعت بعده فأنزلت على موسى عليه السلام فى الصحف، فبها قهر فرعون وسحرته وهامان وجنوده وقارون وأتباعه، ثم رفعت بعده فأنزلت على سليمان بن داود عليهما السلام، فعندها قالت الملائكة: اليوم والله تم ملكك يا ابن داود، فلم يقرأها سليمان على شىء إلاَّ خضع له، وأمره الله يوم أنزلها عليه أن ينادى فى أسباط بنى إسرائيل، ألا من أحب منكم أن يسمع آية أمان الله فليحضر إلى سليمان فى محراب داود عليه السلام، فإنه يريد أن يقوم خطيبًا، فلم يبق محبوس نفسه فى العبادة ولا سائح إلا هرول إليه، حتى اجتمعت الأحبار والعباد والزهاد والأسباط كلها عنده، فقام فرقى منبر الخليل إبراهيم وتلا عليهم آية الأمان، ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، فلم يسمعها أحد إلا امتلأ فرحًا، وقالوا: نشهد أنك لرسول الله حقًا، فبها قهر سليمان ملوك الأرض، وبها افتتح الله لنبيه محمد ﷺ مكة، ثم رفعت بعد سليمان فأنزلت على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، ففرح بها واستبشر بها الحواريون، فأوحى الله تعالى إليه: يا ابن العذراء البتول أتدرى أى آية أنزلت عليك؟ إنها آية الأمان، قوله: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، فأكثر تلاوتها فى قيامك وقعودك ومضجعك ومجيئك وذهابك وصعودك وهبوطك، فإنه من وافى بها يوم القيامة وفى صحيفته ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ ثمانمائة مرة وكان مؤمنًا بى وبربوبيتى أعتقته من النار، وأدخلته الجنة، فلتكن افتتاح قراءتك وصلاتك، فإن من جعلها فى افتتاح قراءته وصلاته إذا مات على ذلك لم يرعه منكر ونكير، وهون عليه سكرات الموت وضغطة القبر، وكانت رحمتى عليه، وأفسح له فى قبره، وأنوّر له فى قبره، وأنور له فيه مد بصره، وأخرجه من قبره أبيض الجسم وأنور الوجه، يتلألأ نوره، وأحاسبه حسابًا يسيرًا، وأثقل موازينه، وأعطيه النور التام على الصراط حتى يدخل الجنة، وآمر المنادئ أن ينادى به فى عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة.

قال عيسى عليه السلام: اللهم يا رب فهذا لى خاصة؟ فقال: لك خاصة ولمن تبعك

وأخذ أخذك وقال بقولك، وهو لأحمد وأمته من بعدك.

وأخبر عيسى عليه السلام بذلك أتباعه فقال: ﴿**ومبشرًا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد**﴾ [الصف:٦] من صفته ونعته وفضله كيت وكيت، وأخذ ميثاقهم بالإيمان به، وجدد شأنه عندما رفعه الله تعالى إلى السماء لأصحابه، فلما انقرض الحواريون ومن اتبعه وجاء الآخرون، فضلوا وأضلوا، وبدلوا واستبدلوا بالدين دنياهم، فرفعت عندها آية الأمان من صدور النصارى، وبقيت فى صدور مسلمى أهل الإنجيل مثل بحيرا الراهب وأمثاله، حتى بعث الله النبى ﷺ فأنزلت عليه فى سورة الحمد بمكة، فأمر رسول الله ﷺ فكتبت تلك على رؤوس السور وصدور الرسائل والدفاتر، فكان نزول هذه الآية على رسول الله ﷺ فتحًا عظيمًا، وحلف رب العزة بعزته ألا يسمى مؤمن موقن على شىء إلا باركت له فيه، ولا يقرؤه مؤمن إلا قالت الجنة له: لبيك وسعديك اللهم أدخل عبدك هذا فى ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، فإذا دعت الجنة لعبد فقد استوجب له دخولها.

وقد قال ﷺ: «لا يرد دعاء أوله ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾».

قال: «وإن أمتى يأتون يوم القيامة وهم يقولون ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، فتثقل حسناتهم فى الميزان، فتقول الأمم: ما أرجح موازين أمة محمد ﷺ فتقول الأنبياء لهم: لأن أمة محمد ﷺ مبتدأ كلامهم ثلاثة أسماء من أسماء الله تعالى الكرام، لو وضعت فى كفة الميزان ووضعت سيئات الخلق جميعًا فى الكفة الأخرى لرجحت حسناتهم».

قال: وجعل الله تعالى هذه الآية شفاء من كل داء، وعونًا لكل دواء، وغنى من كل فقر، وسترًا من النار، وأمانًا من الخسف والمسخ والقذف ما داموا على قراءتها.

(فصل: فى تفسير قوله: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾)

قوله عز وجل: ﴿**بسم الله**﴾ روى عن عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عيسى عليه السلام أرسلته أمه رضى الله عنها إلى الكتاب ليتعلم، فقال له المعلم: قل ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾، فقال عيسى عليه السلام: وما بسم الله؟ قال: لا أدرى، قال: الباء: بهاء الله، والسين: سناء الله، والميم مملكته»[1].

(١) الطبرى ١/ ٤١ ـ ٤٢، والموضوعات ١/ ٢٠٤.

وقال أبو بكر الوراق: بسم الله: روضة من رياض الجنة لكل حرف منها تفسير على حدة.

فالباء على ستة أوجه:

ـ بارىء خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**الخالق البارىء**﴾ [الحشر: ٢٤].

ـ بصير بخلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**والله بصير بما تعملون**﴾ [الحجرات: ١٨].

ـ باسط رزق خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾ [الرعد: ٢٦].

ـ باق بعد فناء خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ [الرحمن: ٢٦ ـ ٢٧].

ـ باعث الخلق بعد الموت من العرش إلى الثرى للثواب والعقاب، بيانه ﴿**وأن الله يبعث من فى القبور**﴾ [الحج: ٧].

ـ بار بالمؤمنين من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**هو البر الرحيم**﴾ [الطور: ٢٨].

والسين على خمسة أوجه:

ـ سميع لأصوات خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**أم يحسبون أنّا لا نسمع سرهم ونجواهم**﴾ [الزخرف: ٨٠].

ـ سيد قد انتهى سؤدده من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**الله الصمد**﴾ [الإخلاص: ٢].

ـ سريع الحساب مع خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**والله سريع الحساب**﴾ [النور: ٣٩].

ـ سلام سلم خلقه من ظلمه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**السلام المؤمن**﴾ [الحشر: ٢٣].

ـ ساتر ذنوب عباده من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**غافر الذنب وقابل التوب**﴾ [غافر: ٣].

والميم: على اثنى عشر وجهًا:

ـ ملك الخلق من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿**الملك القدوس**﴾ [الحشر: ٢٣].

ـ مالك خلقه من العرش إلى الثرى بيانه ﴿**قل اللهم مالك الملك**﴾ [آل عمران: ٢٦].

ـ منان على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿بل الله يمن عليكم﴾ [الحجرات:١٧].

ـ مجيد على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج:١٥].

ـ مؤمن آمن خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿وآمنهم من خوف﴾ [قريش:٤].

ـ مهيمن اطلع على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿المؤمن المهيمن﴾ [الحشر:٢٣].

ـ مقتدر على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿فى مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر:٥٥].

ـ مقيت على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿وكان الله على كل شىء مقيتًا﴾ [النساء:٨٥].

ـ مكرم أولياءه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ [الإسراء:٧٠].

ـ منعم على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ [لقمان:٢٠].

ـ متفضل على خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿إن الله لذو فضل على الناس﴾ [البقرة:٢٤٣].

ـ مصور خلقه من العرش إلى الثرى، بيانه ﴿الخالق البارىء المصور﴾ [الحشر:٢٤].

وقال أهل الحقائق: وإنما المعنى فى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾: التيمن والتبرك وحث الناس على الابتداء فى أقوالهم وأفعالهم ببسم الله كما افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز به.

(فصل) اعلم أن الناس اختلفوا فى هذا الاسم:

فقال الخليل بن أحمد وجماعة من أهل العربية: أنه اسم موضوع لله عز وجل لا يشاركه فيه أحد، قال الله تعالى: ﴿هل تعلم له سميًا﴾ [مريم:٦٥].

يعنى أن كل اسم لله تعالى مشترك بينه وبين غيره، له على الحقيقة ولغيره على المجاز إلا هذا الاسم فإنه مختص به، فيه معنى الربوبية والمعانى كلها تحته، ألا ترى أنك إذا أسقطت منه الألف بقى لله، وإذا أسقطت من لله اللام الأولى بقى له، وإذا أسقطت من له اللام بقى هو.

واختلفوا فى اشتقاقه:

فقال النضر بن شميل: هو من التأله، وهو التنسك والتعبد، يقال أله إلهة: أى

عبد عبادة.

وقال آخرون: هو من الإله، وهو الاعتماد، يقال: ألهت إلى فلان إلها: أى فزعت إليه واعتمدت عليه.

ومعناه: أن الخلق يفزعون ويتضرعون إليه فى الحوادث والحوائج، فهو يألههم: أى يجبرهم، فسمى إلهًا - كما يقال: إمام للذى يؤتم به - فالعباد يؤلهون إليه: أى مضطرون إليه فى المنافع والمضار، كالواله المضطر المغلوب.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو من ألهت فى الشيء: إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه.

ومعناه: أن العقول تتحير فى كنه صنعته وعظمته والإحاطة بكيفيته، فهو إله كما يقال: للمكتوب كتاب، وللمحسوب حساب، وقال المبرد: هو من قول العرب: ألهت إلى فلان: أى سكنت إليه، فكان الخلق يسكنون ويطمئنون بذكره. قال الله عز وجل: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ [الرعد:٢٨].

وقيل: أصله من الوله، وهو ذهاب العقل لفقدان من يعز عليه، فكأنه سمى بذلك لأن القلوب توله بمحبته وتطرب وتشتاق عند ذكره.

وقيل: معناه المحتجب لأن العرب إذا عرفت شيئًا ثم حجب عن أبصارها سمته لاهًا، يقال: لاهت العروس تلوه لوهًا: إذا احتجبت، فالله تعالى هو الظاهر بالربوبية بالدلائل والأعلام، والمحتجب من جهة الكيفية عن الأوهام.

وقيل: معناه المتعالى، يقال لاه: أى ارتفع، ومنه قيل للشمس إلاهة.

وقيل: معناه القدرة على الاختراع، وقيل: معناه السيد.

﴿الرحمن الرحيم﴾ قد قال قوم: هما بمعنى واحد، وهو ذو الرحمة، وهما من صفات الذات.

وقيل: هما بمعنى ترك عقوبة من يستحق العقوبة، وإسداء الخير إلى من لا يستحقه، وهما من صفات الفعل.

وفرّق الآخرون بينهما فقالوا: الرحمن: للمبالغة، فمعناه: الذى وسعت رحمته كل شيء، والرحيم دون ذلك فى الرتبة.

وقال بعضهم: الرحمن: العاطف على جميع خلقه مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم بأن خلقهم ورزقهم، قال الله تعالى: ﴿ورحمتى وسعت كل شيء﴾ [الأعراف:١٥٦]،

والرحيم: بالمؤمنين خاصة بالهداية والتوفيق فى الدنيا وبالجنة والرؤية فى الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وكان بالمؤمنين رحيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

فالرحمن خاص اللفظ عام المعنى، والرحيم عام اللفظ خاص المعنى، فالرحمن خاص من حيث أنه لا يجوز أن يسمى به أحد غير الله، عام من حيث أنه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق والنفع والدفع، والرحيم عام من حيث اشتراك المخلوقين فى المسمى به خاص من طريق المعنى، لأنه يرجع إلى اللطف والتوفيق.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: هما اسمان دقيقان أحدهما أدق من الآخر.

وقال مجاهد رحمه الله: الرحمن بأهل الدنيا الرحيم بأهل الآخرة.

وفى الدعاء: يا رحمن الدنيا يا رحيم الآخرة.

وقال الضحاك رحمه الله: الرحمن بأهل السماء حيث أسكنهم السموات وطوقهم الطاعات، وجنبهم الآفات، وقطع عنهم المطامع واللذات، والرحيم بأهل الأرض حيث أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب.

وقال عكرمة رحمه الله: الرحمن برحمة واحدة، والرحيم بمائة رحمة.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن لله عز وجل مائة رحمة، وأنه أنزل منها رحمة واحدة إلى الأرض فقسمها بين خلقه، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخر تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده يوم القيامة»(١).

وفى لفظ آخر: «وإن الله تعالى قابض هذه إلى تلك فيكملها مائة ويرحم بها عباده يوم القيامة».

الرحمن الذى إذا سئل أعطى، والرحيم الذى إذا لم يُسأل غضب.

وقال النبى ﷺ فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه: «من لا يسأل الله يغضب عليه»(٢).

وقال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبنى آدم حين يسأل يغضب

---

(١) مسلم فى التوبة: ١٩، ٢٠، والبيهقى ٤٢٩٣، وأحمد ٢/٥٢٦.
(٢) أحمد ٢/٤٤٢.

الرحمن بالنعماء وهى ما أعطى وحبا، الرحيم بالآلام، وهى ما صرف وزوى.

الرحمن بالإنقاذ من النيران كما قال جل من قائل: ﴿**وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها**﴾ [آل عمران:١٠٣]، والرحيم بإدخال الجنان كما قال: ﴿**ادخلوها بسلام آمنين**﴾ [الحجر:٤٦].

الرحمن برحمة النفوس، والرحيم برحمة القلوب.

الرحمن بكشف الكروب، والرحيم بغفران الذنوب.

الرحمن بتبيين الطريق، والرحيم بالعصمة والتوفيق.

الرحمن بغفران السيئات، وإن كن عظيمات، والرحيم بقبول الطاعات، وإن كن غير صافيات.

الرحمن بمصالح معاشهم، الرحيم بمصالح معادهم.

الرحمن الذى يرحم ويقدر على كشف الضر ودفع الشر، الرحيم يرزق ويطعم ولا يطعم ﴿**إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين**﴾ [الذاريات:٥٨].

الرحمن بمن جحده، الرحيم بمن وحده.

الرحمن بمن كفره، والرحيم بمن شكره.

الرحمن بمن قال ند، والرحيم بمن قال فرد.

(**فصل**) قل بسم الله تجد عفو الله، هذا سماعك من القارئ، فكيف سماعك من البارىء، فهذا سماعك والغم باق، فكيف سماعك والرب ساق، هذا سماعك بواسطة، فكيف سماعك بلا واسطة، هذا سماعك فى دار الغرور، فكيف سماعك فى دار السرور، هذا سماعك فى جوار الشيطان، فكيف سماعك فى جوار الرحمن، هذا سماعك من عبد ذليل، فكيف سماعك من الملك الجليل، هذه لذة الخبر، فكيف لذة النظر، هذه لذة المجاهدة، فكيف لذة المشاهدة، هذه لذة البيان، فكيف لذة العيان، هذه لذة المغايبة، فكيف لذة المعاينة.

(**فصل**) قل بسم الله الذى تعالى عن الأضداد، بسم الله الذى تنزه عن الأنداد، بسم الله الذى تقدس عن اتخاذ الأولاد، بسم الله الذى نور الأنوار، بسم الله الذى أكرم الأبرار، بسم الله الذى قدر الأقدار، ونور القلوب والأبصار، بسم الله الذى تجلى لقلوب الأبرار فى أوقات الأسحار، بسم الله الذى علم الأحباب الأسرار، فغمرها

بالأنوار واستودعها الأسرار، وأزاح عنها الأخطار، وحفظها من رق الأغيار، وحط عنها الأثقال والأغلال والآصال والأوزار، إذ كان موصوفًا فى الأزل بالإحسان والإفضال وغفران الذنوب لأهل الاستغفار.

قل بسم الله، اسم الذى أجرى الأنهار وأنبت الأشجار، اسم من عمر البلاد بأهل الطاعة من العباد، فجعلهم لها أوتادًا كالجبال فصارت الأرض بهم لمن عليها كالمهاد، فهم الأربعون الأخيار من الأبدال، المنزهون الرب عن الشركاء والأنداد وملوك فى الدنيا وشفعاء الأنام يوم التناد، إذ خلقهم ربى مصلحة للعالم ورحمة للعباد.

(فصل) بسم الله للذاكرين ذخر وللأقوياء عز وللضعفاء حرز وللمحبين نور وللمشتاقين سرور، بسم الله راحة الأرواح، بسم الله نجاة الأشباح، بسم الله نور الصدور، بسم الله نظام الأمور، بسم الله تاج الواثقين، بسم الله سراج الواصلين، بسم الله مغنى العاشقين، بسم الله اسم من أعز عبادًا وأذل عبادًا، بسم الله اسم من جعل النار لأعدائه مرصادًا، وجعل الرؤية لأحبائه ميعادًا، بسم الله اسم الواحد بلا عدد، بسم الله اسم الباقى بلا أحد، بسم الله اسم القائم بلا عمد، بسم الله افتتاح كل سورة، اسم من طابت به الخلوات، اسم من به تمت الصلوات، اسم من به حسنت الظنون، اسم من سهرت له العيون، اسم من إذا قال للشىء كن فيكون، اسم من تنزه عن المساس، اسم من استغنى عن الإيناس، اسم من جل عن القياس.

قل بسم الله حرفًا حرفًا، تأخذ الأجر ألفًا ألفًا، وتحط عنك الأوزار جرفًا جرفًا، من قالها بلسانه شهد الدنيا، ومن قالها بقلبه شهد العقبى، ومن قالها بسره شهد المولى.

بسم الله كلمة طاب بها الفم، بسم الله كلمة لا يبقى معها الغم، كلمة تمت بها النعمة، كلمة كشفت بها النقمة، كلمة خصت بها هذه الأمة، كلمة جمعت بين جلال وجمال، فقوله بسم الله جلال فى جلال، وقوله الرحمن الرحيم جمال فى جمال، فمن شهد جلاله طاش، ومن شهد جماله عاش، كلمة جمعت بين قدرة ورحمة، فالقدرة جمعت طاعات المطيعين، والرحمة محقت ذنوب المذنبين.

(فصل) قل بسم الله، فكأنه يقول بى وصل من وصل إلى الطاعات، ثم بنور الطاعات وصل إلى العيان، ثم استغنى بالعيان عن البيان، فصار قلبه وعاء للأسرار وعلم الأديان، ومن وصل إلى الحبيب نجا من النحيب، ومن وصل إلى النظر استغنى

عن الخبر، ومن وصل إلى الصمد نجا من الكمد، ومن وصل إلى الرفاق نجا من الفراق، ومن وصل إلى ذى المجد سلم من الوجد، ومن وصل إلى اللقاء أمن من الشقاء.

(فصل) قل بسم الله، فالباء: بارىء البرايا، والسين: ستار الخطايا، والميم: المنان بالعطايا.

وقيل: إن الباء برىء من الأولاد، والسين: سميع الأصوات، والميم: مجيب الدعوات.

وقيل: اطعموا فإنى مطعمكم، واسقوا فإنى ساقيكم، وانظروا إلىَّ فإنى باقيكم.

وقيل: الباء: بكاء التائبين، والسين: سجود العابدين، والميم: معذرة المذنبين.

وقيل: الله كاشف البلايا، الرحمن معطى العطايا، الرحيم غافر الخطايا، الله للعارفين، الرحمن للعابدين، الرحيم للمذنبين، الله الذى خلقكم وهو أحسن الخالقين، الرحمن الذى رزقكم وهو خير الرازقين، الرحيم الذى يغفر لكم وهو خير الغافرين.

وقيل: الله بإسباغ النعم، الرحمن الرحيم بالجود والكرم، الله بإخراجنا من البطون، الرحمن بإخراجنا من القبور، الرحيم بإخراجنا من الظلمات إلى النور.

(فصل) رحم الله من خالف الشيطان، وجانب العصيان، واتقى النيران، وأكثر الإحسان، وأدام ذكر الرحمن، فقال: بسم الله.

رحم الله من اعتصم بالله، وأناب إلى الله، وتوكل على الله، واشتغل بذكر الله، فقال: بسم الله.

رحم الله من زهد فى الدنيا، ورغب فى العقبى، وصبر على العطبى وشكر على النعمى، واشتغل بذكر المولى، فقال: بسم الله.

طوبى لعبد اجتنب الطاغوت، وقنع من الدنيا بالقوت، واشتغل بذكر الحى الذى لا يموت، فيقول: بسم الله.

* * *

مجلس: فى قوله تعالى:
﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ [النور: ٣١]

هذا خطاب للعموم بالتوبة.

وحقيقه التوبة فى اللغة: الرجوع، يقال: تاب فلان من كذا: أى رجع عنه، فالتوبة هى الرجوع عما كان مذمومًا فى الشرع إلى ما هو محمود فى الشرع.

والعلم بأن الذنوب والمعاصى مهلكات مبعدات من الله عز وجل ومن جنته، وتركها مقرب إلى الله عز وجل وجنته، فكأنه عز وجل يقول: ارجعوا إلىَّ من هوى نفوسكم ووقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم عندى فى المعاد، وتبقوا فى نعيمى فى دار البقاء والقرار، وتفلحوا وتفوزوا وتنجوا وتدخلوا برحمتى الجنة العليا المعدة للأبرار، وخاطبهم أيضًا بخطاب الخصوص والاقتضاء فقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحًا عسى ربكم أن يكفّر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾** [التحريم: ٨].

ومعنى النصوح الخالص لله تعالى الخالى عن الشوائب، مأخوذ من النصاح وهو الخيط.

وهو توبة مجردة لا تتعلق بشىء، ولا يتعلق بها شىء، يكون العبد معها مستقيمًا على الطاعة غير مائل إلى المعصية، لا يروغ كما يروغ الثعلب، ولا يحدث نفسه بعودٍ إلى معصية، ولا ذنب من الذنوب، وأن يترك الذنب لله خالصًا كما ارتكبه للهوى خالصًا حتى يختم له بحسن الخاتمة.

فالتوبة من سائر الذنوب واجبة بإجماع الأمة، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى التائبين فى غير موضع، قال عز من قائل: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** [البقرة: ٢٢٢] فذكر أنه يحبهم لتوبتهم وتطهرهم من الذنوب المبعدة عنه عز وجل، وقال فى موضع آخر: **﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾** [التوبة: ١١٢] فذكر اسمًا معرفًا يعنى التائبون ثم وصفه بهذه الأوصاف الحميدة، فعلم أن التائب مَنْ هذه صفته، فإذا

اتصف بها استحق البشارة واسم الإيمان بقوله: ﴿وبشر المؤمنين﴾ [التوبة:١١٢].

(فصل) والذى عنه التوبة من الذنوب كبائر وصغائر:

أما الكبائر: فقد اختلف فيها العلماء، فقيل: هى ثلاث، وقيل أربع، وقيل سبع، وقيل تسع، وقيل: إحدى عشرة.

وكان ابن عباس رضى الله عنهما إذا بلغه قول ابن عمر رضى الله عنهما: الكبائر سبع يقول: هى إلى سبعين أقرب منها إلى سبعة.

وكان يقول: كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة.

وقيل: إنها مبهمة لا يعرف عددها كليلة القدر وساعة يوم الجمعة، ليعظم جد الناس فى طلبها، فكذلك الكبائر ليشتد حذر الناس فى ترك الذنوب كلها.

وقيل: كل ما أوعد الله عليه بالنار فهو كبيرة.

وقيل: كل ما أوجب الحد فى الدنيا فهو كبيرة.

وقد جمعها بعض العلماء بالله عز وجل فقال: هى سبع عشرة:

أربع فى القلب وهى: الشرك بالله، والإصرار على معصية الله، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله.

وأربع فى اللسان وهى: شهادة الزور، وقذف المحصن، واليمين الغموس وهى التى يحق بها باطل ويبطل بها حق أو يقطع بها مال امرىء مسلم باطلاً ولو سواكًا من أراك، والسحر.

وثلاث فى البطن وهى: شرب الخمر والمسكر من كل شراب، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم به.

واثنتان فى الفرج وهما: الزنا واللواطة.

واثنتان فى اليدين وهما: القتل، والسرقة.

وواحدة فى الرجلين وهى: الفرار من الزحف، الواحد من الاثنين، والعشرة من العشرين، والمائة من المائتين.

وواحدة فى جميع الجسد كله وهى: عقوق الوالدين، وهو ألا تبر قسمهما إذا أقسما عليك، وأن تضربهما إذا سباك، وألا تعطيهما إذا سألاك، وألا تطعمهما إذا جاعا واستطعماك.

(فصل) **وأما الصغائر فأكثر من أن تحصى**، ولا سبيل إلى تحقيق معرفتها وبيان حصرها، لكنا نعلم ذلك بشواهد الشرع وأنوار البصائر، فإن مقصود الشرع سباق الخلق إلى الله عز وجل وقربه وجواره بترك الذنوب، كما قال تعالى: **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾** [الأنعام: ١٢٠].

ومنها النظر إلى مستحسن والقبلة له والمضاجعة معه من غير جماع، والسب لأخيه المسلم والشتم له دون القذف والضرب له، والغيبة والنميمة والكذب، وغير ذلك مما يطول شرحه.

فإذا تاب المؤمن من الكبائر اندرجت الصغائر فى ضمنها لقوله تعالى: **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾** [النساء: ٣١] ولكن لا يطمع نفسه فى ذلك، بل يجتهد فى التوبة عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، كما قال الشاعر:

خل الذنوب كبيرها وصغيرها ... فهو التقى لمن استقام وشمرا
واصنع كماش فوق أرض الشوك يسـ ... ـلك ما خلا حتى يحاذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة فى نفسها ... إن الجبال من الحصى لم تحقرا

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «نزل رسول الله ﷺ بواد هو وأصحابه ليس فيه حطب ولا شىء يرونه، فأمرهم أن يحتطبوا، فقالوا: يا رسول الله ما نرى حطبًا، قال: لا تحقروا شيئًا تأخذونه، فجعل الرجل يجمع الشىء بعضه إلى بعض حتى جمعوا سوادًا عظيمًا، فقال لأصحابه: ألا ترون، هكذا تكون المحقرات من خير وشر، حتى الذنب الصغير إلى الصغير، والكبير إلى الكبير، والخير إلى الخير، والشر إلى الشر».

وقيل: إن الذنب إذا صغر عند العبد عظم عند الله تعالى، فإذا استعظمه العبد صغر عند الله تعالى، فإنما يستعظم الذنب الصغير العبد المؤمن لعظم إيمانه ونمو معرفته، كما جاء فى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب طائر على أنفه فأطاره»[1].

وقال بعضهم: الذنب الذى لا يغفر قول العبد: ليت كل شىء عملته مثل هذا، وهذا من نقصان إيمانه، وضعف معرفته، وقلة علمه بجلال الله عز وجل، ولو كان

(١) الإتحاف ٨/ ٥٧١.

عنده علم بذلك لرأى الصغير كبيرًا، والحقير عظيمًا، كما أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها.

ولهذا قال: من جلت رتبته وعظمت منزلته عند الله عز وجل فلا صغيرة بل كل مخالفة كبيرة.

وقال بعض الصحابة لأصحابه من التابعين: «إنكم لتعملون أعمالاً هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات» وإنما قال ذلك لقربه من رسول الله ﷺ ومن الله ومن جلاله، فيعظم من العالم ما لم يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامى ما لا يتجاوز عن العارف على قدر ما بينهما من التفاوت فى العلم والمعرفة والمنزلة.

(فصل) والتوبة فرض عين فى حق كل شخص.

لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر؛ لأنه لا يخلو أحد عن معصية الجوارح، فإن خلا عنها فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب، وإن خلا عن ذلك فلا يخلو من وسواس الشيطان بإيراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله تعالى، فإن خلا عنها فلا يخلو عن غفلة وتقصير فى العلم بالله عز وجل بصفاته وأفعاله.

كل ذلك على قدر منازل المؤمنين فى أحوالهم ومقاماتهم، فلكل حال طاعات وذنوب وحدود وشروط، فحفظها طاعة، وتركها والغفلة عنها ذنب، فيحتاج إلى توبة، وهو الرجوع عن التعريج الذى وجد إلى سنن الطريق المستقيم الذى شرع له، ومقام أقيم فيه، ومنزلة مهدت له، والكل مفتقر إلى التوبة وإنما يتفاوتون فى المقادير، فتوبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة خاص الخواص من ركون القلب إلى ما سوى الله عز وجل كما قال ذو النون المصرى رحمه الله: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخاص من الغفلة.

وكما قال أبو الحسين النورى: التوبة أن تتوب من كل شيء سوى الله عز وجل، فشتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات، وتائب يتوب من طمأنينة القلب إلى غير خالق البريات.

فالأنبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن التوبة، ألا ترى إلى ما روى عن النبى ﷺ أنه

قال: «إنه ليغان على قلبى، وإنى لاستغفر الله عز وجل فى اليوم والليلة سبعين مرة»(١).

وآدم عليه السلام لما أكل من الشجرة - القصة المشهورة - تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته وبقى التاج والأكليل على رأسه، فاستحيا أن يرتفعا عنه، فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه والأكليل عن جبينه، ونودى هو وحواء: أن اهبطا من جوارى، فإنه لا يجاورنى من عصانى، فالتفت إلى حواء بالحياء وقال لها: هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب، فأحوجنا إلى التوبة والتضرع والافتقار والاستكانة والذلة من بعد عيش قار، ومن ذلك الملك العظيم والفضل الكبير والعز والدلال وارتفاع المنزلة فى أشرف الأمكنة وأطهرها وآمنها وأقربها إلى الله تعالى.

فلو استغنى أحد عن التوبة وآمن من العدو وشؤم النفس ووسواس الشيطان ومكايده، واغتر بشرف المكان وطهارته والقرب إلى الله ودنو منزلته، لكان ذلك حقيقًا بآدم عليه السلام، فلم يستغن عن التوبة حتى تاب الله عليه لقوله عز وجل: **﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾** [البقرة: ٣٧].

وروى عن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قال: لما تاب الله على آدم عليه السلام هنته الملائكة فهبط جبريل عليه السلام وميكائيل ودردائيل عليهم السلام فقالوا: يا آدم قرت عيناك بتوبة الله عليك، فقال آدم عليه السلام: يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى؟ فأوحى الله إليه: يا آدم ورثت ذريتك التعب والنصب، وورثتهم التوبة، فمن دعانى منهم لبيته كما لبيتك، ومن سألنى منهم المغفرة لم أبخل عليه، لأنى قريب مجيب يا آدم، وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين، ودعاؤهم مستجاب.

وكذلك نوح النبى عليه السلام الذى أغرق الله تعالى أهل الشرق والغرب بدعوته والغيرة على عرضه، ولتكذيبهم إياه وشدة غضبه عليهم لذلك، وهو آدم الثانى، لأن الخلق من ذريته على ما قيل إنه لم يتوالد من الذين كانوا معه فى السفينة من الناس غير أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث، فالخلق تشعبت منهم ومع هذه المنزلة قال: **﴿رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من**

---

(١) مسلم فى: الذكر: حديث ٤١، وأحمد ٤/ ٢١١.

الخاسرين﴾ [هود:٤٧].

وإبراهيم الخليل عليه السلام مع جلالة قدره واصطفاء الله له بخلته وجعله أبا الأنبياء والمرسلين، كما روى أنه أخرج من ولده وولد ولده أربعة آلاف نبى عليه وعليهم السلام، قال الله تعالى: **﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾** [الصافات:٧٧].

حتى نبينا محمد ﷺ من ولده، وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام وغيرهم لم يستغن عن التوبة والاستكانة والافتقار إلى الله عز وجل فقال: **﴿الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾** [الشعراء:٧٨ - ٨٢]، وقوله عز وجل: **﴿وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾** [البقرة:١٢٨].

وموسى عليه السلام مع جلالة قدره واصطفاء الله له بالرسالة والكلام واصطناعه لنفسه، وإلقائه المحبة عليه، وتأييده له بالمعجزات الباهرات من اليد والعصا والآيات التسع والأشياء التى كانت له فى التيه، من عمود النور بالليل والمنّ والسلوى وغير ذلك من الآيات التى لم تكن لأحد من الأنبياء قبله **﴿قال رب اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾** [الأعراف:١٥١].

وداود النبى عليه السلام مع جلالة قدره وإعطاء الله له ذلك الملك العظيم، كان حراسه ثلاثة وثلاثين ألف حارس، وكان إذا قرأ الزبور اصطفت الطير على رأسه، ووقف الماء عن جريانه وحدته، واصطفت الإنس والجن حوله، والسباع والهوام كذلك لا يؤذى بعضها بعضًا، وتسبح الجبال بتسبيحه، وألين له الحديد لرزقه إجلالاً لقدره وصيانة لأمره، بكى أربعين يومًا ساجدًا، حتى نبت العشب من دموعه، فرحمه الله تعالى وتاب عليه، حتى قال عز وجل: **﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾** [ص:٢٥].

وسليمان بن داود عليهما السلام مع ملكه العظيم وريحه المسخرة له، غدوها شهر ورواحها شهر، والملك الذى لا ينبغى لأحد من بعده، لما عوقب على خطيئته من أجل التمثال الذى عبد فى داره أربعين يومًا من غير علمه فسلب ملكه أربعين يومًا فهرب تائهًا على وجهه، وكان يسأل بكفيه فلا يطعم، فإذا قال أطعمونى فإنى سليمان بن داود شج رأسه وضرب وأهين وكذب، ولقد استطعم يومًا من بيت فطرد وبزقت امرأة فى وجهه.

وروى أنه ذات يوم أخرجت عجوز جرة فيها بول وصبته على رأسه، فبقى فى الذل على ذلك إلى أن أخرج الله له الخاتم من بطن حوت، فلبسه حتى انتهت الأربعون يومًا من أيام العقوبة، فجاءت الطير حينئذ فعكفت عليه، وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله، فلما عرفه الذين أهانوه وضربوه اعتذروا إليه مما جرى منهم إليه من الإساءة، فقال: لا ألومكم فيما صنعتم من قبل، ولا أحمدكم الآن فيما تصنعون، فإن هذا أمر من السماء ولابد منه، فتاب الله عليه، ورد إليه ملكه، وأحسن موئله ومرجعه عليه السلام.

فإذا كان هؤلاء السادة الكبراء القادة ولاة الخلق والشرع وملوكها وخلفاء الله فى خلقه حالهم كذلك، فما حالك واغترارك يا مسكين، وأنت فى دار الغرور فى إقطاع الشياطين، محيط بك جنود الأعداء من الخلق والهوى والنفس والشهوات والإرادات والوساوس وتزيين الشيطان وتحسينه، واغتررت بالعبادات الظاهرة من: الصوم والصلاة والزكاة والحج، وكف الجوارح عن المعاصى الظاهرة، وباطنك عار عن العبادات الباطنة صفر عنها من: الورع الشافى والتأنى والتقوى والزهد والصبر والرضا والقناعة والتوكل والتفويض واليقين وسلامة الصدر وسخاوة النفس ورؤية المنة والنية والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة وحسن المعرفة وحسن الطاعة والصدق والإخلاص وغير ذلك مما يطول شرحه.

بل أنت مشحون ممتلىء بخلال قبيحة وأمهات الذنوب التى منها تتفرع كل محنة وداهية، وكل بلية مهلكة موبقة فى الدنيا والآخرة من: خوف الفقر والسخط لقدر الله عز وجل، والاعتراض عليه فى قضائه فى خلقه، والتهمة له فى ذلك، والشك فى وعده، والغل والحقد والحسد والغش، وطلب العلو والمنزلة، وحب الثناء والمحمدة، وحب الجاه فى الدنيا والرضا بها والطمأنينة إليها، والتكبر على عباد الله والتعظيم عليهم، والشمخ بالأنف كما قال تعالى: **﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾** [البقرة:٢٠٦]، والغضب والحمية والأنفة، وحب الرياسة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والشح والرغبة والرهبة والفرح والأشر والبطر والتعظيم للأغنياء والاستهانة بالفقراء، والفخر والخيلاء، والتنافس فى الدنيا والمباهاة بها، والرياء والسمعة، والإعراض عن الحق استكبارًا، والخوض فيما لا يعنى، وكثرة الكلام من غير نفع، والتيه والصلف، واختبار أحوال الغير، وترك حالتك التى أنت عليها، وجعلت عبادتك

فى حفظها، والتملك والاقتدار، والتهاون فى أمر الله، والتوقير للمخلوقين، والمداهنة لهم والعجب بالأعمال، وحب المدح بما لم تفعله، والاشتغال بعيوب الخلق والتعامى عن عيوبك، ونسيان نعمة الله وإضافتها إلى نفسك أو إلى الخلق الذين هم مسخرون وآلة لتلك النعمة، والوقوف مع الظاهر، والتقاعد عن النظر فى الأصول، وحفظ الحدود ووضع الشيء فى محله، وإيثار الفرح، ونبض الحزن الذى يكون بعدمه خراب القلب، وخروج الخشية منه، وببعده أطفاء نور الحكمة، وبتزايده إيجاب قرب الرب والأنس به والاستماع إليه والفهم منه، والاستغناء به عن جميع البرية، والسعادة الأبدية، والنجاة السرمدية، والنعمة الكلية، ومشحون بالانتصار للنفس إذا نالها الذل الذى دواؤها فيه وسعادتها به، ودخولها فى زمرة أحباب الله تعالى وأصفيائه وخلصائه وشهدائه وعلمائه، والعارفين بمجارى أقداره وأبدال أنبيائه عليهم السلام، وبضعف الانتصار للحق جلت عظمته وأنصار دينه وأوليائه القائمين بحجته، الداعين للخلق إلى طاعته، المحذرين لنقمته وتارة بتذكرهم لأيامه، المرغبين فى رحمته وجنته، واتخاذ إخوان العلانية مع عداوتك إياهم فى السر، والإعراض عن موافقة الأخيار الأبرار المنكسرى القلوب والأفئدة، الذين هم جلساء الرحمن جلت عظمته، المطمئنون إليه، الملازمون للشدة، المداومون على الخدمة، المتنعمون بالمنة، المتلبسون بالخلعة، الموسومون بخلصاء الرحمن رب العزة، الآمنون فى الدنيا من دوران الدول والفتنة، وفى القبور من شر هول المطلع والضغطة، وفى القيامة من طول الحساب والوحشة، الخالدون فى دار البقاء فى النعمة والسرور والبهجة والفرحة، المخصوصون فيها بكل ظريف ولطيف فى ساعة ولحظة وطرفة.

واغتررت أيضًا بما خولت من الدنيا، وما أطلقت فيها من القضاء، وأرحت من العناء، فأمنت من سلب العطاء والفضل والنعم الذى كان لغيرك، ثم انتقل منه إليك ممن تقدم ومضى، من فرعون وهامان وقارون وشداد وعاد وقيصر وكسرى، من الملوك الخالية والأمم الفانية الذاهبة، الذين تلاعبت بهم الدنيا وغرتهم الأمانى، حتى جاء أمر الله وغرهم بالله الغرور، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وجمعوا وفرقوا وقطع بينهم وبين ما خولوا وأزيلوا عن الفرش التى مهدوها لأنفسهم، وأهبطوا عن المنازل التى شيدوها، وأزيلوا عن العز الذى كانوا به ظفروا، وعن الملك الذى ادعوا وخيلوا، فطولبوا بالودائع التى استودعوها، وبالعوارى التى استؤمنوها، فجاءهم من الله ما لم

يكونوا احتسبوا، وأُوقفوا على مساوىء ما عملوا، ونوقشوا على دقائق ما اقترفوا، وحبسوا فى أضيق الحبوس التى فى الدنيا لغيرهم حبسوا، وشدِّدوا بأشد الذى شدَّدوا، وعوقبوا بأبلغ ما عاقبوا، وبالنار أحرقوا، وبأيديهم وأرجلهم فيها بالأغلال غلّوا، ومن زقوم وضريع طعموا، ومن حميم سقوا، ومن طينة الخبال ثنوا.

أمَا كانت لك بهؤلاء الماضين عبرة، وبالمأسورين عن أهاليهم عظة عن ادعاء ملك ما خلفوا، وسكنى ما بنوا وعنه أُجلوا، إذ كانوا فى بنائهم ذلك جاروا أو ظلموا، فكم من عرض وظهر وخد ورأس حينئذ نالوا وضربوا، وكم من عين مسكين بائس فقير ذليل أبكوا وأدمعوا، وكم من غنى ذى حسب أذلوا وأفقروا، وكم من بدعة وسنة سيئة ورسم شرعوا ورسموا، وكم من قلب حكيم لبيب عليهم كسروا وأغضبوا، وكم من دعاء ونحيب وصوت حزين فى جنح الليل من أرباب القلوب لظلمهم إلى الرحمن رفعوا، شكاية منهم إليه فى كشف ما بهم، إذ هم على الخبير سقطوا، فانتدبت لذلك الملائكة الكرام وإليه بادروا، وإلى الملك العظيم المنصف غير الجائر وصلوا وانتهوا، فنظر العزيز الحكيم العليم بما فى صدورهم، والخبير بما يخفون وما يعلنون فيما شكوا ومنه ضجوا فأجابهم العزيز الجليل «لأنصرنكم ولو بعد حين».

فجعلهم حصيدًا **﴿فهل ترى لهم من باقية﴾** [الحاقة:٨] فقوم بالغرق، وقوم بالخسف، وقوم بالحصب، وقوم بالقتل، وقوم بالمسخ فى الصور، وقوم بالمسخ بالمعانى بأن جعل قلوبهم قاسية كالحجارة الصماء، فطبع عليها بطابع الكفر، وختمها بخاتم الشرك والرين والغطاء والظلمة، فلم يلج فيها الإسلام ولا الإيمان، ثم أخذهم أخذة رابية، وبطش بهم بطشة الجبار، فأدخلهم دار البوار **﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها﴾** [النساء:٥٦] فهم أبدًا فى نكال وجحيم وطعام ذى غصة وعذاب أليم **﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾** [هود:١٠٧] لا يموتون فيها ومنها لا يخرجون، لا غاية لويلهم ولا منتهى لثبورهم، ولهم فيها معيشة ضنك، لا يتخلص إليهم روح ولا يخرج منهم نفس ولا روح، انقطعت آمالهم وأصواتهم، وتشتتت قلوبهم فى حلوقهم، وخرست ألسنتهم، وقيل لهم: **﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾** [المؤمنون:١٠٨].

فاحذر يا مسكين أن تفعل بأفعالهم، أو تستن بسنتهم، فتقفو آثارهم، فتموت من غير توبة، وتؤخذ على غفلة وغرة، من غير أن تمهد لنفسك عذرًا، وتعد لك جوابًا ومخلصًا، وتقدم بها زادًا ومجازًا، فيحل بك من العذاب والنكال ما حل بهم.

(فصل: فى شروط التوبة وكيفيتها)

أما شروطها: فثلاثة:

أولها: الندم على ما عمل من المخالفات، وهو قول النبى ﷺ: «الندم توبة»[١].

وعلامة صحة الندم: رقة القلب، وغزارة الدمع، ولهذا روى عن النبى ﷺ أنه قال: «جالسوا التوابين، فإنهم أرق أفئدة»[٢].

والثانى: ترك الزلات فى جميع الحالات والساعات.

والثالث: العزم على ألا يعود إلى مثل ما اقترف من المعاصى والخطيئات، وهو معنى قول أبى بكر الواسطى حين سئل عن التوبة النصوح فقال: ألا يبقى على صاحبها أثر من المعصية سرًا ولا جهرًا.

ومن كانت توبته نصوحًا فلا يبالى كيف أمسى وأصبح، فالندم يورث عزمًا وقصدًا، فالعزم ألا يعود إلى مثل ما اقترف من المعاصى لعلمه المستفاد بالندم أن المعاصى حائلة بينه وبين معبوده وبين محاب الدنيا والآخرة السليمة من التبعات، كما ورد فى الخبر «إن العبد يحرم الرزق الكثير بذنب يصيبه»[٣].

وفى الخبر الآخر «إن الزنا يورث الفقر»[٤].

وعن بعض العارفين قال: إذا رأيت التغير والتضييق فى المعيشة والتعسر فى الرزق وتشعب الحال، فاعلم أنك تارك لأمر مولاك تابع لهواك، وإذا رأيت الأيدى تسلطت عليك والألسن وتناولتك الظلمة فى النفس والأهل والمال والولد، فاعلم أنك مرتكب للمناهى ومانع للحقوق ومتجاوز للحدود، وممزق للرسوم.

وإذا رأيت الهموم والغموم والكروب فى القلب قد تراكمت، فاعلم أنك معترض على الرب فيما قدر عليك وقضى لك متهم له فى وعده، ومشرك به خلقه فى أمره، غير واثق به ولا أنت راض بتدبيره فيك وفى خلقه، فإذا علم التائب هذا بالنظر فى حاله والتفكر فيها ندم على ذلك.

(١) ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (١/ ٣٧٦)، والبيهقى (١٠/ ١٥٤).
(٢) الإتحاف (٨/ ٥٧٤)، والضعيفة (١٠٣).
(٣) أحمد ٥/ ٢٨٠، والإتحاف ٥/ ٣٠.
(٤) ابن عدى ٦/ ٢٤٢٥، والضعيفة (١٤٠).

ومعنى الندم: توجع القلب عند علمه بفوات محبوبه، فتطول حسراته وأحزانه وبكاؤه ونحيبه وانسكاب عبراته، فيعزم على ألا يعود إلى مثل ذلك لما تحقق عنده من العلم بشؤم ذلك، وأنه أضر من السم القاتل والسبع الضارى والنار المحرقة والسيف القاطع «وإن المؤمن لا يلسع من جحر مرتين»[1] فيهرب ضرورة من المعاصى كما يهرب من هذه المضار والمهالك، ففى المعاصى هلاك كلى، وفى الطاعات بقاء كلى، والسلامة الأبدية سعادة دنيوية وأخروية.

فيا ليت المعاصى لم تخلق ولم تكن، فرب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلاً وأعقبت داء دويًا وأهدمت عمرًا طويلاً وأوقعت فى النار جِبِلاً كبيرًا.

وأما القصد الثانى الذى ينبعث منه، وهو إرادة التدارك، فله تعلق بالحال، وهو موجب ترك كل محظور وهو ملابس له ومداوم عليه، وأداء كل فرض هو متوجه عليه فى الحال، وله تعلق بالماضى وهو تدارك ما فرط بالمستقبل، وهو المداومة على الطاعة وترك المعصية إلى الموت.

فأما شرط صحته فيما يتعلق بالماضى وهو أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه السن والاحتلام، فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرًا شهرًا ويومًا يومًا وساعة ساعة ونفسًا نفسًا، فينظر إلى الطاعات ما الذى قصر فيها، وإلى المعاصى ما الذى قارف منها.

أما الطاعات فإن كان ترك صلاة فلم يصلها ألبتة أو صلاها بغير شرائطها وغير أركانها، مثل إن صلاها من غير وضوء، أو مع وضوء مختل من شرط كالنية، أو بعض واجباته كالمضمضة والاستنشاق وغسل الوجه وغير ذلك من الأعضاء، أو صلى فى ثوب نجس أو حرير أو غصب أو على أرض مغصوبة فإنه يقضيها جميعًا من حين بلوغه إلى حين توبته، فيشتغل بقضاء الفرائض أولاً، ولا يزال يصليها إلى أن يضيق وقت صلاة الحاضرة ثم يصلى الحاضرة أداء، ثم يشتغل بقضاء الفوائت هكذا إلى أن يأتى على آخرها.

فإذا حضرت الجماعة صلاها مع الجماعة، وينويها قضاء، ثم يصلى على عادته حتى إذا تضايق وقت التى صلاها مع الإمام صلاها وحده أداء، كل ذلك إنما يفعله احتياطًا

(١) أحمد ٢/ ١١٥، والبيهقى (٣٩٨٢).

لتحصيل الترتيب فى القضاء إذ هو واجب عندنا، فإن نوى مع الإمام أداء جماعة سومح ورخص له فى ذلك، ولا يعيدها مرة أخرى والصحيح هو الأول.

فإن كان فى عمره الماضى مخلطًا فى دينه من الذين قال الله تعالى فى حقهم: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم﴾ [التوبة:١٠٢] تارة يغلب عليه الإيمان فيحسن العمل من صلاته وصيامه والتحرز من النجاسات والمحرم فى الشرع ويحتاط لدينه، وأخرى تغلبه الشقاوة وتزيين الشيطان فينجس فى صلاته ويتساهل فى شرائطها وأركانها وواجباتها، فيأتى ببعضها ويترك بعضًا، أو يصلى يومًا ويترك أيامًا، أو يصلى من صلاة يوم وليلة صلاة أو صلاتين ويترك باقيها، فليجتهد وليتحر فى ذلك، فما تيقن أنه أتى بها على التمام والكمال على وجه يسوغ فى الشرع لم يقضها ويقضى الباقى، وإن نظر لنفسه وارتكب العزيمة والأشد فقضى الجميع كان ذلك احتياطًا وخيرًا قدمه لنفسه، وكفارة وترقيعًا لكل ما فرط من سائر الأوامر يوم القيامة، ودرجات فى الجنة إذا مات على التوبة والإسلام والسنة.

وإذا فرغ من قضاء الفرائض ومد الله فى أجله، وأمهل فى مدته، ووفقه لخدمته، ورضيه لطاعته، وأقامه فى أهل محبته، وأنقذه من ضلالته، وأخرجه من مرافقة الشيطان ومتابعته ومن ركوب الهوى، وملاذ نفسه، فأدبره من دنياه، وأقبله على أخراه، فليشتغل حينئذ بقضاء السنن المؤكدات وما يتعلق بكل صلاة على مما ذكرنا فى الفرائض.

ثم بعد ذلك يجتهد فى التهجد وصلاة الليل والأوراد التى نشير إليها فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

وأما الصوم فإن كان تركه فى سفر أو مرض أو أفطر عمدًا فى الحضر أو ترك النية ليلاً عمدًا أو سهوًا، فليقض ذلك جميعه، وإن شك فى ذلك، فليتحر ويجتهد فى ذلك فليقض ما غلب على ظنه تركه، ويترك باقيه فلا يقضيه، وإن أخذ بالأحوط فقضى الجميع كان خيرًا له، فيحسب من حين بلوغه إلى حين توبته، فإن كان بين ذلك عشر سنين صام عشرة أشهر، وإن كان اثنتى عشرة سنة صام سنة عن كل سنة شهرًا وهو شهر رمضان.

وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول تمام ملكه لا من زمان بلوغه وعقله، إذ الزكاة واجبة على الصبى والمجنون عندنا، فيخرجها ويدفعها إلى مستحقيها من الفقراء والمساكين وغيرهم، فإن كان قد أدى فى بعض السنين وتوانى فى بعض حسب ذلك، وأدى المتروك وترك المؤدى على ما تقدم فى الصوم والصلاة.

وأما الحج فإن كان قد تم شروطه فى حقه فوجب عليه السعى فيه والقصد إليه، فتوانى وفرط حتى افتقر واختلت الشرائط فى حقه برهة من الزمان ثم قدر، فعليه الخروج والقصد إليه، وإن لم يجد المال وكان له قدرة على الخروج ببدنه مع الإفلاس فعليه الخروج، فإن لم يقدر إلا بمال فعليه أن يكتسب من الحلال قدر الزاد والراحلة، فإن لم يقدر على الكسب فليسأل الناس ليدفعوا إليه من زكاتهم وصدقاتهم ليحج، لأن الحج من السبيل عندنا، وهو واحد من الأصناف الثمانية، وهو قوله عز وجل: **﴿وفى سبيل الله﴾** [التوبة: ٦٠] فإن مات قبل ذلك مات عاصيًا آثمًا، لأنه فرط فى أداء الحج.

وهو عندنا على الفور، قال النبى ﷺ: «من وجد زادًا وراحلة تبلغه البيت فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديًا أو نصرانيًا أو على أى ملة»[1]، وفى لفظ آخر «من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًا وإن شاء نصرانيًا».

وإن كان عليه كفارات ونذور فعليه الخروج منها والاحتياط فيها والتحرز على ما ذكرنا.

وأما المعاصى فينبغى أن يفتش من أول بلوغه عن سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفرجه وجميع جوارحه، ثم ينظر فى جميع أيامه وساعاته، ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه، حتى يطلع على جميعها صغائرها وكبائرها، ويتذكرها جميعها برؤية قرنائه الذين كانوا معه فيها وشاركوه فى اقترافها، والبقاع التى قارف عليها، والمنازل التى تستر فيها عن الأعين فى زعمه، وغفل عن الأعين التى لا تنام ولا تغمض طرفة عين عنه **﴿كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون﴾** [الانفطار: ١١ - ١٢]، **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾** [ق: ١٨] غفل عن هؤلاء الكرام الحفظة **﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾** [الرعد: ١١] ويحصون عليه أفعاله وأنفاسه، وغفل عن عالم السر وأخفى العليم بذات الصدور، والخبير بما يخفون وما يعلنون، ثم ينظر فى ذلك، فإن

(١) البيهقى ٤/ ٣٣٠، والطبرى ٤/ ١٢.

كانت المعاصى تتعلق بحق الله وهى بينه وبينه لا تتعلق بمظالم العباد كالزنا وشرب الخمر وسماعَ الملاهى، وكالنظر إلى غير محرم، والقعود فى المسجد وهو جنب، ومس المصحف بغير وضوء، واعتقاد وبدعة، فتوبته عنها بالندم والتحسر والاعتذار إلى الله عز وجل عنها ويحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث المدة، ويطلب لكل معصية عنها حسنة تناسبها، فيأتى من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذًا من قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود:١١٤]، ومن قول النبى ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها»[1] فتكفير كل سيئة بحسنة من جنسها بما تقارب أن تكون كفارة له دون غيره فى التشبيه.

فتكفير شرب الخمر بالتصدق بكل شراب حلال هو أحب إليه وأطيب عنده، وسماع الملاهى بسماع القرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، وحكايات الصالحين، وتكفير القعود فى المسجد جنبًا بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة، وتكفير مس المصحف محدثًا بإكرام المصحف وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تلقيه على الطهارة، والاعتبار بما فيه، والاتعاظ، واحترامه والعمل به، وبأن يكتب مصحفًا ويجعله وقفًا على المسلمين ليقرؤوا فيه.

وأما مظالم العباد، ففيها أيضًا معصية وجناية على حق الله تعالى، فإن الله تعالى نهى عن الظلم للعباد، كما نهى عن الزنا وشرب الخمر والربا، فما يتعلق من ذلك بحق الله تعالى تداركه بالندم والتحسر، وترك مثله فى ثانى الحال، والإتيان بالحسنات لتكفر عنه، فتكفير إيذائه للناس بالإحسان إليهم والدعاء لهم، فإن كان المؤذى ميتًا فبالترحم عليه والإحسان إلى ولده وورثته إذا كانت الأذية باللسان أو الضرب، وتكفير غصب أموالهم فى حق الله تعالى بالتصدق بما يملكه من الحلال.

وإذا كانت الأذية فى الأعراض مثل إن اغتابهم ومشى بينهم بالنميمة وقدح فيهم، فتكفير ذلك بالثناء عليهم إن كانوا من أهل الدين والسنة وإظهار ما يعرف فيهم من خصال الخير فى أقرانه وأمثاله فى المحافل والمجامع. وتكفير قتل النفوس فى حق الله تعالى بإعتاق الرقاب لأن ذلك إحياء للعبد، لأن العبد كالمفقود المعدوم فيما يرجع إلى نفسه، كما قال الله عز وجل: ﴿ضرب الله مثلاً عبدًا مملوكًا لا يقدر على شىء﴾ [النحل:٧٥] فكليته لمولاه وتصرفاته وحركاته وسكناته، فهو موجود لسيده، إذ جميع ذلك

(١) الترمذى (١٩٨٧)، والدارمى ٢/ ٣٢٣، وأحمد ٥/ ١٥٣.

له، ففى إعتاقه إيجاده وإحياؤه. فكأن القاتل أعدم عبداً عابداً لله تعالى وعطل طاعته له، فجنى على حقه، فأمره بإقامة عبد مثله عابد لله تعالى، ولا يتحقق ذلك إلا بعتقه عن رق العبودية، فيتصرف فى نفسه لنفسه من غير مانع ولا حاجر، فيقابل الإعدام بالإيجاد، وهذا فى حق الله تعالى.

وأما فى حق العباد فلا يخلو إما أن يكون فى النفوس أو فى الأموال أو الأعراض أو القلوب، وهذا هو الإيذاء المحض.

وأما إذا كانت المظلمة فى النفوس بأن جرى على يده قتل خطأ، فتوبته بتسليم الدية إلى من يستحقها من مناسب، أو مولى أو الإمام، فهى فى عهدة ذلك حتى تصل الدية إليهم، إما من العاقلة، والعاقلة هو القرابة العصبية، أو الإمام.

فإن لم تكن له عاقلة، ولا وجد فى بيت المال شىء سقطت، فإن كان هو قادراً على أدائها ولا عاقلة له، فليس له غير عتق رقبة مؤمنة، فإن تطوع بالدية كان أولى، إذ الدية إنما تجب عندنا على العاقلة، فلا يخاطب بها القاتل وهو الصحيح.

وقيل: إنه يجب عليه أداء الدية فى هذه الحالة إذا لم تكن له عاقلة وله يسار، وهو مذهب الشافعى رحمه الله، لأن الدية تجب ابتداء على القاتل، ثم تتحملها عنه العاقلة على وجه التخفيف عنه والنصرة له، والمواساة له فى الغرامة لما بينهما من التوارث، وقد عدمت العاقلة هاهنا، فوجبت عليه، لا سيما وهو فى حالة التوبة والخروج من المظالم والتورع والخلاص عن حقوق الآدميين.

وأما إن كان القتل عمداً فلا يتخلص إلا بالقصاص، وكذلك إن كان دون النفس فى محل يمكن الاقتصاص منه، فإن كان فى النفس، فالكلام مع الوارث، وإن كان فيما دون النفس فمع المجنى عليه، فإن طابت النفوس بإسقاط ذلك والعفو عنه سقط، وإن طلبوا العفو على مال بذله وتبرأ عن عهدته.

فإن قتل قتيلاً ولم يعرف أنه هو القاتل كان عليه أن يعترف عند ولى الدم، ويحكمه فى روحه، فإن شاء عفا عنه، وإن شاء قتله أو أخذ المال عليه، ولا يجوز له إخفاؤه لأنه لا يسقط بمجرد التوبة، فإن قتل جماعة فى أوقات مختلفة ومحال متعددة، وقد تقادم الزمان، ولا يعرف أولياءهم ولا عدد من قتلهم، أحسن توبته وعمله، وأقام على نفسه حد الله بأنواع المجاهدات والتعذيب لها، والعفو عمن ظلمه وآذاه، وأعتق

الرقاب، وتصدق بمال، وأكثر النوافل، ليفرق ثواب ذلك عليهم على قدر حقوقهم يوم القيامة، فينجو هو، ويدخل الجنة برحمة الله تعالى التى وسعت كل شىء وهو أرحم الراحمين.

ولا فائدة إذ ذاك فى التحدث بما جرى عليه من أنواع القتل والجراحات وقطع الطريق، إذ لا يعثر بأربابها ومستحقيها ليوفيهم أو يستحل منهم، بل يشتغل بما ذكرناه.

وكذلك إن زنا أو شرب أو سرق، ولا يعرف مالكها، أو قطع الطريق ولا يعرف المقطوع عليه، أو باشر امرأة دون الفرج مما يجب فيه حد الله أو التعزير، فإنه لا يلزمه فى صحة التوبة أن يفضح ويهتك ستره، ويلتمس من الإمام أو الحاكم إقامة الحدود عليه، بل يستتر بستر الله تعالى، ويتوب إلى الله عز وجل فيما بينه وبين الله، ويشتغل بأنواع المجاهدات من صيام النهار، والتقلل من المباح واللذات، وقيام الليل، وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح والتورع، وغير ذلك، قال النبى ﷺ: «من أتى بشىء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله تعالى عليه، ولا يبدى لنا صفحته، فإن من أبدى لنا صفحته أقمنا عليه حدود الله»[1].

فإن خالف ما قلناه، ورفع أمره إلى الوالى فأقام عليه الحد وقع موقعه وصحت توبته، وتكون مقبولة عند الله، وبرىء من عهدة دينه، وتطهر من إثمه ولطخه.

وأما الأموال، فإن كان تناول مال إنسان بغصب أو سرقة أو قطع طريق أو خيانة فى عين من وديعة أو عارية أو معاملة بنوع تلبيس، كترويج زائف أو ستر عيب فى المبيع، أو نقص أجرة أجير، أو منع أجرته جملة فكل ذلك عليه أن يفتش عنه لا من مدة بلوغه، بل من مدة وجود ذلك بعد بلوغه وعقله وتمييزه، أو قبل بلوغه وهو فى حجر وليه ووصيه، واختلط ماله بماله، وتهاون الولى فى ذلك، ولم يبال به بأن كان ظالمًا مجازفًا فى دينه فاختلط ذلك الحرام بمال الصبى تارة من فعل الصبى، وأخرى من ظلم الوصى وجب على الصبى التائب بعد بلوغه تفتيش ذلك، ورد كل حق إلى أهله، وتصفية ماله من تلك الشبهات والحرام، فليحاسب نفسه على الحبات والذرات من أول يوم جنايته إلى يوم توبته، قبل أن يأتيه الموت على غفلة من غير حساب، وتقوم عليه القيامة على غرة من غير تحصيل ثواب وتهذيب كتاب فيسأل فلا يسمع جوابًا، ويندم

(١) المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٣٥.

فلا ينفعه الندم، ويستعتب فلا يعتب، ويعتذر فلا يعذر، ويستمهل فلا يمهل، ويستشفع فلا يشفع له إذا كان مفرطًا فى حال حياته، ومجازفًا فى حال يقظته وفطنته، متبصرًا فى أمور معاشه، حريصًا فى تحصيل شهواته ولذاته، متابعًا لهواه ولشيطانه، معرضًا عن طاعة ربه وجنابه، متثبطًا عن إجابته، متسارعًا فى معصيته وخلافه، فلذلك طال فى القيامة حسابه، وعظم ويله ونحيبه، وانقطع ظهره، ونكس رأسه، واشتد خجله وحياؤه، وانقطعت حجته وبرهانه، وأخذت حسناته، وتضاعفت سيئاته، وخسرت صفقته وظهر إفلاسه، واشتد عليه غضب ربه وأخذه، وأخذته الزبانية إلى ما مهد لنفسه من عذاب ربه وأوبقها فأرداها، فساوى من فى النار من قارون وفرعون وهامان، إذ مظالم العباد لا تسامح فيها، ولا ترك، وفى الأثر «إن العبد ليوقف بين يدى الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال، لو سلمت له لكان من أهل الجنان، فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب عرض هذا وأخذ مال هذا، وضرب هذا، فتقتص حسناته فلا يبقى له شىء، فتقول الملائكة: يا رب فنيت حسناته وبقى طالبون كثيرون، فيقول: ألقوا من سيئاتهم إلى سيئاته، وصكوا له صكًا إلى النار، فيهلك هو بسيئة غيره بطريق القصاص[(١)].

فكذلك ينجو المظلوم بحسنة الظالم، إذ ينقل إليه عوضًا مما ظلمه.

وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الدواوين ثلاثة: ديوان يغفره الله، وديوان لا يغفره الله، وديوان لا يترك منه شىء.

فأما الديوان الذى لا يغفره الله تعالى، فالشرك بالله جل جلاله، قال الله عز وجل: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ [المائدة: ٧٢].

وأما الديوان الذى يغفره الله فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه.

وأما الديوان الذى لا يترك منه شىء، فظلم العباد بعضهم بعضًا»[(٢)].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه [عن النبى ﷺ] أنه قال: «اتدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة قالوا: يا رسول الله، المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له، قال النبى ﷺ: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاته وصيامه، وقد شتم هذا،

(١) الإتحاف ٨/ ٥٦٢.

(٢) أحمد ٦/ ٢٤٠، والصحيحة (١٩٢٧).

وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقاص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار»[١] فينبغى للمذنب أن يبادر إلى التوبة.

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى أنه قال: «هلك المسوفون؛ يقول سوف نتوب»[٢].

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل: ﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾ [القيامة:٥] يعنى يقدم ذنوبه ويؤخر توبته، ويقول: سأتوب حتى يأتى الموت، وهو على شر ما كان عليه فيموت عليه.

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بنى لا تؤخر التوبة إلى غد، فإن الموت يأتيك بغتة، فالواجب على كل أحد أن يتوب حين يصبح وحين يمسى.

قال مجاهد رحمه الله: من لم يتب إذا أصبح وأمسى فهو من الظالمين.

فالتوبة على وجهين:

أحدهما: فى حق العباد، وقد ذكرناها.

والثانى: بينك وبين الله تعالى فتكون بالاستغفار باللسان والندم بالقلب والإضمار على ألا يعود على ما أشرنا إليه من قبل.

فليجتهد هذا التائب من الظلم، ويبذل جهده فى تكثير الحسنات حتى يقتص منه يوم القيامة، فتؤخذ حسناته وتوضع فى موازين أرباب المظالم، ولتكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه للعباد وإلا هلك بسيئات غيره، وهذا يوجب استغراق جميع العمر فى الحسنات لو طال عمره بحسب مدة الظلم، فكيف والموت على الرصد، وربما يكون الأجل قريبًا فتخترمه المنية قبل بلوغ الأمنية، وقبل إخلاص العمل، وتصحيح النية وتصفية اللقمة، فليبادر إلى ذلك، وليبذل الاجتهاد فيكتب جميع ذلك، وأسامى أصحاب المظالم واحدًا واحدًا، وليطف نواحى العالم وأطراف البلاد وأقطارها يطلبهم ليستحلهم وليؤد حقوقهم، فإن لم يجدهم فإلى ورثتهم، وهو مع ذلك خائف من عذاب الله، راج لرحمته تائب مقلع عن جميع ما يكره مولاه، مشمر فى طاعته

---

(١) مسلم فى البر والصلة: حديث (٥٩)، والترمذى (٢٤١٨)، والبيهقى ٦/ ٩٣.

(٢) الحاكم ٢/ ٥٠٩.

ومرضاته، فإن أدركته منيته وهو على ذلك فقد وقع أجره على الله، قال الله عز وجل: **﴿ومن يخرج من بيته مهاجـرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾** [النساء: ١٠٠].

وقد جاء فى الصحيحين المتفق عليه، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال له: أنه قد قتل تـسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقـال: لا ، فقتلـه، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعـلم أهل الأرض؟ فدل على رجل عالم، فـأتاه فقال له: أنه قـد قتل مائة نفس فهـل له من توبة؟ قال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بـها ناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا انتصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فـيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقـالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبـلاً على الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خـيرًا قط، فأتاهم ملك فى صورة آدمى، فجعلوه بينهم حكمًا، فقال: قيسوا ما بين الأرضين إلى أيهما كان له أدنى فهو له، فقاسوا، فوجدوه كان أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة.

وفى رواية: فكان إلى القرية الـصالحة أقرب بشـبر، فجـعل من أهلها، وفى رواية: فأوحـى الله عز وجل إلى هذه: أن تبـاعدى، وإلى هذه أن تقـاربى وقال: قـيسـوا ما بينهما. فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له»(١).

فهذا دليل واضح على أن قصده إلى التوبة وسعيه إليها، ونيته لها نافع، ودليل على أنه لا خلاص إلا برجـحان ميـزان الحسنات ولو بمثقـال ذرة، فلا بد للتائب من تكثـير الحسنات والنوافل ليرضى بها الخصوم يوم القيـامة، وترقع بها الفرائض، كما قال النبى ﷺ: «أكثروا من النوافل ترقع بها الفرائض» أو كما قال.

ويعقـد أيضًا مع الله تعالى عقدًا صـحيحًا مـؤكدًا، وعهدًا وثيـقًا ألا يعود إلى تلك الذنوب، ولا إلى أمثالهـا أبدًا، ويستعين على ذلك بالعـزلة والصمت وقلة الأكل وقلة النوم، وإحراز قوت حلال، والتورع عن الحرام والشـبهة، إما بكسب أو بضاعة فى يده من إرث، أو سبب حلال، فإن كان فيما ورثه شبهة أو حرام أخرجه ولم يأكل منه ولم

---

(١) البخارى فى: الأنبياء: ب (٥٤)، ومسلم فى: التوبة: حديث (٤٧).

يتلبس بشيء منه، فإن رأس المعاصى الحرام، وملاك الدين الحلال والتورع، وتصفية اللقمة، فكل ما ينشأ من الإنسان من خير وشر فمن اللقمة، فالحلال يورث الخير، والحرام يورث الشر، كالقدر إذا طبخ ما فيها واستكمل نضجه تبين الرائحة الفائحة عما فيها، كل إناء ينضح بما فيه، ويكثر مجالسة الفقهاء والعلماء بالله، ليستفيد منهم أمر دينه، ويعرفونه سلوك الطريق إلى الله تعالى، وحسن الأدب فى طاعته، والقيام فى أمره، وينبهونه على ما خفى عليه من أمر السلوك فى طريقه، فلابد لكل من سلك طريقًا لم يعرفه من دليل يدله، ومرشد يرشده، وهاد يهديه، وقائد يقوده، ويستعمل الصدق فى جميع ذلك، والإخلاص والجد فى المجاهدة، قال الله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ [العنكبوت:٦٩] فقد ضمن للمجد الصادق فى المجاهدة فى طريقه الهداية فإذا صدق فى ذلك لا يعدم الهداية، لأن الله لا يخلف الميعاد، وليس بظلام للعبيد، وهو أرحم الراحمين، رؤوف رحيم، لطيف بخلقه، بار ببريته، معين وموفق للمقبلين عليه، وداع للمدبرين المولين عنه بألطف الدعاء، يفرح بتوبتهم كالوالدة الشفيقة إذا قدم ولدها من سفره البعيد.

قال النبى ﷺ: «لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل مر بأرض دوية مهلكة ومعه راحلة عليها طعامه وشرابه وما يصلحه، فأضلها، فخرج فى طلبها حتى كادت نفسه تخرج، فقال: أرجع إلى المكان الذى أضللتها فيه، فأموت فيه، فرجع إلى مكانه، فغلبته عينه، فغمضها لحظة، فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه»(١).

قال على كرّم الله وجهه: سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه، وهو الصادق المصدوق قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد أذنب ذنبًا فقام وتوضأ وصلى واستغفر الله من ذنبه، إلا كان حقًا على الله أن يغفر له»(٢) لأنه يقول جل وعلا: ﴿**ومن يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا**﴾ [النساء: ١١٠].

وأما الأموال الحاضرة المغصوبة، فليرد إلى المالك ما يعرف له مالكًا معينًا أو إلى ورثته على ما تقدم، وما لا يعرف له مالكًا معينًا فعليه أن يتصدق به عن صاحبه، فإن اختلط الحرام بالحلال، مثل اختلاط المغصوب بالإرث الحلال، حسب واجتهد فى معرفة

---

(١) الترمذى (٢٤٩٨)، وأحمد ١/ ٣٨٣.
(٢) الإتحاف ٨/ ٦٠٣، والكنز (١٠٢٧٧).

مقدار الحرام وتصدق بذلك المقدار، وترك الباقى له ولعياله.

وأما الأعراض فهو سب الناس وشتمهم مشافهة، وهو الجناية على القلوب، وكذلك غيبتهم، وذكرهم بالقبيح، وما يسوءهم من الغيبة، وهو كل كلام لا يحسن أن يقال له فى وجهه فإذا قاله فى غيبة منه، كان قد اغتابه، فكفارته أن يذكر له ذلك ويستحله، فإن كانوا جماعة فواحدًا واحدًا، ومن مات منهم قبل ذلك، فتدارك ذلك بتكثير الحسنات على ما ذكرنا.

كل ذلك إذا بلغتهم الغيبة، وأما إذا لم تبلغهم فلا يجب عليه استحلالهم، بل لا يجوز، لأن فيه إيصال الألم إلى قلوبهم، بل يأتى الذين اغتابهم عندهم فيكذب نفسه عندهم، ويثنى على المغتابين.

(فصل) ولابد أن يعرفه قدر جنايته، ويعرض له فى سائر المظالم، ولا يكفى فى ذلك الاستحلال المبهم، لجواز أن يكون المظلوم إذا عرف قدر ظلمه على الحقيقة لم تطب نفسه بالإحلال بل يؤخر ذلك ليوم القيامة، ليأخذ بدله من حسناته، أو يحمله من سيئاته، وإن كان من جملة جنايته على الغير ما لو عرفه، وذكره لتأذى بمعرفته، كزناه بجاريته وأهله، أو نسبته باللسان إلى عيب خفى من عيوبه، يعظم أذاه به، فهاهنا لا طريق له إلا أن يستحله مبهمًا، ويبقى عليه له مظلمة ما، فيجبرها بالحسنات كما يجبر له مظلمة الميت والغائب، وكل جناية على الغير لم يعلم بها لو ذكر الجانى له ذلك لم تطب نفسه بالإحلال بسرعة، أو لا يأمن المجنى عليه مقابلته بها فحق الجانى فى ذلك وطريقه أن يتلطف له، ويسعى فى مهماته وأغراضه ويظهر من حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه، فإن الإنسان عبد الإحسان، وكل من نفر بسيئة مال ورجع بحسنة، فإن تعذر ذلك عليه، فالكفارة بتكثير الحسنات، ليجزى بها فى يوم القيامة جنايته، فإن الله تعالى يحكم به عليه، ويلزمه قبول حسناته مقابلة لجنايته عليه إذا امتنع من القبول، كمن أتلف فى الدنيا مالاً، فجاء بمثله، فامتنع من له الحق عن قبول ذلك، وإبرائه عن ذلك، فإن الحاكم يحكم عليه بالقبض، شاء أم أبى، كذلك الله عز وجل يحكم بذلك فى عرصات القيامة، وهو أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين.

(فصل) فإذا تخلص من مظالم العباد، وتفرغ لعبادة الله تعالى فى خاصته، سلك طريق الورع، لأن به يتخلص العبد فى الدنيا والآخرة من العباد، ومن عذاب الله عز

وجل، وبه يخفف عنه الحساب يوم القيامة، فإن الحساب يوم القيامة لحقوق العباد والمعاملات التى جرت فى الدنيا بين الأنام على غير وجه الشرع.

وأما من حاسب نفسه فى الدنيا، وأخذ من الخلق ما يستحقه، وأعرض عما ليس له، وخاف من طول الحساب فى يوم القيامة، فعلى أى شىء يحاسب، وفى الخبر «إن الله تعالى يستحى أن يحاسب الورعين فى يوم القيامة».

ولهذا قال النبى ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا».

وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(١)].

وهذا إشارة إلى التوقف فى كل شىء، وترك الإقدام عليه إلا بإذن الشرع، فإن وجد فى الشرع مساغًا لتناوله والشروع فيه فعل، وإلا وقف عنه ومال إلى غيره، وإليه أشار رسول الله ﷺ حيث قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[(٢)].

وقال ﷺ: «المؤمن وقاف، والمنافق لقاف».

وفى موضع آخر: «المؤمن فتاش».

وقال ﷺ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار فما ينفعكم إلا الورع الشافى».

وقال ﷺ: «من لم يبال من أين مطعمه ومشربه لم يبال الله تعالى من أى باب من النار يدخله»[(٣)].

عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبقوا الرزق، واتقوا الله وأجملوا فى الطلب، وخذوا ما حل لكم، وذروا ما حرم عليكم»[(٤)].

وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يكتسب العبد مالاً من الحرام ويتصدق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه شيئًا فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار»[(٥)].

---

(١) أحمد ١/ ٢٠.

(٢) أحمد ١/ ٢٠٠، ٣/ ١١٢، والترمذى (٢٥١٨)، والنسائى فى: الأشربة: ب (٤٨).

(٣) الإتحاف ٦/ ٨.

(٤) الحاكم ٤/ ٣٢٥.

(٥) الكنز (٩٢٨٠).

وقال ﷺ: «إن الله لا يمحو الشر بالشر، ولكن يمحو الشر بالخير».

وعن عمران بن الحصين رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى يقول: عبدى أد ما افترضت عليك تكن من أعبد الناس، وانته عما نهيتك عنه تكن من أورع الناس، واقنع بما رزقتك تكن من أغنى الناس»(١).

وقال ﷺ لأبى هريرة رضى الله عنه: «كن ورعًا تكن من أعبد الناس»(٢).

وقال الحسن البصرى رحمه الله: «مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة».

وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: لا يتقرب إلى المتقربون بمثل الورع.

وقيل: رد دانق من فضة أفضل عند الله من ستمائة حجة مبرورة، وقيل: سبعين حجة متقبلة.

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: جلساء الله تعالى غدًا أهل الورع والزهد.

وقال ابن المبارك رحمه الله: ترك فلس من الحرام أفضل من مائة فلس يتصدق به.

روى عن ابن المبارك أنه كان بالشام يكتب الحديث، فانكسر قلمه فاستعار قلمًا، فلما فرغ من الكتابة نسى، فجعل القلم فى مقلمته، فلما رجع إلى مرو، رأى القلم وعرفه، فتجهز للقدوم إلى الشام لرد القلم إلى صاحبه.

وعن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه كان يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن لم يتق الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها الجسد كله، ألا وهى القلب»(٣).

وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال: لكل شىء حد، وحدود الإسلام: الورع والتواضع والصبر والشكر، فالورع ملاك الأمور، والصبر النجاة من النار،

(١) بنحوه: أحمد ١/ ٣٨٧، والبغوى ١/ ٢٨٨، والدر المنثور ١/ ٣٤٧.
(٢) جامع المسانيد ٢/ ٦٩٤، وابن ماجه (٤٢١٧)، والصحيحة (٩٣٠).
(٣) مسلم فى: المساقاة: (١٠٨)، والبخارى ٧/ ٣٠، والترمذى (١٢٠٥).

والشكر الفوز بالجنة.

ودخل الحسن البصرى رحمه الله مكة، فرأى غلامًا من أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه قد أسند ظهره إلى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له: ما ملاك الدين؟ فقال: الورع، فقال: ما آفة الدين؟ قال: الطمع، فتعجب الحسن منه.

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: الورع ورعان، ورع فرض، وورع حذر، فورع الفرض: الكف عن كل معاصى الله، وورع الحذر: الكف عن الشبهات فى محارم الله تعالى.

فورع العام من الحرام والشبهة، وهو كل ما كان للخلق عليه تبعة، وللشرع فيه مطالبة، وورع الخاص من كل ما كان فيه الهوى وللنفس فيه شهوة ولذة، وورع خاص الخاص من كل ما كان لهم فيه إرادة ورؤية.

فالعام يتورع فى ترك الدنيا، والخاص يتورع فى ترك الجنة العليا، وخاص الخاص يتورع فى ترك ما سوى الذى خلق وبرأ.

قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: الورع على وجهين، ورع فى الظاهر وهو ألا تتحرك إلا لله، وورع فى الباطن، وهو ألا يدخل فى قلبك سواه تبارك وتعالى.

وقال يحيى رحمه الله أيضًا: من لم ينظر فى دقيق من الورع لم يحصل له شىء ولم يصل إلى الجليل من العطاء.

وقيل: من دق فى الورع نظره جل فى القيامة خطره.

وقيل: الورع فى المنطق أشد منه فى الذهب والفضة، والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة، لأنك تبذلهما فى طلب الرياسة.

وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله: الورع أول الزهد، كما أن القناعة طرف الرضا.

وقال أبو عثمان رحمه الله: ثواب الورع خفة الحساب.

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل.

وقال ابن الجلاء رحمه الله: من لم يصحبه الورع فى فقره أكل الحرام النص.

وقال يونس بن عبيد الله رحمه الله: الورع الخروج من كل شبهة، ومحاسبة النفس

مع كل طرفة.

وقال سفيان الثورى رحمه الله: ما رأيت أسهل من الورع، كل ما حاك فى نفسك تركته، وهو قول النبى ﷺ: «الإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(١) وهو إذا لم ينشرح الصدر به وكان فى قلبك منه شىء، وكذلك قوله ﷺ: «الإثم حزاز القلوب»(٢) يعنى ما حز فى صدرك وحاك ولم يطمئن عليه القلب فاجتنبه، ومنه الحديث «إياكم والحكاكات فإنها المآثم» وقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»(٣).

وقال معروف الكرخى رحمه الله: احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم.

وقال بشر بن الحارث رحمه الله: أشد الأعمال ثلاثة: الجود فى القلة، والورع فى الخلوة، وكلمة حق عند من يخاف ويرجى.

وقيل: جاءت أخت بشر بن الحارث الحافى إلى الإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله وقالت: يا إمام إنّا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا، فيجوز لنا الغزل فى شعاعها؟ فقال: من أنت عافاك الله؟ قالت: أنا أخت بشر بن الحارث، فبكى الإمام أحمد رحمه الله وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلى فى شعاعها.

وقال على العطار رحمه الله: مررت بالبصرة فى بعض الشوارع وإذا مشايخ قعود وصبيان يلعبون، فقلت: ألا تستحيون من هؤلاء المشايخ؟ فقال صبى من بينهم: هؤلاء المشايخ قلَّ ورعهم فقلَّت هيبتهم.

وقيل: إن مالك بن دينار رحمه الله مكث بالبصرة أربعين سنة، فلم يصح له أن يأكل من تمر البصرة ولا رطبها حتى مات ولم يذقه، وكان إذا انقضى وقت الرطب قال: يا أهل البصرة هذا بطنى ما نقص منه شىء ولا زاد فيكم شيئًا.

وقيل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: ألا تشرب من ماء زمزم؟ فقال: لو كان لى دلو لشربت.

وقيل: كان الحارث المحاسبى رحمه الله إذا مد بصره إلى طعام فيه شبهة ضرب على

---

(١) مسلم فى: البر والصلة: حديث (١٤، ١٥)، وأحمد ٤/ ١٨٢.

(٢) الإتحاف ١/ ١٥٩، والعراقى ١/ ١٩.

(٣) سبق تخريجه.

رأس أصبعه عرق، فيعلم أنه غير حلال.

وقيل: إن بشرًا الحافى رحمه الله كان إذا قدم بين يديه طعام فيه شبهة لا تمتد إليه يده.

وقيل: إن أم أبى يزيد البسطامى رحمهما الله كانت إذا مدت يدها إلى طعام فيه شبهة تباعد حال كونها حبلى بأبى يزيد فلم تمد يدها إليه.

وكان بعضهم إذا قدم إليه طعام فيه شبهة فاحت منه رائحة منكرة، فعلم من ذلك فامتنع من أكله.

وقيل عن بعضهم: أنه كان إذا وضع فى فيه لقمة من طعام فيه شبهة لم يتمضغ فتصير كالرمل فى فمه.

وإنما فعل الله تعالى لهم ذلك تخفيفًا ورحمة وشفقة وحمية لهم، لما صفوا اللقم واجتهدوا فى طلب الحلال وترك الحرام والشبهة، حماهم الله تعالى عما يكرهونه من المطاعم، فذب عنهم فى معرفة ذلك، وكفاهم مؤنة التفتيش والتنقير عن بائع الطعام وكسبه ومعيشته، وعن الثمن الذى اشترى به وأصله وتحصيله من وجه الحلال.

فجعل ذلك علامة عندهم فى أى وقت رأوها كفوا أيديهم عن تناول الطعام، وإذا لم يروها تناولوه، هذا فى حق هؤلاء السادة الكرام الذين سبقت لهم العناية وعمتهم الرعاية.

وأما الحلال فى حق العوام من المؤمنين، فكل ما لا يكون للخلق فيه تبعة ولا للشرع عليه مطالبة، كما قال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله حين سئل عن الحلال قال: الحلال هو الذى لا يعصى الله فيه، وقال مرة أخرى: الحلال الصافى الذى لا ينسى الله فيه.

فالحلال حلال حكم لا حلال عين، إذ لو كان حلال عين لم يحل لأحد أكل الميتة، ولا إذا اشترى الشرطى بماله الحرام طعامًا حلالاً، ثم رجع فاستقال البيع فرجع الطعام إلى يد مالكه الأول ألا يجوز أكله للمتورع المؤمن، لأنه قد تخلل بينهما حالة يحرم أكله فيها، وهو حصوله فى يد الشرطى.

فلما اتفق المسلمون على جواز أكل هذا الطعام الذى حصل فى ملك الشرطى المشترى بماله الحرام الذى يحرم أكله عند جميع المسلمين علم أن الحلال والحرام ما كان

الشرع حكم به لا نفس العين لأن ذلك طعام الأنبياء كما جاء فى الحديث «أن النبى ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم ارزقنى الحلال المطلق، فقال له النبى ﷺ: ذلك رزق الأنبياء، سل الله رزقًا لا يعذبك عليه».

وكذلك فى الشرع من اتجر من أهل الذمة واليهود والنصارى والمجوس فى المحرمات من الخمر والخنزير ولَّيناهم بيعها وأخذنا منهم العشر من أثمانها، وروى ذلك عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه، فقال: ولوهم بيعها، وخذوا العشر من أثمانها.

فإذا أخذ العشر منهم فما يصنع به، أليس ينتفع به المسلمون؟ فلو كان الحلال حلال العين لما جاز أخذ ذلك، لأن الخمر والخنزير وثمنهما حرام، فأحل ذلك لدخول اليد والعقد، كما قيل بين الحلال والحرام يد.

فمن أخذ الشرع فى يده مصباحًا فأخذ به وأعطى به ولم يتأول فيه ولم يخرج عنه، فأخذ ما أذن له الشرع وأعطى ما أذن له الشرع فيه، وصار جميع تصرفاته بالشرع أكل الحلال بالشرع، وليس عليه طلب الحلال المطلق والعين، إذ ذاك لا يكاد يدرك إلا أن يشاء الله أن يكرم به بعض أوليائه وأصفيائه ﴿**وما ذلك على الله بعزيز**﴾ [إبراهيم: ٢٠، وفاطر: ١٧].

فالناس فى الطعام على ثلاثة أضرب، متق، وولى، وبدل عارف، فحلال المتقى ما ليس للخلق عليه تبعة، ولا للشرع عليه مطالبة.

وطعام الولى المحق الذى هو الزاهد الزائل الهوى ما ليس فيه الهوى، بل هو مجرد بأمره.

وطعام البدل الذى هو العارف المفعول فيه زائل الإرادة كرة القدر، وهو ما لم تكن فيه همة ولا إرادة بل فضل كله من الله عز وجل، يرزقه ويدلله ويربيه بقدرته الشاملة ومنته العامة ومشيئته النافذة، كالطفل الرضيع فى حجر أمه الشفيقة.

فما لم يتحقق له المقام الأول لا يصل إلى المقام الثانى، وما لم يتحقق له المقام الثانى لا يصل إلى المقام الثالث.

فطعام التقى شبهة فى حق زائل الهوى، وطعام زائل الهوى شبهة فى حق زائل الإرادة والهمة، كما قيل: سيئات المقربين حسنات الأبرار.

فطعام الشيخ مباح للمريد، وطعام المريد حرام فى حق الشيخ لصفاء حالته ونزاهة

رتبته وعلو منزلته وقربه من ربه عز وجل.

ومن دقائق الورع ما نقل عن كهمس رحمه الله أنه قال: أذنبت ذنبًا وأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة، وذلك أنه زارنى أخ لى فاشتريت بدانق سمكة مشوية، فلما فرغ من أكلها أخذت قطعة من طين من جدار جار لى حتى غسل يده ولم استحله.

وقيل: إن رجلاً كان فى بيت بكراء، فكتب رقعة وأراد أن يتربها من جدار البيت، فخطر بباله أن البيت بالكراء، ثم إنه خطر بباله ألا خطر لهذا، فترب الكتاب فسمع هاتفًا يقول: سيعلم المستخف بالتراب ما يلقى غدًا من طول الحساب.

ورؤى عتبة الغلام يتصبب عرقًا فى الشتاء فقيل له فى ذلك؟ فقال: إنه مكان عصيت فيه ربى، فسئل عنه فقال: كشطت من هذا الجدار قطعة طين غسل ضيف لى يده بها ولم استحل صاحبه.

وقيل: إن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رهن سطلاً له عند بقال بمكة، فلما أراد فكاكه أخرج البقال إليه سطلين وقال: خذ أيهما لك، فقال الإمام أحمد؛ أشكل على سطلى فهو لك والدراهم لك، فقال البقال: سطلك هذا وإنما أردت أن أجربك، فقال: لا آخذه ومضى وترك السطل عنده.

وقيل: إن رابعة العدوية رحمها الله خاطت شقًا فى قميصها فى ضوء مشعلة سلطانية، ففقدت قلبها زمانًا حتى تذكرت ذلك فشقت قميصها فوجدت قلبها.

ورؤى سفيان الثورى رحمه الله فى المنام وله جناحان يطير بهما فى الجنة من شجرة إلى شجرة، فقيل له: بم نلت هذا؟ قال: بالورع.

وكان حسان بن أبى سنان رحمه الله لا ينام مضطجعًا ولا يأكل سمينًا ولا يشرب باردًا ستين سنة، فرؤى فى المنام بعدما مات فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا، إلا أنى محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها.

وكان لعبد الواحد بن زيد غلام خدمه سنين وتعبد أربعين سنة، وكان فى ابتداء أمره كيالاً، فلما مات رؤى فى المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا غير أنى محبوس عن الجنة، وقد أخرج على من غبار القفيز أربعين قفيزًا.

ومر عيسى ابن مريم عليه السلام بمقبرة، فنادى رجلاً منهم فأحياه الله تعالى فقال: من أنت؟ فقال: كنت حمالاً أنقل للناس، فنقلت يومًا لإنسان حطبًا فكسرت منه خلالاً

تخللت به فأنا مطالب به منذ مت.

(فصل) ولا يتم الورع إلا أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أولها: حفظ اللسان من الغيبة لقوله تعالى ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضًا**﴾ [الحجرات: ١٢]

والثانى: الاجتناب عن سوء الظن لقوله تعالى: ﴿**اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم**﴾ [الحجرات: ١٢]، ولقوله ﷺ: «إياكم والظن فإنه أكذب الحديث»[1].

والثالث: الاجتناب عن السخرية لقوله تعالى: ﴿**لا يسخر قوم من قوم**﴾ [الحجرات: ١١].

والرابع: غض البصر عن المحارم لقوله تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ [النور: ٣٠].

والخامس: صدق اللسان لقوله تعالى: ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا**﴾ [الأنعام: ١٥٢] يعنى فاصدقوا.

والسادس: أن يعرف منة الله تعالى عليه لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى: ﴿**بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان**﴾ [الحجرات: ١٧].

والسابع: أن ينفق ماله فى الحق ولا ينفقه فى الباطل لقوله تعالى: ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا**﴾ [الفرقان: ٦٧] يعنى لم ينفقوا فى المعصية ولم يمنعوا من الطاعة.

والثامن: ألا يطلب لنفسه العلو والكبر لقوله تعالى: ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا فى الأرض ولا فسادًا**﴾ [القصص: ٨٣].

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس فى مواقيتها بركوعها وسجودها لقوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة لقوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(**فصل**) ويجوز أن يتوب عن بعض الذنوب دون بعض إذا لم يمكنه التوبة عن جميعها فى حالة واحدة، مثل أن يتوب عن الكبائر دون الصغائر، لعلمه أن الكبائر

---

(١) البخارى ٤/ ٥، ٧/ ٢٤، ومسلم فى: البر والصلة: (٢٨)، وأحمد ٢/ ٢٤٥.

أعظم عند الله وأجلب لسخطه ومقته، والصغائر دونها، فى الرتبة، إذ هى أقرب إلى تطرق العفو إليها، فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم، ثم إذا قوى الإيمان واليقين فى قلبه، وظهرت أنوار الهداية وانشرح صدره للإنابة إلى الله تعالى، حينئذ تاب عن جميع الصغائر ودقائق الزلات والشرك الخفى وذنوب القلب أجمع، ومعاصى الحالات والمقامات بعد ذلك كلما رفع إلى حالة ومقام كان هناك ما يأتى وما يذر، أمر ونهى يعرفه كل ذائق لهذا الأمر، وسالك لهذه الطريق ومخالط لأهله.

فلا يأخذ الناس فى أول وهلة بما هو منتهى الأمر «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ولا منفرين، إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، فإن المنبت ـ أى المنقطع ـ لا طريقًا سلك ولا ظهرًا أبقى».

ومثل من يتوب عن بعض الكبائر دون بعض لعلمه أن بعضها أشد من البعض عند الله وأغلظ عقوبة وأبلغ، كالذى يتوب عن القتل والنهب والظلم للعباد، لعلمه أن ديون العباد لا تترك، وما بينه وما بين الله تعالى يتسارع العفو إليه.

ومثل أن يتوب عن شرب الخمر دون الزنا، لعلمه أن الخمر مفتاح الشر، فإنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصى وهو لا يشعر بها من القذف والسب والكفر بالله والزنا والقتل والغصب، لأن الخمر مجمع المعاصى وأمها وأصلها.

وكمن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة، مثل أن يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى المحرم، وهو مصر على شرب الخمر لشدة ضراوته بالخمر ولهجه بها وتعوده لها وتسويل نفسه بأنه مداو مرضه بها، وقد أمرنا باستعمال الدواء وتزيين الشيطان له ذلك وتحسينه وقوة شهوته فيها لما فى شربها من السرور والفرح وذهاب الهموم وصحة الجسم على زعمهم، وذهول عن بوائقها وعاقبتها، والغفلة عن عقوبة الله له لأجلها، وفساد الدين والدنيا بها، لأنها سبب زوال العقل الذى به انتظام أمر الدين والدنيا والآخرة.

وإنما قلنا أنه تصح التوبة عن بعض هذه الذنوب دون بعض لأنه لا يخلو كل مسلم من جمع بين طاعة الله ومعصيته فى الأحوال كلها، وإنما يتفاوتون فى الحالات وعظم الذنوب وصغرها على قرب أحوالهم من الله وبعدها.

فإذا قال الفاسق إن قهرنى الشيطان بواسطة غلبة الشهوة فى بعض المعاصى، فلا

ينبغى لى أن أرخى العنان وأخلع العذار بالكلية، فأنمزج فى المعاصى، بل أجاهد فيما يخف على من ترك بعض المعاصى فأتركها فيكون قهرى لبعض ذلك كفارة لبعض الباقى، ولعل الله يرانى أخافه فى بعض معاصيه، وأتركها لأجله، وأجاهد نفسى وشيطانى فى تركها، فيعيننى ويوفقنى، ويحول بينى وبين بقية المعاصى برحمته.

ولو لم يكن الأمر على ما قلنا لما صحت صلاة كل فاسق ولا صومه ولا زكاته ولا حجه ولا شىء من الطاعات، بأن يقال له: أنت فاسق خارج من طاعة الله بفسقك، مخالف لأمره، فعبادتك هذه لغير الله تعالى، فإن زعمت أنها لله عز وجل فاترك الفسق، فإن أمر الله فيه واحد ولا يتصور أن تقصد بصلاتك التقرب إلى الله ما لم تتقرب بترك الفسق.

وهذا محال لا يقال، فما هذا إلا بمثابة من عليه ديناران لرجلين وهو قادر على الأداء إليهما، فأدى أحد الدينارين إلى أحدهما وجحد الآخر، وحلف عليه مع علمه ذلك وتحققه له، فلا شك أن ذمته بريئة مما قد أدى ومشتغلة بما جحد وأبى.

فكذلك من أطاع الله تعالى فى بعض أوامره مطيع له بطاعته، وإذا عصاه فى بعض نواهيه عاص له بمعصية فهو مؤمن ملىء ناقص الإيمان طائع بطاعته عاص مخالف له بمخالفته، وهذا هو دأب كل مخلط فى أمر دينه إلى أن يبلغ إلى حالة يزول هواه، فتنقطع عنه جميع المعاصى إلا من شاء الله أن يقضى عليه بها، إذ لا معصوم، ويتوب الله على من تاب، ويتفضل بالرحمة على من أناب.

(فصل: فى ذكر الأخبار والآثار الواردة فى التوبة)

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: «خطبنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة فقال: أيها الناس توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذى بينكم وبين ربكم تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تحصنوا، وانهوا عن المنكر تنصروا»(١).

وكان النبى ﷺ كثيرًا ما يقول: «اللهم اغفر لى وتب علىَّ إنك أنت التواب الرحيم»(٢).

(١) الترغيب والترهيب ٤/ ٢٥٢، وإرواء الغليل ٣/ ٥٠.
(٢) أحمد ٢/ ٦٧ و ٨٤.

وقال ﷺ: «إن إبليس حين اهبط إلى الأرض قال: وعزتك وجلالك لا أزال أغوى ابن آدم ما دام الروح فى جسده، فقال الرب: وعزتى وجلالى لا أمنعه التوبة ما لم يتغرغر بنفسه»[(١)].

وعن محمد بن عبد الله السلمى رحمه الله أنه قال: جلست إلى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه»[(٢)].

وقال آخر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تاب قبل الغرغرة تاب الله عليه»[(٣)].

وعن محمد بن مطرف رحمه الله أنه قال: يقول الله تعالى: ويح ابن آدم يذنب الذنب فيستغفرنى فأغفر له، ثم يعود فأغفر له، ويحه لا هو يترك ذنبه ولا هو ييأس من رحمتى، أشهدكم أنى قد غفرت له.

وقال أنس رضى الله عنه: كان رسول الله ﷺ وصحابته بعدما أُنزلت **﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾** [هود:٣] يستغفرون كل يوم مائة مرة ويقولون: نستغفر الله ونتوب إليه.

قال: «وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى أذنبت ذنبًا، قال ﷺ: استغفر الله، فقال: إنى أتوب ثم أعود، قال ﷺ: كلما أذنبت فتب حتى يكون الشيطان هو الحسير، قال: يا نبى الله إذًا تكثر ذنوبى، فقال ﷺ: عفو الله أكثر من ذنوبك...»[(٤)].

وقال الحسن رحمه الله: لا تتمنى المغفرة بغير التوبة ولا تتمنى الثواب بغير العمل، لأن الغرة بالله أن تتمادى فى سخطه، وتترك العمل بما يرضيه، وتتمنى عليه المغفرة، فتغرك الأمانى، حتى يحل بك أمره، أما سمعته يقول: **﴿وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾** [الحديد:١٤]، وقال الله تعالى: **﴿وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾** [طه:٨٢]، وقال عز وجل: **﴿ورحمتى وسعت كل شىء**

(١) المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ٣٣، والطبرانى ٨/ ٢٤٥، والمجمع ٨/ ١١٩.
(٢) أحمد ٣/ ٤٦٥.
(٣) الحاكم ٤/٢٥٨، وبنحوه: الخطيب ٨/ ٣١٧.
(٤) تاريخ أصفهان ٢/١٩، وبنحوه: المجمع ١٠/ ٢٠٠.

فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ [الأعراف: ١٥٦].

فالطمع فى الرحمة والجنة من غير توبة وغير تقوى حمق وجهل وغرور لأنهما مقيدتان بهاتين الآيتين.

وقال ﷺ: «إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه بأصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه، فقال به هكذا فطار»(١).

وقال ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الجنة، فقالوا: يا نبى الله وكيف يدخله الجنة؟ قال: يكون الذنب نصب عينه يستغفر منه ويندم عليه حتى يدخله الجنة»(٢).

وقال ﷺ: «لم أر شيئًا أحسن طلبًا ولا أسرع إدراكًا من حسنة حديثة لذنب قديم **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾** [هود: ١١٤]»(٣).

وقال ﷺ: «إذا أذنب العبد ذنبًا كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإذا تاب وفزع واستغفر صفا قلبه منها، وإذا لم يتب ولم ينزع ولم يستغفر كان الذنب على الذنب والسواد على السواد حتى يعمى القلب فيموت، فذلك قوله عز وجل: **﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾** [المطففين: ١٤]»(٤).

وقال ﷺ: «ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة فاغتنم غفلة المنية».

قال: وكان آدم بن زياد رحمه الله يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله.

قيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: اتق أن آخذك على غرة فتلقانى بلا حجة.

ودخل بعض الصالحين على عبد الملك بن مروان، فقال له: عظنى، فقال: هل أنت على استعداد لحلول الموت إن أتاك؟ قال: لا.

قال: فهل أنت مجمع على التحول عن هذه الحالة إلى حالة ترضاها؟ قال: لا.

قال: فهل بعد الموت دار فيها مستعتب؟ قال: لا.

---

(١) شرح السنة ٥/ ٨٦.

(٢) ابن المبارك (٥٢)، والكنز (١٠١٨٨)، والإتحاف ٨/ ٥٢٤.

(٣) الطبرانى ١٢/ ١٧٤، والمجمع ٧/ ٣٩.

(٤) الكنز (١٢٨٨)، والطبرى ٣٠/ ٦٢، والحاكم ١/ ٥.

قال: فهل تأمن الموت أن يأتيك على غرة؟ قال: لا.

قال: ما رأيت مثل هذه الخصال يرضى بها عاقل.

وقال النبى ﷺ: «الندم توبة»[١].

وقال ﷺ: «من أذنب ذنبًا ثم ندم عليه فهو كفارته»[٢].

وقال الحسن رحمه الله: التوبة على أربع: دعاء، ثم استغفار باللسان، وندم بالقلب، وترك بالجوارح، وإضمار ألا يعود.

وقال: التوبة النصوح: أن يتوب ثم لا يرجع فيما تاب منه.

وقال ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه، كالمستهزىء بربه، وإن الرجل إذا قال: أستغفرك وأتوب إليك، ثم عاد ثم قالها ثم عاد ثلاث مرات كتبت فى الرابعة من الكبائر»[٣].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: كن وصى نفسك ولا تجعل الرجال أوصياءك، كيف تلومهم أن يضيعوا وصيتك وقد ضيعتها فى حياتك؟

وأنشد بعضهم يقول:

تمتع إنما الدنيا متاع ... وإن دوامها لا يستطاع
وقدم ما ملكت وأنت حى ... أمير فيه متبع مطاع
ولا يغررك من توصى إليه ... فقصر وصية المرء الضياع

وقال آخر:

إذا ما كنت متخذًا وصيًا ... فكن فيما ملكت وصى نفسك
ستحصد ما زرعت غدًا وتجنى ... إذا وضع الحساب ثمار غرسك

(فصل آخر: فى ذلك)

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه قال: «إن الرجل موكل به ملكان أحدهما عن يمينه والثانى عن شماله، صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد

---

(١) ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد ١/٣٧٦، والبيهقى ١٠/١٥٤، والحاكم ٤/٢٤٣.

(٢) بنحوه: الحاكم ٤/٢٤٢، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

(٣) ابن ماجه (٤٢٥٠)، والبيهقى ١٠/١٥٤، والكنز (١٠١٤٩).

حسنة كتب له صاحب اليمين عشرًا، فإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال صاحب اليمين أمسك عنه فيمسك عنه ست ساعات من النهار أو سبعًا، فإن استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئًا، وإن لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة».

وفى لفظ آخر: «إن العبد إذا أذنب لم يكتب عليه حتى يذنب ذنبًا آخر فإذا اجتمعت عليه خمسة من الذنوب فإذا عمل حسنة واحدة كتب له خمس حسنات وجعل الخمس بإزاء خمس سيئات، فيصيح عند ذلك إبليس لعنه الله ويقول: كيف لى أن أستطيع على ابن آدم فإنى وإن اجتهدت عليه يبطل بحسنة واحدة جميع جهدى».

وروى يونس عن الحسن رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «ليس من عبد إلا عليه ملكان، وصاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فإذا عمل العبد السيئة قال له صاحب الشمال: أكتبها؟ فيقول له صاحب اليمين: دعه حتى يعمل خمس سيئات، فإذا عمل خمس سيئات، قال صاحب الشمال أكتبها؟ فيقول صاحب اليمين: دعه حتى يعمل حسنة، فإذا عمل حسنة، قال له صاحب اليمين: قد أُخبرنا بأن الحسنة بعشر أمثالها، فتعال نمحو خمسًا بخمس ونثبت له خمسًا من الحسنات، قال: فيصيح الشيطان عند ذلك فيقول: متى أدرك ابن آدم[1].

وهذه الأحاديث موافقة لقوله عز وجل: ﴿**وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى**﴾ [طه: ٨٢].

قال على بن أبى طالب كرّم الله وجهه: «مكتوب حول العرش قبل آدم بأربعة آلاف عام ﴿**وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى**﴾ [طه: ٨٢].

وموافقة لقوله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين**﴾ [هود: ١١٤].

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إذا تاب العبد وتاب الله عليه أنسى الله تعالى حفظته ما كان قد عمل من مساوىء عمله، وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا، وأنسى مقامه من الأرض، وأنسى مقامه من السماء فيجىء يوم القيامة وليس عليه شىء شهيد عليه»[2].

---

(١) بنحوه: الدر المنثور ٦/ ٤، والكنز ١٠١١٢، والطبرى ٧/ ٢٢٥.

(٢) بنحوه: الكنز (١٠١٧٩)، والترغيب ٤/ ٩٤، وابن عساكر ٤/ ٢٨٦.

وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له. . .»[١] وفى لفظ «ولو عاد فى اليوم سبعين مرة».

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «من قال: أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه، ثلاث مرات، غفر له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر».

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: «ينظر الإنسان فى كتابه يوم القيامة فيرى فى أوله المعاصى وفى آخره الحسنات، فإذا رجع إلى أول الكتاب رأى كل ذلك حسنات، وذلك قوله تعالى: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ [الفرقان: ٧٠].

وهذا هو فى حق التائب الذى ختم الله له بالتوبة والإنابة.

وقال بعض السلف: إن العبد إذا تاب من الذنوب صارت الذنوب الماضية كلها حسنات.

ولهذا قال ابن مسعود رضى الله عنه: وليتمنين أناس يوم القيامة أن تكثر سيئاتهم، وإنما قال ذلك لما ذكر الله تعالى من تبديل السيئات بالحسنات لمن يشاء من عباده.

وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لو أخطأ أحدكم حتى يملأ ما بين السماء والأرض ثم تاب، تاب الله عليه»[٢].

ولهذا جاء فى الخبر: «يا ابن آدم لو لقيتنى بقراب الأرض ذنوبًا لقيتك بقرابها مغفرة»[٣].

(فصل آخر: فى ذلك)

وروى أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مر ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة، وإذا الفساق قد اجتمعوا فى دار رجل منهم وهم يشربون الخمر، ومعهم مغن يقال له زاذان كان يضرب بالعود ويغنى بصوت حسن، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله تعالى كان أحسن، وجعل رداءه على رأسه ومضى، فسمع ذلك الصوت زاذان، فقال: من هذا؟

(١) ابن ماجه (٤٢٥٠)، والبيهقى ١٠/ ١٥٤، والكنز (١٠١٤٩).
(٢) ابن ماجه (٤٢٤٨)، وأحمد ٣/ ٢٣٨.
(٣) الترمذى (٣٥٤٠)، والدارمى ٢/ ٣٢٢، وأحمد ٥/ ١٧٢.

قالوا: كان عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ قال: وأيش قال؟ قالوا: قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة القرآن كان أحسن، فدخلت الهيبة قلبه، فقام فضرب بالعود على الأرض فكسره، ثم أسرع حتى أدركه وجعل المنديل فى عنق نفسه وجعل يبكى بين يدى عبد الله فاعتنقه عبد الله وجعل يبكى كل واحد منهما، ثم قال عبد الله رضى الله عنه: كيف لا أحب من قد أحبه الله؟ فتاب من ضربه بالعود، وجعل يلازم عبد الله حتى تعلم القرآن وأخذ الحظ الوافر من العلم حتى صار إمامًا فى العلم، وقد جاء فى كثير من الأخبار روى زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، وروى زاذان عن سلمان الفارسى رضى الله عنه.

وفى الإسرائيليات مروى أنه كانت امرأة بغية مغنية مفتنة للناس بجمالها، وكان باب دارها أبدًا مفتوحًا وهى قاعدة على السرير بحذاء الباب فكل من مر بها ونظر إليها افتتن بها واحتاج إلى عشرة دنانير أو أكثر من ذلك حتى تأذن له بالدخول عليها، فمر على بابها ذات يوم عابد من عباد بنى إسرائيل فوقع بصره عليها فى الدار وهى قاعدة على السرير فافتتن بها وجعل يجادل نفسه حتى أنه يدعو الله تعالى أن يزول ذلك عن قلبه، فلم يزل ذلك عن نفسه، ولم يملك نفسه حتى باع قماشًا كان له، فجمع من الدنانير ما يحتاج إليه، فجاء إلى بابها فأمرته أن يسلم الذهب إلى وكيل لها وواعدته لمجيئه، فجاء إليها لذلك الوعد وقد تزينت وجلست فى بيتها على سريرها، فدخل عليها العابد وجلس معها على السرير، فلما مد يديه إليها وانبسط معها، تداركه الله برحمته ببركة عبادته المتقدمة، فوقع فى قلبه أن الله تعالى يرانى فى هذه الحالة من فوق عرشه، وأنا فى الحرام وقد حبط عملى كله، فوقعت الهيبة فى قلبه، فارتعد فى نفسه، وتغير لونه، فنظرت إليه المرأة فرأته متغير اللون، فقالت له: أيش أصابك يا رجل؟ فقال: إنى أخاف الله ربى، فأذنى لى بالخروج، فقالت له: ويحك إن كثيرًا من الناس يتمنون الذى وجدته فأيش هذا الذى أنت فيه؟ فقال: إنى أخاف الله جل ثناؤه وإن المال الذى دفعته إلى وكيلك هو لك حلال، فأذنى لى بالخروج، فقالت له: كأنك لم تعمل هذا العمل قط؟ قال: لا، فقالت له: من أين أنت وما اسمك؟ فأخبرها أنه من قرية كذا واسمه كذا، فأذنت له بالخروج من عندها، فخرج وهو يدعو بالويل والثبور ويبكى على نفسه، فوقعت الهيبة فى قلب المرأة ببركة ذلك العابد، فقالت فى نفسها: إن هذا الرجل أول ذنب أذنب فدخل عليه من الخوف ما دخل، وإنى قد أذنبت منذ كذا وكذا سنة،

وإن ربه الذى خاف منه هو ربى، فينبغى أن يكون خوفى أشد من خوفه، فتابت إلى الله وغلقت الباب على الناس ولبست ثيابًا خلقًا وأقبلت على العبادة، فكانت فى عبادتها ما شاء الله تعالى، فقالت فى نفسها: إنى لو انتهيت إلى ذلك الرجل لعله يتزوجنى، فأكون عنده وأتعلم منه أمر دينى ويكون عونًا لى على عبادة ربى، فتجهزت وحملت من الأموال والخدم ما شاء الله، وانتهت إلى تلك القرية وسألت عنه، فأخبروا العابد أنه قدمت امرأة تسأل عنك، فخرج العابد إليها، فلما رأته المرأة كشفت عن وجهها لكى يعرفها، فلما رآها العابد وعرف وجهها وتذكر الأمر الذى كان بينه وبينها صاح صيحة فخرجت روحه.

فبقيت المرأة حزينة وقالت فى نفسها: إنى خرجت لأجله وقد مات فهل له أحد من أقربائه يحتاج إلى امرأة، فقالوا لها: له أخ صالح لكنه معسر لا مال له، فقالت: لا بأس به، فإن لى مالاً يكفينا، فجاء أخوه فتزوج بها، فولدت له سبعًا من البنين (كلهم صاروا أنبياء فى بنى إسرائيل).

فانظر إلى بركة الصدق والطاعة وحسن النية كيف هدى الله زاذان بعبد الله بن مسعود لما كان صادقًا حسن السريرة فلا يصلح بك الفاسد حتى تكون أنت صالحًا فى ذات نفسك، خائفًا لربك إذا خلوت، مخلصًا له إذا خالطت، غير مراء للخلق فى حركاتك وسكناتك، موحدًا لله عز وجل فى ذلك كله، فحينئذ يزاد فى توفيقك وتسديدك وتحفظ عن الهوى والإغواء من شياطين الجن والإنس والمنكرات كلها والفساق والبدع والضلالات أجمع، فزال بك المنكر من غير تكلف، ومن غير أن يصير المعروف منكرًا، كما هو فى زماننا، ينكر أحدهم منكرًا واحدًا فيتفرع منه منكرات جمة وفاسد عظيم من السب والقذف والضرب والكسر وتخريق الثياب وإفساد الأموال، وكل ذلك لقلة صدقهم ونقصان إيمانهم ويقينهم وغلبة أهويتهم عليهم. فالمنكر فيهم بعد وفرض إزالته متوجه عليهم وبأنفسهم شغل طويل وهم ينكرون على الغير فيتركون الفرض العين ويتعلقون بالفرض على الكفاية، ويتركون ما يعنيهم ويشتغلون بما لا يعنيهم، قال النبى ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1].

من أراد أن يزول به المنكر بسرعة، فعليه بالإنكار على نفسه والوعظ لها، ومنعها

(١) أحمد ١/ ٢٠، ومجمع الزوائد ٨/ ١٨، والكنز ٣/ ٨٢٩١.

وفطمهـا عن المعاصى مـا ظهر منها ومـا بطن، فإذا تطهر من ذلك كـله حينئذ اشـتغل بغيره، فزال به المنكر بأحسن ما يكون من الوجوه، كما زال فى حق عبد الله بن مسعود رضى الله عنه.

وانظر إلى بركـة العـبادة والصـدق أيضًا فى حق العـابد كيف نجـاه الله من البـغيـة وارتكاب الكبيرة ﴿كذلـك لنصرف عنه السـوء والفحـشاء إنه من عـبادنا المخلصـين﴾ [يوسف: ٢٤].

فالله تعالى حال بينه وبين تلك الفاحـشة لما تقدم له من الصدق فى الخلوات وحسن الطاعة فـيما سلـف من الأيام والساعات، ثم كـيف نجى الله تعالى تلك البـغية ببـركة العابد، ثم كـيف نالت بركته أخـاه، فأزال الله فقره وجـهده، وزوجه بأحـسن النساء، وأغناه ورزقه من حيث لا يحـتسب، وجعله أبا الأنبيـاء السبعة، وجعلهـا أمهم عليهم السلام.

فالخير كله فى الطاعة والشر كله فى المعصـية، فلا كانت المعصية ولا كنا إذا كنا من أهلها.

(فصل) وإنما تعرف توبة التائب فى أربعة أشياء:

أحدها: أن يملك لسانه من الفضول والغيبة والنميمة والكذب.

والثانى: ألا يرى لأحد فى قلبه حسدًا ولا عداوة.

والثالث: أن يفـارق إخوان السـوء، فإنهم هم الذين يحـملونه على رد هذا القـصد ويشوشون عليه صحـة هذا العزم، ولا يتم له ذلك إلا بالمواظبة على المشاهدة التى تزيد بها رغبـته فى التوبة، وتوفر دواعيه علـى إتمام ما عزم عليها مما يقوى خـوفه ورجاءه، فعند ذلك تنحل من قلبه عـقد الإصرار على ما هى عليه من قبيح الأفـعال، فيقف عن تعاطى المحظورات، ويكبح لجـام نفسه عن مـتابعة الشـهوات فيفـارق الزلة فى الحال، ويبرم العزيمة على ألا يعود إلى مثلها فى الاستقبال.

والرابع: أن يكون مستعدًا للموت نادمًا مستغفرًا لما سلف من ذنوبه مجتهدًا فى طاعة ربه.

وقيل: علامة أنه مقبول التوبة أربعة أشياء:

أولها: أن ينقطع عن أصحاب الفسق ويريهم هيبته من نفسه، ويخالط الصالحين.

والثانى: أن يكون منقطعًا عن كل ذنب مقبلاً على جميع الطاعات.

والثالث: أن يذهب فرح الدنيا من قلبه، ويرى حزن الآخرة دائمًا فى قلبه.

والرابع: أن يرى نفسه فارغًا عما ضمن الله له، يعنى الرزق، مشتغلاً بما أمر الله به.

فإذا وجدت فيه هذه العلامات كان من الذين قال الله تعالى فى حقهم: **﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾** [البقرة: ٢٢٢].

ووجب له على الناس أربعة أشياء:

أولها: أن يحبّوه لأن الله قد أحبه.

والثانى: أن يحفظوه بالدعاء على أن يثبته الله تعالى على التوبة.

والثالث: ألا يعيروه بما سلف من ذنوبه لما روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من عير مؤمنًا بفاحشة فهو كفارة لها، وكان حقًا على الله تعالى أن يوقعه فيها، ومن عير مؤمنًا بجريرة لم يخرج من الدنيا حتى يركبها ويفتضح بها»[1].

ولأن المؤمن لا يقصد الوقوع فى الذنب ولا يتعمده ولا يعتقده دينًا يتدين به، وإنما يكون ذلك فيه بتزيين الشيطان وفرط ضراوة الشهوة وشدة الشبق وتراكم الغفلة والغرة، قال الله تعالى: **﴿وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾** [الحجرات: ٧].

فقد أخبر أنه بغض إلى المؤمنين المعصية، فلا يجوز أن يعير بها إذا تاب وأناب، بل يدعى له بالثبات على التوبة والتوفيق والحفظ.

والرابع: أن يجالسوه ويذاكروه ويعينوه.

ويكرمه الله تعالى أيضًا بأربع كرامات:

أحدها: أن يخرجه من الذنوب كأنه لم يذنب قط.

والثانية: يحبه الله تعالى.

والثالثة: ألا يسلط عليه الشيطان ويحفظه منه.

والرابعة: أن يؤمنه من الخوف قبل أن يخرجه من الدنيا لأنه عز وجل قال: **﴿تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾** [فصلت: ٣٠].

---

(١) بنحوه: الترمذى (٢٥٠٥)، والترغيب ٣/ ٣١٠، والضعيفة (١٧٨).

(فصل: في ذكر أقاويل شيوخ الطريقة في التوبة)

قال أبو على الدقاق رحمه الله: التوبة على ثلاثة أقسام:

أولها: التوبة، وأوسطها: الإنابة، وآخرها: الأوبة.

فالتوبة بداية والإنابة واسطة والأوبة نهاية. فإن من تاب لخوف العقوبة كان صاحب توبة، ومن تاب طمعًا فى الثواب أو رهبة من العقاب كان صاحب إنابة، ومن تاب مراعاة للأمر لا لرغبة فى الثواب أو رهبة من العقاب كان صاحب أوبة.

وقيل أيضًا: التوبة: صفة المؤمنين، قال الله تعالى: **﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾** [النور: ٣١].

والإنابة: صفة الأولياء المقربين، قال الله تعالى: **﴿وجاء بقلب منيب﴾** [ق: ٣٣].

والأوبة: صفة الأنبياء والمرسلين، قال الله عز وجل: **﴿نعم العبد إنه أواب﴾** [ص: ٣٠، ٤٤].

وقال الجنيد رحمه الله تعالى: **التوبة على ثلاثة معان:**

الأول: يندم.

والثاني: يعزم على ترك المعاودة لما نهى الله عنه.

والثالث: يسعى فى أداء المظالم.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: التوبة ترك التسويف.

وقال الجنيد: سمعت الحارث يقول: ما قلت قط اللهم إنى أسألك التوبة، ولكنى أقول: أسألك شهوة التوبة.

وقال الجنيد: دخلت على السرى رحمه الله يومًا فرأيته متغيرًا، فقلت له: ما لك؟ فقال: دخل على شاب فسألنى عن التوبة، فقلت له: ألاَّ تنسى ذنبك، فعارضنى وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقلت: إن الأمر عندى على ما قاله الشاب، فقال: لِمَ؟ قلت: لأنى إذا كنت فى حال الجفاء فنقلنى إلى حال الوفاء، فذكر الجفاء فى حال الصفاء جفاء، فسكت.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: التوبة ألا تنسى ذنبك.

وقال الجنيد رحمه الله حين سئل عن التوبة: هى أن تنسى ذنبك.

وتكلم أبو نصر السراج رحمه الله فى المقالتين فقال: أشار سهل إلى أحوال المريدين

والمتعرضين تارة لهم وتارة عليهم.

فأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحققين، فلا يذكرون ذنوبهم مما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره.

وقال: وهو مثل ما سئل رويم عن التوبة فقال: التوبة من التوبة.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله: توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة.

وقال أبو الحسين النورى رحمه الله: التوبة أن تتوب من كل شىء سوى الله عز وجل.

قال عبد الله بن على بن محمد التميمى رحمهم الله: شتان بين تائب يتوب من الزلات، وتائب يتوب من الغفلات، وتائب يتوب من رؤية الحسنات.

وقال أبو بكر الواسطى رحمه الله: التوبة النصوح ألا يبقى على صاحبها أثر من المعصية سرًا ولا جهرًا، ومن كانت توبته نصوحًا لا يبالى كيف أمسى وأصبح.

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله فى مناجاته: إلهى لا أقول تبت ولا أعود لما أعرف من خلقى، ولا أضمن ترك الذنوب لما أعرف من ضعفى، ثم إنى أقول لا أعود لعلى أموت قبل أن أعود.

وقال ذو النون رحمه الله: الاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين.

وقال أيضًا رحمه الله: حقيقة التوبة أن تضيق عليك الأرض بما رحبت ثم تضيق عليك نفسك كما أخبر الله تعالى فى كتابه العزيز **﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾** [التوبة: ١١٨].

وقال ابن عطاء رحمه الله: التوبة توبتان: توبة الإنابة، وتوبة الاستجابة.

فتوبة الإنابة: أن يتوب العبد خوفًا من عقوبته، وتوبة الاستجابة: أن يتوب حياء من كرمه.

وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله: زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها.

وقال أبو عمرو الأنماطى رحمه الله: ركب على بن عيسى الوزير فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون: من هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق إلى متى تقولون من هذا؟ هذا عبد سقط من عين الله فأبلاه الله بما ترون، فسمع على بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها إلى أن مات.

مجلس: فى قوله تعالى:
﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]

اختلف العلماء رحمهم الله فى معنى التقوى وحقيقة المتقى.

فالمنقول عن النبى ﷺ أنه قال: «جماع التقوى فى قوله عز وجل: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾** [النحل: ٩٠].

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: المتقى الذى يتقى الشرك والكبائر والفواحش.

وقال ابن عمر رضى الله عنهما: التقوى ألا ترى نفسك خيرًا من أحد.

وقال الحسن رحمه الله: المتقى هو الذى يقول لكل من رآه هذا خير منى.

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لكعب الأحبار: حدثنى عن التقوى، قال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ فقال: حذرت وشمرت، قال كعب: كذلك التقوى.

فنظمه الشاعر:

خل الذنوب صغيرها وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: ليس التقى صيام النهار وقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فما رزق الله بعد ذلك فهو خير إلى خير.

وقيل لطلق بن حبيب: أجمل لنا التقوى، فقال: التقوى عمل بطاعة الله على نور من الله رجاء لثواب الله حياء من الله.

وقيل: التقوى: ترك معصية الله على نور من الله مخافة عقاب الله.

وقال بكر بن عبد الله رحمه الله: لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون نقى المطعم وتقى الغضب.

وقال عمر بن عبد العزيز أيضًا رحمه الله: المتقى ملجم كالمحرم فى الحرم.

وقال شهر بن حوشب رحمه الله: المتقى الذى يترك ما لا بأس به حذرًا من الوقوع فيما فيه بأس.

وقال سفيان الثورى وفضيل رحمهما الله: هو الذى يحب للناس ما يحب لنفسه.

وقال الجنيد بن محمد: ليس المتقى الذى يحب للناس ما يحب لنفسه، إنما المتقى الذى يحب للناس أكثر مما يحب لنفسه، أتدرون ما وقع لأستاذى سرى السقطى رحمه الله؟ سلم عليه ذات يوم صديق له، فرد عليه السلام وهو عابس لم يتبشش له، فقلت له فى ذلك، فقال: بلغنى أن المرء المسلم إذا سلم على أخيه ورد عليه أخوه قسمت بينهما مائة رحمة تسعون منها لأبشهما وعشرة للآخره فأحببت أن يكون له التسعون.

وقال محمد بن على الترمذى رحمه الله: هو الذى لا خصم له.

وقال سرى السقطى رحمه الله: هو الذى يبغض نفسه.

وقال الشبلى رحمه الله: هو الذى يتقى ما دون الله.

قال الناطق الصادق:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وقال محمد بن خفيف رحمه الله: التقوى مجانبة كل ما يبعدك عن الله.

وقال القاسم بن القاسم رحمه الله: هو المحافظة على آداب الشريعة.

وقال الثورى رحمه الله: هو الذى يتقى الدنيا وآفاتها.

وقال أبو يزيد رحمه الله: هو التورع عن جميع الشبهات.

وقال أيضًا: المتقى من إذا قال قال لله، وإذا سكت سكت لله، وإذا ذكر ذكر لله.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه كما يأمنه صديقه.

وقال سهل رحمه الله: المتقى من تبرأ من حوله وقوته.

وقيل: التقوى ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

وقيل: هو الاقتداء بالنبى ﷺ.

وقيل: هو أن تتقى بقلبك من الغفلات، وبنفسك من الشهوات، وبحلقك من

اللذات، وبجوارحك من السيئات، فحينئذ يرجى لك الوصول إلى رب الأرض والسموات.

وقال أبو القاسم رحمه الله: هى حسن الخلق.

وقال بعضهم: يستدل على تقوى الرجل بثلاث: بحسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر على ما فات .

وقيل: المتقى هو الذى يتقى متابعة هواه.

وقال مالك رحمه الله: حدثنى وهب بن كيسان أن بعض فقهاء أهل المدينة كتب إلى عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما: إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: الصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر عند النعماء، والتذلل لأحكام القرآن.

وقال ميمون بن مهران رحمه الله: لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر.

وقال أبو تراب رحمه الله: بين يدى التقوى خمس عقبات من لا يجاوزها لا ينالها وهى: اختيار الشدة على النعمة، واختيار القوة على الفضول، واختيار الذل على العز، واختيار الجهد على الراحة، واختيار الموت على الحياة.

وقال بعضهم: لا يبلغ الرجل سنام التقوى إلا إذا كان بحيث لو جعل ما فى قلبه على طبق فطاف به فى السوق لم يستح من شىء مما عليه.

وقيل: التقوى أن تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق.

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه:

يريد المرء أن يعطى مناه ويأبى الله إلا ما أرادا

يقول المرء فائدتى ومالى وتقوى الله أفضل ما استفادا

عن مجاهد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا نبى الله أوصنى، فقال ﷺ: عليك بتقوى الله فإنه جامع كل خير، وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكر الله فإنه نور لك»[1].

وعن ابن هرمز نافع بن هرمز رحمه الله قال: سمعت أنسًا رضى الله عنه يقول:

(١) الدر المنثور ٦/ ٩٩، والكنز (٤٣٤٣٧)، ومجمع الزوائد ٤/ ٢١٥.

«قيل يا محمد مَنْ آل محمد؟ قال: كل تقى» فالتقوى جماع الخيرات.

وحقيقة الاتقاء: التحرز بطاعة الله عز وجل عن عقوبته: يقال: اتقى فلان بترسه.

وأصل التقوى: اتقاء الشرك، ثم بعده اتقاء المعاصى والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات، ثم يدع بعده الفضلات.

وجاء فى تفسير قوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] هو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر.

وقال سهل بن عبد الله رحمه الله: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه.

وقال الكتانى رحمه الله: قسمت الدنيا على البلوى، وقسمت الجنة على التقوى، ومن لم يحكم بينه وبين الله التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة.

وقال النصرأباذى أيضًا: من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا، لأن الله تعالى يقول: ﴿وللدار الآخرة خير للذين يتقون﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال بعضهم: من تحقق فى التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا.

وقال أبو عبد الله الروذبارى: التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى: التقى من لا يدنس ظاهره بالمعارضات، ولا باطنه بالغلالات، ويكون واقفًا مع الله تعالى موقف الاتفاق.

وقال ابن عطية رحمه الله تعالى: للمتقى ظاهر وباطن، فظاهره محافظة الحدود، وباطنه النية والإخلاص.

وقال أيضًا ذو النون المصرى رحمه الله تعالى: لا عيش إلا مع رجال تحن قلوبهم للتقوى وترتاح بالذكر.

وقال أبو حفص رحمه الله تعالى: التقوى فى الحلال المحض لا غير.

وقال أبو الحسين الزنجانى رحمه الله تعالى: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه.

وقال الواسطى رحمه الله تعالى: التقوى أن يتقى من تقواه، يعنى من رؤية تقواه.

وروى أن ابن سيرين رحمه الله تعالى اشترى أربعين جبًا سمنًا فأخرج غلامه فأرة

من جب، فسأله من أى جب من الجبات أخرجتها ؟ فقال: لا أدرى، فصبها كلها.

وروى عن بعض الأئمة أنه كان لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول: جاء فى الخبر «كل قرض جر نفعًا فهو ربًا»(١).

وقيل: إن أبا يزيد رحمه الله تعالى غسل ثوبًا فى الصحراء مع صاحب له، فقال لصاحبه: نعلق الثياب على جدران الكروم، فقال: لا نغرز الوتد فى جدار الناس، فقال: نعلقه على الشجر، فقال: لا إنه يكسر الأغصان، فقال: تبسطه على الأذخر، فقال: لا إنه علف الدواب لا نستره عنها، قيل: فولى ظهره إلى الشمس والقميص على ظهره ووقف حتى جف جانبه، ثم قلبه حتى جف الجانب الآخر.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أنه قال: بت ليلة تحت صخرة بيت المقدس، فلما كان بعض الليل نزل ملكان، فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم بن أدهم، فقال: ذاك الذى حط الله درجة من درجاته، فقال: لم ذلك؟ قال: لأنه اشترى بالبصرة التمر، فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره، فقال إبراهيم: فمضيت إلى البصرة واشتريت التمر من ذلك الرجل وأوقعت تمرة على تمره، ورجعت إلى بيت المقدس ونمت تحت الصخرة، فلما كان بعض الليل إذا أنا بملكين نزلا من السماء، فقال أحدهما لصاحبه: من هاهنا؟ قال الآخر: إبراهيم بن أدهم، فقال: ذاك الذى رد الشىء إلى مكانه ورفعت درجته.

وقيل: التقوى على وجوه: تقوى العامة: ترك الشرك بالخالق، وتقوى الخاصة: ترك الهوى بترك المعاصى ومخالفة النفس فى سائر الأحوال، وتقوى خاص الخاص من الأولياء: ترك الإرادة فى الأشياء والتجرد فى النوافل من العبادات والتعلق بالأسباب، والركون إلى ما سوى المولى، ولزوم الحال والمقام، وامتثال الأمر فى جميع ذلك مع إحكام الفرائض.

وتقوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتجاوزهم غيب فى غيب، فهو من الله وإلى الله، يأمرهم وينهاهم، ويوفقهم ويؤدبهم ويهذبهم ويطيبهم ويطبهم، ويكلمهم ويحدثهم، ويرشدهم ويهديهم، ويعطيهم ويهنيهم، ويطلعهم ويبصرهم، لا مجال للعقل فى ذلك، فهم فى معزل عن البشر بل عن الملائكة أجمع، إلا فيما يتعلق بالحكم

---

(١) الدر المنثور ٥/ ٣٥٠، والكنز (١٥٥١٦)، وإرواء الغليل ٥/ ٢٣٥.

الظاهر والأمر المبين الموضوع للأمة وعوام المؤمنين، فإنهم يشاركون الخلق فى ذلك، وينفردون عنهم فيما سوى ذلك.

وقد يعطى بعض ذلك الكرام من الأبدال والخلص من الأولياء، فتقصر عباراتهم عن ذكر ذلك، فلا تظهر إلى الوجود ولا تدرك بالسمع والحس إلا ما يغلب على اللسان، فتبدر من ذلك كلمة أو كلمات، ثم يتداركه الله بالسكينة والتثبيت وإسبال الستر عليه، فيستيقظ لأمره ويحفظ لسانه ويستغفر الله تعالى مما جرى، ويغير العبارة ويحسن اللفظ على وجه يعقل ويفهم، على ما هو المعهود عند الناس.

(فصل) وطريق التقوى أولاً: التخلص من مظالم العباد وحقوقهم، ثم من المعاصى الكبائر منها والصغائر، ثم الاشتغال بترك ذنوب القلب التى هى أمهات الذنوب وأصولها فمنها يتفرع ذنوب الجوارح من الرياء والنفاق والعجب والكبر والحرص والطمع والخوف من الخلق والرجاء لهم وطلب الجاه والرياسة والتقدم على أبناء جنسه، وغير ذلك مما يطول شرحه.

وإنما يقوى على جميع ذلك بمخالفة الهوى، ثم الاشتغال بترك الإرادة فلا يختار مع الله شيئًا، ولا يدبر مع تدبيره ولا يتخير عليه ولا ينص على جهة وسبب فى رزقه، ولا يعترض عليه عز وجل فى حكمه فى خلقه، بل يسلم الكل إليه، ويستسلم بين يديه، ويطرح نفسه لديه، فيصير فى يد قدرته كالطفل الرضيع فى يد ظئره ودايته، والميت فى يد غاسله، مسلوب اختياره، منزوع إرادته، فالنجاة كل النجاة فى ذلك.

فإن قال قائل: كيف الطريق إلى ذلك؟

قيل له: الطريق إلى ذلك بصدق اللجأ إلى الله عز وجل، والانقطاع إليه، ولزوم طاعته بامتثال أوامره وانتهاء نواهيه، والتسليم فى قدره وحفظ الحال، وصيانته حدودها أبدًا.

واختلفت أقاويل الشيوخ فى النجاة:

فقال الجنيد رحمه الله تعالى: ما نجا من نجا إلا بصدق اللجأ إلى الله عز وجل، قال الله عز وجل: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾** [التوبة:١١٨].

وقال رويم رحمه الله تعالى: ما نجا من نجا إلا بالصدق والتقوى، قال الله عز وجل:

﴿وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ [الزمر: ٦١].

وقال الحريرى رحمه الله: ما نجـا من نجا إلا بمراعاة الوفاء، قال الله تعالى: **﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾** [الرعد: ٢٠].

وقال عطاء رحمه الله تعالى: ما نجا من نجا إلا بتحقيق الحياء، قال الله تعالى: **﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾** [العلق: ١٤].

قال بعضهم: ما نجا من نجـا إلاَّ بالحكم والقضاء السابق فى علم الله عز وجل، قال الله تعالى: **﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾** [الأنبياء: ١٠١].

وقال الحـسن البصـرى رحمه الله تعـالى: ما نجـا من نجا إلا بالإعراض عـن الدنيا وأهلها، قال الله تعالى: **﴿إنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾** [محمد: ٣٦].

وقد ذكر النبى ﷺ: «أن حب الدنيا رأس كل خطيئـة، وبما تقرب المتقربون إلى الله بشىء أفضل من أداء ما افترض الله عليك. . . »(١).

وقال: «منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها».

وقال الحـسن رحمه الله تعـالى: معناه ما نظر إليـها بعين رحـمته من مـقتهـا فهى الحجـاب العظيم، وبها يتـبين الخالص من المـعيب، ولا يصح لمن بقى عليـه منها شىء الوصول إلى حلاوة مناجاته سبحانه لأنها ضد الله وضد ما يحب الله.

(فصل) وقد دعا الله عـز وجل خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعـيد والترغيب والترهيب، فحذّر وأنذر وخوّف وزجر إعذارًا إليهم وتأكيدًا للحجة عليهم.

فقـال عز وجل: **﴿رسـلاً مبـشرين ومنذرين لئـلا يكون للناس على الله حـجة بعـد الرسل﴾** [النساء: ١٦٥].

وقال عز من قائل: **﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قـبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾** [طه: ١٣٤].

وقال تعالى فى آية أخرى: **﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾** [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: **﴿يا أيهـا الناس قد جـاءتكم موعظة من ربكم وشـفاء لما فى الـصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾** [يونس: ٥٧].

---

(١) بنحوه: الإتحاف ٣/ ١٣١، والكنز ٦١١٤، والدر المنثور ٦/ ٣٤١.

وقال جل وعلا في التخويف والتحذير: ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال تبارك وتعالى: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال جلّت عظمته: ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال جلت قدرته: ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال تعالى: ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال جل جلاله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ [الحج: ١].

وقال عز وجل: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ [النساء: ١].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ [الحشر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارًا وقودها الناس والحجارة﴾ [التحريم: ٦].

وقال عزّ وجل: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وقال جلّ وعلا: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ [القيامة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتًا وهم نائمون * أو أمن أهل

القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون﴾ [الأعراف:٩٧ ـ ٩٨].

فما جوابك يا مسكين عن هذه الآيات، وما عملك بها؟ فهل انتهيت بها عن اتباع شهواتك الخبيثة المردية لك فى الدنيا والآخرة، المحلة لك فى دار الشقاء والمهانة التى تحرقك نارها وتنهشك حيّاتها وتلسعك وتلسنك عقاربها وهوامها، وتأكلك ديدانها، وتضربك زبانيتها وخزانها، ويجدد عليك فى كل يوم أنواع عذابها وأنت فيها مع فرعون وهامان ونمرود وقارون والشياطين سواء.

وقال فى الترغيب: **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** [الطلاق:٢ ـ ٣].

وقال تعالى: **﴿ومن يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا﴾** [الطلاق:٥].

وقال تعالى: **﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك﴾** [الانفطار:٦ ـ ٧].

وقال عز وجل: **﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾** [الحديد:١٦].

فقد رغبك الله فيما عنده وطلب فضله وسعة رحمته وطيب رزقه والاستراحة إليه والطمأنينة لديه، بسلوك سبيل التقوى وملازمته والمواظبة عليه، فبين بذلك الطريق وأضاء لك المحجة، وضمن لك بعد ذلك غفران الذنوب وتكفير السيئات وعظم الأجر والجزاء بقوله عز وجل: **﴿ومن يتق الله يكفّر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا﴾** [الطلاق:٥].

ثم نبهك عن غرتك به ورقدتك عنه، وتعاميك عن طريقه وتصامك عن سماع آياته ومواعظه وزواجره، فقال تعالى: **﴿ما غرك بربك الكريم * الذى خلقك فسواك فعدلك﴾** [الانفطار:٦ ـ ٧].

فوصف نفسه بالكريم لئلا تزهد فى معاملته وتنفر عن مقاربته وتشتغل عنه بخليقته، ثم ذكرك بأنه خلقك وأوجدك من عدمك، وأحياك بعد أن لم تكن شيئًا، وأغناك بعد فقرك، وقواك بعد ضعفك، وبصرك فى مصالحك بعد عماك، وعلمك بعد جهلك، وهداك بعد ضلالتك.

فما قعودك يا غافل عن طلب فضله الواسع، وما تثبيطك عن ملازمة طاعته التى تشرفك فى الدنيا وتسعدك فى العقبى، وترفعك فى الدرجات العلى.

أرضيت بالحياة الدنيا من الآخرة، واستبدلت الذى هو أدنى بالذى هو خير، وآثرت

الدنيا وأبناءها، وما ظهر لك من زينتها التى لا بقاء لها على الفردوس الأعلى، والمرافقة مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء.

أما سمعت قوله عز وجل: ﴿**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل**﴾ [التوبة:٣٨].

وقوله تعالى: ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى**﴾ [الأعلى:١٦ ـ ١٧].

وقوله تعالى: ﴿**فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هى المأوى**﴾ [النازعات:٣٧ ـ ٣٩].

* * *

(فصل)

واعلم أن دخول النار بالكفر وتضاعف العذاب وقسمة الدركات بالأعمال السيئة والأخلاق السيئة، ودخول الجنة بالإيمان وتضاعف النعيم وقسمة الدرجات بالأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة، وأن الله عز وجل خلق الجنة فحشاها بالنعيم ثوابًا لأهلها، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقابًا لأهلها، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والنعيم محنة وابتلاء، ثم خلق الخلق والجنة والنار فى غيب منهم لم يعاينوهما.

فالنعيم والآفات التى فى الدنيا هى أنموذج الآخرة ومذاقة ما فيها، وخلق فى الأرض من عبيده ملوكًا، أعطاهم سلطانًا أرعب به القلوب وملك به النفوس، فهو أنموذج ومثال لتدبيره وملكه ونفاذ أمره ومعاملته، فجعل خبر ذلك كله تنزيلاً، ووصف الدارين ووصف ملكه وقدرته وتدبيره ومنّته وصنائعه وضرب الأمثال على ذلك، ثم قال تعالى: ﴿**وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**﴾ [العنكبوت:٤٣].

فالعلماء بالله يفهمون عن الله أمثاله، لأن المثل إنما هو صفة شىء قد شاهدته يريك صفة ما غاب عنك، ويبصرك بما تبصره بعينك لينفذ بصر قلبك إلى ما لا تبصره عينك، فيعقل قلبك ما خوطبت به من خبر الملكوت وخبر الدارين وخبر معاملة ملك الملوك، فليس فى الدنيا نعمة ولا شهوة إلا وهى أنموذج الجنة وذوقها، ثم من وراء ذلك فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

فلو سمى للعباد منها شىء لم ينتفعوا بتلك الأسماء، لأنهم لم يعقلوه هاهنا ولا أروه وليس له أنموذج فى الدنيا.

والجنة مائة درجة، وإنما وصف منها ثلاث درجات الذهب والفضة والنور، ثم من وراء ذلك غير معقول، ولا تحمله العقول.

وكذلك ما فى الدنيا من الشدة والعذاب فهو أنموذج دار العقاب، ثم من وراء ذلك ما لا تحمله العقول من ألوان العذاب، كل ذلك يخرج لهم من غضبه ولأهل الجنة من رحمته.

فكل من تناول من عبيده من دنياه ما أبيح له وشكره عليها أبدل له من الجنة ما يدقّ هذا فى جنبه، ومن تناول ما لم يبح له فقد حرم نفسه حظها من الدرجات، ومن كذب بها حرم الجنة بما فيها أجمع.

فلأهل الجنة عرائس وولائم وضيافات، فالعرائس للدعوة، وذلك أن رب العزة سبحانه دعاهم إلى دار السلام ليجدد لهم أبدانًا طرية وأعمارًا أبدية، والولائم للأزواج والضيافات للزيارة، ولأهل الجنة تلاق وزيارات فيما بينهم، ومتحدث فى مواطن الألفة، ومجتمع فى ظل طوبى يلقون الرسل هناك ويزورونهم ومجالس الملائكة فيما بينهم سلام الله عليهم أجمعين.

وأسواق يأتونها يتخيرون الصور، وهدايا من الرحمن فى أوقات الصلوات، يغدى ويراح عليهم من ألوان الأطعمة والأشربة والفواكه بكرة وعشيًا، أرزاقهم دارة لا مقطوعة ولا ممنوعة، ومزيد من الله يومًا بيوم، فإذا أتاهم المزيد نسوا ما قبله، ثم لهم منتزه يخرجون إليه فى رياض على شاطىء نهر الكوثر، عليه خيام الدر مضروبة، والخيمة ستون ميلاً فى عرض مثله، من لؤلؤة واحدة ليس لها باب، فيها جوار عبقات، لم ينظر إليهن ملك ولا أحد من أهل الجنة من الخدام والحور، وهو قوله عز وجل: **﴿فيهن خيرات حسان﴾** [الرحمن: ٧٠].

وإذا قال الله لهن **﴿حسان﴾** فمن يقدر أن يصف حسنهن، ثم قال تعالى: **﴿حور مقصورات فى الخيام﴾** [الرحمن: ٧٢].

فتلك خيرة الرحمن اختار صورهن الحسان من بين الصور، أبدعن من سحائب الرحمة، فإذا أمطرت أمطرت جوارى حسانًا على مشيئة الكريم، نور وجوههن من نور العرش، فضربت عليهن خيام الدر فلم يرهن أحد منذ خلقن، فهن مقصورات فى الخيام قد قصرن ـ أى حبسن ـ على أزواجهن من جميع الخلق.

فأهل الجنة يتنعمون فى القصور مع الأزواج، ويلبثون فى النعمة ما شاء الله، حتى إذا كان اليوم الذى يريد الله عز وجل أن يجدد لهم نعمة ونزهة، نودوا فى درجات الجنان: يا أهل الجنان، إن هذا يوم نزهة وسرور وتفسح وحبور، فاخرجوا إلى منتزهكم، فيخرجون على خيول الدر والياقوت من أبواب مدائنهم إلى تلك الميادين، ثم يسيرون من الميادين إلى تلك الرياض على شاطىء نهر الكوثر، فيهديهم الله إلى منازلهم، فينزل كل رجل منهم عند خيمته ولا باب لها، فتصدع الخيمة عن باب، وذلك بعين ولى الله تعالى، ليعلم أن التى فيها لم يطلع عليها أحد، ووفاء لما قدم الله من الوعد فى دار الدنيا حيث قال: ﴿**فيهن خيرات حسان**﴾ [الرحمن: ٧٠]، ثم قال تعالى: ﴿**حور مقصورات فى الخيام**﴾ [الرحمن: ٧٢]، ثم قال عز وجل: ﴿**لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان**﴾ [الرحمن: ٧٤].

فيستوى معها على سرير النزهة فى تلك الحجال، فيمال عليهم من وليمتها، فإذا طعموا الولائم سقاهم الله شرابًا طهورًا، وتفكهوا بطرف الفواكه التى جدد الله لهم من تلك الهدايا فى ذلك اليوم والحلى والحلل، فخلع عليهم كسوة الرحمن، واشتغلوا بالخيرات الحسان، يقضون منهن الأوطار والنهمات، ثم يتحولون إلى مجالس العبقريات الموشاة بألوان النقوش على شواطىء الأنهار فى تلك الرياض، يركبون الرفارف الخضر ويتكئون عليها وهو قوله تعالى: ﴿**متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان**﴾ [الرحمن: ٧٦].

وإذا قال الله لشىء ﴿**حسان**﴾، فماذا بقى، فالرفرف، هو شىء إذا استوى عليه رفرف به وأهوى كالأرجوحة يمينًا وشمالاً ورفعًا وخفضًا يتلذذ مع أنيسه.

فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل عليه السلام فى السماع، وروى فى الخبر «أنه ليس أحد من خلق الله أحسن صوتًا من إسرافيل عليه السلام».

فإذا أخذ فى السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم، فإذا ركبوا الرفارف وأخذ إسرافيل فى السماع بألوان الأغانى تسبيحًا وتقديسًا للملك القدوس، فلم يبق فى الجنة شجرة إلا وردت، ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح، ولم يبق حلقة باب إلا طنت بألوان طنينها، ولم يبق أجمة من آجام الذهب والفضة إلا وقع هبوب الصوت فى مقاصبها، فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر، ولم تبق جارية من جوارى

الحور العين إلا غنت بأغانيها والطير بألحانها، فيوحى الله عز وجل إلى الملائكة أن جاوبوهم، وأسمعوا عبادى الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانية، فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة.

ثم يقول الله تعالى: قم يا داود عن ساق عرشى فمجدنى، فيندفع داود فى تمجيد ربه بصوت يغمر الأصوات ويحليها، وتتضاعف اللذة وأهل الخيام على تلك الرفارف تهوى بهم، وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغانى، فذلك قوله عز وجل: **﴿فهم فى روضة يحبرون﴾** [الروم: ١٥] ـ قال يحيى بن كثير رحمه الله: الروضة: اللذة والسماع ـ.

فبينما هم على لذاتهم وسرورهم إذ يفتح لهم باب الملك القدوس من جنة عدن، فارتجت أصوات صفوف الروحانيين من باب جنة عدن بتماجيد الماجد الكريم إلى درجات الجنان، وثارت ريح عدنية بألوان الطيب والروح والنسيم وهو نسيم القربة، وسطع على أثر ذلك نور فأشرقت منه رياضهم وخيامهم وشواطىء أنهارهم، وامتلأ كل شىء منهم نورًا، ثم ناداهم الجليل جل جلاله من فوق رؤوسهم: السلام عليكم أحبائى وأوليائى وأصفيائى يا أهل الجنة كيف وجدتم منتزهكم، هذا يومكم بدل نيروز أعدائى، طلبوا يومًا من الدنيا ليجددوا على أنفسهم النعمة التى قد كدروها على أنفسهم لخبثهم وشقائهم، فلم ينالوا ما طلبوا من اللذة، وخسروا فى جنب ما طلبوا فى العاجل، ولم يتصبروا حتى ينالوا هذا الذى أعددت فى الأجل لأهل طاعتى، فأعرضتم عما إليه أقبلوا، وامتنعتم مما فيه تنافس أهل الدنيا، فاليوم يذوقون وبال ما تنافسوا فيه وشيكًا ما انقطع به ما طلبوا من اللذة والنهمة فى دار الفناء، وصاروا إلى الذل والهوان، وجزيتم بما صبرتم جنة وحريرًا، ومنتزهًا وسلامًا، وهذا يوم نيروزكم ومنتزهكم، وهذا يوم زيارتكم فى دارى فى جنة عدن، وطالما رأيتكم فى أيام الدنيا فى مثل ذلك اليوم مشتغلين بعبادتى وطاعتى، والمترفون فى لهوهم ولبسهم سكارى حيارى عصاة متمردين، يتنعمون بحطام الدنيا، ويفرحون بتداولها بينهم، وأنتم تراقبون جلالى، وتحفظون حدودى وترعون عهدى وتشفقون على حقوقى.

ويفتح لهم باب من أبواب النيران فيفور لهبها ودخانها وصراخ أهلها وعويلهم، لينظر أهل الجنان من هذه المجالس إلى ما منّ الله عليهم، فيزدادون غبطة وسرورًا.

وينظر أهل النار من تلك السجون والمحابس فى تلك الأغلال والقيود فيتحسرون

على ما فاتهم، فيستغيثون بوجوه أهل الجنان إلى الله، وينادونهم بأسمائهم، فيقول الله تبارك اسمه: ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون * هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولاً من رب رحيم * وامتازوا اليوم أيها المجرمون * ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين * وإن اعبدونى هذا صراط مستقيم**﴾ [يس: ٥٥ ـ ٦١].

فتجيش لهم النار فتفرق جمعهم وينقطع نداؤهم، فترمى بهم إلى جزائر فى النار، فإذا أُخرجوا إليها دبت إليهم عقارب لها أنياب كأمثال النخل، ثم يقبل عليهم سيل من نار من تحت العرش حشوه غضب الله، فيحملهم فيفرقهم فى بحار النيران، وينادى مناد من قبل الله تعالى: هذا يومكم الذى كنتم تبارزونى فيه بالعظائم، وتتمردون على بنعمتى، وتفرحون فى دار الأحزان والعبودية بما تضاهون به ما أعددت لأهل طاعتى، فقد انقطعت عنكم تلك اللذات، فذوقوا وبال ما آثرتموه، فإن أهل الجنة قد شغلوا عنكم بالتنعم بالولائم وألوان الفواكه وطرف الهدايا وافتضاض العذارى وركوب الرفارف، والتلذذ بالأغانى وألوان السماع وسلامى عليهم وإقبالى بالبر واللطف إليهم، والمزيد ما يستفرغ نعمهم ليتهنوا بنعيمهم ويزدادوا به لذة على لذتهم.

فيا أهل الجنة هذا لكم بدل يوم أعدائى الذين تباشروا وأهدوا إلى ملوكهم وقبلوا هداياهم وأنتم الفائزون.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «قال رجل لرسول الله ﷺ: إنى رجل قد حبب إلى الصوت الحسن فهل فى الجنة صوت حسن؟ قال ﷺ: أى والذى نفسى بيده، إن الله عز وجل ليوحى إلى شجرة فى الجنة أن أسمِعِى عبادى الذين اشتغلوا بعبادتى وذكرى عن عزف البرابط والمزامير، فترفع بصوت لم تسمع الخلائق بمثله من تسبيح الرب وتقديسه»[1].

وعن أبى قلابة رحمه الله قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: «هل فى الجنة من ليل؟ قال ﷺ: وما هيجك على هذا؟ قال: سمعت الله عز وجل يذكر فى الكتاب: ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا**﴾ [مريم: ٦٢] فقلت: الليل بين البكرة والعشى، فقال رسول الله ﷺ: ليس هناك ليل إنما هو ضوء ونور، يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو،

(١) جمع الجوامع (٩١٣١).

ويأتيهم طرف الهدايا من الله لمواقيت الصلوات التى كانوا يصلونها فى الدنيا، وتسلم عليهم الملائكة»[١].

فمن أراد أن يكون له حظ فى هذا العيش اللذيذ الدائم، فعليه بحفظ حدود وشروط التقوى، وهى مذكورة فى قوله عز وجل: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** [البقرة:١٧٧] وعليه بالإتيان بحدود الإسلام وأجزائه.

وروى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما أنه قال فى تفسير قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة﴾** [البقرة:٢٠٨] الإسلام ثمانية أسهم:

الصلاة سهم، والزكاة سهم، والصيام سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهى عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له.

وعن عاصم، يعنى الأحوال، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «مثل الإسلام كمثل الشجرة الثابتة، الإيمان بالله أصلها، والصلوات الخمس فروعها، وصيام شهر رمضان لحاؤها، والحج والعمرة جناها، والوضوء والغسل من الجنابة شربها، وبر الوالدين وصلة الرحم غصونها، والكف عن محارم الله ورقها، والأعمال الصالحة ثمرها، وذكر الله عروقها» ، ثم قال ﷺ: «كما لا تحسن الشجرة ولا تصلح إلا بالورق الأخضر، كذلك لا يصلح الإسلام إلا بالكف عن المحارم، والأعمال الصالحة».

* * *

(١) الدر المنثور ٤/٢٧٨، والكنز (٣٩٣٨٦)، والقرطبى ١١/١٢٧.

(فصل)
فى صفة النار وما أعد الله لأهلها فيها
وصفة الجنة وما أعد الله لأهلها فيها

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة واجتمع الخلائق ليوم لا ريب فيه فى صعيد واحد، غشيتهم ظلمة سوداء لا ينظر بعضهم بعضًا من شدة الظلمة، والخلائق قيام على صدور أقدامهم، وبينهم وبين ربهم عز وجل مسيرة سبعين عامًا.

قال: فبينما هم كذلك إذ تجلى الخالق تبارك وتعالى للملائكة، فأشرقت الأرض بنور ربها، وانجلت الظلمة، فغشى الخلائق كلهم نور ربهم، والملائكة حافون من حول العرش يسبّحون بحمد ربهم ويقدسون له.

قال: فبينما الخلائق قيام كلهم صفوفًا، كل أمة قائمة فى ناحية، إذ أتى بالصحف والميزان، ووضعت الصحف وعلق الميزان بيد ملك من الملائكة يرفعه مرة ويخفضه مرة أخرى، قال: فبينما هم كذلك إذ كشف الغطاء عن الجنة فأزلفت، فهبت منها ريح فوجد المسلمون عرفها كالمسك وبينهم وبينها مسيرة خمسمائة عام، ثم كشف الغطاء عن جهنم فهبت منها ريح مع دخان شديد، فوجد المجرمون عرفها وبينهم وبينها مسيرة خمسمائة عام.

ثم جىء بها تقاد موثقة بسلسلة عظيمة عليها تسعة عشر خازنًا من الملائكة، مع كل خازن منهم سبعون ألف ملك أعوان له، فيقودها كل خازن منهم مع أعوانه، وسائر الخزان مع أعوانهم يمشون عن يمينها وشمالها وورائها، بيد كل ملك منهم مقمعة من حديد يصيحون بها، فتمشى ولها زفير وشهيق ووعث وظلمة ودخان وتقعقع ولهب عال من شدة غضبها على أهلها، فينصبونها بين الجنة والموقف، فترفع طرفها، فتنظر إلى الخلائق، ثم تجمح إليهم لتأكلهم، فيحبسونها خزنتها بسلاسلها، فلو تركت لأتت على كل مؤمن وكافر.

فلما رأت أنها قد حبست عن الخلائق فارت فورًا شديدًا ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك: ٨].

ثم شهقت الثانية فتسمع الخلائق صوت صريف أسنانها فارتعدت عند ذلك الأفئدة، وانخلعت القلوب وطارت الأفئدة وشخصت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر.

قال قائل: يا نبى الله حلها لنا، قال ﷺ: نعم، هى مثل هذه الأرض عظمًا سبعون جزاء من بعد، سوداء مظلمة لهـا سبعة رؤوس، لكل رأس منها ثلاثون بابًا، طول كل باب منها مسيرة ثلاث ليـال، وشفتها العليا تضرب منخرها، والشفة السـفلى تسحبها، وفى كل منخر من مناخـرها وثاق وسلسلة عظيمة، يمـسكها سبعـون ألف ملك غلاظ شداد كـالحة أنيابهم أعـينهم كالجـمر وألوانهم كلهب النار، يفور مـن مناخرهم لهب، ودخان عال، مستعدين لأمر الجبار تبارك وتعالى.

قال: فحينئذ تسـتأذن جهنم ربها عز وجل فى السجود، فيـقول لها: نعم اسجدى، قال: فتـسجد ما شـاء الله، قال: ثم يقول لها الجـبار عز وجل: ارفعى، قـال: فترفع رأسها فتـقول: الحمد لله الذى جعلنى ينتقم بى ممن عصـاه، ولم يجعل شيئًا ممن خلق ينتقـم به منى، قال: ثم تقـول بلسان طلق ذلق سلق: الحـمد لله مـا شاء الله من ذلك بصوت لها جهير، ثم تزفر زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا أحد ممن شهد الموقف إلا جثا على ركبتيه، ثم تزفـر الثانية فلا تبقى قطرة فى عين أحد إلا بدرت، ثم تزفر الثـالثة فلو كـان لكل آدمى أو جنى عمل اثنين وسـبعين نبـيًا لواقعـوها، ثم تزفر الرابعة فلا يبقى شىء إلا انقطع كلامه، غير أن جبريل وميكائيل وإبراهيم خليل الرحمن عز وجل متعلقون بالعرش يقول كل واحد منهم: نفسى نفسى لا أسألك غيرها.

قال: ثم ترمى بشرر كعدد نجوم السماء، عظم كل شرارة كالسحابة العظيمة، الطالعة من المغرب، فيقع ذلك الشرر على رؤوس الخلائق، قال: ثم ينصب الصراط عليها فيهيأ له سبعمائة قنطرة، ما بين كل قنطرتين منها سـبعون عامًا، وقيل: سبع قناطر، وعرض الصراط من الطبقة الأولى إلى الطبقة الثانية مسيـرة خمسمائة عام، ومن الثانية إلى الثالثة مسيرة خمسـمائة عام، ومن الثالثة إلى الرابعة مثلها، ومن الرابعة إلى الخـامسة مثلها، ومن الخامسة إلى السادسة مثلها، ومن السادسة إلى السـابعة مسيرة خمسمائة عام وهى أعرضهن وأشدهن حرًا وأبعدهن قعرًا وأكثرهن جمرًا وأكثرهن ألوانًا بسبعين جزءًا، فأما الطبقة الدنيا فقـد جار لهبها الصراط يمينًا وشمالاً فى السمـاء مسيرة ثلاثة أميال، وكل طبقة أشد حـرًا وأكبر جمرًا وأكثـر فى ألوان العذاب من التى فوقها بسبـعين جزءًا، فى

كل طبقة بحر وأنهار وجبال وشجر، طول كل جبل منها فى السماء مسيرة سبعين عامًا، وفى كل طبقة منها سبعون جبلاً، وفى كل جبل منها سبعون ألف شعبة، فى كل شعبة منها سبعون ألف شجرة ضريع، لكل شجرة منها سبعون شعبة، على كل شعبة منها سبعون حية وسبعون عقربًا، طول كل حية منها مسيرة ثلاثة أميال، فأما العقارب فكالبخاتى العظام، على كل شجرة منها سبعون ألف ثمرة، فى كل ثمرة رأس شيطان، فى جوف كل ثمرة منها سبعون دودة طول كل دودة منها مسيرة غلوة، ومنها ثمر ليس فيه دود وليس فيه شوك.

وكان ﷺ يقول: «إن لجهنم سبعة أبواب، لكل باب منها سبعون واديًا، قعر كل واد منها مسيرة سبعين عامًا، ولكل واد منها سبعون ألف شعبة، وفى كل شعبة منها سبعون ألف مغارة، وفى كل مغارة سبعون ألف شق، كل شق منها مسيرة سبعين عامًا، فى جوف كل شق منها سبعون ألف ثعبان، فى شدق كل ثعبان منها سبعون ألف عقرب، لكل عقرب منها سبعون ألف فقارة، فى كل فقارة قلة سم لا ينتهى الكافر ولا المنافق حتى يوافى ذلك كله».

قال: فبينما الخلائق جاثون على ركبهم وجهنم تخطر كما يخطر الجمل المغتلم، قال: فينادى مناد بصوت عال، فيقوم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، ثم عرضوا عرضة ردت فيها المظالم، ثم عرضوا الثانية فتجادلت الأرواح والأجساد وظهرت الأجساد على الأرواح، ثم عرضوا على الله الثالثة، فطارت الصحف فوقعت فى أيدى الخلق، فمنهم من أوتى كتابه بيمينه، ومنهم من أوتى كتابه بشماله، ومنهم من أوتى كتابه وراء ظهره.

فأما الذين أوتوا كتابهم بأيمانهم فأُعطوا نورًا من نور ربهم، وهنتهم الملائكة بكرامتهم، فجازوا الصراط برحمة ربهم، ودخلوا جنانهم فلقيتهم خزانهم عند أبواب جنانهم بكسوتهم ومراكبهم وبالحلية التى تنبغى لهم، فافترقوا إلى منازلهم وانقلبوا مسرورين إلى قصورهم، فدخلوا على أزواجهم فنظروا إلى ما لا عين رأت وتصف ألسنتهم، ولم تبصر أبصارهم، ولم يخطر على قلوبهم، فأكلوا وشربوا ولبسوا حليتهم ثم اعتنقوا أزواجهم ما قدر لهم، ثم حمدوا خالقهم الذى أذهب عنهم حزنهم، وآمنهم من فزعهم، ويسّر لهم حسابهم، ثم شكروا ما أعطاهم ربهم، فقالوا: ﴿**الحمد لله الذى**

هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣].

فقرت أعينهم بما تزودوا من دنياهم، كانوا موقنين مؤمنين مصدقين خائفين راجين راغبين، فعند ذلك نجا الناجون وهلك الكافرون.

وأما الذين أوتوا كتابهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم فاسودت وجوههم وانقلبت زرقًا عيونهم، ووسموا على خراطيمهم وعظمت أجسادهم، وغلظت جلودهم وهتفوا بويلهم حين نظروا إلى كتابهم، وعاينوا ذنوبهم، لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوها مثبتة فى كتابهم، فهم كاسف بالهم سيء ظنهم شديد رعبهم كثير همهم، منكسة رؤوسهم خاشعة أبصارهم خاضعة رقابهم، يسارقون النظر إلى نارهم، لا يرتد إليهم طرفهم، لأنهم عاينوا أمرًا عظيمًا كبيرًا مفظعًا جليلاً طامًا مكربًا مفزعًا مرعبًا محزنًا مخسئًا مهمًا للقلوب وللعيون مبكيًا، فأقروا بالعبودية لربهم واعترفوا بذنوبهم وكان اعترافهم عليهم نارًا وعارًا وتحزنًا وشقاء وإلزامًا وسخطًا.

قال: فبينما القوم بين يدى ربهم عز وجل جاثون على ركبهم بذنوبهم معترفون، زرقًا أعينهم لا يبصرون، هاوية قلوبهم فلا يعقلون، مرجفة أوصالهم فلا يتكلمون، منقطعة أرحامهم فلا يتواصلون **﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾** [المؤمنون: ١٠١].

أصيبوا فى أنفسهم فلا ينجبرون، ويسألون الرجعة فلا يجابون، قد أيقنوا بما كانوا يكذبون، فهم عطاش لا يروون، وجياع لا يشبعون، وعراة لا يكتسون، مغلوبون لا ينصرون، محزنون مسلوبون، مخسورون أنفسهم وأهليهم وأموالهم ومكاسبهم.

قال: فبينما القوم كذلك إذ أمر الله تعالى خزنة جهنم أن يخرجوا منها ومعهم أعوانهم، وأن يحملوا آداتهم من السلاسل والأغلال والمقامع، قال: فخرجوا منها على ناحية ينتظرون بماذا يؤمرون.

قال: فلما نظر إليهم الأشقياء وعاينوا وثاقهم وثيابهم عضوا أيديهم، فأكلوا أناملهم وهتفوا بويلهم وفاضت دموعهم وزلزلت أقدامهم ويئسوا من كل خير، فيقول خذوهم فغلوهم ثم الجحيم صلوهم ثم فى سلسلة فأوثقوهم.

قال: فمن شاء الله أن يلقيه فى تلك الأطباق دعا خزانها، فقال لهم خذوهم، فابتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ملكًا، فشددوا وثاقهم وجعلوا الأغلال الثقال فى أعناقهم والسلاسل فى مناخرهم، فخنقوا وجمعوا بين نواصيهم وأقدامهم من وراء ظهورهم،

فتكسرت أصلابهم.

قال: فلما فعل ذلك بهم شخصت أبصارهم وانتفخت أوداجهم، واحترقت لحوم رقابهم وسلخت عروقهم، واشتعل حر الأغلال فى رؤوسهم، فغلت منها أدمغتهم، ففاضت على جلودهم حتى وقعت على أقدامهم فتساقطت منها جلودهم واخضرت منها لحومهم، فسال منها صديدهم.

قال: فلما جعلت الأغلال فى أعناقهم ملأت ما بين مناكبهم إلى آذانهم، فاحترقت لحومهم وتقطعت شفاههم وبدت أنيابهم وألسنتهم بصوت وصراخ، ووهج لها لهب عال يجرى حرها مجرى الدم فى عروقهم مجوفة، ويجرى خلالها لهب النار فيبلغ حر تلك الأغلال قلوبهم، فتسلخت حتى بلغت حناجرهم، فاشتد خناقهم وانقطعت أصواتهم وفنيت جلودهم.

قال: فبينا هم كذلك أمر الله تعالى خزنة جهنم أن يكسوهم ثيابًا، قال: فألبسوهم ثيابهم وسرابيلهم شديدًا سوادها، ومنتنًا ريحها وخشنًا مسها تلظى من شدة حرها، لو وضعت على جبال الأرض أذابتها.

قال: ثم يقول الله عز وجل لخزنة جهنم: سوقوهم إلى منازلهم، قال: فيأتون بسلاسل أخر أطول وأغلظ من اللاتى أوثقوا فيها، قال: فيأخذ كل ملك سلسلة من تلك السلاسل فيقرن فيها أمة من الأمم، ثم يضع طرفها على عاتقه فيوليهم ظهره، ثم ينطلق بهم مسحوبين على وجوههم، فى دبر كل أمة منهم سبعون ألف ملك، يضربونهم بمقامع حتى يأتوا بهم جهنم فيوقفونهم عليها.

قال: ثم تقول لهم الملائكة: **﴿هذه النار التى كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾** [الطور: ١٤ ـ ١٦].

قال: فلما أوقفوا عليها فتحت لهم أبوابها وكشف عنها غطاؤها، فتسعرت وألهبت نارها، فخرج منها دخان شديد مع شرر كعدد نجوم السماء فطارت إلى السماء مقدار سبعين عامًا، ثم رجع ذلك فوقع على رؤوسهم، فاحترقت أشعارهم وانقلعت جماجمهم.

قال: ثم صرخت جهنم بأعلى صوتها: إلىّ يا أهل النار إلىّ يا أهل النار، أما وعزة

ربى لأنتقمن منكم.

ثم قالت: الحمد لله الذى جعلنى أغضب لغضبه وينتقم بى من أعدائه، رب زدنى حرًا إلى حرّى وقوة إلى قوتى.

قال: فتخرج منها ملائكة أخر، فيستقبل كل أحد منهم أمة من الأمم، فيرفعهم براحته فيكبهم فى جهنم على وجوههم، فيهوون على رؤوسهم مقدار سبعين عامًا من قبل أن يبلغوا رؤوس جبالها.

قال: وإذا بلغوا رؤوس جبالها لم يتقاروا عليها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلدًا.

قال: فأول أكلة يأكلون على رؤوس تلك الجبال أكلة من الزقوم، ظاهرة حرارتها شديدة مرارتها كثير شوكها.

قال: فبينما هم يمضغون أكلتهم تلك، إذ أتتهم الملائكة يضربونهم بمقامعهم فتكسرت عظامهم ثم أخذوا بأرجلهم فألقوهم فى جهنم فهووا على رؤوسهم مقدار سبعين عامًا من قبل أن يتقاروا فى شعابها.

قال: فما تقاروا فى شعابها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلدًا.

قال: وأكلتهم تلك فى أفواههم لا يستطيعون أن يسيغوها، قال: فتجتمع الأكلة والقلب عند الحلق فيغص بها، فيستغيث كل إنسان منهم بالشرب فإذا فى تلك الشعاب أودية تنصب إلى جهنم.

قال: فينطلقون يمشون حتى يردوها، فينكبون عليها يشربون منها.

قال: فتتقطع جلود وجوههم فتقع فيها.

قال: فلا يستطيعون أن يشربوا منها.

قال: فيعرضون عنها إعراضة فتدركهم الملائكة وهم منكبون على تلك العيون، فيضربونهم فتكسر عظامهم ثم يأخذون بأرجلهم فيلقونهم فى جهنم، فيهوون على رؤوسهم مقدار أربعين ومائة عام فى لهب ودخان شديد من قبل أن يتقاروا فى أوديتها.

قال: فلا يتقارون فى أوديتها حتى يبدل لكل إنسان منهم سبعون جلدًا. قال: ومنتهى تلك العيون فى تلك الأودية.

قال: فيشربون منها فإذا هى ماء حميم، فلا يتقار فى بطونهم حتى يبدل الله لكل

إنسان منهم سبعة جلود.

قال: فإذا تقار فى بطونهم قطع أمعاءهم، فخرجت من مقاعدهم وجرى باقيه فى عروقهم، فذابت لحومهم، وتصدعت عظامهم وأدركتهم الملائكة فضربت وجوههم وأدبارهم ورؤوسهم بمقامعهم، لكل مقمع منها ثلاثمائة وستون حرفًا، فإذا ضربت بها رؤوسهم انقلعت جماجمهم وتكسرت أصلابهم، وسحبوا فى النار على وجوههم حتى توسطوا جحيمها، فاشتعلت النار فى جلودهم وتشعبت فى آذانهم، فخرج لهبها من مناخرهم وأضلاعهم، وتفجر الصديد من أجسادهم، وخرجت أعينهم فتعلقت على خدودهم، ثم قرنوا مع شياطينهم الذين كانوا يطيعونهم، وآلهتهم التى كانت مستغاثهم، فألقوا فى أماكن ضيقة مقرنين، فهتفوا بويلهم ثم جىء بأموالهم فأحميت فى نارهم، فكويت بها جباههم وجنوبهم ووضعت على ظهورهم فخرجت من بطونهم، فهم أولياء جهنم وقرناء الشياطين والحجارة، وعلقوا بخطاياهم كالجبال ليشتد عليهم العذاب فطول أحدهم مسيرة شهر وعرضه مسيرة خمسة أيام وغلظه مسيرة ثلاث ليال ورأسه مثل الأقرع وهو جبل بأقصى الشام، فى فيه اثنان وثلاثون نابًا، قد خرج بعضها من رأسه وبعضها من أسفل لحيته وأنفه مثل الرابية العظيمة، طول شعر رأسه وغلظه مثل شجرة الأرز وكثرته كآجام الدنيا، وشفته العليا قالصة، والسفلى تسعون ذراعًا، وطول يده مسيرة عشرة أيام وغلظها مسيرة يوم، وفخذه مثل ورقان وغلظ جلده أربعون ذراعًا بذراعه، وطول ساقه مسيرة خمس ليال وغلظها يوم، كل حدقة له مثل حراء، وهو جبل بمكة، إذا صب فوق رأسه القطران اشتعلت فيه النار، فلم تزدد إلا التهابًا.

قال: وكان النبى ﷺ يقول: والذى نفسى بيده لو أن رجلاً خرج من النار يجر سلسلة مغلولة يداه إلى عنقه، فى عنقه الأغلال وفى رجليه الكبول، ثم رآه الخلائق لانهزموا عنه وفروا منه كل مفر.

قال: فمن شدة حرها وغمها وألوان عذابها وضيق منازلها، اخضرت لحومهم وتصدعت عظامهم وغلت أدمغتهم ففارت على جلودهم، واحترقت جلودهم فغضت أوصالهم، فسال منها صديدهم، فتدودت أجسامهم وسمنت ديدانهم وصارت مثل حمر الوحش، لها أظافير مثل أظافير النسور والعقبان، تشتد ما بين جلدهم ولحمهم،

وتنهشهم، وتزفر زفرة، وتتردد كما يتردد الوحش المذعور، يأكلن لحمه ويشربن دمه، ليس لها مأكل ولا مشرب غيرها، ثم تأخذهم الملائكة فتسحبهم على وجوههم على الجمر والحجارة كأنها أسنة، مستعدين منطلقين بهم إلى بحر جهنم، مسيرة سبعين عامًا، فلا يبلغونه حتى تنقطع أوصالهم وتبدل جلودهم كل يوم سبعين ألف مرة، فإذا انتهى بهم إلى خزنتها أخذوا بأرجلهم فدفعوهم فيه، فلا يعلم أحد قعر ذلك البحر إلا الذى خلقه.

وقد قيل: إنه مكتوب فى بعض أسفار التوراة: أن بحر الدنيا عند بحر جهنم كعين صغيرة فى ساحل بحر الدنيا.

قال: فإذا قذفوا فيه ووجدوا مس العذاب قال بعضهم لبعض: كأنما الذى عذبنا به قبل هذا حلم.

قال: فيغمسون مرة ويرتفعون ويغلى فتقذفهم سبعين باعًا، بعد كل باع كبعد المشرق من المغرب ثم تسوقهم الملائكة بمقامعهم، فيضربونهم بها ويردونهم إلى قعرها مسيرة سبعين عامًا، منها طعامهم وشرابهم فيرتفعون من قعرها مقدار أربعين ومائة عام فيريد أحدهم أن يتنفس، فتستقبله الملائكة بمقامعهم متبادرين إليه لضربه، غير أنه يذكر أنه إذا رفع رأسه وقع على رأسه سبعون ألف مقمع لا يخطئه شيء منها، فيرده سبعين باعًا فى قعرها، كل باع منها كبعد المشرق من المغرب.

قال: فهم فيها ما شاء الله من ذلك، حتى تأكل لحومهم وعظامهم، وتبقى أرواحهم، فيضربهم موجه سبعين عامًا، ثم تنبذهم إلى ساحل من سواحله فيه سبعون ألف مغارة، فى جوف كل مغارة سبعون ألف شق، كل شق منها مسيرة سبعين عامًا، فى جوف كل شق منها سبعون ألف ثعبان، طول كل ثعبان منها سبعون ذراعًا، لكل ثعبان منها سبعون نابًا، فى كل ناب منها قلة سم، فى شدق كل ثعبان منها ألف عقرب، لكل عقرب منها سبعون فقارة، فى كل فقارة منها قلة من سم.

قال: فتخرج أرواحهم من ذلك البحر إلى تلك المغارة، فتجدد لهم أجساد وجلود، ويغلون فى الحديد، فتخرج عليهم تلك الحيات والعقارب فتعلق فى كل إنسان منهم سبعون ألف حية وسبعون ألف عقرب، فيصبرون، ثم ترتفع إلى ركبهم فيصبرون، ثم ترتفع إلى صدورهم فيصبرون، ثم ترتفع إلى تراقيهم فيصبرون، ثم ترتفع فتعلق

بمناخرهم وشفاههم وألسنتهم وآذانهم فيجزعون، وليس لهم مستغاث إلا أن يهربوا إلى جهنم، فيقعوا فيها.

فأما الحيات فتمضغ لحومهم وتنشف دماءهم، وأما العقارب فتلدغهم فتتساقط لحومهم وتقطع أوصالهم، فإذا وقعوا فى النار مكثت النار سبعين عامًا لا تحرقهم من سم الحيات والعقارب.

قال: ثم تحرقهم النار سبعين عامًا، ثم تجدد لهم جلود غير جلودهم، ثم يستغيثون بالطعام، فتأتيهم الملائكة بطعام يقال له الوليمة، وهو أشد يبسًا من الحديد، فيمضغونه فلا يستطيعون أن يأكلوا منه شيئًا، فيلقونه من أفواههم ويبدأون بأيديهم من شدة الجوع، فيأكلون أناملهم ثم يأكلون أكفهم، فإذا أكلوها بدأوا بسواعدهم فأكلوها أيضًا إلى مرافقهم، ثم بدأوا بمرافقهم فأكلوها إلى مناكبهم، فتبقى رؤوس المناكب، ولو نالوا بعدها شيئًا من أجسادهم بأفواههم لأكلوه فإذا فعلوا ذلك بأجسادهم أخذوا فنوطوا بعراقيبهم بكلاليب من حديد على شجرة الزقوم.

قال: فنوط منهم سبعون ألفًا فى شعبة واحدة فما تنحنى، مصوبين على رؤوسهم، فيوقد تحتهم الحميم، فيستقبل حر النار وجوههم مقدار سبعين عامًا حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم، ثم تجدد لهم جلود وأجساد، ثم يناطون بأناملهم ولهب النار من تحتهم، تدخل من مقاعدهم وتأكل من أفئدتهم حتى تخرج من مناخرهم وأفواههم ومسامعهم مقدار سبعين عامًا، حتى تذوب عظامهم ولحومهم وتبقى أرواحهم، ثم يتركون ويجدد لهم جلود وأجساد، ثم يناطون بأبصارهم مثلها، فلا يزالون يعذبون كذلك حتى لا يبقى مفصل فى أجسادهم إلا نوطوا به مقدار سبعين عامًا، ولا تبقى شعرة فى رؤوسهم إلا نوطوا بها، فيأتيهم الموت من مكان كل مفصل منهم، وما هم بميتين ومن ورائهم عذاب غليظ، فإذا فعل ذلك بهم كله أنزلوهم فانطلقوا بكل إنسان منهم إلى منزله مغلولاً بسلسلة مسحوبًا على وجهه.

قال: ولهم منازل فيها كقدر أعمالهم، فمنهم من يعطى منزلة مسيرة شهر طولها وعرضها مثل ذلك نار تتوقد لا ينزلها غيره.

ومنهم من يعطى منزلة مسيرة تسع وعشرين ليلة طولاً وعرضًا مثل ذلك، ثم كذلك تنقص منازلهم وتضيق، حتى إن أحدهم ليعطى منزلة مسيرة يوم طولاً وعرضًا، ومن

نحو سعة منزلهم يعذبون.

فمنهم من يعذاب على القفا، ومنهم من يعذب جالسًا، ومنهم من يعذب جاثيًا على ركبتيه، ومنهم من يعذب قائمًا على رجليه، ومنهم من يعذب منبطحًا على بطنه، فهذه المنازل كلها أضيق على أهلها من زج الرمح.

ومنهم من تكون ناره إلى كعبه، ومنهم من تكون ناره إلى ركبته، ومنهم من تكون ناره إلى حقويه، ومنهم من تكون ناره إلى سرته، ومنهم من تكون ناره إلى ترقوته، ومنهم من تكون ناره غرقًا، فمرة تعلو به ومرة تديره فتبلغه مسيرة شهر فى قعرها.

فإذا وقعوا فى منازلهم قرن كل منهم مع قرنائهم، فبكوا حتى تنزف دموعهم، ثم يبكون الدم بعد الدموع، حتى لو أن السفن أرسلت إذا بكوا فى دموعهم لجرت.

قال: ولهم يوم يجتمعون فيه فى أصل الجحيم، ثم لا تكون جماعة أبدًا.

قال: فإذا أذن الله فى ذلك اليوم نادى مناد فى أصل الجحيم يسمع صوته أعلاهم وأسفلهم، وأدناهم وأقصاهم يقال له «حشر» يقول: يا أهل النار اجتمعوا، فيجتمعون أجمعون فى أصل الجحيم، ومعهم الزبانية.

قال: فيأتمرون بينهم فيقول الذين استضعفوا **﴿للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعًا﴾** [إبراهيم:٢١] فى الدنيا **﴿فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء﴾** [إبراهيم:٢١] **﴿قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد﴾** [غافر:٤٨].

وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا **﴿لا مرحبًا بكم﴾** [ص:٦٠] بنا تستغيثون، قال الذين استضعفوا للذين استكبروا: **﴿بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾** [ص:٦٠].

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا **﴿ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا فى النار﴾** [ص:٦١].

فقال الذين استكبروا للذين استضعفوا **﴿لو هدانا الله لهديناكم﴾** [إبراهيم:٢١].

﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا﴾ [سبأ:٣٣] فتبرأ منكم وما كنتم تدعوننا إليه فى الدنيا.

قال: ثم أقبلوا أجمعون على قرنائهم من الشياطين، فقالوا: أغويتاكم كما غوينا، قال الشيطان عند آخر مقالتهم بصوت له عال: يا أهل النار **﴿إن الله وعدكم وعد**

الحق﴾ [إبراهيم:٢٢] ودعاكم الله فلم تجيبوا ولم تصدقوا **﴿و﴾** إنى **﴿وعدتكم﴾** وعداً **﴿فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى﴾** [إبراهيم:٢٢] فأنا أكفر اليوم بما عبدتمونى من دون الله.

قال: **﴿فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾** [الأعراف:٤٤].

قال: فلعن عند ذلك الذين استضعفوا الذين استكبروا، ولعن الذين استكبروا الذين استضعفوا، ولعنوا قرناءهم من الشياطين، ولعنهم قرناؤهم، ثم قالوا لقرنائهم: يا ليت بيننا وبينكم بعد المشرقين، فبئس القرناء أنتم لنا اليوم، وبئس الوزراء كنتم لنا فى الدنيا، فلما نظروا إلى جماعتهم قال بعضهم لبعض هلموا فلنطلب الخزنة، فلعلهم يشفعون لنا عند ربهم، فـ **﴿يخفف عنا يومًا من العذاب﴾** [غافر:٤٩].

قالوا: نعم فنادوا بأجمعهم الخزنة **﴿ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب﴾** [غافر:٤٩] قال: وهم على ذلك يعذبون.

قال: وبين مراجعة الخزنة إياهم مقدار سبعين عامًا ثم يراجعونهم، فيقولون: **﴿أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا﴾** بأجمعهم **﴿ بلى﴾** [غافر:٥٠].

قال الخزنة: **﴿فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾** [غافر:٥٠].

قال: فلما رأوا أن الخزنة لا ترد عليهم خيرًا استغاثوا بمالك، فقالوا: يا مالك ادع لنا ربك فليقض علينا الموت، فيمكث مالك مقدار الدنيا لا يجيبهم ولا يرد عليهم قولاً، ثم يراجعهم فيقول: **﴿إنكم ماكثون﴾** [الزخرف:٧٧] أحقابًا من قبل أن يقضى عليكم بالموت، فلما رأوا مالكًا لا يرد عليهم خيرًا استغاثوا بربهم، فقالوا: **﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾** [المؤمنون:١٠٧].

يعنى نقول إن عدنا فى معصيتك، قال: فمكث الجبار سبحانه وتعالى مقدار سبعين عامًا لا يراجعهم بقولهم ولا يرد عليهم خيرًا، ثم أجابهم بقوله وأنزلهم منزلة الكلاب **﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾** [المؤمنون:١٠٨].

قال: فلما رأوا ربهم لا يرحمهم ولا يرد عليهم خيرًا، قال بعضهم لبعض: **﴿سواء علينا أجزعنا﴾** من العذاب **﴿أم صبرنا ما لنا من محيص﴾** [إبراهيم:٢١]، **﴿فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم﴾** [الشعراء:١٠٠ ـ ١٠١]، **﴿فلو أن لنا كرة فنكون من**

المؤمنين﴾ [الشعراء: ١٠٢].

قال: ثم تنصرف بهم الملائكة إلى مساكنهم، فزلّت عند ذلك أقدامهم ودحضت حجتهم ونظروا ما عند ربهم عز وجل، ويئسوا من رحمة ربهم وتلقاهم الكرب الشديد ونزل بهم الخزى والهوان الطويل، فهتفوا بحسرتهم على ما فرطوا فى دنياهم، وحملوا أوزارهم على رقابهم وأوزار أتباعهم، من غير أن ينقص شىء من أوزارهم وعذابهم أكثر من تراب أرضهم وقطر بحورهم مع زبانية سريع أمرهم غليظ كلامهم عظيمة أجسادهم كالبرق، وجوههم كالجمر، أعينهم كاللهب، ألوانهم كالحة، أنيابهم كصياصى البقر أظفارهم، يعنى القرون، والمقامع الطوال الثقال المحرقة بأيديهم لو ضربوا بها الجبال انصدعت، وكانت رميمًا، يضربون بها عصاة ربهم فيحق لهم أن تسيل عينهم الدم بعد الدموع، لأنهم إن دعوهم لم يجيبوهم، وإن بكوا لم يرحموهم، وإن استغاثوا بماء بارد لم يغيثوهم إلا بماء كالمهل يشوى الوجوه.

وكان النبى ﷺ يقول: «إنه لتأتى أهل النار سحابة عظيمة كل يوم فتبسط عليهم لها صواعق تخطف أبصارهم، ورعد يقصف ظهورهم، وظلمة لا يبصرون معها زبانيتهم، فتنادى تلك السحابة بصوت له جهر: يا أهل النار أما تريدون أن أمطركم؟ فيقولون بأجمعهم: امطرينا الماء البارد، فتمطرهم ساعة حجارة تقع على رؤوسهم فتقطع جماجمهم، ثم تمطرهم ساعة أخرى أنهارًا من حميم وجمرًا كثيرًا وشواظًا وخطاطيف من الحديد، ثم تمطرهم ساعة أخرى حيات وعقارب ودودًا وغسلين.

قال: فإذا أمطرت فى جهنم سجر بحرها فماجت لججها وغضبت، فلم تترك فى جهنم سهلاً ولا جبلاً إلا ارتفعت عليه، فغرقت أهل النار أجمعين من غير أن يموتوا.

قال: فتزداد جهنم على من فيها من العصاة غيظًا وحرًا وزفيرًا وشهيقًا ولهبًا ودخانًا وظلمة ووعثًا وسمومًا وحميمًا وجحيمًا وسعيرًا وشدة على من فيها لنقمة ربها».

فنعوذ بالله منها ومن أعمالها ومقارنة أهلها، اللهم ربنا وربها لا توردنا حياضها، ولا تجعل فى أعناقنا أغلالها، ولا تكسنا من ثيابها، ولا تطعمنا من زقومها، ولا تسقنا من حميمها، ولا تسلط علينا خزنتها، ولا تجعلنا مأكلة لنارها، ولكن جوزنا برحمتك صراطها واصرف عنا شرورها ولهبها حتى تنجينا برحمتك منها ومن دخانها ومن كربها وعذابها، آمين يا رب العالمين.

وكان ﷺ يقول: «ولو أن أدنى باب من أبواب جهنم فتح بالمغرب لذابت منه جبال المشرق كما يذوب القطر، ولو أن شرارة من شرر جهنم طارت فوقعت بالمغرب ورجل بالمشرق لغلى دماغه حتى يفور على جسده، وإن أدنى أهل النار عذابًا رجال تحذى لهم نعال من نار فتخرج من مسامعهم ومناخرهم وتغلى منها أدمغتهم، والذين يلونهم يلقون على صخرة من صخور جهنم فينتفضون فيها كما ينتفض الحب من المقلى الحار، وكلما سقطوا من صخرة وقعوا على أخرى...».

فأهل النار كلهم يعذبون على قدر أعمالهم، فنعوذ بالله من أعمالهم ومصيرهم.

قال ﷺ: «وأما عذاب الذين لا يحفظون فروجهم، فيناطون بفروجهم بقدر ما كانت فى الدنيا حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم، ثم يتركون فتجدد لهم أجساد وجلود، ثم يضربون، فيجلد كل إنسان منهم سبعون ألف ملك قدر ما كانت الدنيا حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم، فذلك عذابهم».

وأما عذاب السارق، فيقطع عضوًا عضوًا ثم يجدد، فذلك عذابه غير أنه يتبادر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك معهم الشفار.

وأما عذاب الذين يشهدون الزور، فيناطون بألسنتهم، ثم يجلد كل إنسان منهم سبعون ألف ملك حتى تذوب أجسادهم وتبقى أرواحهم.

وأما عذاب المشركين، فيجعلون فى مغار جهنم ثم يغلق عليهم وفيها حيات وعقارب وحجر كثير ولهب ودخان شديد، يجدد لكل إنسان منهم كل ساعة سبعون ألف جلد فذلك عذابهم.

وأما عذاب الجبارين المتكبرين، فيجعلون فى توابيت من نار ثم يقفل عليهم فتوضع فى الدرك الأسفل من النار.

قال: فيعذب كل إنسان منهم كل ساعة تسعة وتسعين لونًا من العذاب، يجدد لهم فى كل يوم ألف جلد، فذلك عذابهم.

قال: وأما الذين يغلون فيأتون بغلولهم ثم يلقى بهم فى بحر جهنم ثم يقال لهم غوصوا حتى تخرجوا غلولكم لينتهوا إلى قعره، ولا يعلم قعره إلا الذى خلقه.

قال: فيغوصون ما شاء الله، ثم يخرجون رؤوسهم يتنفسون فيبتدر إلى كل إنسان منهم سبعون ألف ملك، مع كل ملك مقمع من حديد فيهوى بها إلى رأسه، فذلك

عذابهم أبدًا.

قال: وكان النبى ﷺ يقول: «إن الله قضى على أهل النار أنهم لابثون فيها أحقابًا، فلا أدرى كم من حقب، غير أن الحقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا، واليوم ألف سنة مما تعدون».

فالويل لأهل النار، والويل لتلك الوجوه التى كانت لا تصبر على حر الشمس حين تلفحها النار، وويل لتلك الرؤوس التى كانت لا تصبر على الصداع حين يصب فوقها الحميم، وويل لتلك الأعين التى كانت لا تصبر على الرمد حين تزرق وتشخص فى النار، وويل لتلك الآذان التى كانت تسمع الأحاديث فتلذذ بها حين يفور منها لهب النار، وويل لتلك المناخر التى كانت تجزع من ريح الجيف حين تنشقت بالنار، وويل لتلك الأعناق التى كانت لا تصبر على الوجع حين يجعل فيها الأغلال، وويل لتلك الجلود التى كانت لا تصبر على اللباس الخشن حين يجعل عليها ثياب من نار خشن مسها، منتن ريحها تتلظى نارًا، وويل لتلك البطون التى كانت لا تصبر على الأذى حين يدخلها الزقوم مع ماء حميم يقطع أمعاءهم، وويل لتلك الأقدام التى كانت لا تصبر على الحفا حين تحذى لها نعال من نار، فويل لأهل النار من أصناف العذاب.

(فصل) وقال أبو هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن لجسر جهنم سبع قناطر، بين كل قنطرتين سبعون عامًا، وعرض الجسر كحد السيف، فيجوز عليه أول زمرة من الناس سراعًا كطرف العين، والزمرة الثانية كالبرق الخاطف، والزمرة الثالثة كالريح، والزمرة الرابعة كالطير، والزمرة الخامسة كالخيل، والزمرة السادسة كالرجل المسرع، والزمرة السابعة يمرون عليها مشاة، ثم يبقى رجل واحد فهو آخر من يمر على ذلك الجسر، فيقال له: مر، فيضع عليه قدميه فتزل إحداهما ثم يركبه فيحبو على ركبتيه، فتصيب النار من شعره وجلده.

قال: فلا يزال يترجرج على بطنه فتزل قدمه الأخرى وتثبت يده وتتعلق الأخرى، فهو على ذلك تصيبه النار، وهو يظن أنه لا ينجو منها، فلا يزال يترجرج على بطنه حتى يخرج منها، فإذا خرج منها نظر إليها فقال: تبارك الذى أنجانى منك، ما أظن أن ربى أعطى أحدًا من الأولين والآخرين مثل ما أعطانى، أنه نجانى منك، بعد إذ رأيت ولقيت.

قال: فيأتيه ملك من الملائكة، فيأخذ بيده فينطلق به إلى غدير بين يدى باب الجنة، فيقول له الملك: اغتسل فى هذا الغدير واشرب منه.

قال: فيغتسل ويشرب منه، فيعود له ريح أهل الجنة وألوانهم، ثم ينطلق به فيوقفه على باب جهنم ويقول له: قف هاهنا حتى يأتيك إذنك من ربك عز وجل.

قال: فينظر إلى أهل النار ويسمع عواءهم كعواء الكلاب.

قال: فيبكى فيقول: يا رب اصرف وجهى عن أهل النار، لا أسألك يا رب غيره.

قال: فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين عز وجل، فيحول وجهه عن النار إلى الجنة.

قال: وبين مقامه إلى باب الجنة خطوة، فينظر إلى باب الجنة وعرضه، وأن ما بين عضادتى باب الجنة مسيرة أربعين عامًا للطير المسرع.

قال: فيسأل ذلك الرجل ربه عز وجل فيقول: يا رب إنك قد أحسنت إلىَّ الإحسان كله، أنجيتنى من النار وصرفت وجهى عن أهل النار إلى أهل الجنة، وإنما بينى وبين باب الجنة خطوة فأسألك يا رب بعزتك أن تدخلنى الباب، ولا أسألك غيره، ولكن اجعل الباب بينى وبين أهل النار، فلا أسمع حسيسها، ولا أرى أهلها.

قال: فيأتيه ذلك الملك من عند رب العالمين، فيقول: يا ابن آدم ما أكذبك ألست زعمت أنك لا تسأل غيره.

قال عليه السلام: فيقول ـ ويحلف ـ: لا وعزة الرب لا أسألك غيره، فيأخذ بيده فيدخله الباب ثم ينطلق الملك إلى رب العالمين عز وجل.

قال: فينظر ذلك الرجل فى الجنة عن يمينه وشماله وبين يديه مسيرة سنة، فلا يرى أحدًا غير الشجر والثمر وبين مقامه إلى أدنى شجرة خطوة.

قال: فينظر إليها فإذا أصلها ذهب وغصنها فضة بيضاء، وورقها كأحسن حلل رآها آدمى وثمارها ألين من الزبد وأحلى من العسل وأطيب ريحًا من المسك.

قال: فتحير ذلك الرجل مما رأى.

قال: فيقول: يا رب نجيتنى من جهنم وأدخلتنى باب الجنة وأحسنت إلى الإحسان كله، وإنما بينى وبين هذه الشجرة خطوة لا أسألك غيرها.

قال: فيأتيه ذلك الملك فيقول: ما أكذبك يا ابن آدم ألست زعمت أنك لا تسأل

غيرها زيادة، فما لك تسأل وأين ما أقسمت ألا تستحى؟

قال: فيأخذ بيده فينطلق به إلى أدنى منازله فإذا هو بقصر من لؤلؤ بين يديه على مسيرة سنة.

قال: فإذا أتاه نظر إلى ما بين يديه فرأى منزلاً كأنما كان ذلك القصر وما وراءه معه حلمًا، فلا يملك نفسه حين ينظر إليه فيقول: يا رب أسألك هذا المنزل ولا أسألك غيره.

قال: فيأتيه ملك من الملائكة فيقول: يا ابن آدم أما أقسمت بربك عليك ألا تسأل غيره، ما أكذبك يا ابن آدم هو لك. فإذا أتاه نظر إلى ما هو بين يديه كأنما كان منزله معه حلمًا.

قال: فيقول: يا رب اسألك هذا المنزل، قال: فيأتيه ذلك الملك فيقول له: يا ابن آدم ما لك لا توفى بالعهد، ألست زعمت أنك لا تسأل غيره؟ ولا يلومه لأنه يرى ما تكاد نفسه تخرج منه من العجائب.

قال: فيقول: هو لك، قال: فإذا بين يديه منزل آخر، كأنما كانت معه تلك المنازل حلمًا، فيبقى مبهوتًا لا يستطيع أن يتكلم.

قال عليه الصلاة والسلام: فيقول له رسول الله ﷺ: ما لك لا تسأل ربك؟ فيقول: يا سيدى صلى الله عليك، والله لقد حلفت لرب العزة حتى خشيت منه وسألته حتى استحييت.

قال: فيقول له رب العزة جل جلاله: أيرضيك أن أجمع لك الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها ثم أضعفها لك عشرة أضعاف؟

قال فيقول ذلك الرجل: يا رب أتهزأ بى وأنت رب العالمين؟ قال: فيقول له رب العزة جل وعلا: إنى لقادر أن أفعله فاسألنى ما شئت.

قال: فيقول الرجل: يا رب ألحقنى بالناس.

قال: فيأتيه ملك فيأخذ بيده، فينطلق به يمشى فى الجنة حتى يبدو له شىء كأنه لم يكن رأى معه شيئًا فيخر ساجدًا، ويقول فى سجوده: إن ربى عز وجل تجلى لى، فيقول له الملك: ارفع رأسك إن هذا منزلك وهو أدنى منازلك.

قال: فيقول: لولا أن الله عز وجل حبس بصرى لحار من نور هذا القصر، قال:

فينزل فى ذلك القصر فيلقاه رجل إذا رأى وجهه وثيابه يبقى مبهوتًا يظن أنه ملك، فيأتيه ذلك الرجل فيقول: السلام عليك ورحمة الله وبركاته؛ لقد آن لك أن تجىء، فيرد عليه السلام ثم يقول له: من أنت يا عبد الله؟ فيقول: أنا قهرمان لك وأنا على هذا المنزل ولك مثلى ألف قهرمان، كل واحد منهم على قصر من قصورك، ولك ألف قصر فى كل قصر ألف خادم وزوجة من الحور العين.

قال: فيدخل فى قصره ذلك فإذا هو بقبة من لؤلؤ بيضاء وفى جوفها سبعون بيتًا، فى كل بيت سبعون غرفة، لكل غرفة سبعون بابًا، لكل باب منها قبة من لؤلؤ فيدخل تلك القباب فيفتحتها ولم يفتحها أحد من خلق الله قبله، فإذا هو فى جوف تلك القبة بقبة من جوهرة حمراء طولها سبعون ذراعًا، لها سبعون بابًا، كل باب منها يفضى إلى جوهرة حمراء على مثل طولها لها سبعون بابًا، ليس منها جوهرة على لون صاحبتها فى كل جوهرة أزواج ومناص وأسرة.

قال: فإذا دخلها وجد فيها زوجة من الحور العين، فتسلم عليه فيرد عليها السلام ثم يقوم مبهوتًا، فتقول له: قد آن لك أن تزورنا وأنا زوجتك.

قال: فينظر فى وجهها فيرى وجهه فى وجهها كما يرى أحدكم وجهه فى المرآة من الحسن والجمال والصفوة، فإذا عليها سبعون حلة فى كل حلة سبعون لونًا ليس فيها لون على لون صاحبتها يرى مخ ساقها من ورائهن، لا يعرض عنها إعراضة إلا ازدادت حسنًا فى عينه سبعين ضعفًا، فهى له مرآة وهو لها مرآة.

قال: وإن لكل قصر منها ثلثمائة وستون بابًا، على كل باب ثلثمائة وستون قبة من لؤلؤة وياقوتة وجوهرة ليس منها قبة على لون صاحبتها، فإذا أشرف على ظهر القصر أشرف على ملكه مسيرة من الأرض ما ينفذ بصره فيها، إذا سار فيه سار فى ملكه مائة سنة لا ينتهى إلى شىء فيه إلا نظر فيه أجمع، وإن الملائكة تدخل عليه فى كل قصوره من كل باب بالسلام والهدايا من عند رب العالمين، ليس منهم ملك إلا ومعه من الهدايا ما ليس مع الآخر كل يوم فى النهار تسلم عليه الملائكة معها الهدايا.

وتصديق ذلك فى كتاب الله عز جل يقول: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤].

وقال تعالى: ﴿**ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيًا**﴾ [مريم: ٦٢].

وكان ﷺ يقول: «إن هذا الرجل يسميه أهل الجنة المسكين لفضل منازلهم على منزله وإن لهذا المسكين ثمانين ألف خادم فى طعامه إذا اشتهى الطعام نصبوا له مائدة من موائدها من ياقوتة حمراء ممنطقة من ياقوتة صفراء محفوفة بالدر والزبرجد وقوائمها من لؤلؤ حافتها عشرون ميلاً.

قال: فيوضع له عليها من الطعام سبعون لونًا، ويقوم بين يديه ثمانون خادمًا مع كل خادم منهم صحفة فيها طعام وكأس فيه شراب، فى كل صحفة من الطعام ما ليس فى الأخرى، وفى كل كأس شربة ما ليس فى الأخرى، يجد طعم أولها كطعم آخرها، ويجد لذة آخرها كلذة أولها، يشبه بعضه بعضًا، وليس منها لون إلا وهو يصيب منه، وليس خادم إلا ويعطى حظه من ذلك الطعام والشراب إذا رفع من بين يديه».

وكان النبى ﷺ يقول: «وإن أهل الدرجة العليا يزورونه ولا يزورهم، وإن أهل الدرجة العليا ليسعى على كل رجل منهم ثمانمائة ألف خادم، وبيد كل خادم منهم صحفة فيها طعام ليس فى الأخرى، وليس منها لون إلا وهو يصيب منه، وليس منهم خادم إلا ويعطى حظه من ذلك الطعام والشراب إذا رفع من بين يديه، وما منهم من أحد إلا وله اثنتان وسبعون زوجة من الحور العين وآدميتان، لكل زوجة منهن قصر من ياقوتة خضراء ممنطقة بحمراء، فيها سبعون ألف مصراع، لكل مصراع قبة وليس منها زوجة إلاّ وعليها سبعون ألف حلة فى كل حلة سبعون ألف لون، ليس منها حلة تشبه الأخرى، وليس منهن زوجة إلا بين يديها ألف جارية قيام لحوائجها، وسبعون ألف جارية لمجلسها، وما منهن جارية إلا وقد أشغلتها فى حاجتها، إذا قرب إليها الطعام قام بين يديها سبعون ألف جارية، كل جارية منهن بيدها صحفة فيها من الطعام، وكأس فيها من الشراب ما ليس فى الأخرى».

وكان ﷺ يقول: «يشتاق الرجل إلى أخ له كان يحبه فى الله عز وجل فى الدنيا، فيقول: يا ليت شعرى ما فعل أخى فلان شفقة عليه أن يكون قد هلك، فيطلع الله عز وجل على ما فى قلبه، فيوحى إلى الملائكة أن سيروا بعبدى هذا إلى أخيه فتأتيه الملائكة بنجيبة عليها رحلها من مياثر النور.

قال: فيسلم عليه، فيرد عليه السلام ويقول له: قم فاركب وانطلق إلى أخيك.

قال: فيركب عليها، فيسير فى الجنة ألف عام أسرع من أحدكم إذا ركب بنجيبته

فسار عليها فرسخًا.

قال: فلا يكون شيء أسرع حتى يبلغ منزل أخيه.

قال: فيسلم عليه، فيرد عليه السلام ويرحب به.

قال: فيقول: أين كنت يا أخى لقد كنت أشفقت عليك؟.

قال: فيعتنق كل واحد منهما صاحبه ثم يقولان: الحمد لله الذى جمع بيننا، فيحمدان الله عز وجل بأحسن أصوات سمعها أحد من الناس.

قال: فيقول الله عز وجل لهما عند ذلك: يا عبدىّ ليس هذا حين عمل، ولكن هذا حين تحية ومسألة، فاسألانى أعطيكما ما شئتما.

قال: فيقولان: يا رب أجمع بيننا فى هذه الدرجة.

قال: فيجعل الله عز وجل تلك الدرجة مجلسهما فى خيمة محفوفة بالدر والياقوت، ولأزواجهما منزل سوى ذلك.

قال: فيشربون ويأكلون ويتمتعون...».

وكان ﷺ يقول: «إن الرجل منهم ليأخذ لقمة فيجعلها فى فيه، ثم يخطر بباله طعام آخر، فتتحول تلك اللقمة إلى الذى تمنى».

قيل: يا رسول الله ما أرض الجنة؟ قال: أرضها رخامة من فضة مملسة، وترابها مسك، وتلالها زعفران، وحيطانها در وياقوت وذهب وفضة، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، وليس فى الجنة قصر إلا يرى ظاهره من باطنه، وباطنه من ظاهره، وليس فى الجنة رجل إلا وهو يلبس إزارًا ورداء وحللاً غير مقطعة وغير مخيطة، وليس منهم رجل إلا وهو يلبس تاجًا من لؤلؤ مجوفًا بالدر والياقوت والزبرجد، له ضفيرتان من الذهب، فى عنقه طوق من ذهب محفوف بالدر والياقوت الأخضر، وفى يد كل رجل منهم ثلاث أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، تحت تيجانهم أكاليل من در وياقوت، وعلى حللهم تلك يلبسون السندس، وعلى السندس الإستبرق والحرير الأخضر، متكئين على فرش بطائنها من إستبرق، وظواهرها العبقرى الحسان، أسرتها من ياقوت أحمر، وقوائمها اللؤلؤ على كل سرير منها ألف مثال، لكل مثال سبعون لونًا، ليس منها مثال يشبه الآخر، بين يدى كل سرير منها سبعون ألف زربية لكل زربية سبعون لونًا، ليس منها زربية تشبه

صاحبتها، عن يمين كل سرير منها سبعون ألف كرسى، وعن شمالها مثل ذلك، ليس منها كرسى يشبه الآخر.

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة أجمعين أعلاهم وأسفلهم على طول آدم، وطول آدم عليه السلام ستون ذراعًا، شبابًا جردًا مردًا مكحولين محممين هم ونساءهم على قدر واحد».

قال: فلما فعل ذلك بهم، نادى مناد فى الجنة، فيسمع صوته أدناهم وأقصاهم، فيقول: يا أهل الجنة أرضيتم منازلكم؟ فيقولون بأجمعهم: نعم والله لقد أنزلنا ربنا منزل الكرامة، لا نبغى عنها حولاً ولا بها بدلاً، رضينا بربنا جارًا، اللهم ربنا فإنا سمعنا مناديك فأجبناه القول الصادق، اللهم ربنا فإنا اشتهينا النظر إلى وجهك فأرناه، فإنه أفضل ثوابنا عندك.

قال: فأمر الله عز وجل عند ذلك الجنة فيها منزله ومجلسه واسمها دار السلام، خذى زينتك، وتزينى واستعدى لزيارة عبادى فاستمعت لربها وأطاعته قبل أن تنقضى الكلمة، وأخذت زينتها واستعدت لزوار الله تعالى، فيأمر الله تعالى ملكًا من الملائكة أن ادع عبادى إلى زيارتى.

قال: فيخرج ذلك الملك من عند الرحمن، فينادى بأعلى صوته، بصوت له لذيذ ممدود يقول: يا أهل الجنة، يا أولياء الله زوروا ربكم.

قال: فيسمع صوته أعلاهم وأسفلهم، فيركبون على النوق والبراذين بأجمعهم، فيسيرون فى ظل إلى جنب تلال من مسك أبيض وزعفران أصفر، فيسلمون عند الباب وتسليمهم أن يقولوا: السلام علينا من ربنا، فيستأذنون فيؤذن لهم، فيعمدون فيدخلون الباب، فتهب ريح من تحت العرش اسمها المثيرة، فتنسف تلال المسك والزعفران، فتغبر جيوبهم ورؤوسهم وثيابهم، فيدخلون وينظرون إلى عرش ربهم وكرسيه نورًا يتلألأ عليهم من غير أن يتجلى لهم، فيقولون: سبحانك ربنا قدوس، رب الملائكة والروح، تباركت ربنا وتعاليت، أرنا ننظر إلى وجهك.

قال: فيأمر الله عز وجل الحجب التى من نور: أن اعتزلى، فلا يزال يرتفع حجاب وراء حجاب حتى يرتفع سبعون حجابًا، كل حجاب هو أشد نورًا من الذى يليه سبعين ضعفًا، فيتجلى لهم رب العزة عز وجل، فيخرّون له سجدًا ما شاء الله، يقولون وهم

ساجدون: سبحانك لك الحمد والتسبيح أبدًا، أنجيتنا من النار وأدخلتنا الجنة، فنعم الدار رضينا عنك الرضا كله، فارض عنا، فيقول تبارك وتعالى: إنى قد رضيت عنكم الرضا كله، وليس هذا أوان عمل، ولكن هذا حين نضرة ونعيم، فاسألونى أعطكم، وتمنوا علىّ أزدكم.

قال: فيتمنون من غير أن يتكلموا، فيتمنون أن يديم لهم ما أعطاهم، فيقول تعالى: إنى معطيكم الذى تمنيتم ومثل الذى أعطيتكم.

قال: فيرفعون رؤوسهم بالتكبير، ولا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم إلى ربهم عز وجل من شدة نور رب العزة، وذلك المجلس يسمى شرقى قبة عرش رب العالمين، فيقول لهم رب العزة مرحبًا يا عبادى وجيرانى وأصفيائى وأحبائى وأوليائى وخيرتى من خلقى وأهل طاعتى.

قال: فإذا بين يدى عرش رب العزة منابر من نور، من دون تلك المنابر كراسى من نور، من دون تلك الكراسى الفرش، ودون الفرش النمارق، ودون النمارق الزرابى.

قال: فيقول لهم رب العزة: هلم اجلسوا على كرامتكم، فيتقدم الرسل فيجلسون على تلك المنابر، ويتقدم الأنبياء فيجلسون على تلك الكراسى، ويتقدم الصالحون فيجلسون على تلك الزرابى.

قال: فتوضع لهم موائد من نور، على كل مائدة سبعون لونًا مكللة باللؤلؤ والياقوت.

قال: فيقول رب العزة لحفدته: أطعموهم، قال: فيوضع لهم على كل مائدة سبعون ألف صحفة من در وياقوت، وفى كل صحفة سبعون لونًا من الطعام.

قال: فيقول عز وجل: كلوا يا عبادى، قال: فيأكلون ما شاء الله من ذلك، قال: فيقول بعضهم لبعض: إن طعامنا الذى عند أهلنا عند هذا حلم.

قال: فيقول رب العزة لحفدته: اسقوا عبادى، قال: فيأتونهم بشراب فيشربون منه، فيقول بعضهم لبعض: إن شرابنا عند هذا الشراب حلم.

قال: فيقول رب العزة لحفدته: أطعمتموهم وسقيتموهم ففكهوهم الآن.

قال: فيأتون بفاكهة فيأكلون منها، فيقول بعضهم لبعض: إن فاكهتنا عند هذه حلم.

قال: فيقول رب العزة سبحانه: أطعمتموهم وفكهتموهم وسقيتموهم، أكسوهم

وحلوهم: قال: فيأتونهم بكسوة وحلية فيلبسونها، فيقول بعضهم لبعض: إن كسوتنا وحليتنا عند هذه حلم.

قال: فبينما هم جلوس على كراسيهم بعث الله عز وجل عليهم ريحًا من تحت العرش تسمى المثيرة، فتأتيهم بمسك وزعفران وكافور من تحت العرش أشد بياضًا من الثلج، فتغبر ثيابهم ورؤوسهم وجيوبهم فتطيبهم، ثم ترفع عنهم الموائد مع ما عليها من الطعام.

قال عليه الصلاة والسلام: فيقول لهم رب العزة سلونى الآن أعطكم وتمنوا أزدكم، قال: فيقولون بأجمعهم: اللهم ربنا فإنا نسألك رضاك عنا، فيقول عز وجل: إنى قد رضيت يا عبادى عنكم، قال: فيخرّون له سجدًا بالتسبيح والتكبير، فيقول رب العزة: يا عبادى ارفعوا رؤوسكم ليس هذا حين عمل هذا حين نظرة ونعيم.

قال: فيرفعون رؤوسهم ووجوههم مشرقة من نور ربهم، قال: فيقول رب العزة عز وجل: انصرفوا إلى منازلكم، قال: فيخرجون من عند ربهم، ثم تلقاهم غلمانهم بدوابهم، قال: فيركب كل واحد منهم على ناقته أو برذونه، ويركب معه سبعون ألف غلام على مثل الذى يركب، فيسير من شاء منهم بالسواء إلى داره، ثم يسير معه سائرهم حتى يقدم القصر الذى يريد.

قال: فإذا جاء قصره فدخل على زوجته قامت إليه فرحبت به وقالت له، جئتنى يا حبيبى، جئتنى بحسن ونور وجمال وكسوة وريح وحلية لم أفارقك عليها.

قال: فينادى ملك من عند الرحمن عز وجل بصوت عال فيقول: يا أهل الجنة كذلك أنتم أبدًا، يجدد لكم النعيم قال: ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾ [الرعد:٢٣ - ٢٤] إن ربكم يقرأ عليكم السلام ومعهم من الأطعمة والأشربة والكسوة والحلية».

وكان ﷺ يقول: «إن فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين أمير يرون له الفضيلة والسؤدد، فيها جبال من مسك أبيض وزعفران أصفر، إذا أكلوا طعامهم تجشوا أطيب من المسك، فإذا شربوا شرابهم رشحت جلودهم المسك لا يتغوطون ولا يهريقون الماء ولا يبصقون ولا يمتخطون ولا يمرضون ولا يصدّعون».

وكان ﷺ يقول: «أهل الجنة أعلاهم وأسفلهم يتغدون متكئين ساعتين، ويتفاضلون

ساعتين، ويمجدون خالقهم أربع ساعات، ويتزاورون ساعتين، وفيها ليل ونهار وظلمة، ليلها أشد بياضًا من النهار، اليوم سبعين جزءًا».

وكان ﷺ يقول: «إن أدنى أهل الجنة عطية من لو نزل عليه الإنس والجن لكان عنده من الكراسى والفرش والنمارق والزرابى ما يجلسون ويتكئون عليه، ويفضل عليهم من الموائد والصحائف والخدم والطعام والشراب إلاَّ كقدر ما أصاب رجلاً واحدًا».

وكان ﷺ يقول: «إن جذوع الشجر ذهب ومنها فضة ومنها ياقوت ومنها زبرجد، وسعفها مثل ذلك، وورقها كأحسن حلل رآها أحد، وثمرها ألين من الزبد وأحلى من العسل، طول كل شجرة منها خمسمائة سنة وغلظ أصلها مسيرة سبعين عامًا، وعرض أصلها مسيرة خمسمائة عام إذا رفع الرجل منهم بصره نظر إلى أقصى فرع من الشجرة وما فيها من الثمار، وإن على بطن كل شجرة سبعين ألف لون من الثمار، وليس منها لون على طعم الآخر، إذا اشتهى شيئًا من تلك الأنواع انحنت له تلك الشعبة التى فيها تلك الثمرة التى اشتهى من مسيرة خمسمائة عام أو مسيرة خمسين عامًا أو دون ذلك، حتى يأخذها بيده إن شاء، فإن عجز أن يأخذها بيده فتح فاه فدخلت فيه، فإذا قطف منها شيئًا أحدث الله مكانها أحسن منها وأطيب، فإذا أصاب منها حاجته واكتفى رجعت الشعبة حيث كانت.

ومنها شجرة لا تثمر ولكن فيها أكمام فيها حرير وحلل وسندس وزخرف وعبقرى، ومنها شجرة لها أكمام فيها المسك والكافور».

وكان ﷺ يقول: «أهل الجنة يرون ربهم كل يوم جمعة».

وكان ﷺ يقول: «لو أن إكليلاً من الجنة دلى من السماء لذهب بضوء الشمس».

وكان ﷺ يقول: «إن فى الجنة قصورًا فى كل قصر منها أربعة أنهار: ماء معين، ولبن معين، وخمر معين، وعسل معين، إذا شرب منه شيئًا صار ختامه مسكًا، ولا يشربون منها شيئًا حتى يمزج من عيون فى الجنة اسم أحدها الزنجبيل، والأخرى تسنيم، والأخرى كافور، وإن المقربين يشربون منها صرفًا...».

وكان ﷺ يقول: «لولا أن الله قضى بينهم أنهم يتنازعون الكأس بينهم ما رفعوها عن أفواههم أبدًا».

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يتزاورون على مسيرة مائة ألف عام أو فوق ذلك أو

دون ذلك، فإذا رجعوا من عند إخوانهم فلهم أهدى إلى منازلهم من أحدكم إلى منزله»[١].

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة إذا رأوا ربهم عز وجل وأرادوا الانصراف، يعطى كل رجل منهم رمانة خضراء فيها سبعون حلة، لكل حلة سبعون لونًا ليس منها حلة على لون الأخرى، فإذا انصرفوا من عند ربهم عز وجل مروا فى أسواق الجنة، ليس فيها بيع ولا شراء، وفيها من الحلل والسندس والإستبرق والحرير والزخرف والعبقرى من در وياقوت وأكاليل معلقة، فيأخذون من تلك الأسواق من هذه الأصناف ما يطيقون حمله، ولا ينقص من أسواقها شيء، وفيها صور كصور الناس من أحسن ما يكون، مكتوب فى نحر كل صورة منها: من تمنى أن يكون حسنه على حسن صورتى جعل الله حسنه على صورتى، فمن تمنى أن يكون حسن وجهه على تلك الصورة جعله الله على تلك الصورة.

قال: ثم ينصرفون إلى منازلهم فيلقاهم غلمانهم صفوفًا قيامًا بالترحيب والتسليم، فيبشر كل واحد منهم صاحبه الذى يليه حتى تبلغ البشرى زوجته، ثم يستخفها الفرح حتى تقوم إليه فتستقبله عند بابه بالترحيب والتسليم، فتعانقه ويعانقها فيدخلان جميعًا معتنقين».

وكان ﷺ يقول: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة برزت لم يرها ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا افتتن بحسنها»[٢].

وكان ﷺ يقول: «إن آخر شراب يشربه أهل الجنة على إثر طعامهم شراب يقال له: طهور دهاق، فإذا شرب منه شربة هضم طعامهم وشرابهم فجعله كالمسك وجشأه المسك، ولا يكون فى بطونهم أذى، فإذا شربوا اشتهوا الطعام فهذا دأبهم أبدًا».

وكان ﷺ يقول: «إن دواب أهل الجنة خلقن من ياقوت أبيض».

وكان ﷺ يقول: «هن ثلاث جنات: الجنة، وعدن، ودار السلام، الجنة أصغر من جنة عدن بتسعمائة ألف ألف جزء، وإن قصور الجنة ظاهرها من ذهب وباطنها من زبرجد وأبرجتها من ياقوت أحمر وشرفاتها نظام اللؤلؤ».

---

(١) أحمد ٢/ ٣٣٥، والطبرانى ٤/ ٢١٤، وكنز العمال (٣٩٣٢٥).

(٢) أحمد ٣/ ٢٦٤، ومجمع الزوائد ١/ ٤١٧.

وكان ﷺ يقول: «إن الرجل من أهل الجنة ليتمتع عند زوجته التكأة الواحدة مقدار سبعمائة عام ما يتحول، ثم تناديه زوجته الأخرى من القصر أحسن منها: يا أخى قد آن لك أن تكون لنا منك دولة، فيقول الرجل: من أنت؟ فتقول: أنا من التى يقول الله عز وجل: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾ [السجدة:١٧] فيتحول إليها فيمكث عندها مقدار سبعمائة عام يأكل ويشرب ويباضعها»(١).

وكان ﷺ يقول: «إن فى الجنة لشجرة يسير الراكب فى ظلها سبعمائة عام ما يقطعها تجرى من تحتها الأنهار وإن على كل غصن من غصونها مدائن مبنية، طول كل مدينة منها عشرة آلاف ميل، وإن ما بين كل مدينة إلى الأخرى كما بين المشرق والمغرب، وإن عيون السلسبيل لتجرى من تلك القصور إلى تلك المدائن، وإن الورقة منها لتظل الأمة العظيمة...».

وكان ﷺ يقول: «إن الرجل من أهل الجنة إذا دخل على زوجته قالت: والذى هو أكرمنى بك ما فى الجنة شىء هو أحب إلىَّ منك».

قال: وكان ﷺ يقول: «إن فى الجنة ما لا يصفه الواصفون، ولا يخطر على قلوب العالمين، ولا تسمع به آذان الواعين، وفيها ما لم تره عيون المخلوقين».

وكان ﷺ يقول: «إن الله عز وجل ينزل المتحابين فيه فى جنة عدن على عمود من ياقوتة حمراء، غلظها مسيرة سبعين ألف عام على سبعين ألف بيت، لكل أهل بيت قصر مشرفين على أهل الجنة، مكتوب على جباههم كتاب من نور: هؤلاء المتحابون فى الله، إذا اطلع أحدهم من قصره إلى أهل الجنة ملأ نور وجهه قصور أهل الجنة كما تملأ الشمس بيوت أهل الأرض، فينظر أهل الجنة وجهه فيقول بعضهم لبعض: هذا من المتحابين فى الله عز وجل، فإذا وجهه مثل القمر ليلة البدر».

وكان ﷺ يقول: «إن فضل حسن الرجل على حسن الخادم من أهل الجنة كمثل القمر ليلة البدر على النجوم».

وكان ﷺ يقول: «إن نساء أهل الجنة يتغنين عند آخر طعامهم بأصوات لذيذة ممدودة يقلن: نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ونحن الآمنات فلا نخاف أبدًا، ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، ونحن الشابات فلا نهرم أبدًا، ونحن الكاسيات فلا نعرى أبدًا، ونحن

(١) الإتحاف ١٠/٥٤٦.

الخيرات الحسان أزواج قوم كرام».

وكان ﷺ يقول: «إن طير الجنة له سبعون ألف ريشة، لكل ريشة منها لون ليس يشبه الآخر، عظم كل طير منها ميل فى ميل، إذا اشتهى المؤمن شيئًا منها أتى به فوضع فى جوف الصحفة، فانتفض فوقع منه سبعون لونًا من الطعام من نحو طبيخ وشواء وألوان شتى، طعمها أطيب من المنّ، ولينها ألين من الزبد، وبياضها أشد بياضًا من المخيض، فإذا أكل منها انتفض وطار ولم تنقص منها ريشة، فطيورهم ومراكبهم ترعى فى رياض الجنة حول قصورهم».

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يعطيهم الله تعالى خواتيم من ذهب يلبسونها وهى خواتيم الخلد، ثم يعطيهم خواتيم من در وياقوت ولؤلؤ، وذلك إذا زاروه فى دار السلام».

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة إذا زاروا ربهم أكلوا وشربوا وتمتعوا.

قال: يقول رب العزة عز وجل: يا داود مجدنى بصوتك الحسن، فيمجده ما شاء الله تعالى من ذلك فلا يبقى منه شىء فى الجنة إلاَّ أنصت لحسن صوته ولذاذته.

قال: فيمجده ما شاء الله ثم يحبوهم رب العزة عز وجل بالكسوة والحلية، ثم ينصرفون إلى أهليهم».

وكان ﷺ يقول: «إن لكل رجل من أهل الجنة شجرة يقال لها طوبى، فإذا أراد أحدهم أن يلبس الكسوة المرتفعة انطلق إلى طوبى ففتحت له أكمامها، وهى ستة ألوان فى كل واحد منها سبعون لونًا، ليس منها ثوب لونه على لون الآخر ولا على وشيه، فيأخذ من أى ذلك شاء، أرق من النعمان».

وكان ﷺ يقول: «إن أزواج أهل الجنة مكتوب فى نحر كل امرأة منهن: أنت حبيبى وأنا حبيبتك، ليس عنك معدل ولا عنك مقصر، وليس لك فى قلبى غل ولا غش، فينظر الرجل إلى نحر زوجته فيرى سواد كبدها من وراء عظمها ولحمها، فكبده لها مرآة وكبدها له مرآة، ولا يعيبها ذلك إلا كما يعيب السلك الياقوت، بياضهن كبياض المرجان وصفاؤهن كصفاء الياقوت، قال الله عز وجل: ﴿**كأنهن الياقوت والمرجان**﴾ [الرحمن: ٥٨].

وكان ﷺ يقول: «إن أهل الجنة على النوق والبراذين يقع خف إحداهن عند أقصى

طرفها، وموضع حافر ذلك البرذون عند أقصى طرفه خلقت من در وياقوت، عظم كل دابة منهن سبعون ميلاً، أزمة النوق والبراذين حلق اللؤلؤ والزبرجد».

(فصل) فى قوله عز وجل: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً...﴾ [الإنسان:١١] إلى آخر صفة أهل الجنة.

أما قوله: **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾** يعنى يوم القيامة يقيهم شدة الحساب وهول جهنم، إذا جيء بها فى عرصات القيامة يقودها تسعة عشر خازنًا من الملائكة، مع كل خازن منهم سبعون ألف ملك أعوان له غلاظ شداد كالحة أنيابهم، أعينهم كالجمر وألوانهم كلهب النار، يفور من مناخرهم لهب ودخان عال مستعدين لأمر الجبار تبارك وتعالى، فيقودها كل خازن وأعوانه بوثاق وسلسلة عظيمة، فتارة يمشون عن يمينها وأخرى عن شمالها، ومرة من ورائها، بيد كل ملك منهم مقمع من حديد، يصيحون بها فتمشى، ولها زفير وشهيق ووعث وظلمة ودخان وقعقعة ولهب عال من شدة غضبها على أهلها، فينصبونها بين الجنة والموقف، فترفع طرفها فتنظر إلى الخلائق، ثم تجمع إليهم لتأكلهم، فتحبسها الخزنة بسلاسلها ولو تركت لأتت على كل مؤمن وكافر، فإذا رأت أنها قد حبست عن الخلائق فارت فورة شديدة كادت تميز من الغيظ، ثم شهقت الثانية فسمعت الخلائق صوت صريف أسنانها، فارتعدت عند ذلك الأفئدة، وانخلعت القلوب، وطارت الأفئدة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، ثم تزفر زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا أحد ممن شهد الموقف إلاَّ جثا على ركبتيه.

ثم تزفر أخرى فلا تبقى قطرة فى عين أحد إلا بدرت، ثم تزفر الثالثة فلو كان لكل آدمى أو جنى عمل اثنين وسبعين نبيًا لواقعوها وظنوا أنهم لم ينجوا منها، ثم تزفر الرابعة فلا يبقى شيء إلا انقطع كلامه، ويتعلق جبريل وميكائيل وخليل الرحمن عز وجل بالعرش يقول كل واحد منهم نفسى نفسى لا أسألك غيرها، ثم ترمى بشرر كعدد نجوم السماء، عظم كل شرارة منها كالسحابة العظيمة الطالعة من المغرب، فيقع ذلك الشرر على رؤوس الخلائق.

فهذا هو الشرر الذى وعد الله المؤمنين الذين يوفون بالنذر ويخافون عذابه أن يقيهم، فالله تعالى يكفى أهل التوحيد والإيمان وأهل السنة شر ذلك اليوم، ولقاهم برحمته

وييسر حسابهم ويدخلهم جنته ويخلدهم فيها أبد الآباد بمنّه، ويزيد الكافرين وأهل الشرك والأوثان شرًا إلى شر، وخوفًا إلى خوف، وعذابًا إلى عذاب، فيدخلهم جهنم ويخلدهم فيها أبد الآباد.

ثم قال عز وجل: ﴿**ولقاهم نضرة وسرورًا**﴾ [الإنسان:١١] فالنضرة فى الوجوه والسرور فى القلوب، وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره يوم القيامة نظر أمامه، فإذا هو بإنسان وجهه مثل الشمس يضحك طيب النفس، وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج، فينظر إليه حتى يدنوا منه، فيقول سلام عليك يا ولى الله، فيقول: وعليك السلام من أنت يا عبد الله، أنت ملك من الملائكة؟ فيقول: لا والله، فيقول: أنت نبى من الأنبياء؟ فيقول: لا والله، فيقول: أنت من المقربين؟ فيقول: لا والله، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح أبشرك بالجنة والنجاة من النار، فيقول له: يا عبد الله أبعلم تبشرنى؟ فيقول: نعم، فيقول: ما تريد منى؟ فيقول له: اركبنى، فيقول له: سبحان الله ما ينبغى لمثلك أن يُركب عليه، فيقول: بلى فإنى طالما ركبتك فى دار الدنيا، فإنى أسألك بوجه الله إلا ما ركبتنى، فيركبه، فيقول له: لا تخف أنا دليلك إلى الجنة، فيفرح فيتبين ذلك الفرح فى وجهه حتى يتلألأ، ويرى فيه النور والسرور فى قلبه، فذلك قوله عز وجل: ﴿**ولقاهم نضرة وسرورًا**﴾ [الإنسان:١١].

وأما الكافر فإذا خرج من قبره نظر أمامه، فإذا هو برجل قبيح الوجه أزرق العينين أشد سوادًا من القبر فى ليلة مظلمة، وثيابه سود، يجر أنيابه فى الأرض بدهدهة مثل دهدهة الرعد، وريحه أنتن من الجيفة فيقول: من أنت يا عبد الله؟ ويريد أن يعرض عنه بوجهه، فيقول: يا عدو الله إلىَّ إلىَّ أنت لى وأنا لك اليوم، فقال: ويحك أشيطان أنت؟ فيقول: لا والله، ولكن عملك الطالح، فيقول: ويحك ما تريد منى؟ فيقول: أريد أن أركبك، فيقول له: أنشدك بالله مهلاً، فإنك تفضحنى على رؤوس الخلائق، فيقول: والله ما منه بد فطالما ركبتنى فأنا اليوم أركبك، قال: فيركبه، فذلك قوله عز وجل: ﴿**وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون**﴾ [الأنعام:٣١].

ثم ذكر عز وجل أولياءه فقال: ﴿**وجزاهم**﴾ [الإنسان:١٢] بعد البشارة ﴿**بما صبروا**﴾ [الإنسان:١٢] على البلاء وأداء الأوامر، وانتهاء المناهى والتسليم فى القدر ﴿**جنة وحريرًا**﴾ [الإنسان:١٢].

أما الجنة فيتنعمون فيها، وأما الحرير فيلبسون، قال: ﴿**متكئين فيها**﴾ [الإنسان:١٣] يعنى فى الجنة ﴿**على الأرائك**﴾ [الإنسان:١٣] يعنى السرر عليها الحجال يعنى الستر ﴿**لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا**﴾ [الإنسان:١٣] يعنى ولا يصيبهم حر الشمس ولا برد الزمهرير، لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف.

ثم قال عز وجل: ﴿**ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً**﴾ [الإنسان:١٤] يعنى ظلال الشجر، وذلك أن أهل الجنة يأكلون من الفواكه إن شاءوا قيامًا، وإن شاءوا قعودًا، وإن شاءوا نيامًا، وإذا أرادوها دنت منهم حتى يأخذوا منها ثم يقوم أحدهم قائمًا، وذلك قوله عز وجل: ﴿**وذللت قطوفها تذليلاً**﴾ يعنى أغصانها.

ثم قال عز وجل: ﴿**ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب**﴾ [الإنسان:١٥] فهى الأكواب يعنى الكيزان مدورة الرؤوس التى ليست لها عرا.

وقال عز وجل: ﴿**قواريرًا**﴾ [الإنسان:١٥] يعنى هى قوارير ولكنها من فضة، وذلك أن قوارير الدنيا من ترابها، وقوارير الجنة من فضة ﴿**قدروها تقديرًا**﴾ [الإنسان:١٦] يعنى قدرت الأكواب على الإناء وقدر الإناء على كف الخادم على رى القوم إذا سقوها لم يبق فيها شيء، ولم يزد عليه فكانت قدرًا على الإناء وكف الخادم ورى القوم فذلك قوله تعالى: ﴿**قدروها تقديرًا**﴾.

وقال تعالى: ﴿**ويسقون فيها كأسًا**﴾ [الإنسان:١٧] يعنى خمرًا، وكل شراب فى الإناء ليس بخمر فليس هو بكأس.

وقال تعالى ﴿**كان مزاجها زنجبيلاً**﴾ [الإنسان:١٧] يعنى كلها قد مزج فيها الزنجبيل.

ثم قال عز وجل: ﴿**عينًا فيها تسمى سلسبيلاً**﴾ [الإنسان:١٨] يعنى نهرًا فيها تسمى سلسبيلاً يسيل عليهم من جنة عدن، فتمر على كل جنة ثم ترجع تعم الجنة كلها.

قال تعالى: ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ [الإنسان:١٩] فالولدان: هم الغلمان الذين لا يشيبون أبدًا فهم مخلدون، يعنى لا يحتلمون ولا يكبرون أبدًا، غلمان ﴿**إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤًا**﴾ [الإنسان:١٩] فى الحسن والبياض ﴿**منثورًا**﴾ [الإنسان:١٩] فى الكثرة، يعنى مثل اللؤلؤ المنثور الذى لا يدرى ما عدده.

ثم قال عز وجل: ﴿**وإذا رأيت ثم**﴾ [الإنسان:٢٠] يعنى هنالك من الجنة ﴿**رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا**﴾ [الإنسان:٢٠] وذلك أن رجلاً من أهل الجنة له قصر، فى ذلك القصر

سبعون قصـراً، فى كل قصر سبعون بيتًا، كل بيت من لؤلؤة مجوفة طولها فى السماء فرسخ وعرضها فرسخ فى فرسخ، عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب، فى ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدر والياقوت عن يمين السرير وعن يساره أربعة آلاف كرسى من ذهب، قوائمـها من ياقوت أحـمر، على ذلك السرير سـبعون فـراشًا، كل فراش على لون، وهو متكىء على يسـاره، عليه سبـعون حلة من ديباج، الذى يلى جسـده حريرة بيضاء، وعلى جبهته إكلـيل مكلل بالزبرجد والياقوت وألوان الجواهر، كل جوهرة على لون، وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون زاوية، فى كل زاوية درة تساوى مال المشرق والمغرب، وفى يده ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسـوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفى أصابع يديه ورجليه خواتيم من ذهب وفضة فيه ألوان الفصوص، وبين يديه عشرة آلاف غلام لا يكبرون ولا يشيبون أبدًا، وتوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حمراء طولها ميـل فى ميل، ويوضع على المائدة سـبعـون ألف إناء من ذهب وفضـة، وفى كل إناء سبعون لونًا مـن الطعام، فيأخذ اللقمـة بيده، فما يخطر على باله غيرها حـتى تتحول اللقمة عن حـالها إلى الحالة التى يشتهـيها، وبين يديه غلمان بأيديهم أكـواب من فضة وأوان من فضة، ومعهم الخمر والماء، فيأكل على قدر أربعين رجلاً من الألوان كلها فإذا شبع من لون من الطعام سقوه شربة مما يشتهى من الأشربة فيتجشأ، فيفتح الله عز وجل عليه ألف باب من الشهوة، ويشرب حتى يعرق، فإذا عرق ألقى الله عليه ألف باب من الشهوة إلى الطعام والشراب، ويدخل عليه الـطير من الأبواب كأمثال النجائب العظام، فيقومون بين يديه صفًا فينعت كل نفسه بصوت مطرب لذيذ ألذ من كل غناء فى الدنيا، يقول: يا ولىَّ الله كُلنى إنى كنت أرعى فى كذا وكذا فى رياض الجنة، وأشرب من عين كذا وكذا فـيجملون إليـه أصواتهم فيرفع بصـره فينظر إلى أعلاها صوتًا وأجـودها نعتًا فيشتهيهـا، فيعلم الله عز وجل ما قد استقر فى قلبه من حبـه، فيجىء ذلك الطير فيقع على المائدة بعضه قديد وبعضه شـوى، أشد بياضًا من الثلج وأحلى من العسل، فيأكل حتى إذا شبع منها واكتفى صار طيرًا كـما كان، فيخرج من الباب الذى كان دخل منه، فهو على الأرائك وزوجته مستقبلته، يبصر وجهه فى وجهها من الصفاء والبياض، كلما أراد يجامعها نظر إليها فيستحى منها أن يدعوها، فتعلم ما يريد منها زوجها، فتدنوا إليه فتـقول: بأبى أنت وأمى، ارفع رأسك وانظر إلىَّ فـإنك اليوم لى وأنا لك، فيـجامعـها على قوة مائة رجل من الأولين، وعلى شهوة أربعـين رجلاً، كلما أتاها وجدها عذراء

لا يغفل عنها مقدار أربعين يومًا، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها فيزداد حبًا لها، وفيها أربعة آلاف وثمانمائة زوجة مثلها، لكل زوجة سبعون خادمًا وجارية.

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «لو أن جارية أو خادمًا أخرجت إلى الدنيا لاقتتل عليها أهل الدنيا كلهم حتى يتفانوا، ولو أن امرأة من الحور العين أخرجت ذوائبها فى الأرض لأطفأت نور الشمس من نورها.

قيل: يا رسول الله، وكم بين الخادم والمخدوم؟ قال: والذى نفسى بيده، إن بين الخادم والمخدوم كالكوكب المظلم إلى جنب القمر فى النصف.

قال: فبينما هو جالس على سريره إذ بعث الله عز وجل إليه ملكًا معه سبعون حلة، كل حلة على لون، قد غابت بين أصبعى الملك ومعه التسليم والرضا، فيجىء حتى يقوم على بابه فيقول لحاجبه: ائذن لى على ولىّ الله فإنى رسول رب العالمين إليه، فيقول الحاجب: والله ما أملك منه المناجاة، ولكن سأذكرك إلى من يلينى من الحجبة، فلا يزالون يذكرون أمره بعضهم إلى بعض حتى يأتيه الخبر بعد سبعين بابًا، فيقول: يا ولىّ الله إن رسول رب العزة على الباب، فيأذن له بالدخول عليه، فيدخل الملك فيقول: السلام عليك يا ولىّ الله إن رب العزة عز وجل يقرئك السلام وهو عنك راض فلولا أن الله عز وجل لم يقض عليه الموت لمات من الفرح، فذلك قوله عز وجل: ﴿**ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم**﴾ [التوبة: ٧٢] وذلك قوله تعالى: ﴿**وإذا رأيت**﴾ يعنى يا محمد ﴿**ثم رأيت نعيمًا**﴾ يعنى هنالك النعيم الذى هو فيه ﴿**وملكًا كبيرًا**﴾ حين لا يدخل عليه رسول الله رب العالمين إلا بإذن، ثم قال جل وعلا: ﴿**عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق**﴾ [الإنسان: ٢١] يعنى الديباج، وإنما قال عاليهم لأن الذى يلى جسده حريرة بيضاء، ثم قال: ﴿**وحلوا أساور من فضة**﴾ [الإنسان: ٢١] وفى آية أخرى ﴿**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤًا**﴾ [الحج: ٢٣، وفاطر: ٣٣] فهى ثلاث أسورة، ثم قال عز وجل: ﴿**وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا**﴾ [الإنسان: ٢١].

وذلك أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، فإذا جاز الرجل الصراط إلى العينين يدخل فى عين منها فيغتسل فيها، فيخرج وريحه أطيب من المسك، طوله سبعون ذراعًا فى السماء على طول آدم عليه السلام وميلاد عيسى عليه السلام أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فأهل الجنة كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد يكبر الصغير

حتى يكون ابن ثلاث وثلاثين سنة وينحط الشيخ عن حاله إلى ثلاث وثلاثين سنة، كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد فى حسن يوسف بن يعقوب عليهما السلام، ويشرب من العين الأخرى، فينفى ما فى صدره من غل أو هم أو حسد أو حزن، فيطهر الله عز وجل قلبه بذلك الماء، فيخرج وقلبه على قلب أيوب، ولسانه على لسان محمد ﷺ عربى، ثم ينطلقون حتى يأتوا الباب، فتقول لهم الخزنة: طبتم، فيقولون: نعم، فيقولون: ادخلوها خالدين، يبشرونهم بالخلود قبل الدخول بأنهم لا يخرجون أبدًا، فأول ما يدخل من باب الجنة ومعه الملكان اللذان كانا معه فى دار الدنيا الكرام الكاتبين.

فإذا هو بملك معه نجيبة من ياقوتة حمراء زمامها من ياقوتة خضراء فإذا كانت النجيبة من ياقوتة حمراء كان زمامها من ياقوتة خضراء، فإذا كانت النجيبة من ياقوتة خضراء كان زمامها ياقوتة حمراء عليها راحلة مقدمها ومؤخرها در وياقوت، وصفحتاها الذهب والفضة، ومعه سبعون حلة، فيلبسها ويضع على رأسه التاج، ومعه عشرة آلاف غلام كاللؤلؤ المكنون، فيقول: يا ولىّ الله اركب فإن هذا لك، ولك مثلها، فيركبها ولها جناحان خطوها منتهى البصر، فيسير على نجيبة وبين يديه عشرة آلاف غلام، ومعه الملكان اللذان كانا معه فى الدنيا حتى يأتى إلى قصوره، فينزلها، ثم قال عز وجل: ﴿**إن هذا**﴾ الذى وضعت لكم فى هذه السورة ﴿**كان لكم جزاء**﴾ لأعمالكم من حسن الثواب ﴿**وكان سعيكم**﴾ [الإنسان:٢٢] أى عملكم ﴿**مشكورًا**﴾ [الإنسان:٢٢] يعنى شكر الله عز وجل أعمالكم فأثابكم الجنة».

* * *

[باب: فى ذكر فضائل الشهور والأيام]

مجلس
فى فضائل شهر رجب

قال الله عز وجل: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم**﴾ [التوبة:٣٦].

سبب نزول هذه الآية أن المؤمنين ساروا من المدينة إلى أهل مكة قبل أن يفتح على رسول الله ﷺ فقالوا: إنا نخاف أن يقاتلنا كفار مكة فى الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله**﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ ﴿**يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم**﴾ يعنى من العدة حرم، يعنى رجب، وذا القعدة، وذا الحجة، والمحرم، واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد متتابعة ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ [التوبة:٣٦] يعنى الحساب القيم المستقيم ﴿**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾ [التوبة:٣٦] يعنى فى الأشهر الحرم، خص الله تعالى بالنهى هذه الأربعة الأشهر ليبين لنا تمييزها بعظم حرمتها وتأكيد أمرها بالنهى عن الظلم فيها على غيرها من الشهور، وإن كان الظلم منهيًا عنه فى سائر الشهور، كما قال الله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ [البقرة:٢٣٨] أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وهى العصر، وإن كان الأمر شاملاً فى المحافظة لجميع الصلاة، وإنما أفرد الوسطى بالصلاة بالذكر لما ذكرنا من الاختصاص، والتمييز فى الحرمة والتأكيد يعنى بالظلم ألا تقتلوا فيهن أحدًا من مشركى العرب إلا أن يبدؤوكم بالقتل.

وقال أبو يزيد رحمه الله: الظلم: هو الترك لطاعة الله تعالى والعمل بمعاصى الله عز وجل.

وقال غيره: هو وضع الشىء فى غير موضعه، وهو راجع إلى ذلك، ثم قال تعالى: ﴿**وقاتلوا المشركين**﴾ [التوبة:٣٦] يعنى كفار مكة ﴿**كافة**﴾ [التوبة:٣٦] جميعًا ﴿**كما يقاتلونكم كافة**﴾ [التوبة:٣٦] يعنى إن قاتلوكم فى الشهر الحرام فقاتلوهم جميعًا ﴿**واعلموا أن الله**﴾ [التوبة:٣٦] فى النصر ﴿**مع المتقين**﴾ [التوبة:٣٦].

واختلف أهل التفسير فى ﴿الدين القيم﴾:

فقال مقاتل رحمه الله: الدين القيم: هو الدين الحق.

وقال آخرون: هو الدين الصادق، وهو دين الإسلام.

وقال آخرون: هو دين الحنيفية.

وقال آخرون: الدين القيم: هو الذى أمر الله به المسلمين.

(فصل) ورجب: هو اسم من الأسماء المشتقة، واشتقاقه من الترجيب.

والترجيب: هو التعظيم عند العرب، يقال: رجبت هذا الشهر: إذا عظمته.

ومن ذلك قول الحباب بن المنذر بن الجموح يوم سقيفة بنى ساعدة، يوم توفى رسول الله ﷺ واختلف المهاجرون والأنصار فى أمير ينصبونه، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير... القصة المشهورة، فغضب الحباب فسل سيفه وقال: أنا جذيلها المحكك، وعذيقها المرجب: أى أنا العظيم فى قومى، المطاع فيهم، والعذيق: تصغير عذق، وهو النخلة الكريمة على أهلها، كانوا يعمدونها إذا مالت لئلا تسقط، والرجبة: البناء الذى يكون حول النخلة.

وقوله: جذيلها المحكك: جذيل: تصغير جذل، وهو الجذع والنخلة التى تحتك بها الإبل الجرباء.

وقيل: الجذل عود ينصب فى معاطن الإبل يحتك به الفصال.

وقال أبو زيد، عن يحيى بن زياد الفراء: إنما سمى رجب لأنهم كانوا يرجبون الأعذاق فى هذا الشهر على النخل، ويشدونها بالخوص إلى السعف لئلا تنفضها الرياح، يقال منه: رجبت النخلة ترجيبًا: إذا فعلت بها ذلك.

وقال آخرون: الترجيب: أن يوضع الشوك على الأعذاق حفظًا لها من تناول أيدى المستطعمين والتحرز من تناثر التمر على الأرض.

وقال آخرون: الترجيب: أن تدعم النخلة إذا مالت بدعامة لئلا تسقط وتخرّ.

وقال آخرون: هو مأخوذ من قول العرب: رجبت الشىء: أى هبته ورهبته.

وقال آخرون: الترجيب: التأهب والاستعداد، لقول النبى ﷺ: «إنه ليرجب فيه خير كثير لشعبان».

وقال آخرون: الترجيب: تكرر ذكر الله تعالى وتعظيمه، لأن الملائكة يرجبون أصواتهم فيه بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل.

ويقال: شهر رجم بالميم أيضًا، فيكون معناه: ترجم فيه الشياطين حتى لا يؤذوا فيه المؤمنين.

فرجب ثلاثة أحرف، راء وجيم وباء.

فالراء: رحمة الله عز وجل، والجيم: جود الله تعالى، والباء: بر الله عز وجل، فمن أول هذا الشهر إلى آخره منّ الله عز وجل ثلاث عطايا للعباد، رحمة بلا عذاب، وجود بلا بخل، وبر بلا جفاء.

(فصل) ولرجب أسماء أخر:

منها أنه سمى رجب مضر، ومنصل الأسنّة، وشهر الله الأصم، وشهر الله الأصب، والشهر المطهر، والشهر السابق، والشهر الفرد.

أما قولهم: رجب مضر، فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال فى بعض خطبه: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد وهو رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان»(١).

وإنما عرف موضعه بقوله: بين جمادى وشعبان، إبطالاً للنسىء الذى كانت العرب تفعله فى الجاهلية، وهو قوله عز وجل: ﴿**إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا**﴾ [التوبة:٣٧] وذلك أن العرب فى الجاهلية كانت إذا أرادت الصدر من منى قام رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة، وكان رئيس القوم، فيقول: أنا الذى أجاب ولا أعاب ولا يرد لى قضاء، فيقولون له: صدقت، أنسئنا شهرًا، يريدون: أخّر عنا حرمة المحرم واجعلها فى صفر، وأحل لنا المحرم.

وإنما دعاهم إلى ذلك لئلا تتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها، وقد كان معاشهم من الإغارة، فيفعل ذلك عامًا، ثم يرجع إلى تحريم المحرم، وإباحة صفر، فذلك الإنساء» ومنه قيل: نسأ الله فى أجله، وأنسأ الله أجله.

---

(١) البخارى ٦/ ٨٣، ٧/ ١٢٩، ومسلم فى: القسامة (٢٩)، وأحمد ٥/ ٣٧، وأبو داود (١٩٤٧)، والبيهقى ٥/ ١٦٦.

فوصف النبى ﷺ رجب بصفتين وقيده بنعتين:

أحدهما قوله: «رجب مضر» لأن مضر كانت تبالغ فى تعظيمه وتكبيره وتحريمه.

الثانى: أنه قيده بقوله بين جمادى وشعبان خوفًا من التقديم والتأخير كما جرى فى تحريم المحرم إلى صفر، فخص الشهر وقيده، وأيّد تحريمه وأكده.

وقيل: إنما سمى رجب مضر، لأن بعض الكفار دعا على قبيلة من القبائل فيه فأهلكهم الله عز جل.

وقيل: إن الدعاء فيه مستجاب على الظلمة، وكل جائر، ولهذا كانت الجاهلية يؤخرون دعواتهم على من ظلمهم، فيدعون عليه فى رجب فلا يرد خائبًا.

وأما منصل الأسنة، فلأنهم كانوا ينزعون الأسنة فيه عن الرماح، ويغمدون سيوفهم وسهامهم تهيئًا له وتعظيمًا، فسمى بذلك منصل الأسنة، ويقال نصلت السهم: إذا جعلت له نصلاً، وأنصلته: إذا نزعت عنه نصله.

وأما شهر الله الأصم، فلما روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه لما استهل رجب رقى المنبر يوم الجمعة وخطب ثم قال: ألا إن هذا شهر الله الأصم، وهو شهر زكاتكم، فمن كان عليه دين فليؤد دينه، ثم ليزك ما بقى.

قال ابن الأنبارى: أما قوله الأصم، فإنما سمى بذلك لأن العرب كانت تظل تحارب بعضها بعضًا، فإذا أهلّ رجب وضعوا السلاح ونزعوا الأسنة، فلا تسمع فيه قعقعة السلاح، ولا صلصلة الرماح، وكان الرجل إذا ركب فى طلب قاتل أبيه فإذا رآه فى رجب لم يتعرض له، كأنه لم يره ولم يسمع له خبرًا، فسمى أصم لذلك.

وقيل: سمى أصم لأنه لم يسمع فيه غضب الله تعالى على قوم قط، لأن الله تعالى عذب الأمم الماضية فى سائر الشهور، ولم يعذب أمة من الأمم فى هذا الشهر.

وفى هذا الشهر حمل الله نوحًا فى السفينة، فجرت به ومن معه فى السفينة ستة أشهر.

قال إبراهيم النخعى: إن رجب شهر الله تعالى، فيه حمل الله نوحًا فى السفينة، فصامه نوح عليه السلام وأمر بصيامه من كان معه، فأمنه الله تعالى، ومن كان معه من الطوفان، وطهر الأرض من الشرك والعدوان.

ورفع ذلك غيره إلى النبى ﷺ وهو ما أخبرنا به هبة الله بإسناده عن أبى حازم، عن

سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا إن رجب من الأشهر الحرم، وفيه حمل الله نوحًا فى السفينة، فصامه نوح فى السفينة، وأمر من كان معه بصيامه، فأنجاهم الله تعالى وأمنهم من الغرق، وطهر الله الأرض من الكفر والطغيان بالطوفان».

وقيل: إنه سمى أصم لأنه أصم عن جفائك وزلتك وسميع بفضلك يا مؤمن وشرفك، فجعله الله تعالى أصم من جفائك وزلتك، لئلا يشهد عليك بها يوم القيامة، بل يكون شهيدًا لك لما سمع من فضلك وإحسان العمل فيه.

وأما الأصب فمعناه، أنه تصب الرحمة فيه صبًا على العباد، ويعطيهم الله تعالى من الكرامات والمثوبات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

من ذلك ما أخبرنا الشيخ هبة الله بن المبارك السقطى رحمه الله بإسناده عن إبراهيم، عن علقمة، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ [التوبة: ٣٦].

فرجب يقال له شهر الله الأصم، وثلاث أخر متواليات، يعنى: ذا القعدة وذا الحجة والمحرم، ألا إن رجب شهر الله، وشعبان شهرى، ورمضان شهر أمتى.

فمن صام من رجب يومًا إيمانًا واحتسابًا استوجب رضوان الله الأكبر، وأسكن الفردوس الأعلى، ومن صام منه يومين فله من الأجر ضعفان، وزن كل ضعف مثل جبال الدنيا، ومن صام من رجب ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار خندقًا طوله مسيرة سنة، ومن صام من رجب أربعة أيام عوفى من البلايا ومن الجنون والجذام والبرص ومن فتنة المسيح الدجال، ومن صام منه خمسة أيام وقى من عذاب القبر، ومن صام منه ستة أيام خرج من قبره ووجهه أضوأ من القمر فى ليلة البدر، ومن صام منه سبعة أيام فإن لجهنم سبعة أبواب، يغلق الله عنه بصوم كل يوم من أيامه بابًا من أبوابها، ومن صام منه ثمانية أيام فإن للجنة ثمانية أبواب، يفتح الله له بصوم كل يوم بابًا من أبوابها، ومن صام منه تسعة أيام خرج من قبره وهو ينادى: أشهد أن لا إله إلا الله ولا يرد وجهه دون الجنة، ومن صام منه عشرة أيام جعل الله تعالى له على كل ميل من الصراط فراشًا يستريح عليه، ومن صام منه إحدى عشر يومًا لم ير فى القيامة أفضل منه، إلا من صام مثله أو زاد عليه، ومن صام من رجب اثنى عشر يومًا كساه الله تعالى يوم القيامة

حلتين، الحلة الواحدة خير من الدنيا وما فيها، ومن صام من رجب ثلاثة عشر يومًا يوضع له يوم القيامة مائدة فى ظل العرش فيأكل عليها والناس فى شدة شديدة، ومن صام من رجب أربعة عشر يومًا أعطاه الله عز وجل ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ومن صام منه خمسة عشر يومًا يوقفه الله تعالى يوم القيامة موقف الآمنين، ولا يمر به ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا قال له: طوبى لك إنك من الآمنين».

وفى لفظ آخر: زيادة على خمسة عشر، وهى: «من صام منه ستة عشر يومًا كان فى أوائل من يزور الرحمن وينظر إليه ويسمع كلامه، ومن صام منه سبعة عشر يومًا ينصب الله له على كل ميل من الصراط مستراحًا يستريح عليه، ومن صام منه ثمانية عشر يومًا زاحم إبراهيم الخليل عليه السلام فى قبته، ومن صام منه تسعة عشر يومًا بنى الله له قصرًا فى الجنة تجاه قصر إبراهيم وآدم عليهما السلام، ويسلم عليهما ويسلمان عليه، ومن صام منه عشرين يومًا، نادى مناد من السماء: يا عبد الله أما ما قد مضى فقد غفره الله لك، فاستأنف العمل فيما بقى»(١).

وأما المطهر فلأنه يطهر صائمه من الذنوب والخطيئات، فمن ذلك ما أخبرنا به الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك السقطى رحمه الله عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرى بإسناده عن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن شهر رجب شهر عظيم من صام منه يومًا كتب الله تعالى له صوم ألف سنة، ومن صام منه يومين كتب الله له صوم ألفى سنة، ومن صام منه ثلاثة أيام كتب الله تعالى له صوم ثلاثة آلاف سنة، ومن صام منه سبعة أيام أغلقت عنه سبعة أبواب جهنم، ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، ومن صام منه خمسة عشر يومًا بدلت سيئاته حسنات، ونادى مناد من السماء: قد غفر لك، فاستأنف العمل، ومن زاد زاده الله تعالى»(٢).

وأخبرنا الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك بإسناده عن يونس، عن الحسن رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام يومًا من رجب عدل له بصيام سنتين، ومن

---

(١) تبيين العجب (٣٦).

(٢) الموضوعات ٢/٢٠٧، والفوائد المجموعة (١٠١).

صام النصف من رجب عدل له بصيام ثلاثين سنة».

وأخبرنا الشيخ الإمام هبة الله، عن الحسن بن أحمد بن عبد الله المقرى بإسناده عن العلاء بن كثير، عن مكحول رحمه الله قال: إن رجلاً سأل أبا الدرداء رضى الله عنه عن صيام رجب، فقال له: سألت عن شهر كانت الجاهلية تعظمه فى جاهليتها، وما زاده الإسلام إلا فضلاً وتعظيمًا، ومن صام منه يومًا تطوعًا يحتسب به ثواب الله تعالى، ويبتغى به وجهه مخلصًا، أطفأ صومه ذلك اليوم غضب الله تعالى، وأغلق عنه بابًا من أبواب النار، ولو أعطى ملء الأرض ذهبًا ما كان جزاء له، ولا يستكمل أجر شيء من الدنيا دون يوم الحساب وله إذا أمسى عشر دعوات مستجابات، فإن دعا به لشيء من عاجل الدنيا أعطيه، وإلا ادخر له من الخير كأفضل ما دعا به داع من أولياء الله تعالى وأصفيائه.

ومن صام يومين كان له مثل ذلك، وله مع ذلك أجر عشرة من الصدّيقين فى عمرهم، بالغة أعمارهم ما بلغت، ويشفع فى مثل ما يشفعون فيه، ويكون فى زمرتهم حتى يدخل الجنة معهم، ويكون من رفقائهم.

ومن صام ثلاثة أيام، كان له مثل ذلك، وقال الله تعالى عند إفطاره: لقد وجب حق عبدى هذا ووجبت له محبتى وولايتى، أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت له من ذنبه ما تقدم وما تأخر.

ومن صام أربعة أيام كان له مثل ذلك، وثواب أولى الألباب التوابين، ويعطى كتابه فى أوائل الفائزين.

ومن صام خمسة أيام كان له مثل ذلك، ويبعث يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر، ويكتب له عدد رمل عالج حسنات، ويدخل الجنة، ويقال له: تمن على الله ما شئت.

ومن صام ستة أيام كان له مثل ذلك، ويعطى سوى ذلك نورًا يستضىء به أهل الجمع فى القيامة، ويبعث فى الآمنين حتى يمر على الصراط بغير حساب، ويعافى من عقوق الوالدين وقطيعة الرحم ويقبل الله عليه بوجهه إذا لقيه يوم القيامة.

ومن صام سبعة أيام كان له مثل ذلك، ويغلق عنه سبعة أبواب النار، ويحرمه الله على النار، ويوجب له الجنة يتبوأ منها حيث يشاء.

ومن صام ثمانية أيام كان له مثل ذلك، وفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أى باب شاء.

ومن صام تسعة أيام كان له مثل ذلك، ويرفع كتابه فى عليين، ويبعث يوم القيامة فى الآمنين ويخرج من قبره، ووجهه نور يتلألأ، ويشرق لأهل الجمع حتى يقولوا هذا نبى مصطفى، وإن أدنى ما يعطى أن يدخل الجنة بغير حساب.

ومن صام عشرة أيام فبخ فبخ فبخ له، فيعطى مثل ذلك وعشرة أضعافه، وهو ممن يبدل الله سيئاته حسنات، ويكون من المقربين القوامين لله بالقسط، وكان كمن عبد الله ألف عام صائمًا قائمًا صابرًا محتسبًا.

ومن صام عشرين يومًا كان له مثل ذلك وعشرون ضعفًا، وهو ممن يزاحم إبراهيم خليل الله عليه السلام فى قبته، ويشفع فى مثل ربيعة ومضر، كلهم من أهل الخطايا والذنوب.

ومن صام ثلاثين يومًا كان له مثل ذلك وثلاثون ضعفًا، وينادى مناد من السماء أبشر يا ولى الله بالكرامة العظمى، قال: وما الكرامة العظمى؟ قال: النظر إلى وجه الله تعالى الجميل، ومرافقة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا، طوبى لك غدًا إذا كشف الغطاء، وأفضيت إلى جسيم ثواب ربك الكريم، فإذا نزل به ملك الموت سقاه الله تعالى عند خروج نفسه شربة من حياض الفردوس، ويهون عليه سكرات الموت حتى ما يجد ألم الموت، ويظل فى قبره ريان، ويظل فى الموقف ريان حتى يرد حوض النبى ﷺ، وإذا خرج من قبره شيعه سبعون ألف ملك، معهم النجائب من الدر والياقوت، ومعهم طرائف الحلى والحلل، فيقولون له: يا ولى الله، النجاء النجاء إلى ربك عز وجل الذى أظمأت له نهارك، وأنحلت له جسمك، فهو من أول الناس دخولاً جنات عدن يوم القيامة مع الفائزين، رضى الله عنهم ورضوا عنه، وذلك هو الفوز العظيم.

قال: وإن كان له فى كل يوم يصومه صدقة على زنة قوته، تصدق بها، فهيهات هيهات هيهات ثلاثًا، لو اجتمع جميع الخلائق على أن يقدروا قدر ما أعطى ذلك العبد من الثواب ما بلغوا معشار العشر مما أعطى الله ذلك العبد من الثواب».

وعن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: من فرج عن مؤمن

كربة فى شهر رجب، وهو شهر الله الأصم، أعطاه الله تعالى فى الفردوس قصرًا مد بصره ألا فأكرموا رجب يكرمكم الله عز وجل بألف كرامة[١].

وعن عقبة عن سلامة بن قيس يرفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: «من تصدق فى رجب باعده الله من النار كمقدار غراب طار فرخًا من وكره فى الهواء، حتى مات هرمًا» وقيل الغراب يعيش خمسمائة عام.

وأما السابق، فلأنه أول الأشهر الحرم.

وأما الفرد، فلأنه مفرد عن إخوانه، كما روى ثور بن يزيد، قال: قال رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فى خطبته: «ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، وواحد فرد: رجب مضر الذى بين جمادى وشعبان»[٢].

(فصل آخر):

عن عكرمة، عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «رجب شهر الله، وشعبان شهرى، ورمضان شهر أمتى»[٣].

وعن موسى بن عمران قال: سمعت أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فى الجنة نهرًا يقال له رجب، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، من صام يومًا من رجب سقاه الله من ذلك النهر»[٤].

وعن أنس بن مالك أنه قال: «إن فى الجنة قصرًا لا يدخله إلا صوَّام رجب».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: «لم يصم رسول الله ﷺ شهرًا بعد رمضان إلا رجب وشعبان».

وعن أنس رضى الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «من صام ثلاثة أيام من الشهر الحرام الخميس والجمعة والسبت، كتب الله له عبادة تسعمائة سنة»[٥].

---

(١) تبيين العجب (٤١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الموضوعات ٢/ ١٢٤، والإتحاف ٣/ ٤٢٢، وكشف الخفاء ١/ ٥١٠.

(٤) بنحوه: الإتحاف ١٠/ ٥٣٣، والكنز (٢٤٢٦٠)، والمتناهيه ٢/ ٦٥.

(٥) الإتحاف ٤/ ٢٥٦، والمجمع ٣/ ١٩١، والكنز (٢٤٢٣٧).

وقيل: رجب لترك الجفاء، وشعبان للعمل والوفاء، ورمضان للصدق والصفاء.

رجب شهر التوبة، شعبان شهر المحبة، رمضان شهر القربة.

رجب شهر الحرمة، شعبان شهر الخدمة، رمضان شهر النعمة.

رجب شهر العبادة، شعبان شهر الزهادة، رمضان شهر الزيادة.

رجب شهر يضاعف الله فيه الحسنات، شعبان شهر تكفّر فيه السيئات، رمضان شهر تنتظر فيه الكرامات.

رجب شهر السابقين، شعبان شهر المقتصدين، رمضان شهر العاصين.

وقال ذو النون المصرى رحمه الله: رجب لترك الآفات، وشعبان لاستعمال الطاعات، ورمضان لانتظار الكرامات، فمن لم يترك الآفات، ولم يستعمل الطاعات، ولم ينتظر الكرامات، فهو من أهل الترهات.

وقال أيضًا رحمه الله: رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقى، ورمضان شهر الحصاد، وكل يحصد ما زرع، ويجزى ما صنع، ومن ضيع الزراعة ندم يوم حصاده، وأخلف ظنه مع سوء معاده.

وقال بعض الصالحين: السنة شجرة، رجب أيام إيراقها، وشعبان أيام إثمارها، ورمضان أيام قطافها.

وقيل: خص رجب بالمغفرة من الله تعالى، وشعبان بالشفاعة، ورمضان بتضعيف الحسنات، وليلة القدر بإنزال الرحمة، ويوم عرفة بإكمال الدين، كما قال الله تعالى: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ [المائدة:٣]، ويوم الجمعة بإجابة أدعية الداعين، ويوم العيد بالعتق من النار، وفكاك رقاب المؤمنين.

وروى زياد المازنى، عن الحسين بن على رضى الله عنهما أنه قال: صوم رجب وشعبان توبة من الله عز وجل.

وروى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صام يومًا من رجب، فكأنما صام ألف سنة، وكأنما اعتق ألف رقبة، ومن تصدق فيه بصدقة، فكأنما تصدق بألف دينار، وكتب الله له بكل شعرة على بدنه ألف حسنة، ورفعه ألف درجة، ومحا عنه ألف سيئة، وكتب له بكل يوم يصومه وبكل صدقة يتصدق بها ألف حجة وألف عمرة، وبنى له فى الجنة ألف دار وألف قصر وألف

حجرة، فى كل حجـرة ألف مقصورة، وفى كل مقصـورة ألف حور، كل حور أحسن من الشمس ألف مرة».

(فصل: فى فضل صيام أول يوم من رجب، وقيام أول ليلة منه)

أخبرنا الإمام الشيخ هبة الله السقطى رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قـال: «كـان رسـول الله ﷺ إذا دخل رجب، قـال: اللهم بـارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان كما بلغتنا رجب»(١).

وأخبرنا الشيخ الإمام هبة الله السـقطى بإسناده عن ميمون بن مهران بإسناده عن أبى ذر رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قـال: «من صام أول يوم من رجـب عدل صـيام شهـر، ومن صام سبـعة أيام أغلقت عنه أبواب جـهنم السبعـة، ومن صام ثمـانية أيام فتحت له أبواب الجنة الثمانية، ومن صام منه عشرة أيام، بدل الله سيئاته حسنات، ومن صام منه ثمانية عشر يومًا نادى منادى من السماء: قد غفر لك فاستأنف العمل»(٢).

وأخبرنا الشيخ الإمام هبة الله بإسناده عن سلامة بن قيس يرفعه إلى النبى ﷺ: «من صام أول يوم مـن رجب تباعدت عنـه ذنوبه بقدر مـا بين السماء والأرض وذكـر باقى الحديث».

وعن أنس بن مالك يرفعه «من صـام أول يوم من رجب كفّر الله عنه ذنوب سنتين، ومن صام خمسة عشر يومًا حاسـبه الله حسابًا يسيرًا، ومن صام ثلاثين يومًا من رجب كتب الله له رضوانه ولم يعذبه».

وروى أن عمـر بن عبـد العزيز رحـمه الله كـتب إلى الحجـاج بن أرطأة وهو على البصرة وقيل: إلى عدى بن أرطأة: عليك بأربع ليال فى السنة فإن الله تعالى يفرغ فيهن الرحـمة إفـراغًا، وهى أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شـعـبان، وليلة السـابع والعشرين من رجب، وليلة الفطر.

وعن خالد بن مـعدان رحمـه الله أنه قال: خمس ليال فى الـسنة من واظب عليهن رجاء ثوابهن، وتصديقًا بوعدهن، أدخله الله تعالى الجنة: أول ليلة من رجب يقوم ليلها

---

(١) أحمد ١/ ٢٥٩، والدر المنثور ١/ ١٨٣، والكنز (١٨٠٤٩)، والمجمع ٢/ ١٦٥.
(٢) الكنز (٢٤٢٦٢)، وأصفهان ٢/ ٣٧، واللآلىء المصنوعة ٢/ ٦٥.

ويصوم نهارها، وليلتى العيدين يقوم ليلهما ويفطر نهارهما وليلة النصف من شعبان يقوم ليلها ويصوم نهارها، وليلة عاشوراء يقوم ليلها ويصوم نهارها.

(فصل) وقد جمع بعض العلماء رحمهم الله الليالى التى يستحب إحياؤها فقال:

إنها أربع عشرة ليلة فى السنة، وهى أول ليلة من شهر المحرم، وليلة عاشوراء، وأول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف منه، وليلة سبع وعشرين منه، وليلة النصف من شعبان، وليلة عرفة، وليلتا العيدين، وخمس ليال منها فى شهر رمضان وهى وتر ليالى العشر الأواخر.

وكذلك يستحب مواصلة سبعة عشر يومًا بالأوراد والمواظبة على العبادة فيها، وهى:

يوم عرفة، ويوم عاشوراء، ويوم النصف من شعبان، ويوم الجمعة، ويوما العيدين، والأيام المعلومات وهى عشر ذى حجة، والأيام المعدودات وهى أيام التشريق، وآكدها يوم الجمعة وشهر رمضان، لما روى أنس رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سلم يوم الجمعة سلمت الأيام وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة»[1].

ثم آكد الأيام وأفضلها بعد ذلك يوم الإثنين والخميس، وهما يومان ترفع فيهما الأعمال إلى الله عز وجل.

(فصل: فى الأدعية المأثورة فى أول ليلة من رجب)

ويستحب أن يدعو فى أول ليلة من رجب إذا فرغ من صلاته بهذا الدعاء وهو أن يقول: إلهى تعرّض لك فى هذه الليلة المتعرّضون، وقصدك القاصدون، وأمل فضلك ومعروفك الطالبون، ولك فى هذه الليلة نفحات وجوائز وعطايا ومواهب، تمنّ بها على من تشاء من عبادك، وتمنعها ممن لم تسبق له العناية منك، وها أنا عبدك الفقير إليك، المؤمل فضلك ومعروفك، فإن كنت يا مولاى تفضلت فى هذه الليلة على أحد من خلقك وجدت عليه بعائدة من عطفك، فصل على محمد وآله، وجد علىّ بطولك ومعروفك يا رب العالمين.

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يفرغ نفسه للعبادة فى أربع ليال فى السنة وهى: أول ليلة من رجب، وليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة النصف من شعبان.

(١) الإتحاف ٥/ ٢٠٧.

وكان من دعائه فيها: اللهم صل على محمد وآله مصابيح الحكمة وموالى النعمة ومعادن العصمة، واعصمنى بهم من كل سوء، ولا تأخذنى على غرة ولا على غفلة، ولا تجعل عواقب أمرى حسرة وندامة، وارض عنى، فإن مغفرتك للظالمين وأنا من الظالمين، اللهم اغفر لى ما لا يضرك، واعطنى ما لا ينفعك، فإنك الواسعة رحمته، البديعة حكمته، فاعطنى السعة والدعة والأمن والصحة والشكر والمعافاة والتقوى والصبر والصدق عليك وعلى أوليائك، واعطنى اليسر مع العسر، واعمم بذلك أهلى وولدى وإخوانى فيك، ومن ولدنى من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

(فصل: فى الصلاة الواردة فى شهر رجب)

أخبرنا الشيخ الإمام هبة الله بن المبارك السقطى حدثنا محمد بن أحمد المحاملى، حدثنا على بن محمد المعدل بن إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا سعدان بن نصر بن منصوراً البزار، أخبرنا سفيان بن عيينة عن الأعمش عن طارق بن شهاب عن سلمان رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال وقد استهل رجب: «يا سلمان ما من مؤمن ولا مؤمنة يصلى فى هذا الشهر ثلاثين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب و ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ ثلاث مرات، و ﴿**قل يا أيها الكافرون...**﴾ ثلاث مرات، إلا محا الله عنه ذنوبه، وأعطى من الأجر كمن صام الشهر كله، وكان من المصلين إلى السنة المقبلة، ورفع له كل يوم عمل شهيد من شهداء بدر، وكتب له بصيام كل يوم عبادة سنة، ورفع له ألف درجة، فإن صام الشهر كله وصلى هذه الصلاة أنجاه الله من النار وأوجب له الجنة، وكان فى جوار الله سبحانه، أخبرنى بذلك جبريل عليه السلام وقال: يا محمد هذه علامة بينكم وبين المشركين والمنافقين، لأن المنافقين لا يصلون ذلك.

قال سلمان رضى الله عنه: قلت: يا رسول الله، أخبرنى كيف أصليها ومتى أصليها.

قال: يا سلمان تصلى فى أوله عشر ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة، و ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ ثلاث مرات، و ﴿**قل يا أيها الكافرون...**﴾ ثلاث مرات، فإذا سلمت رفعت يديك وقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، ثم امسح بهما وجهك.

وصل فى وسط الشهر عشر ركعات اقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة ، و﴿قل هو الله أحد...﴾ ثلاث مرات، و ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ ثلاث مرات، فإذا سلمت فارفع يديك إلى السماء وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، إلهًا واحدًا أحدًا صمدًا فردًا وترًا، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، ثم امسح بهما على وجهك.

وصل فى آخر الشهر عشر ركعات اقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واحدة ، و﴿قل هو الله أحد...﴾ ثلاث مرات، و ﴿قل يا أيها الكافرون...﴾ ثلاث مرات، فإذا سلمت فارفع يديك إلى السماء وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وسل حاجتك يستجب لك دعاؤك، ويجعل الله بينك وبين جهنم سبعين خندقًا، كل خندق كما بين السماء والأرض، ويكتب لك بكل ركعة ألف ألف ركعة، ويكتب لك براءة من النار وجوازًا على الصراط».

قال سلمان رضى الله عنه: فلما فرغ النبى ﷺ من الحديث، خررت ساجدًا أبكى شكرًا لله تعالى لما سمعت من هذه الزيادة، وجدت فى كتاب العمل بالسنة، والله أعلم.

فصل

فى تأكيد الفضيلة فى صوم أول الخميس من رجب والصلاة فى أول ليلة الجمعة

أخبرنا الشيخ أبو البركات هبة الله السقطى، أخبرنا القاضى أبو الفضل جعفر بن يحيى بن الكمال المكى، أخبرنا أبو عبد الله بن الحسين بن عبد الكريم بن محمد بن محمد الجزرى بمكة فى المسجد الحرام، أخبرنا أبو الحسن على بن عبد الله بن جهضم الهمدانى، أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن سعيد السعدى البصرى، أخبرنا أبى، قال: أخبرنا خلف بن عبد الله الصغانى، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «رجب شهر الله، وشعبان شهرى، ورمضان شهر أمتى، قيل: يا رسول الله ما معنى قولك شهر الله؟ قال ﷺ: لأنه مخصوص بالمغفرة، وفيه تحقن الدماء، وفيه تاب الله تعالى على أنبيائه، وفيه أنقذ أولياءه من يد أعدائه، ومن صامه استوجب على الله ثلاثة أشياء: مغفرة لجميع ما سلف من ذنوبه، وعصمة فيما بقى من

عمره، وأما الثالث فيأمن العطش يوم العرض الأكبر، فقام شيخ ضعيف فقال: يا رسول الله إنى أعجز عن صيامه كله، فقال رسول الله ﷺ: صم أول يوم منه وأوسط يوم فيه، وآخر يوم منه، فإنك تعطى ثواب من صامه كله، فإن الحسنة بعشر أمثالها، ولكن لا تغفلوا عن أول ليلة جمعة فى رجب، فإنها ليلة تسميها الملائكة ليلة الرغائب، وذلك أنه إذا مضى ثلث الليل لا يبقى ملك فى جميع السموات والأرضين إلا ويجتمعون فى الكعبة وحواليها، فيطلع الله تعالى عليهم اطلاعة فيقول: ملائكتى سلونى ما شئتم، فيقولون: ربنا حاجتنا إليك أن تغفر لصوَّام رجب، فيقول الله تعالى: قد فعلت ذلك.

ثم قال رسول الله ﷺ: فما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس فى رجب، ثم يصلى فيما بين المغرب والعشاء العتمة - يعنى ليلة الجمعة - اثنتا عشرة ركعة، يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة و ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر...**﴾ ثلاث مرات، و ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ اثنتا عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى علىَّ سبعين مرة يقول: اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله وسلم، ثم يسجد سجدة يقول فى سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم، فإنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول فيها مثل ما قال فى السجدة الأولى، ثم يسأل الله حاجته فى سجوده، فإنها تقضى».

قال رسول الله ﷺ: «والذى نفسى بيده ما من عبد ولا أمة صلى هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال، وعدد قطر الأمطار ووزن الأشجار، وشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته، فإذا كان أول ليلة فى قبره جاءه ثواب هذه الصلاة بوجه طلق ولسان ذلق، فيقول له: يا حبيبى أبشر فقد نجوت من كل شدة، فيقول: من أنت؟ فوالله ما رأيت رجلاً أحسن وجهًا من وجهك، ولا سمعت كلامًا أحلى من كلامك، ولا شممت رائحة أحلى من رائحتك، فيقول له: يا حبيبى أنا ثواب تلك الصلاة التى صليتها فى ليلة كذا فى شهر كذا فى سنة كذا، جئت الليلة لأقضى حاجتك، وأؤنس وحدتك، وأدفع عنك وحشتك، فإذا نفخ فى الصور أظللتك فى عرصات القيامة على رأسك، فأبشر فلن تعدم الخير من مولاك أبدًا».

(فصل: فى فضل صيام يوم السابع والعشرين من رجب)

أخبرنا الشيخ أبو البركات هبة الله السقطى، قال: أخبرنا الشيخ الحافظ أبو بكر أحمد بن على ثابت بن الخطيب، قال: أخبرنا عبد الله بن على بن محمد بشير، قال: أخبرنا على بن عمر الحافظ، أخبرنا أبو بكر نصر بن جيشون بن موسى الخلال، أخبرنا على بن سعيد الديلمى، أخبرنا ضمرة بن ربيعة القرشى عن ابن شوذب عن مطر الوراق، عن شهر بن حوشب، عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من صام يوم السابع والعشرين من رجب كتب له ثواب صيام ستين شهراً، وهو أول يوم نزل فيه جبريل على النبى ﷺ بالرسالة»[1].

وأخبرنا هبة الله بإسناده عن الحسن البصرى رحمه الله قال: «كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما إذا كان يوم السابع والعشرين من رجب أصبح معتكفًا وظل مصليًا إلى وقت الظهر، فإذا صلى الظهر تنفل هنيهة، ثم صلى أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة ﴿**الحمد لله...**﴾ مرة، والمعوذتين مرة، و ﴿**إنا أنزلناه فى ليلة القدر...**﴾ ثلاثًا، و ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ خمسين مرة، ثم يخلد إلى الدعاء إلى وقت العصر ويقول: هكذا كان يصنع رسول الله ﷺ فى هذا اليوم».

وأخبرنا هبة الله بإسناده عن أبى سلمة، عن أبى هريرة وسلمان الفارسى رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن فى رجب يومًا وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان له من الأجر كمن صام مائة سنة وقامها» وهى لثلاث بقين من رجب، وهو اليوم الذى بعث فيه نبيّنا ﷺ.

(فصل: فى آداب الصيام، وما ينهى عنه من الآثام)

ينبغى للصائم أن يجرد صومه من الآثام ويتمه بتقوى الله عز وجل لما أخبرنا به الشيخ هبة الله، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد بن عبد الله الفقيه الحنبلى، قال: أخبرنا محمد بن أحمد الحافظ، قال: أخبرنا الحسين بن جعفر الواعظ، قال: أخبرنا أحمد بن عيسى بن السكن، قال: أخبرنا ابن إسحاق الملقب بالحسام قال: أخبرنا إسحاق بن رزين الراسنى، قال: أخبرنا إسماعيل بن يحيى، قال: أخبرنا مسعر بن كدام، عن

(١) الإتحاف ٥/٢٠٧، والمغنى عن حمل الأسفار ١/٣٦٧.

عطية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رجب من الشهور الحرام وأيامه مكتوبة على باب السماء السادسة، فإذا صام الرجل منه يومًا وجرد صومه بتقوى الله عز وجل نطق الباب ونطق اليوم وقالا: يا رب اغفر له، وإذا لم يتم صومه بتقوى الله تعالى لم يستغفر له وقالا له أو قيل له: خدعتك نفسك»(١).

وعن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائمًا فلا يجهل، فإن امرأ شاتمه أو قاتله فليقل إنى صائم»(٢).

وعن النبى ﷺ أنه قال: «من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يترك طعامه وشرابه»(٣).

وعن الحسن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصيام جنة من النار ما لم يخرقه، قيل: وما يخرقه ؟ قال: بكذبة أو بغيبة»(٤).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس الصيام من الأكل والشرب، ولكن الصيام من اللغو والرفث»(٥).

أخبرنا الشيخ أبو نصر محمد بن البناء، قال: أخبرنا والدى الشيخ أبو على بن الحسن ابن أحمد بن عبد الله بن البناء، قال: أخبرنا محمد الحافظ، قال: حدثنا عبد الله، قال: حدثنا جعفر بن محمد الحمال، قال: حدثنا سعيد بن عتبة، قال: أخبرنا بقية بن خلف، قال: حدثنا محمد بن الحجاج، عن خاقان، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خمس يفطران الصائم وينقضن الوضوء، الكذب، والنميمة، والغيبة، والنظر بشهوة، واليمين الكاذبة»(٦).

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس»(٧).

---

(١) تبيين العجب (٤٢).

(٢) شرح السنة ٦/ ٢٢٥، والموطأ (٣١٠)، وفتح البارى ٤/ ١٠٢.

(٣) الإتحاف ٣/ ٢٢، و ٤/ ٢٤٨.

(٤) النسائى فى الصيام: باب (٤٢)، والإتحاف ٤/ ١٩٥، والكنز (٢٣٥٦٦).

(٥) البيهقى ٤/ ٢٧٠، والكنز (٢٣٨٦٤)، والدر المنثور ١/ ٢٠١.

(٦) الإتحاف ٤/ ٢٤٥، والموضوعات ٢/ ١٩٦، واللآلىء ٢/ ٦٠.

(٧) ابن أبى شيبة ٣/ ٤، والقرطبى ١٦/ ٣٣٦، والدر المنثور ١/ ٢٠١.

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال: «من تأمل خلف امرأة من فوق ثيابها بطل صومه»[١].

وأخبرنا أبو نصر بإسناده عن سليمان بن موسى قال: قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك من الكذب والمحارم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

وقال النبى ﷺ: «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر»[٢].

وقال ﷺ: «اهتز لذلك العرش وغضب له الرب» عنى به ﷺ إذا لم يرد بالعمل وجه الله تعالى بل أريد به الخلق.

وقال ﷺ: «إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك، ومن أشرك معى شريكًا فى عمله فهو لشريكى دونى، إنى لا أقبل إلا ما أُخلص لى، يا ابن آدم أنا خير قيم فانظر عملك الذى عملت لغيرى فإنما جزاؤك على الذى عملت له»[٣].

وكان ﷺ يقول فى دعائه: «اللهم طهر لسانى من الكذب، وقلبى من النفاق، وعملى من الرياء، وبصرى من الخيانة-فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور»[٤].

فينبغى للصائم أن يتأدب ويحذر من الرياء ونظر الخلق وعلمهم فى صومه وجميع عباداته، لئلا يخسر الدنيا والآخرة.

وحدثنا الشيخ أبو نصر عن والده بإسناده عن أبى فراش أنه سمع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «صام نوح الدهر إلا يومين الفطر والأضحى، وصام داود نصف الدهر، وصام إبراهيم ثلاثة أيام من كل شهر، صام الدهر وأفطر الدهر»[٥].

وأخبرنا الشيخ أبو نصر ، عن والده بإسناده عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن

---

(١) الموضوعات ٢/ ١٩٥.

(٢) ابن ماجه (١٦٩٠)، والترغيب ٢/ ١٨٤، وكشف الخفاء ١/ ٥١٣.

(٣) الإتحاف ٨/ ٢٦٣ و ١٠/ ٦٣، وابن عساكر ٧/ ٧.

(٤) الإتحاف ٧/ ٥١٤، والخطيب ٥/ ٢٦٨، والمشكاة (٢٥٠١).

(٥) ابن ماجه ١٧١٤، والكنز (٢٣٩١٦).

عبد الله رضى الله عنهما «أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ من أهل البادية فقال: يا رسول الله أخبرنى عن صومك، فغضب النبى ﷺ حتى احمرت وجنتاه، فلما رأى ذلك عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أقبل على الرجل فزجره وانتهره حتى أسكته، فلما سرى عن النبى ﷺ قال عمر رضى الله عنه: يا نبى الله جعلنى الله فداءك أخبرنى عن رجل يصوم الدهر كله؟ قال: لا صام ذلك ولا أفطر، أو صام ذلك ولا أفطر، فقال: يا نبى الله أخبرنى عن رجل يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؟ قال ﷺ: ذلك صوم الدهر كله، فقال: يا نبى الله أخبرنى عن رجل يصوم الإثنين والخميس؟ قال ﷺ: أما الخميس فيوم ترفع فيه الأعمال، وأما الإثنين فهو اليوم الذى ولدت فيه وأُنزل على فيه الوحى»[1].

(فصل) فإذا جاء وقت الإفطار فليقل عند إفطاره: «بسم الله، اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، سبحانك وبحمدك، اللهم تقبل منا إنك أنت السميع العليم».

وكان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول عند فطره: «اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى».

وعن أبى العالية رحمه الله قال: من قال عند إفطاره: الحمد لله الذى علا فقهر، والحمد لله الذى نظر فخبر، والحمد لله الذى ملك فقدر، والحمد لله الذى يحيى الموتى، فقد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وعن مصعب بن سعيد، عن عبد الله بن الزبير عن سعيد بن مالك رضى الله عنهم قال: «إن النبى ﷺ كان إذا أفطر عند غيره قال: أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة»[2].

(فصل) اعلم أن شهر رجب تستجاب فيه الدعوة، وتقال فيه العثرة، وتضاعف على من اجترم فيه العقوبة.

من ذلك ما أخبرنا هبة الله قال: أخبرنا القاضى هناد بن إبراهيم النسفى، قال: أخبرنا عبد القاهر بن عمر الجزرى بها، قال: أخبرنا هبة الله، قال: أخبرنا محمد بن الفرحان قال: أنبأنا أحمد بن الحسين بن سعيد الأنبارى، قال: أنبأنا محمد بن إبراهيم ابن يعقوب، قال: أنبأنا إبراهيم بن فراش، عن عمرو بن سمرة، عن موسى بن

---

(١) مجمع الزوائد ٣/١٥٦، وتلخيص الحبير ٢/٢٠٢.

(٢) أبو داود (٣٨٥٤)، وابن ماجه (١٧٤٧)، وأحمد ٣/١١٨.

العباس، عن الأصبغ، عن نباتة عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما قال: بينما نحن فى الطواف إذ سمعنا صوتًا وهو يقول شعرًا:

يا من يجيب دعاء المضطر فى الظلم   يا كاشف الكرب والبلوى مع السقم
قد بات وفدك حول البيت والحرم   ونحن ندعو وعين الله لم تنم
هب لى بجودك ما أخطأت من جرم   يا من أشار إليه الخلق بالكرم
إن كان عفوك لم يسبق لمجترم   فمن يجود على العاصين بالنعم

قال الحسين بن على رضى الله عنهما: قال لى أبى على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا حسين أما تسمع النادب ذنبه والمعاتب ربه، امض فعساك تدركه وناده، قال الحسين رضى الله عنه: فأسرعت حتى أدركته، وإذا أنا برجل جميل الوجه نقى البدن نظيف الثياب طيب الريح، إلا أنه قد شل جانبه الأيمن، فقلت: أجب أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه، فقام يجر شقه حتى وقف على أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فقال له: من أنت وما شأنك؟ قال: يا أمير المؤمنين ما شأن من أخذ بالعقوبة ومنع الحقوق؟ قال: وما اسمك؟ قال: منازل بن لاحق، قال: فما قصتك؟ قال: كنت مشهورًا فى العرب باللهو والطرب، أركض فى صبوتى ولا أفيق من غفلتى، إن تبت لم تقبل توبتى، وإن استقلت لم تقبل عثرتى، أديم العصيان فى رجب وشعبان، وكان لى والد شفيق رفيق، يحذرنى مصارع الجهالة وشقوة المعصية يقول لى: يا بنى لله سطوات ونقمات، فلا تتعرض لمن يعاقب بالنار، فكم قد ضج منك الظلام، والملائكة الكرام والشهر الحرام والليالى والأيام، وكان إذا ألح على بالعتب ألححت عليه بالضرب، فأبلغت إليه يومًا فقال: والله لأصومن ولا أفطر، ولأصلين ولا أنام فصام أسبوعًا ثم ركب جملاً أورق وأتى مكة يوم الحج الأكبر وقال: لأفدن إلى بيت الله الحرام ولأستعدين عليك الله، قال: فقدم مكة يوم الحج الأكبر، فتعلق بأستار الكعبة ودعا علىّ وقال:

يا من إليه أتى الحجاج من بعد   يرجون لطف عزيز واحد صمد
هذا منازل لا يرتد عن عققى   فخذ بحقى يا رحمان من ولدى
وشل منه بجود منك جانبه   يا من تقدس لم يولد ولم يلد

قال: فوالذى رفع السماء وأنبع الماء ما استتم كلامه حتى شل جانبى الأيمن،

فظللت كالخشبة الملقاة بأرجاء الحرم، وكان الناس يغدون ويروحون عليَّ ويقولون: هذا أجاب الله فيه دعوة أبيه.

فقال له رضى الله عنه: فما فعل أبوك؟ قال: يا أمير المؤمنين سألته أن يدعو الله لى فى المواضع التى دعا على فيها بعد أن رضى عنى، فأجابنى، فحملته على ناقة وجدت فى السير حتى وصلنا إلى واد هناك يقال له واد الأراك، فنفر طائر من شجرة، فنفرت الناقة فوقع منها ومات فى الطريق.

فقال على رضى الله عنه: ألا أعلمك دعوات سمعتها من رسول الله ﷺ وقال: ما دعا بها مهموم إلا فرج الله تعالى عنه همه، ولا مكروب إلا فرج الله تعالى عنه كربه، فقال: نعم.

فقال الحسين بن على رضى الله عنهما: فعلمه الدعاء، فدعا به وخلص من مرضه وغدا علينا صحيحًا سالمًا، فقلت للرجل: كيف عملت؟

قال: لما هدأت العيون دعوت به مرة وثانية وثالثة، فنوديت: حسبك الله فقد دعوت الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ثم حملتنى عينى فنمت، فرأيت رسول الله ﷺ فى منامى، فعرضتها عليه فقال ﷺ: صدق علىّ ابن عمى، فيها اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ثم حملتنى عينى مرة ثانية فرأيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله أريد أن أسمع الدعاء منك، فقال ﷺ: قل اللهم إنى أسألك يا عالم الخفية، ويا من السماء بقدرته مبنية، ويا من الأرض بعزته مدحية، ويا من الشمس والقمر بنور جلاله مشرقة ومضية، ويا مقبلاً على كل نفس مؤمنة زكية، ويا مسكن رعب الخائفين وأهل التقية، يا من حوائج الخلق عنده مقضية، يا من نجى يوسف من رق العبودية، يا من ليس له بواب ينادى، ولا صاحب يغشى، ولا وزير يؤتى، ولا غيره رب يدعى، ولا يزداد على كثرة الحوائج إلا كرمًا وجودًا، وصلى الله على محمد وآله، وأعطنى سؤالى إنك على كل شىء قدير، قال: فانتبهت وقد برأت.

قال على رضى الله عنه: تمسكوا بهذا الدعاء، فإنه كنز من كنوز العرش، وقد نقل مثل ذلك فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره مما يطول شرحه.

وفى الجملة لا ينبغى لذى لب أن يستهين بالمعاصى والمظالم ودعاء المظلوم، فقد قال

النبى ﷺ: «الظلم ظلمات يوم القيامة»(١).

وقال ﷺ: «إن الله ليستحينّ إذا بسط العبد كفيه إليه بالدعاء أن يردهما صفرًا، فإما أن يعجل له فى الدنيا، وإما أن يؤخره له فى يوم القيامة»(٢).

وقد أنشد فى ذلك:

أتسمع بالدعاء فتزدريه تبين فيك ما صنع الدعاء
سهام الليل لا تخطى ولكن لها أمد وللأمد انقضاء

* * *

(١) البخارى ٣/١٦٩، والترمذى (٢٠٣٠)، وأحمد ٢/١٣٧.
(٢) بنحوه: أحمد ٥/٤٣٨.

مجلس
فى فضل شهر شعبان
وما ينزل فى ليلة النصف من المغفرة والرضوان

أخبرنا الشيخ أبو نصر محمد، عن و الده أبى على الحسين ، أخبرنا أبو الحسين على بن أحمد بن عمر بن حفص جعفر المقرى بإفتاء أبى الفتح الحافظ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى، أخبرنا إسحاق بن الحسن، أخبرنا عبد الله بن سلمة، أخبرنا مالك بن أنس ، عن أبى النضر ـ مولى عمر بن عبد الله ـ عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة زوج النبى ﷺ ورضى عنها أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته صام فى شهر أكثر من صيامه فى شعبان» وهو حديث صحيح أخرجه البخارى[1] عن عبد الله بن يوسف، عن مالك رحمه الله .

وأخبرنا أبو نصر عن محمد عن والده بإسناده عن هشام بن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان أحب صيامه فى شعبان، فقلت: يا رسول الله ما لى أرى صيامك فى شعبان؟ فقال ﷺ: يا عائشة إنه شهر ينسخ لملك الموت فيه اسم من يقبض روحه فى بقية العام فأنا أحب ألا ينسخ اسمى إلا وأنا صائم»[2].

وأخبرنا أبو نصر عن محمد عن والده بإسناده عن عطاء بن يسار، عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ يصوم فى شهر بعد رمضان أكثر من صيامه فى شعبان»[3].

وذلك أن كل من يموت فى تلك السنة ينسخ اسمه فى شعبان من الأحياء إلى الأموات، وإن الرجل ليسافر وقد نسخ اسمه فيمن يموت.

(١) فى الصوم: ب (٥٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) النسائى ٤/ ٢٠٠.

وحدثنا أبو نصر عن والده بإسناده عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال: «سئل النبى ﷺ عن أفضل الصيام قال: صيام شعبان تعظيمًا لرمضان»(١).

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن معاوية بن الصالح قال: إن عبد الله بن قيس حدثه أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول: «كان أحب الشهور إلى رسول الله ﷺ شعبان يصله برمضان».

وقال عبد الله رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «من صام آخر يوم إثنين من شعبان غفر له»(٢) يعنى آخر إثنين فيه، لا آخر يوم من الشهر، لأن استقبال الشهر باليوم واليومين فيه منهى عنه.

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما سمى شعبان لأنه ينشعب لرمضان فيه خير كثير، وإنما سمى رمضان لأنه يرمض الذنوب»(٣).

(فصل) قال الله تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص:٦٨].

فالله تعالى اختار من كل شيء أربعة، ثم اختار من الأربعة واحدًا.

اختار من الملائكة أربعة: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ثم اختار منهم جبريل.

واختار من الأنبياء عليهم السلام أربعة: إبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا ﷺ أجمعين، ثم اختار منهم محمدًا ﷺ.

واختار من الصحابة رضى الله عنهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا رضى الله عنهم، ثم اختار منهم أبا بكر رضى الله عنه.

ومن المساجد أربعة: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة المشرفة ومسجد طور سيناء، ثم اختار منها المسجد الحرام.

ومن الأيام أربعة: يوم الفطر ويوم الأضحى ويوم عرفة ويوم عاشوراء، ثم اختار منها يوم عرفة.

ومن الليالى أربعة: ليلة البراءة وليلة القدر وليلة الجمعة وليلة العيد، ثم اختار منها

---

(١) ابن أبى شيبة ٣/ ١٠٣، والكنز (٢٤٢٩٢)، والعلل المتناهية ٢/ ٦٥.
(٢) أمالى الشجرى ٢/ ١٠٢.
(٣) الكنز (٣٥١٧٣).

ليلة القدر.

ومن البقاع أربعة: مكة، والمدينة، وبيت المقدس، ومساجد العشائر، ثم اختار منها مكة.

ومن الجبال أربعة: أحدًا، وطور سيناء، ولكام، ولبنان، ثم اختار منها طور سيناء.

ومن الأنهار أربعة: جيحون، وسيحون، والفرات، والنيل، ثم اختار منها فراتًا.

واختار من الشهور أربعة: رجب وشعبان ورمضان والمحرم، واختار منها شعبان، وجعله شهر النبى ﷺ فكما أن النبى ﷺ أفضل الأنبياء كذلك شهره أفضل الشهور.

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «شعبان شهرى، ورجب شهر الله، ورمضان شهر أمتى، شعبان هو المكفّر، ورمضان هو المطهر»(١).

وقال ﷺ: «شعبان شهر بين رجب ورمضان يغفل الناس عنه، وفيه ترفع أعمال العباد إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»(٢).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: أن النبى ﷺ قال: «فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام، وفضل شعبان على سائر الشهور كفضلى على سائر الأنبياء، وفضل رمضان على سائر الشهور كفضل الله تعالى على سائر خلقه»(٣).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال: «كان أصحاب النبى ﷺ إذا نظروا إلى هلال شعبان أكبوا على المصاحف يقرؤونها، وأخرج المسلمون زكاة أموالهم ليتقوى بها الضعيف والمسكين على صيام شهر رمضان، ودعا الولاة أهل السجن، فمن كان عليه حد أقاموه عليه وإلا خلّوا سبيله، وانطلق التجار فقضوا ما عليهم وقبضوا ما لهم، حتى إذا نظروا إلى هلال رمضان اغتسلوا واعتكفوا».

(فصل) شعبان خمسة أحرف، شين وعين وباء وألف ونون، فالشين من الشرف، والعين من العلو، والباء من البر، والألف من الألفة، والنون من النور، فهذه العطايا

---

(١) تبيين العجب (٣٤).

(٢) الكنز (٣٥١٧١).

(٣) تنزيه الشريعة ٢/ ١٦٠، وتبيين العجب (٣٨).

من الله تعالى للعبد فى هذا الشهر.

وهو شهر تفتح فيه الخيرات، وتنزل فيه البركات، وتترك فيه الخطيئات، وتكفر فيه السيئات، وتكثر فيه الصلوات على محمد ﷺ خير البريات.

وهو شهر الصلاة على النبى المختار، قال الله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الشفاعة والاستغفار ومن المؤمنين الدعاء والثناء.

وقال مجاهد رحمه الله: الصلاة من الله التوفيق والعصمة، ومن الملائكة العون والنصرة، ومن المؤمنين الاتباع والحرمة.

وقال ابن عطاء: الصلاة على النبى ﷺ من الله تعالى الوصلة، ومن الملائكة الرقة، ومن المؤمنين المتابعة والمحبة.

وقال غيره: صلاة الرب تبارك وتعالى على نبيه ﷺ تعظيم الحرمة، وصلاة الملائكة عليه ﷺ إظهار الكرامة، وصلاة الأمة عليه ﷺ طلب الشفاعة، وقد قال ﷺ: «من صلى عليَّ مرة صلى الله عليه عشرًا»[1].

فينبغى لكل مؤمن لبيب ألا يغفل فى هذا الشهر، بل يتأهب فيه لاستقبال شهر رمضان بالتطهر من الذنوب والتوبة عما فات وسلف فيما مضى من الأيام، فيتضرع إلى الله تعالى فى شهر شعبان، ويتوسل إلى الله تعالى بصاحب الشهر محمد ﷺ حتى يصلح فساد قلبه، ويداوى مرض سره، ولا يسوف ويؤخر ذلك إلى غد، لأن الأيام ثلاثة: أمس وهو أجل، واليوم وهو عمل، وغدًا وهو أمل، فلا تدرى هل تبلغه أم لا، فأمس موعظة، واليوم غنيمة، وغدًا مخاطرة.

وكذلك الشهور ثلاثة: رجب فقد مضى وذهب فلا يعود، ورمضان وهو منتظر لا تدرى هل تعيش إلى إدراكه أم لا؟ وشعبان وهو واسطة بين شهرين فليغتنم الطاعة فيه.

وقد قال النبى ﷺ لرجل وهو يعظه، قيل هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك

---

(١) مسلم فى الصلاة (٧٠)، والنسائى ٣/ ٥٠، وأحمد ٢/ ٣٧٢.

قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(١).

(فصل: فى ليلة البراءة: وما خصت به من الكرامة والفضائل)

قال الله عز وجل:

﴿حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه فى ليلة مباركة﴾ [الدخان: ١ ـ ٣].

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿حم﴾ يعنى قضى الله ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿والكتاب المبين﴾ يعنى القرآن ﴿إنا أنزلناه﴾ يعنى القرآن ﴿فى ليلة مباركة﴾ هى ليلة النصف من شعبان وهى ليلة البراءة، وقال ذلك أكثر المفسرين سوى عكرمة فإنه قال: هى ليلة القدر.

وقد سمى الله تعالى أشياء فى القرآن مباركًا:

ـ منها سمى القرآن مباركًا، قال: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾ [الأنبياء: ٥٠] فمن بركته أن من قرأه وآمن به اهتدى، وتخلص من النار ولظى، حتى يتعدى ذلك إلى الآباء والأبناء، قال النبى ﷺ: «من قرأ القرآن نظرًا فى المصحف خفف الله عز وجل عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين»(٢).

ـ ومنها أنه عز وجل سمى الماء مباركًا قال: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركًا﴾ [ق: ٩] فمن بركته أن حياة الأشياء به؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقيل فيه عشر لطائف: الرقة، واللين، والقوة، واللطافة، والصفاوة، والحركة، والرطوبة، والبرودة، والتواضع، والحياة، وجعل الله تعالى هذه اللطائف فى المؤمن اللبيب: رقة القلب، ولين الخلق، وقوة الطاعة، ولطافة النفس، وصفاوة العمل، والحركة فى الخير، والرطوبة فى العين، والبرودة فى المعاصى، والتواضع عند الخلق، والحياة عند استماع الحق.

ـ ومنها أنه عز وجل سمى الزيتون مباركًا فى قوله تعالى: ﴿من شجرة مباركة زيتونة﴾ [النور: ٣]. وهى أول شجرة أكل منها آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض،

---

(١) الكنز (٤٣٤٩٠)، وابن أبى شيبة ١٢/ ٢٢٣، والحاكم ٤/ ٣٠٦، والإتحاف ١٠/ ١٥١.

(٢) ابن عدى ٦/ ٢٢٢٦.

وفيها طعام واستضاءة كما قال الله تعالى: ﴿**وصبغ للآكلين**﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وقيل الشجرة المباركة هو إبراهيم عليه السلام، وقيل هو القرآن وقيل هو الإيمان، وقيل هى نفس المؤمن المطمئنة الأمّارة بالخير الممتثلة للأمر، المنتهية للنهى، المسلمة للقدر، الموافقة للرب فيما قضى وسطر.

ـ ومنها أنه عز وجل سمى عيسى عليه السلام مباركًا قال تعالى: ﴿**وجعلنى مباركًا أين ما كنت**﴾ [مريم: ٣١] فمن بركته عليه السلام ظهور الثمرة من النخلة اليابسة لأمه الصدّيقة مريم عليهما السلام، ونبع الماء من تحته، قال عز وجل: ﴿**فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريًا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا * فكلى واشربى وقرى عينًا**﴾ [مريم: ٢٤ ـ ٢٦] وأبرأ الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى بدعوته وغير ذلك من الخير والمعجزات.

ـ ومنها أنه عز وجل سمى الكعبة مباركًا قال عز وجل: ﴿**إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركًا**﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومن بركاتها أن من دخلها وعليه أثقال من الذنوب خرج مغفورًا له، قال الله تعالى: ﴿**ومن دخله كان آمنًا**﴾ [آل عمران: ٩٧] فمن دخل البيت وهو مؤمن محتسب تائب أمنه الله عذابه وقبل توبته وغفر له.

وقيل من دخله كان آمنًا من أن يؤذى فى الحرم حتى يخرج منه، ولهذا يحرم قتل صيده وقطع شجره لحرمة الكعبة، فحرمة الكعبة لحرمة الله، وحرمة المسجد لحرمة الكعبة، وحرمة مكة لحرمة المسجد، وحرمة الحرم لحرمة مكة.

كما قيل: إن الكعبة قبلة لأهل المسجد، والمسجد قبلة لأهل مكة، ومكة قبلة لأهل الحرم، والحرم قبلة لأهل الأرض.

وإنما سماها بكة لأن الأقدام تبك بعضها بعضًا: أى تدفع وتدرأ، وبكة ومكة واحد تبدل أحدهما بالأخرى، ككمد وكبد، ولازم ولازب.

ـ ومنها سمى ليلة البراءة مباركة لما فيها من نزول الرحمة والبركة والخير والعفو والغفران لأهل الأرض.

ومن ذلك ما أخبرنا الشيخ أبو نصر عن والده، قال: أخبرنا محمد، قال: أخبرنا عبد الله بن محمد، أخبرنا إسماعيل بن عمر البجلى، أخبرنا عمر بن موسى الوجيهى،

عن زيد بن على عـن آبائه، عن على بن أبى طالب رضى الله عنـه، عن النبى ﷺ أنه قال: «ينزل الله تعالى فى ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل مسلم إلا لمشرك أو مشاحن أو قاطع رحم أو امرأة تبغى فى فرجها»[١].

وأخبرنا أبو نصر عن والده بإسناده عن يحيى بن سعيد، عن عروة عن عائشة رضى الله عنهـا قالت: «لما كـانت ليلة النصف من شـعبـان انسل النبى ﷺ من مـرطى، ثم قالت: والله ما كان مرطى من حرير ولا قز ولا كتان ولا خز ولا صوف.

قال: قلت لها: سبحان الله فمن أى شيء كان؟ قالت: كان سداؤه من شعر وكانت لحمته من وبر، وأحسب نفسى أن يكون ﷺ قد أتى بعض نسـائه، فقمت فالتمسته فى البيت فوقعت يدى على قدميه وهو سـاجد، فحفظت من دعائه ﷺ وهو يقول: سجد لك سوادى وخيالى، وآمن بك فـؤادى، أبوء لك بالنعم وأعترف لك بالذنب، ظلمت نفـسى فاغـفر لى إنه لا يغـفر الذنـوب إلا أنت، أعوذ بعـفوك من عـقوبتك، وأعـوذ برحمـتك من نقمتك، وأعـوذ برضاك من سخطك، وأعـوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

قالت: فمـا زال ﷺ قائمًا وقاعدًا حتى أصـبح وقد أصعدت، يعنى انتفـخت قدماه وأنا أغمزها وأقول: بأبى أنت وأمى أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، أليس قد فعل الله بك، أليس أليس؟.

قال ﷺ: يا عـائشة أفلا أكون عـبدًا شكورًا؟ هل تدرين مـا فى هذه الليلة؟ قالت: قلت: وما فيـها؟ قال: فيهـا يكتب كل مولود فى هذه السنة، وفيهـا يكتب كل ميت، وفيها تنزل أرزاقهم، وفيها ترفع أعمالهم وأفعالهم.

قلت: يا رسول الله مـا أحد يدخل الجنة إلا برحـمة الله؟ قال ﷺ: مـا أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله.

قلت: ولا أنت؟ قال ﷺ: ولا أنا، إلا أن يتغـمدنى الله برحمتـه، فمسح يده على هامته وعلى وجهه»[٢].

وأخبرنى أبو نصر، قال: أنبأنا والدى، حدثنا محمد بن أحمد الحافظ، أنبأنا عبد الله

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٧.

(٢) البخارى ٢/ ٦٣، وأحمد ٤/ ٢٥١، والنسائى ٣/ ٢١٩.

ابن محمد، أنبأنا أبو العباس الهروى وإبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: أخبرنا أبو عامر الدمشقى، أنبأنا الوليد بن مسلم، أخبرنى هشام بن الغار وسليمان بن مسلم وغيره، عن مكحول، عن عائشة رضى الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال لها: «يا عائشة أية ليلة هى؟.

قالت: الله ورسوله أعلم، فقال: ليلة النصف من شعبان، فيها ترفع أعمال الناس، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب، فهل أنت أذنت لى الليلة؟ قالت: قلت: نعم، فصلى فخفف القيام وقرأ الحمد وسورة خفيفة، ثم سجد إلى شطر الليل، ثم قام فى الركعة الثانية، فقرأ فيها نحواً من قراءة الأولى، فكان سجوده إلى الفجر.

قالت عائشة رضى الله عنها: أنظره حتى ظننت أن الله تعالى قد قبض روح رسوله ﷺ، فلما طال علىَّ دنوت منه حتى مسست أخمص قدميه، فتحرك فسمعته يقول فى سجوده: أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك، ، جل وجهك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

قلت: يا رسول الله قد سمعتك تذكر فى سجودك الليلة شيئًا ما سمعتك تذكره قط، قال ﷺ: وعلمت ذلك؟ قلت: نعم، قال ﷺ: تعلميهن وعلميهن، فإن جبريل عليه السلام أمرنى أن أذكرهن فى السجود».

وأخبرنى أبو النصر عن والده، قال: أنبأنا عبد الله بن محمد، أنبأنا إسحاق بن أحمد الفارسى، أنبأنا أحمد بن الصباح بن أبى شريح، أنبأنا يزيد بن هارون، حدثنا الحجاج بن أرطاة، عن يحيى بن أبى كثير، عن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: «فقدت رسول الله ﷺ ذات ليلة، فخرجت فإذا هو بالبقيع رافعًا رأسه إلى السماء، فقال لى: أكنت تخافين أن يحيف الله ورسوله عليك؟ فقلت له: يا رسول الله ظننت أنك أتيت بعض نسائك، فقال ﷺ: إن الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب»[1].

وعن عكرمة مولى ابن عباس رحمه الله ورضى الله عنهما فى قول الله تعالى: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] قال: «هى ليلة النصف من شعبان، يدبر الله تعالى أمر السنة، وينسخ الأحياء من الأموات، ويكتب حاج بيت الله، فلا يزيد فيهم أحد ولا

(١) الترمذى (٧٣٩)، وأحمد ٦/ ٢٣٨، والبيهقى (١٣٨٩).

ينقص منهم أحد».

وقال حكيم بن كيسان: يطلع الله تعالى إلى خلقه فى ليلة النصف من شعبان، فمن طهره فى تلك الليلة زكاه إلى مثلها.

وقال عطاء بن يسار: يعرض عمل السنة فى ليلة النصف من شعبان، فيخرج الرجل مسافرًا وقد نسخ من الأحياء إلى الأموات، ويتزوج وقد نسخ من الأحياء إلى الأموات.

وأخبرنى أبو نصر عن والده بإسناده، عن مالك بن أنس، عن هشام بن عروة، عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: «يفتح الله الخير فى أربع ليال سحًا، ليلة الأضحى، وليلة الفطر، وليلة النصف من شعبان ينسخ الله فيها الآجال والأرزاق، ويكتب فيها الحاج، وليلة عرفة إلى الأذان»[1].

قال سعيد، قال لى إبراهيم بن أبى نجيح: هى خمس ليال فيها ليلة الجمعة.

وروى أبو هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «جاءنى جبريل عليه السلام ليلة النصف من شعبان وقال لى: يا محمد ارفع رأسك إلى السماء، قال: قلت له: ما هذه الليلة؟ قال: هذه الليلة يفتح الله سبحانه فيها ثلاثمائة باب من أبواب الرحمة، يغفر لجميع من لا يشرك به شيئًا، إلاَّ أن يكون ساحرًا أو كاهنًا أو مدمن خمرٍ أو مصرًا على الربا والزنا، فإن هؤلاء لا يغفر لهم حتى يتوبوا.

فلما كان ربع الليل نزل جبريل عليه السلام وقال: يا محمد ارفع رأسك، فرفع رأسه فإذا أبواب الجنة مفتوحة، وعلى الباب الأول ملك ينادى: طوبى لمن ركع فى هذه الليلة، وعلى الباب الثانى ملك ينادى: طوبى لمن سجد فى هذه الليلة، وعلى الباب الثالث ملك ينادى: طوبى لمن دعا فى هذه الليلة، وعلى الباب الرابع ملك ينادى: طوبى للذاكرين فى هذه الليلة، وعلى الباب الخامس ملك ينادى: طوبى لمن بكى من خشية الله فى هذه الليلة، وعلى الباب السادس ملك ينادى: طوبى للمسلمين فى هذه الليلة، وعلى الباب السابع ملك ينادى: هل من سائل فيعطى سؤله؟ وعلى الباب الثامن ملك ينادى: هل من مستغفر فيغفر له؟ فقلت: يا جبريل إلى متى تكون هذه الأبواب مفتوحة؟ قال: إلى طلوع الفجر من أول الليل، ثم قال: لله تعالى فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم كلب».

---

(١) الدر المنثور ٦/٢٦.

(فصل) وقد سميت ليلة البراءة لأن فيها براءتين، براءة للأشقياء من الرحمن، وبراءة للأولياء من الخذلان.

وقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع الله على خلقه فيغفر للمؤمنين، ويمهل الكافرين، ويدع أهل الحقد بحقدهم حتى يدعوه»[1].

وقيل: إن للملائكة ليلتى عيد فى السماء، كما أن للمسلمين يومى عيد فى الأرض، فعيد الملائكة ليلة البراءة وليلة القدر، وعيد المؤمنين يوم الفطر ويوم الأضحى، وعيد الملائكة بالليل لأنهم لا ينامون، وعيد المؤمنين بالنهار لأنهم ينامون.

وقيل: إن الحكمة فى أن الله تعالى أظهر ليلة البراءة وأخفى ليلة القدر، لأن ليلة القدر ليلة الرحمة والغفران والعتق من النيران، أخفاها الله عز وجل لئلا يتكلوا عليها، وأظهر ليلة البراءة لأنها ليلة الحكم والقضاء، وليلة السخط والرضا، ليلة القبول والرد والوصول والصد، ليلة السعادة والشقاء والكرامة والنقاء.

فواحد فيها يسعد والآخر فيها يبعد، وواحد يجزى وواحد يخزى، وواحد يكرم وآخر يحرم، وواحد يؤجر وآخر يهجر، فكم من كفن مغسول وصاحبه فى السوق مشغول، وكم من قبر محفور وصاحبه بالسرور مغرور، وكم من فم ضاحك وهو عن قريب هالك، وكم من منزل كمل بناؤه وصاحبه قد أزف يعنى قرب فناؤه، وكم من عبد يرجو الثواب فيبدو له العقاب، وكم من عبد يرجو البشارة فتبدو له الخسارة، وكم من عبد يرجو الجنان فتبدو له النيران، وكم من عبد يرجو الوصل فيبدو له الفصل، وكم من عبد يرجو العطاء فيبدو له البلاء، وكم من عبد يرجو الملك فيبدو له الهلك.

وقيل: إن الحسن البصرى رحمه الله كان يخرج من داره يوم النصف من شعبان، وكأن وجهه قد قبر ودفن، ثم أخرج من قبره، فقيل له فى ذلك، فقال: والله ما الذى انكسرت سفينته بأعظم مصيبة منى، قيل له: ولم ذلك؟ قال: لأنى من ذنوبى على يقين، ومن حسناتى على وجل، فلا أدرى اتقبل منى أم ترد على.

(فصل) فأما الصلاة الواردة فى ليلة النصف من شعبان فهى:

مائة ركعة بألف مرة ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ فى كل ركعة عشر مرات، وتسمى هذه

(١) الإتحاف ١٠/ ٢٨٢، والكنز (٣٥١٧٥)، والدر المنثور ٦/ ٢٦.

الصلاة صلاة الخير وتعرف بركتها.

وكان السلف الصالح يصلونها جماعة يجتمعون لها، وفيها فضل كثير وثواب جزيل.

وروى عن الحسن رحمه الله أنه قال: حدثنى ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ: أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة، أدناها المغفرة.

ويستحب أن تصلى هذه الصلاة أيضًا فى الأربع عشر ليلة التى يستحب إحياؤها التى ذكرناها فى فضائل رجب، ليحوز بها المصلى هذه الكرامة وهذه الفضيلة والمثوبة.

* * *

الفهرس

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــوع الصفحة

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــــــوع | الصفحة

تم فهرس الجزء الأول

* * *

